



فیدور دوستویفسکی

السائل

ترجمة: خيري الصامد



رسائل دوستويفسكي

الجزء الأول

ترجمة
خيري الضامن



رسائل دوستویفسکی

رسائل دوستويفסקי

Федор Михайлович Достоевский

Том 15. Письма 1834-1881

نشر في مجلدين بدعم معهد الترجمة في روسيا الاتحادية



الطبعة الأولى، 2017

عدد الصفحات: 480

القياس: 21.5 × 14.5

جميع حقوق النشر والترجمة محفوظة

دار سؤال للنشر

لبنان - بيروت

الحرماء - شارع ليون - بناية برج ليون - الطابق السادس

ص.ب: 58-360

هاتف: 00961 1 740437



www.darsoual.com



@darsouall2014



[dar_soual@outlook.com](mailto:darsoual@outlook.com)



Dar Soual

ISBN: 978-614-8020-36-0

تصميم الغلاف: محمد النبهان

زيتية الغلاف للرسام الروسي فاسيلي بيلوف (1882-1834)

إن دار سؤال للنشر غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء مؤلفه، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار.

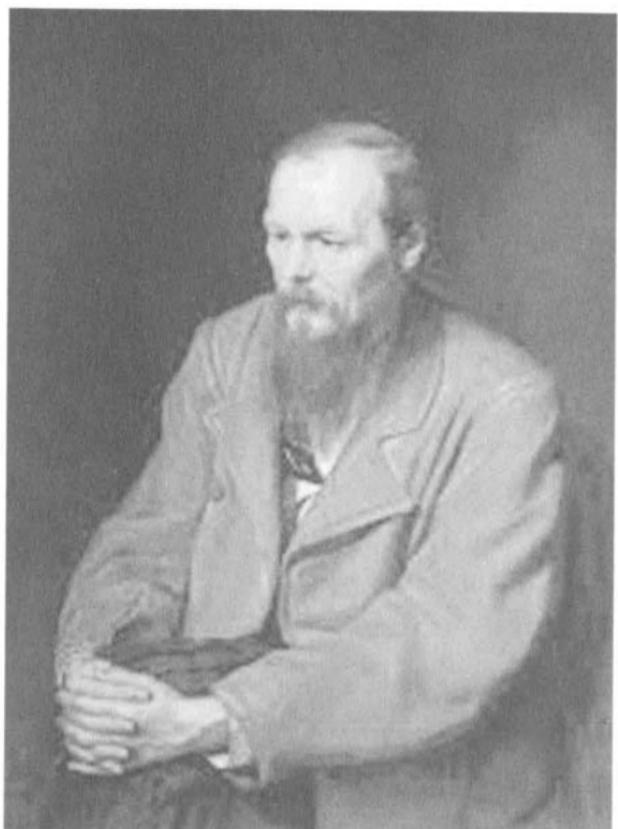
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقرورة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خططي من الناشر.



أهم رسائل

الفترة 1881-1834

مترجمة عن الأصل الروسي



أولاً:

ما قبل «القراء» (1846)^(*)

(*) التبوب التقريري، وكذلك ترقيم الرسائل، خاص بطبعة دار سؤال.



1

١. إلى ماريا دوستويفسكي^(١)

موسكو، أواخر أبريل - أوائل مايو 1834

والدتي العزيزة!

عندما سافرت من طرقنا، يا والدتي الحبيبة، شعرت بملل بالغ،
وما إنْ أتذكرك، يا والدتي الحنون، حتى تنهال علىي أحزان لا أقوى
على الفكاك منها. ليتك تعلمين ما أشد تشوقني لرؤيتك وما أقل صبري
على انتظار اللحظة التي سأراك فيها من جديد. كلما أتذكرك أبتهل إلى
الله أن يمنحك موفور الصحة والعافية. أخبرينا يا والدتي العزيزة هل
وصلت بسلام؟ قبلي أندرية وفيرا نيابة عنِي.
أقبل يديك وسأظل دوماً ابنك البار^(٢).

ف. دوستويفسكي

(١) والدة الكاتب توفيت في سن مبكرة (1800-1837).

(٢) كتب دوستويفسكي هذه الرسالة وهو في الثانية عشرة من العمر.

2. إلى ماريا دوستويفسكي

موسكو، 9 مايو 1835

الوالدة العزيزة!

للمرة الثالثة نبلغكم تحريرياً أننا بخير وبصحة جيدة والحمد لله. واليوم، الخميس، أخذنا الوالد إلى البيت بمناسبة العيد، وها نحن معاً، من دونك يا أمينا الحنون. وللأسف أننا سنبقي مفترقين عنك أمداً طويلاً، ونأمل أن يمضي الوقت سريعاً إن شاء الله. الطقس عندنا سيئ للغاية، وأظن أنه عندكم أيضاً بنفس السوء وأعتقد أنك لا تتمتعين بالربيع، فما أسوأ أن يكون المرء في الريف عندما تعتكر الأحوال الجوية. كما أعتقد أن فيرا ونيكولاي يشعران بضجر أكبر، وأن نيكولاي لا يمارس لعبة الحصن كما كان يفعل معـي أحـيانـاً. نحن نشقق كثيراً على أليونا فرولوفنا المسكينة، فهي تعاني الكثير وستلقـى حتفـها منـ السـلـ الذي يـلاحـقـها.⁽¹⁾ معـ السلامـةـ ياـ مـاماـ.ـ فيـ اـنتـظـارـ فـرـصـةـ اللـقاءـ القـرـيبـ.ـ ولـدـاكـ المـطـيعـانـ

فيودور وأندريه دوستويفسكي



والدة دوستويفسكي

(1) أليونا فرولوفنا كريوكوفا مربية العائلة، وهي امرأة طيبة، بدينة وبصحة جيدة. والكلام عنها هنا جاء على سبيل المزاح.

3. إلی ماریا دوستویفسکایا

موسكو، 26 مايو 1835

الوالدة الحبيبة!

يسرّني جداً أنك في صحة جيدة بمشيئة العلي القدير. نحن نقضي هذين اليومين، يوم الثالث و يوم الروح القدس، في البيت مع الوالد العزيز. الطقس عندنا كما هو عندكم باعتقادى متقلب كل هذه الأيام. إلا أن هذا السبت رائع رغم تساقط المطر، فقد بات الجو نقياً صافياً بل و رائعاً في الليل. ولا أظن أن هذا المطر قد فاتكم، فهو ليس مقيداً أو محدوداً. امتحاننا سبتمبر، كما في العام الماضي، أواخر يونيو، ولذا لا أمل في رؤيتك في القريب العاجل. تقولين إن الأطفال يمرحون حتى أن بدن نيكولاي اكتنز، أليس الطقس هو الأفضل الآن؟ وبالتالي يمكنه أن يتمتع به في الهواء الطلق. قبلّهم نيابة عنّي و قولّي لهم أن يتحلوا بالفطنة والرشاد، وبلغّيهم أننا سنعود إليهم في القريب العاجل. وداعاً يا أمّنا العزيزة، ليس عندي ما أكتبه أكثر.

نبّى ولديك المخلصين

فيودور وأندريه دوستويفسكي

٤. إلى ميخائيل نوستويفسكي (الأب)^(١)

بطرسبرغ، 23 يوليو 1837

الوالد المحترم!

اليوم سبت، ولدينا، والحمد لله، فرصة تحرير بضعة سطور إليك، وفيما عدا ذلك نحن مشغولان طول الوقت. سبتمبر يقترب وتقرب معه الامتحانات، وليس بوسعنا أن نضيع ولا دقيقة خلال الأسبوع. في السبت والأحد فقط نتفرغ، بمعنى أن كوروناد فيليبيوفيتش لم يكلفنا بواجب بيتي في هذين اليومين، وبالتالي تمكننا أن نجد وقتاً للتحدث إليك تحريرياً.

الرياضيات والعلوم تتلاحم علينا الآن، وكذلك التحصينات والمدفعية. وفي الأحد وأيام السبت نرسم المخططات البيانية. كل يوم تقريباً يقوم كوروناد فيليبيوفيتش بتدريس الجميع، ويدرسنا نحن الاثنين خصيصاً لأننا الوحيدان من بين جميع تلاميذه الراغبان في دخول الصف الثاني، بينما باقون يريدون دخول صف أوطا. المعلم كوروناد يعلق آماله علينا أكثر من باقي التلاميذ الثمانية الذين يشرف على إعدادهم. وقريباً سندرس شؤون الجبهة على يد ضابط صاف

استدعاء كوروناد لهذا الغرض وسنظل ندرسها لحين موعد الالتحاق، أي حتى شهر ديسمبر. دروس الجبهة تحظى باهتمام بالغ، وحتى إذا تضلع التلميذ في كل المواد يمكن أن ينسبوه إلى الصفوف الأوأط بسبب درس الجبهة. علماً بأن ذلك يجعلنا نفوز في أنظار معالي ميخائيل بافلوفيتش، فهو متّيئ بالنظام. وهكذا يمكنك أن تقدر مدى دراستنا لهذه المادة، رغم أن الجميع، بعد امتحان سبتمبر، يجب أن يتربّدوا على الحصن الهندسي ليتعلّموا شؤون الجبهة. فهل نحقق شيئاً؟ حسبنا الله ونعم الوكيل. سوف نبذل قصارى جهدنا.

حالياً يجري عندكم في الريف جني محصول القمح، ونحن نعرف أن هذا هو العمل المحبب لديكم. لكننا لا نعرف حجم المحصول في طرفكم، ولا نعرف أحوال الطقس عندكم. وفيما يخص طقس بطرسبورغ فهو في منتهى الروعة، كما في إيطاليا. لم نلتقي شيدلوفסקי بعد، ولم نبلغه تحياتك بالطبع.

هل يفعل إخوتنا وأخواتنا شيئاً في القرية؟ لا بد أنهم شبعوا من اللهو والترا��ض، وتمتّعوا بطعم الشمار، واسمرّت بشرتهم ووجوههم. نعتقد أن ساشا (الكساندرا) قد ترعرعت كثيراً. والهواء المنعش مفيد لها. فاريا (بربارة) ربما تقوم ببعض الأشغال اليدوية. وأكيد أنها لا تنسى دراسة العلوم ومطالعة مدونة كaramzin عن «تاريخ روسيا». لقد وعدتنا بقراءة الكتاب.

أما أندريه فلعله، وسط مباحج القرية، لا ينسى التاريخ الذي كان يتوانى أحياناً في الإطلاع عليه. ونظن أنك ستأخذنه في الخريف إلى موسكو ليتعلم على يد تشيرماك. وهكذا ستبقى أمداً طويلاً مهتماً بتربية أولادك، فتحن كثيرون. فاحكم بنفسك على مدى ابتهالنا



والد دوستويفסקי

للخالق كي يصون صحتك الغالية. قبلاتنا إلى جميع الإخوة
والأخوات.

مع أسمى آيات الاحترام والإخلاص والموعدة من ولديك المعزين

ميخائيل وفيودور دوستويف斯基

(1) رسائل دوستويفסקי وأشقائه المشتركة إلى والدهم الطبيب العسكري المتყادع ميخائيل أندريفيتش دوستويفסקי (1788-1839) ثمان، ثلات منها بخط الكاتب وخمس بخط أخيه ميخائيل. كانت العلاقة متوترة بين الكاتب ووالده الذي مات مقتولاً على يد فلاحيه الأقنان، حسب رواية غير موثقة.

5. إلى ميخائيل دوستوفيفسكي (الأب)

بطرسبرغ، 6 سبتمبر 1837

الوالد الكريم!

لم نكتب لك من زمان، ولعل صمتنا الطويل يقللوك كثيراً،
وخصوصاً في مثل هذه الملابسات. وجدنا الآن فقط فرصة إبلاغك
بمشغوليتنا العالية. فالامتحان قريب. والوظائف الدراسية المتواصلة،
كل ذلك يربكنا أشد الإرباك.

في الأول من سبتمبر، كما أعلن في منهاج ثانوية الهندسة، تعين
علينا أن نتوجه إلى الحصن. وقد وصلنا جميعاً في الموعد المحدد
وقدمنا كوروناد فيليبيوفيتش إلى المفتش لومنوفسكي والجنرال
شارنغرست أمير ثانوية الهندسة. كانت معاملة الجنرال للجميع لطيفة
حميمة، وقد أمرنا بالاستعداد، لأنهم سيدعونا كثيراً إلى ثانوية
الهندسة. فما أشد ضجرنا. الآن وصلت قصاصة من الجنرال إلى
كوروناد يدعوه فيها لمراجعتنا جميعاً إلى الثانوية. ولا أدرى لماذا.
ربما لتقدير التأهيل. ذلك لأن الجنرال أمر بأن يجلب التلاميذ
شهادات الدراسة في المدارس السابقة. وأخيراً، بعد العناء، حل

موعد الامتحان الرئيسي المقرر في الخامس عشر من الشهر. مجموع المرشحين 45. ونحن مسحورون جداً لقلة العدد. في العام الفائت كان عددهم 120، وفي الأعوام التي قبله كان 150 وأكثر. تلاميذ كوستوماروف في المقدمة دوماً. فما الذي سيحصل الآن والعدد قليل؟ صحيح أن التشكيلة المطلوبة هي 25. ولكننا نظن أنهم سيرفضون الكثيرين من المرشحين، لأن الجميع، على ما يبدو، أدمغة فارغة، وكلهم ي يريدون الصف الرابع. يبدو أنهم يخشون كثيراً تلاميذ كوستوماروف. وذلك دليل على الاحترام لنا. فما الذي سيحصل على أية حال؟

مررت فترة ولم نحصل نحن أيضاً على علم وخبر من طرفكم. لكننا لا نجرؤ على تكليفكم أكثر مما تستطيعون نظراً لانشغالكم. ستصلكم هذه الرسالة في الوقت الذي يتقرر فيه مصيرنا، عندما يتعيّن أداء الامتحان الحقيقي. وفي الرسالة القادمة سنحاول إبلاغكم بكل التفاصيل. أما الآن فقد تزايدت دروسنا ثلاثة مرات. الوقت نفسه عاجز عن اللحاق بنا. والكتاب جليسنا دوماً. نحن ننتظر الامتحان على آخر من الجمر. والآن أكتب لكم على ظهر خرائط البريد. ولكن ما أكثر العمل بعد الرسالة. لم أصرف سوى ربع ساعة في كتابتها لكم. وأضيف أننا اضطررنا لشراء قبعتين جديدتين لمناسبة الامتحان وأنفقنا عليهما 14 روبلأ.^(١) لم نتمكن من مقابلة شيدلوفסקי أمداً طويلاً. والتقينه الآن فقط في كاتدرائية قازان. كنا نطمح إلى لقائه من زمان، وخصوصاً قبيل الامتحان. وهو مع كوروناد يخصّانك بالسلام. إلى اللقاء في الرسالة القادمة.

يشرفنا أن نقى دوماً ولديك المحبيين

ميغائيل وفيودور دوستويفسكي

-
- (1) كان سعر صرف الروبل الروسي في ستينات القرن العشرين 63 سنتاً، فيما تجاوز سعر صرف الدولار الأميركي في العام 2016 م 75 روبراً.



جدارية في محطة «دوستويفסקי» في مترو موسكو

6. إلى ميخائيل دوستويفסקי (الأب)

بطرس堡، 4 فبراير 1838

والدي الفاضل!

أخيراً تم قبولي في ثانوية الهندسة الرئيسية، فارتديت البرزة ونسبت بالتمام والكمال إلى الخدمة القيصرية. وووجدت بشق الأنفس لحظة فراغ من الدروس والتطبيقات والخدمة، وهي لحظة ثمينة أستطيع أن أتحدث إليك فيها ولو تحريرياً يا والدي الكريم. فكم مضى من الوقت دون أن أكتب إليك؟ عندما سمعت في لقائي الأخير مع أخي أنك غاضب عليّ بسبب ذلك رغبت أشد الرغبة في تصحيح خطأي رغم أنني لا ذنب لي فيه. وفي هذه الأثناء استلمت رسالتك، ويصعب عليّ أن أجد ما أقارن به حبك لنا، فالكلمات تعجز عن وصفه. لقد بعثت لي، يا والدي العزيز، رسالة دون أن تعرف حتى عنوانني، بينما لم أكتب أنا ولا سطراً واحداً طوال أكثر من شهر، وذلك لسبب واحد هو أنني لم أجد لحظة فراغ. تصور أننا منذ الصباح الباكر وحتى المساء في الصف لا نكاد نلحق بالمحاضرات. وبعد ذلك لا وقت لنا، بل ولا دقيقة لتناول جيداً ونستوعب في أوقات الراحة ما استمعنا إليه في

الصف أثناء محاضرات النهار. يرسلوننا لممارسة التدريبات الجبهوية، ويقومون بتدريستنا المبارزة والرقص والإنشاد، ولا أحد منا يتجرأ على التغيب عنها. وإلى ذلك يكلفوننا بالخفارة والمناوبة التي تشغل كل أوقاتنا. ولكنني عندما استلمت رسالتك تركت كل شيء لأعجل في الجواب عليها يا والدي الكريم. أنا والحمد لله بدأت أتعود على الحياة هنا. وليس بمقدوري أن أمدح الزملاء. رأي الرؤساء والأمراء بخصوصي جيد جداً على ما أعتقد. ولدينا مفتش جديد للصفوف. فالمفتش السابق لومونوفسكي أخلى موقعه للبارون دالفيس. ولا بد أن يحدث تغيير. فيما كان المفتش السابق راضياً عنِّي. و كنت أستلم 50 روبيلاً . وهي الآن عند شقيقتي. ما أعظم شكري لك يا والدي. فأنا بحاجة إليها حقاً لأسارع في اقتناه كل ما أحتاج إليه. في الأحد والعطل الأخرى لا أغادر إلى أي مكان، لأن أحداً من الأهل ينبغي أن يقع تعهداً خطياً بأنه يأخذني إلى البيت. وما دمت لا أمتلك الوسيلة للاتصال بأخي فلم أتمكن من قراءة رسائلك الأخيرة. مرة واحدة فقط طلبت مقابلة كوستوماروف وعلمت بالخبر السار جداً بشأن قبول أخي في كلية الهندسة العسكرية. لقد تحققت والحمد لله أمنيتنا القديمة المشتركة، فوجد شقيقنا سبيله القويم في آخر الأمر. ونأمل الآن أن يسير كل شيء بشكل أفضل. في رسالتك إلى كنت على أية حال لا تزال تشکك في ذلك. إلا أن تلك قضية محسومة لم يعد فيها مجال للجدال. وكان بالإمكان دوماً انتظار هذه الخاتمة لولا كوستوماروف الذي مارس التسويف وحاول إرجاء النتيجة ليحتفظ بشقيقتي لديه أمداً أطول حتى يتمتص منا الـ 300 روبل بكل خسارة. ولعلك تعلم من رسائل شقيقي الأخيرة أن كوستوماروف قدم نفسه لجنزاليه المرتقين - هيروا وتروسون. وقد استقبلاه بمنتهى اللطف بوصفه قد باشر الخدمة،

وبالتالي فإن هذا القرار لا ريب فيه ولم يبقَ ما يستحق الشك والارتياح . كما وعد تروسون بأنه سيتشفع لأخي بخصوص التعيين في سلك الضباط ، ونأمل أن يفي بوعده . قبل فترة عرفت أن الجنرال حاول بعد الامتحان أن يوظف أربعة من المتسلسين الجدد على حساب الدولة بالإضافة إلى المرشح الذي تقدم به كوستوماروف ، وبذلك سد الشاغر الذي كنت أنا أنتظره . فهل هناك خسأ أكثر من هذه؟ لقد صعقني هذا الأمر . فنحن الذين نعيش على آخر روبل ملزمون بأن ندفع ، فيما يُقبل الآخرون من أبناء الأثرياء مجاناً . حسبي الله ونعم الوكيل . تسألني يا والدي عما إذا كنت بحاجة إلى شيء . أنا الآن لست بحاجة . ملابسي الداخلية ويزتي عند شقيقتي ، وأنا أنتظر بفارغ الصبر اكتمال تنسيبه . وسنكون ، على الأقل ، أكثر تقارباً . وداعاً يا والدي العزيز متمنياً لك كل خير من العلي العظيم .

يشرفني أن أبقى ولدك البار المطيع .

فيودور دوستويفسكي

ملحوظة : يقال إن شقيقتي ستقيم قرابة أسبوعين في القلعة قبل دخول حصن الهندسة .

بخصوص القرار الجديد الذي كتبت لي عنه لا موجب للقلق . نحن لم نسمع به . وليست له مبررات كافية ، إنه شائعة فارغة لا أكثر . قبل جميع إخواتي وأخواتي بالنيابة عنِي . وسنلتقي في وقت ما . أندريه لم يكتب لنا حتى الآن ولا نصف سطر .

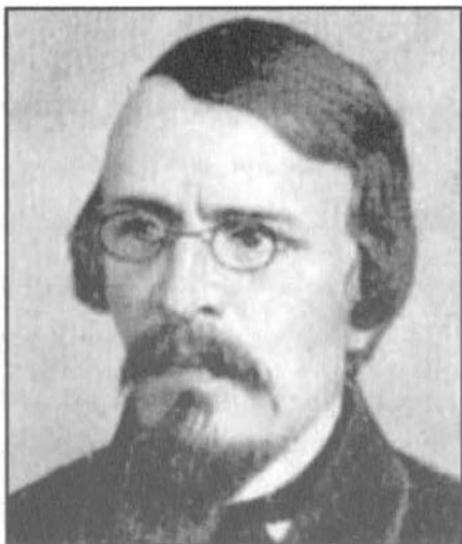
طلبت مني أن أبعث عنوان شيدلوفסקי ، إلا أنه يغادر بطرسبورغ إلى كورسك مؤقتاً لزيارة أهله . ولربما تستطيع مقابلته في موسكو . وهو يمكن أن يجذك بنفسه عن طريق عائلة كومانين .

7. إلى ميخائيل ميخائيلوفيتش دوستويفسكي (شقيق الكاتب)

بطرسبرغ، 9 أغسطس 1838

أخي!

ما أشد دهشتني لرسالتك، يا أخي العزيز. فهل يعقل أنك لم تستلم مني ولا كلمة، فيما بعثت إليك من لحظة سفرك ثلاثة رسائل، الأولى بعد رحيلك مباشرة، والثانية لم تتمكن من إرسالها في الحال لعدم توفر قيمة طابع البريد (لم يكن لدى ولا كوييك واحد، ولم يستلم من عائلة ميركولوف). استمر الحال هكذا إلى العشرين من يوليو حيث استلمت من الوالد 40 روبلًا، وأخيراً الرسالة الثالثة. وبالتالي لا يمكنك أن تتباهى بأنك لم تنسني وبأنك كتبت إلي أكثر. والحقيقة أنني أنا أيضاً كنت متقيداً دوماً بكلمة الشرف. صحيح أنني كسول، كسول جداً. ولكن ماذا على أن أفعل ولم يبق لي في الدنيا سوى شيء واحد هو أن أستمتع بالكيف دوماً؟ ولا أدرى هل ستختفي يوماً أفكاري الحزينة؟ الشيء الوحيد الذي هو من نصيب الإنسان أن يتحكم بأحواله. جوه الروحي يقوم على اندماج السماء والأرض. قانون الطبيعة الروحي يتعرض للانهاك على يد الإنسان، ذلك الطفل



شقيق دوستويفسكي (ميغائيل)

المتطاول على السنن والقوانين... يخيل إلى أن عالمنا هو مظهر أو أعراف جهنم للأرواح السماوية التي تشوشت أذهانها بخطيئة التفكير. وأظن أن عالمنا بات مرادفاً للمعنى السلبي، ولذا تحول الصفاء الروحي الأنيدق السامي إلى سخرية وتهكم. وإذا ولج هذه اللوحة شخص لا يؤمن بهذا التأثير ولا يفكر هذا التفكير، شخص غريب لا علاقة له بالموضوع على أية حال... فماذا تكون النتيجة؟ تتفكك اللوحة ولن تدوم.

ولكن ما أفعع أن تقتصر الرؤية على الغلاف الخشن الجاسئ الذي يلفع الكون المتعب. ما أفعع أن يعرف المرء بأن انفجاراً واحداً لإرادته يكفي لتمزيق ذلك الغلاف وملaqueة الأبدية كآخر مخلوق في هذا الكون... ما أشد وضاعة الإنسان! وأنت يا هاملت؟! أو يا هاملت! عندما أتذكر هذه الخطب الطنانة الوحشية التي يتعالى فيها أنين عالمنا

الحائر لا ينقبض صدري حزناً أو تذمراً أو ملامة. فالروح منسحقة تحت وطأة الأحزان لدرجة تخشى فيها استيعابها وفهمها، وبخلاف ذلك ستمزق نفسها بنفسها. ذات مرة قال باسكال: من يعترض على الفلسفة هو نفسه فيلسوف. تلك فلسفة بائنة! لا مؤاخذة، لقد تماديت في الثرثرة. من بين رسائلك استلمت رسالتين فقط (إضافة إلى الأخيرة). ولكنك، يا أخي، تشكو من الفقر، فماذا عساي أن أقول؟ أنا نفسي لست غنياً. هل تصدق بأنني خلال خروجنا من المعسكرات لم أكن أمتلك ولا كوبيكَا واحداً حتى أني مرضت بسبب الاستبراد في الطريق (المطر ظل يتتساقط طول النهار وكنا تحت رحمته مكشوفين)، وليس لدى ما أسد به رقمي من الجوع أو أبلل حنجرتي بجرعة شاي. ولكنني تمثلت للشفاء وظلت أوضاعي مزرية في المعسكر إلى أبعد الحدود حتى استلمت من الوالد النقود. فسدلت ديوني واحتفظت بالباقي. إلا أن توصيف حالتك يفوق التصور. فهل يستطيع من لا يملك خمسة كوبيكات ويقتات على ما لا يعرفه إلا الله أن يمتع أنظاره التواقة بحلوة الثمار الزاهية التي كنت دوماً ترغب فيها أشد الرغبة؟ ما أعظم إشفافي لك وعليك. وإذا سألتني عن عائلة ميركوروف وعما حصل لنقودك أقول لك إن ما حصل هو التالي: زرتهم عدة مرات بعد رحيلك. ثم عجزت عن زيارتهم لأنني أمضيت فترة الجزاء. وعندما دعت الحاجة بعثت لهم رسولًا، لكنه جلب لي مبلغًا زهيداً جعلنيأشعر بالخجل من مطالبتهم. وبعد ذلك استلمت منك على عنواني رسالة موجهة إليهم. ولم يكن لدى ثمن طابع البريد فطلبت منهم أن يضعوا رسالتي مع رسالتهم، وأنت لم تستلم شيئاً. يبدو أنهم لم يكتبوا إليك. قبيل المعسكرات، ولأنني لا أمتلك نقوداً لأبعث إلى الوالد الرسالة التي كتبتها له من زمان، طلبت منهم أن يبعثوا لي أي شيء.

فأرسلوا كل حاجياتنا من دون كوبيك واحد، ولم يرددوا على رسالتي. وكانت ساعتها كأبي الجنible في سبخة غاضب ماؤها. واستنتجت من هذا الموقف أنهم يريدون التخلص من طلباتنا اللوجوجة. ورغبت في توضيح الأمور برسالة إليهم ، لكنني أقضى فترة ما بعد المعسكر ، فيما غيروا هم مكان إقامتهم. أعرف الدار التي استأجرروا شقة فيها ، لكنني لا أعرف العنوان . وسألتك به فيما بعد. إلا أن الوقت قد حان من زمان لتغيير موضوع الحديث. أنت تتباهي بمطالعة العديد من الكتب... . لكنني أرجوك أن لا تتصور بأني أحسدك. أنا نفسي طالعت في بيتهوف⁽¹⁾ ما لا يقل عما قرأته أنت من كُتب . طالعت هوفمان كله بالروسية والألمانية (أقصد رواية «القط مور» غير المترجمة) ، وكل مؤلفات بلزاك تقريباً (بلزاك كاتب عظيم ! شخصه نتاجات للفكر الكوني ! ليس روح العصر، بل آلاف السنين هي التي مهدت، بتصارعها ، التربية الالازمة لحل العقدة الدراميةكية في روح الإنسان)، و«فاوست» غوته وقصائده القصيرة و«تاريخ» بوليفوي و«الكونت أوغولينو» وأونديينا» (ساكتب لك شيئاً فيما بعد عن «أوغولينو»)، وكذلك فيكتور هيغرو ما عدا «كروموبل» و«هيرناني». والآن داعاً. اكتب لي ، اعمل معروفاً ليهداً بالي ، فاكتب أكثر على قدر الإمكاني. وابعث لي ردأ عاجلاً على هذه الرسالة. أأمل أن أستلم جوابك في غضون 12 يوماً. هذا أبعد موعد. اكتب لي وإنلا سأتعذر.

أحوك ف. دوستويفسكي

ملحوظة: عندي مشروع. أريد أن أنقمص سربال المجنون. فلينشغل الآخرون في علاجي وتحويلي إلى عاقل. ما دمت قرأت هوفمان فلعلك تتذكر طباع آلبان. هل يعجبك؟ فما أفعع أن نرى

شخصاً يتمتع بسلطة ما بعدها سلطة ولا يدرى ماذا يفعل، سوى ممارسة اللعبة التي لديه بصورة إله.

هل تكتب كثيراً إلى عائلة كومانين؟ اكتب لي هل أبلغك كودريافسيف شيئاً عن تشيرماك؟ بالله عليك اكتب لي عن ذلك أيضاً، فأنا أريد أن أعرف أخبار أندريه.

اسمع يا أخي. إذا كانت مراسلاتنا ستسير بهذه الصورة فالأفضل، على ما أعتقد، أن لا نتراسل. لنتفق على الكتابة أحدها للآخر بعد أسبوع كل يوم سبت. فذلك أفضل. استلمت رسالة أخرى من شرينك ولم أرَه عليه طوال ثلاثة أشهر. ما أفعظ أن نفقد حتى ثمن طابع البريد!

(1) ضاحية أثرية في بطرسبورغ.



8. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 31 أكتوبر 1838

آه، يا أخي العبيب، ما أطول الفترة التي لم أراسلك فيها...
الامتحان المقيت أعادني عن الكتابة إليك وإلى الوالد وعن مقابلة
إيفان نيكولايفيتش. وماذا كانت النتيجة؟ لم أنجح في الانتقال.
يا للفظاعة. أما مي سنة أخرى، طويلة لا موجب لها. وما كنت
سأفعل إلى هذا الحد لولا علمي بأن الخسارة والندالة تسببتا في
رسوبي. وما كنت سأشعر بالأسف والمرارة لو لم تحرق دموع أبي
روحى المتلهفة. لم أكن أعرف لحد الآن معنى إهانة المشاعر
والكرامة الشخصية. كان وجهي سيحتقن لو سيطر عليّ هذا
الشعور... هل تعلم؟ كنت سأرغب في سحق العالم كله دفعة
واحدة... لقد ضيعت، قتلت أياماً طويلاً قبل الامتحان، ومرضت
ونحل جسمي وأديت الامتحان بالتمام والكمال وبدرجة ممتاز بكل ما
في هذه الكلمة من معنى. لكنني بقيت في نفس الموقع... هكذا أراد
أحد مدرسي مادة الجبر الذي تعاملت معه بخشونة خلال السنة
الدراسية. وهذا هو الآن يذكرني، بخسارة وندالة، بما حصل بيننا. وهو

يفسر سبب رسوبي كالتالي: المطلوب عشر درجات كاملة، ولدي تسع ونصف. هذا هو سبب بقائي... فلتذهب كل هذه الأمور إلى الشيطان. سأصبر ما دام عليّ أن أصبر. لن أنفق الورق جزافاً. فأنا قلماً أكتب إليك.

أنت، يا صديقي العزيز، تفلسف كشاعر. وكما تحمل الروح عباء الإلهام بلا توازن، كذلك هي فلسفتك تفتقر إلى التوازن وتقع في أخطاء. فلكي تعرف المزيد لا بدّ لك أن تقيد فيض المشاعر، وبالعكس تأتي القاعدة مغلوطة، مجرد هذيان الفؤاد. فماذا تقصد بمفردة المعرفة؟ اكتناء الطبيعة والروح والخلق والحب... ذلك كله يُعرف من خلال الفؤاد وليس العقل. ولو كنا أرواحاً أو جنّاً لعشنا ورفينا في جو تلك الفكرة التي تحلق فوقها روحنا عندما تريد أن تكتشف حقيقتها. لكننا رميم لا غير. البشر يجب أن يكتنحوا جوهراً الفكر، لكنهم لا يستطيعون الإحاطة بها وإحتواها فجأة. العقل هو موصل الفكر عبر الغلاف الفاني إلى قوام الروح. العقل قدرة مادية... فيما الروح، أو النفس، تعيش على الفكرة التي تتلقفها بهمس الفؤاد... الفكر تولد في الروح. بينما العقل أداة، آلة يحركها اللهيب الروحي... علمًا بأن العقل البشري، المادة الثانية، المنهمك في فقه المعرفة يعمل بصورة مستقلة عن المشاعر والعواطف، وبالتالي يعمل بمعزل عن القلب أو الفؤاد. أما إذا كان هدف المعرفة هو الحب والطبيعة ف أمام الفؤاد تنبسط صفحة بيضاء... لا أريد هنا أن أجادل معك، إلا أنني أخالفك الرأي في ما يخص الشعر والفلسفة... لا يجوز اعتبار الفلسفة مسألة رياضية المجهول فيها هو الطبيعة. ألا تلاحظ أن الشاعر في فورة الإلهام يكتشف الخالق، وبالتالي يؤدي وظيفة الفلسفة؟ ومن ثم فإن الإشراق الشاعري

هو إشراق فلسي... ما يعني أن الفلسفة هي نفس الشعر، ولكن في أعلى ذروته!.. ومن الغريب أنك تفكر بروحية الفلسفة الراهنة. فما أكثر المنظومات الركيكة المتهافة التي تم خضت عنها الأدمغة الذكية المتحمسة ليصار إلى الخروج بالثمرة الأولى لهذه الأكواام المتنوعة ووضع صيغة مادية لتلك الثمرة. تلك هي قواعد الفلسفة المعاصرة... ولكن علىَّ أن أثقني الله ولا أتمادي في الأحلام معك... فأنا لا أقبل فلسفتك الواهية، إلا أنا لا أعتراض على وجود صيغة واهية لها، كوني لا أريد أن أُثقل عليك... .

العيش بلا أمل مبعث للحزن، يا أخي... انظر إلى الأمام والمستقبل يرعبني... أتراكض في جو قطبي بارد لم يبلغه شعاع الشمس... لم أتحسس من زمان فورات الإلهام... فيما أجد نفسي غالباً في حالة سجين شيلون⁽¹⁾ بعد وفاة إخوته في غياهب القلعة، كما تذكر. لن يصلني وحي الإلهام على جناح طائر الجنة ولن يدفع الروح المتجلدة... تقول إنني انطوائي، ولكن حتى أمنياتي وأحلامي السابقة فارقتني، وحتى المنمنمات الرائعة التي أبدعتها في فترة ما نزعت طلاعها الذهبي. والأفكار التي ألهبت الروح والرؤاد بأشعتها لم تعد تحفظ بلهبها ودفتها، فاما قلبي تحشف، وإما... أنا أخشى مواصلة هذا الكلام... يفزعني الكلام إذا كان كل ما مضى مجرد أضياع أحلام أو أمنيات عذاب... .

قرأت قصيتك يا أخي... وقد اعتصرت دمعات من روحية وهّأت روعي مؤقتاً بهمس الذكريات والتحيات. تقول لديك فكرة لمسرحية... شيء مفرح... اكتبها. فلو كنت محروماً أيضاً من آخر نفحات ريش طائر الجنة فماذا يبقى لك؟ يؤسفني أنني لم أستطع في الأسبوع الماضي أن ألتقي إيفان نيكولايفيتش. كنت متوعكاً. اسمع،

يخيل إلى أن الشهرة أيضاً تحفز إلهام الشاعر. بایرون كان أناانياً، فكرته عن الشهرة والأمجاد ضئيلة متزفزة... (ويحضرني هنا قول بوشكين عن الشاعر وجمهوره الذي يبصق على شمعته في المذبح)⁽²⁾. أليس هذا توصيفاً رائعاً للمسألة؟ وداعاً!

صديقك وأخوك ف. دوستويفسكي

ملحوظة: تذكرت. اكتب لي عن الفكرة الرئيسية في مؤلف شاتوبريان «عقبالية المسيحية». قرأت مؤخرأ في «ابن البلد» مقالة الناقد نزار عن فيكتور هيغو. ما أوطا المنزلة التي ياحتلها في نفوس الفرنسيين، بحسب الناقد، وما أوطا المرتبة التي يفردها لمسرحياته ورواياته. لقد ظلموه. ومع أن هذا الناقد شخص ذكي لكنه يكذب ويتجنى. اكتب لي أيضاً عن الفكرة الرئيسية لمسرحيتك. وهل أنت واثق بأنها رائعة؟ فإن عشر سنوات لا تكفي لرسم الشخصوص الدرامية الجيدة. هكذا أعتقد أنا على الأقل. آه، يا أخي، ما أشد أسفني لأنك لا تمتلك نقوداً. الدموع تررقق في العينين. فمتي كنا بمثل هذه الحال؟ بالمناسبة، أهنتك يا عزيزي بالميلاد، ولو متأخراً، وكذلك بعيد الملك الحارس.

في قصيتك «رؤى الأم» لا أفهم الخطوط العريضة التي رسمتها لروح المرحومة. هذه الصورة العابرة للقبور غير مكتملة. إلا أن الأبيات جيدة رغم وجود زحاف في شطر منها. لا تزعل من هذا التحليل. انظم المزيد وسأكون أكثر تساهلاً.

أنطلع بفارغ الصبر لإعادة قراءة قصائد إيفان نيكولايفيتش الجديدة. فما أعظم الشاعرية فيها وما أكثر الأفكار العبرية!.. ثم إنني نسيت أن أقول لك إنك تعرف، على ما أظن، أن سميردين يعد

معبداً (أو مدفناً) لأدبائنا بشكل كتاب يضم 100 صورة بورتريه مع نموذج من نتاج كل أديب. تصور أن من بينهم زوتوف وألكسندر أورلوف. يا للسخرية! اسمع، أرسل لي قصيدة أخرى. فتلك رائعة. عائلة ميركوروف سترتحل قريباً إلى بيتسا، وربما ارتحلت نهائياً، على ما أظن.

أسف على والدي المسكين. طباعه غريبة. وما أكثر المصائب التي تحملها. يحز في نفسي لحد البكاء أننا لا نستطيع أن نواسيه. وهل تعلم أن الوالد العزيز لا يعرف العالم وعلية القوم. أمضى بين الناس 50 عاماً، ومع ذلك ظل على رأيه بشأنهم كما كان قبل 30 عاماً. تلك جهالة سعيدة. لكنها مخيبة للأمال. فقد خيبت أمله. و يبدو أن ذلك هو مصيرنا المشترك جميعاً. وداعاً مرة أخرى.

(1) ملحمة بايرون.

(2) ما يرد في الكتاب بين هاللين كيرين ترجمة بشيء من التصرف.



9. إلى ميخائيل دوستوفيفسكي (الأب)

بطرسبرغ، 5 - 10 مايو 1939

والد العنون!

يقيناً أنك الآن أيضاً قلق على لأنك لم تستلم في الحال رداً على رسالتك. والدي العزيز! أريد أن أهدي خاطرك، وأحاول أن أبرر صمتي هذه المرة على قدر الإمكان. الآن حلّت فترة الامتحانات، ولا بد من المراجعة، فيما تلتهم التدريبات الجبهوية كل أوقات الفراغ، لأن استعراض ما يو العسكري على الأبواب. ولم تبق فرصة لتحين الوقت إلا في الليل. ويسريني جداً أنني وجدت في الأخير سوية للكتابة إليك. ما أشد التأنيب الذي أعاني منه لأنني سبيت لك حزناً واكتئاباً. سأحاول التكفير عن ذنبي قدر ما أستطيع. استلمت رسالتك وأنا شاكر لك على الطرد من صميم الفؤاد. تقول يا والدي العزيز أن ليس معك نقود ولن تتمكن من إرسال شيء لي بمناسبة رحيلنا إلى المعسكرات. الأولاد الذين يفهمون مواقف والديهم يجب أن يشاطروهم الأفراح والأتراح، وعلى الأولاد أن يتولوا تلبية حاجات الوالدين. وأنا لن أطالبك بالكثير.

لا بأس، لن يموت الشخص من الجوع إذا كف عن احتساء الشاي. وسأدبر حالي على نحو ما. لكنني أرجوك أن تبعث لي قيمة جزمة للمعسكرات. جزمة احتياطية لا بد منها. فلننتبه من هذه المسالة. بدأت بأداء الامتحانات على أحسن ما يكون. وستأتي النتيجة بهذه الصورة أيضاً. أنا واثق من ذلك. حالياً الكثيرون من المدرسين الذين لم يتعاطفوا معي في العام الماضي باتوا يميلون إلى تماماً. وعلى العموم ليس لدى ما يدفعني للتذمر من الإدارة. أنا لا أنسى واجباتي، والإدارة عادلة نسبياً في معاملتي. لكنني لا بد أن أكمل أداء تلك الواجبات في وقت ما.

كتبت، يا والدي الكريم، توصيني بأن لا أنسى واجباتي. وأكرر إنني أذكرها جيداً. فأنا مرتبط بالخدمة من خلال اليمين القانونية التي أقسمتها في يوم انتسابي للمدرسة العسكرية. لم أستلم رسائل من أخي منذ فترة طويلة. لعله نسياني. لكنني استلمت مؤخراً على أية حال قصاصة مشحونة يتهمج فيها عليّ بقسوة بسبب صمتي المزعوم تجاهكم، وأعترف بأنه أهانني في هذه الرسالة من الصميم ، فصوّرني بالمقارنة معه كائناًوضيغاً. لم أعبأ بهذا الكلام لأن رسالته لا تستهدفني. فأنا أعتبر نفسي أفضل بكثير من يتراسل معهم بهذه الصورة. على فكرة، بدأت أنسى هذه الإهانة، وأستعد للكتابة إليه هذا الأسبوع ردّاً على رسالته. أوضاعه الآن ليست سيئة بحال. كان يسعه أن يؤدي الامتحان في مدرستنا لدخول صف الضباط الأوّل. إنصحه أنت أن يفعل. الكثيرون من المستجدين في هندسة التحصين يفعلون ذلك. والأمثلة موجودة سنوياً. بعد عام واحد يكون مؤهلاً. وانا أتعهد بتزويدك بتسجيلات المحاضرات وكل ما يلزم. وهو الآن يعرف الكفاية في الرياضيات. ولكن عليه أن يعرف بشكل أفضل

هندسة التحصين التي هي المادة الرئيسية في صفوف المستجدين وكذلك المدفعية، لأنها هي أيضاً تدرس عندنا بفصيل كبير بوصفها من مكونات هندسة التحصين. ما أشد فرحتي وأنا أقرأ قوله بأنك في صحة جيدة والحمد لل العلي القدير. فيما كنت أظن أن متاعبك الصحية المتواصلة ازدادت بسبب مرارة عدم استلام رسائلي. أقبل أخواتي وإخوتي الصغار. هل يفعل أندريه شيئاً؟ هل يدرس أم ماذا؟ ألا تريد له أن يلتحق بنا في المدرسة؟ فالقبول سهل نسبياً. كóstوماروف أحزنك وأخذ منك نقوداً مقابل إعدادنا للمدرسة، بينما كان بإمكاننا أن ندخلها من دون جهوده. وأخيراً، وداعاً يا والدي الحبيب. أتمنى لك السعادة دون عد أو حصر.

ولذلك المحب المطبع ف. دوستويفسكي

ملحوظة: أهنتك بعيد القيمة الفائت. وأنا أتذكر بحزن واكتئاب كيف كنت أقضى هذا العيد بين أهلي وأحبابي. فماذا الآن؟ لا أطمح إلى أكثر من مغادرة المدرسة في هذا اليوم.

عندما أنتقل إلى الصف التالي أجده ضرورة قصوى للتسجيل في المكتبة الفرنسية للمطالعة هنا. فما أكثر النتاجات العظمى لعبارة الرياضيات والعسكريين النوابغ باللغة الفرنسية. أرى أن قراءتها ضرورية، لأنني متيم بمطالعة العلوم العسكرية، رغم أنني لا أطيق الرياضيات. مما أغرب هذا العلم، وما أشد الحمامة في الانكباب عليه! يكفيني ما يحتاج إليه المهندس وربما أكثر.

ولكن ما نفع أن أتحول إلى باسكال أو أوستروغرادسكي؟ الرياضيات من دون تطبيقات صفر على اليسار، ونفعها لا يزيد عن

نفع فقاعة الصابون. وأقول لك أيضاً إنني آسف لترك اللغة اللاتينية. فما أروعها. أنا الآن أقرأ يوليوس قيصر وأفهم كل شيء رغم انقطاع دام ستين.

10 مايو.

ما أغرب الأمر. الملابسات الحمقاء لحياتي الراهنة تحرمني من الكثير. اضطررتُ إلى تأجيل إرسال رسالتى خمسة أيام. أرجئ الاستعراض العسكري إلى 10 مايو. وأردت أن أكتب لك عن هذا التعديل، ولكن هل تصدق يا والدي العزيز أنني لم أتمكن بسبب التدريبات الجبهوية التي يعذبوننا فيها وبسبب الامتحانات؟ وها أنا الآن أكتب لك على ظهر خرائط البريد.

والدي الطيب العزيز. هل يعقل أنك تظن أن ابنك عندما يطلب منك معونة مالية إنما يطلب أكثر من اللزوم؟ يشهد الله بأنني لا أقطع من إمكانياتك إلا للضرورة، وليس لمنفعتي فقط. نقودي الضرورية تنوء بمرارة الديون. لدى دماغ ويدان، ولو كنت حراً طليقاً، أفعل ما أشاء، لما كلفتك بكوبيك واحد ولعشت رغم الحاجة الماسة. ولكن يخجلني أن أتفوه ببنت شفة عن المعونة. الآن أنا أعبر عن وعد للمستقبل، وهذا المستقبل ليس بعيد. وسيرضيك سلوكي بمر الزمن.

والآن تذكر يا والدي العزيز أنني في الخدمة العسكرية بكل ما في كلمة الخدمة من معنى. فيجب عليّ، شئت أم أبيت، أن أتكيف مع الأنظمة الداخلية للوسط الذي أتواجد فيه. فما الذي يستثنيني من القاعدة؟ مثل هذه الاستثناءات تقود أحياناً إلى متابعته لا تحمد عقبها. وأنت تفهم ذلك يا والدي العزيز كونك عشت بين هؤلاء الناس. حالياً باتت المعيشة في المعسكرات تكلف كل تلميذ من

تلاميذ المؤسسات التعليمية العسكرية ما لا يقل عن 40 روبلأً. أنا أكتب لك كل هذه التفاصيل لأنني أكتب إلى أبي وليس غيره. وأنا لا أدرج ضمن هذا المبلغ احتياجات مثل الشاي والسكر وغيرهما. وهي أمور ضرورية أصلاً، ضرورة بسبب الحاجة وليس من أجل اللياقة وحدها. عندما نبتل حتى العظام تحت المطر في اليوم المعتم ونحن في الخيام القماشية الخفيفة أو عندما نعود في مثل هذا الطقس من التدريبات متعبين مرتجفين لا بد من الشاي، وإنما سمنرض، كما حصل لي في مسيرة العام الماضي. ومع ذلك أنا آخذ بنظر الاعتبار أوضاعك المالية التعبانية ولن أشرب الشاي. كل ما أطلبه هو ثمن زوجين من الجزمات البسيطة - 16 روبلأً. ثم إن حاجياتي الشخصية: الكتب والجزمة وريش الكتابة والورق وما إلى ذلك يجب أن تستقر في مكان ما. وهذا يحتم على شراء صندوق أو خزانة، لأن المعسكر لا يحتوي على أية مشتملات ما عدا الخيام. أسرّة النوم فيها عبارة عن أكواام أو عليات من القش مغطاة بشرشف. وبالتالي فأين أضع حاجياتي وليس عندي صندوق لها؟ ولعلكم تعلمون أن الخزينة لا تفكّر في ما إذا كنتُ محتاجاً إلى مكان ما لحفظ الحاجيات ولا بهما هل يوجد لي صندوق أم لا. ذلك لأن الامتحانات تنتهي ولا لزوم للكتب بعدها. الخزينة توفر لي الملابس، وبالتالي قد لا يحتاج إلى جزمة، ولكن كيف أقضى الوقت من دون كتب؟ ثلاثة جزمات لا تكاد تكفي في المدينة لنصف عام. وليس لدى مكان أضع فيه الصندوق الذي يلزمني. في الخيمة المشتركة سأضيق على زملائي. وهذا الأمر يؤذهم، ثم إن المسؤولين لن يسمحوا لي بوجود الصندوق في الخيمة، لأن أحداً لا يحفظ بصندوق فيها. ما يعني ضرورة وجود مكان ما له. وسأجد ذلك المكان بالاتفاق مع أحد الجنود القائمين

على خدمة المعسكر، كما يفعل الجميع، لأن ترك الصندوق في عهده. ولا بد من دفع الثمن. (قد يبلغ 13 روبلأً على وجه التقرير ثلاثة منها فضية). الأمر مختلف في المدينة، أما في المعسكر فينبغي الدفع على كل خطوة. والإدارة لا تتدخل.

تمكنت أن أوفر من حوالتك السابقة 15 روبلأً، (ومبلغ حاجتي الآن 40 روبلأً)، لذا أرجوك، يا والدي العزيز، أن تبعث لي 25 روبلأً. في بداية يونيو ستنتقل إلى المعسكرات، ولذا أرسل هذه النقود إلى قبيل 1 يونيو إذا كنت ترغب في معاونة ابنك الذي يعاني من ضائقه خانقة. أنا لا أتجرأ على المطالبة، ولا أريد أكثر من اللازم، لكن امتناني لك لن يعرف الحدود. أبعث الرسالة هذه المرة أيضاً على عنوان شيدلوفסקי. وداعاً يا والدي الكريم.

خادمك المطيع
ف. دوستويفسكي



10. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 16 أغسطس 1839

أجل، يا أخي الحبيب، هكذا يحصل لنا دوماً، نطلق الوعود ولا ندري هل نستطيع الوفاء بها أم لا؟ من حسن حظي أنني لا أعطي الوعود جزافاً. على سبيل المثال: ما رأيك في صمتي؟ تظن أنني كسول... أو أنني أنساك وما إلى ذلك. كلا. المشكلة أنني لم أكن أمتلك كوبيكاً واحداً. وها قد استلمت نقوداً، ففرحت بها أعظم الفرح كضيف عزيز لم يزرني من زمان.
وأخيراً هذه رسالتي إليك أنت أيضاً!
فلتححدث عن كيت وكيت!

أخي الحبيب! ذرفت الدموع مدراراً على وفاة الوالد، وقد صارت حالنا الآن أسوأ وأفظع. أنا لا أتكلم عن نفسي ، بل عن عائلتنا. أبعث رسالتي هذه إلى ريفيل⁽¹⁾ ولا أدرى هل ستصلك أم لا... يخيل إليّ أنك لن تكون هناك لدى وصولها... حبذا لو كنت في موسكو إن شاء الله، لأكون أكثر اطمئناناً على عائلتنا. ولكن قل رجاءً هل يوجد في العالم أناس أكثر تعasse من أخواتنا وإخوتنا

المساكين؟ تقتلني فكرة كونهم سيتربون على أيدي الغير. ولذلك أعتقد أن فكرتك حول السفر إلى القرية والعيش فيها بعد حصولك على وظيفة رسمية فكرة رائعة حقاً. فهناك يمكن أن تسهر على تربيتهم يا أخي الحبيب، وستكون تلك التربية هي السعادة بعينها لهم. وستتم خص مثل هذه التربية عن تنظيم قويم للروح بين أفراد عائلتنا العزيزة وعن تنمية كل الطموحات القائمة على العقيدة المسيحية والتحلي بالفضائل العائلية وخشية الخطايا وسوء الصيت. وعند ذاك يغفو رفات والدinya بهدوء واطمئنان في أديم الأرض الرطبة. ولكنك، يا صديقي الحبيب، لا بد أن تتحمل الكثير. فعليك إما أن تعلن القطيعة التامة أو التصالح المتين مع الأهل. القطيعة تعني الهلاك، إنها حتف أخواتنا. وإذا تصالحت يجب عليك أن ترعاهن. وسيعتبرن استهانتك بالخدمة كسلاً وتهاوناً. ولكن، تحمل ذلك، يا أخي العزيز. ابصق على النفوس التافهة واعمل معرفة لإخوتكم. أنت الشخص الوحيد الذي يمكن أن ينقذهم... أنا أعرف أنك تفقه المسألة الآن، فحقق طموحك المنقطع النظير. ولتكن الله في عونك.

ومن ناحيتي أعلن لك سلفاً أنني سأوافقك في كل شيء.⁽²⁾

هل تفعل شيئاً الآن؟ أنت أكثر صراحة مع إيفان نيكولايفيتش مني. قلت له إن عملك كثير وليس لديك وقت. نعم، شغلتك فظيع. فما العمل؟ تخلص منه بأسرع ما يمكن.

ماذا عساي أن أقول لك عن نفسي؟... من زمان لم أتحدث معك على المكشوف. ولا أدرى هل أنا الآن في مزاج يمكنني أن أتحدث معك بهذا الخصوص. لا أدرى. لكنني صرت غالباً ما أنظر إلى ما يحيط بي بمنتهى اللأبالية. إلا أن الصحوة، بالمقابل، تغدو أشد لدى. هدفي الوحيد أن أكون حراً طليقاً. وأنا أضحي بالغالى والنفيس

في سبيل الحرية. لكنني كثيراً، كثيراً ما أفكـر فيما سـتمنـحـني إـيـاه هـذـه الحرية... هل تجعلـني وحـيدـاً وـسط حـشـود مجـهـولة؟ أـسـتطـيع أن أـتـخلـص من كـل هـذـه الأمـورـ، لكنـني أـعـتـرـف بالـحـاجـة إلى إـيمـان رـاسـخ بالـمـسـتـقـبـل وـوـعـي عـمـيق لـلـذـات لـأـعـيـش عـلـى طـموـحـاتـي الـراـهـنـةـ. عـلـى أـيـةـ حـالـ، لا فـرقـ هـل سـتـتـحـقـق أـمـ لاـ. فـأـنـا سـأـقـوم بـمـا أـرـيدـ. أـنـا أـبـارـكـ الـلحـظـاتـ الـتـي أـتـهـادـنـ فـيـهاـ مـعـ الـحـاضـرـ، وـهـيـ لـحـظـاتـ أـخـذـتـ تـطـلـ علىـيـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ، وـفـيـهاـ أـعـيـ حـالـتـيـ بـمـزـيدـ مـنـ الـوضـوحـ، وـأـنـا مـتـيقـنـ بـأـنـ هذهـ الـأـمـنـيـاتـ الصـافـيـةـ سـتـتـحـقـقـ.

الـرـوـحـ غـيرـ مـسـتـقـرـةـ الـيـوـمـ. إـلـاـ أـنـ فـيـ صـرـاعـهـ هـذـاـ تـنـضـجـ، عـادـةـ، الطـبـاعـ وـالـشـكـيمـةـ الـقـوـيـةـ، وـتـنـجـلـيـ الرـؤـيـةـ الضـبـابـيـةـ، فـيـماـ يـحـصـلـ الإـيمـانـ بـالـحـيـاةـ عـلـىـ مـنـبـعـ أـنـقـىـ وـأـكـثـرـ تـسـامـيـاـ. لـمـ تـعـدـ روـحـيـ سـهـلـةـ المـنـالـ كـمـاـ كـانـتـ أـمـامـ الـفـورـاتـ الشـعـورـيـةـ الـجـامـعـةـ السـابـقـةـ. كـلـ شـيءـ فـيـهاـ هـادـئـ، كـمـاـ فـيـ فـوـادـ شـخـصـ يـحـفـظـ بـسـرـ دـفـينـ. أـنـاـ أـتـعـلـمـ «ـمـاـذـاـ تـعـنـيـ مـفـرـدةـ الـإـنـسـانـ وـالـحـيـاةـ». وـلـعـلـيـ أـفـعـلـ ذـلـكـ بـالـقـدـرـ الـمـطـلـوبـ. أـسـتطـيعـ أـنـ أـتـعـلـمـ الطـبـاعـ مـنـ الـكـتـابـ الـذـينـ يـمـضـيـ أـفـضـلـ شـطـرـ مـنـ حـيـاتـيـ معـهـمـ بـطـلاـقـةـ وـفـيـ فـرـحـ وـسـرـورـ. وـلـيـسـ لـدـيـ مـاـ ذـكـرـهـ لـكـ عـنـيـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ. أـنـاـ وـاثـقـ بـنـفـسـيـ. الـإـنـسـانـ لـغـزـ لـاـ بـدـ مـنـ فـكـهـ. إـذـاـ أـمـضـيـتـ حـيـاتـكـ كـلـهاـ فـيـ فـكـهـ لـاـ تـقـلـ إـنـ تـلـكـ مـضـيـعـةـ لـلـوقـتـ. أـنـاـ أـعـكـفـ عـلـىـ اـكـتـنـاهـ هـذـاـ السـرـ، هـذـاـ اللـغـزـ، لـأـنـيـ أـرـيدـ أـنـ أـغـدـوـ إـنـسـانـاـ. وـدـاعـاـ.

صديقك وأخوك
ف. دوستويفسكي

ملحوظة: أنا مشغول بأفكارِي المحببة طول الوقت. والحياة تسير عفويًا في الأماني والأفكار. وثمة نقطة أخرى: أنا أستطيع أن أحب

وأكون صديقاً. وما أكثر القدسية والعظمة والطهارة في هذه الدنيا.
النبي موسى وشكسبير . . .

الحب وما أدرك ما الحب. تقول إنك تقطف الزهور من أجلها.
أعتقد أن لا وجود لقدسية أكثر من قدسيّة الشاعر في نكران الذات.
كيف يجوز تقاسم الإشراق بين الإنسان والورق. الروح تنطوي دوماً
على أكثر من قدرة التعبير بالكلمات والألوان والأنغام. وبناءً على
ذلك يصعب تحقيق فكرة الإبداع.

عندما يربط الحب بين فؤادين لا تلوح الدموع في العيون، وإنما
في الصدر وحده. يمكن للمرء أن يبكي وحده، وعليه أن يتحلى بالعزّة
والإيمان المسيحي . . . ماذا؟ هل أنت في مو . . . ؟

إذا لم أستلم جواباً بعد أسبوع من تاريخ اليوم فسأستتجّ أنك في
موسكو وسأكتب لك على عنوان كومانين. اكتب لي، يا أخي،
بالتفصيل كيف تداركت أنت والآخرون كل هذه الأمور. أنتظر
الجواب بفارغ الصبر. من الآن فصاعداً لن تتوقف المراسلات بيننا
يا عزيزي. سأبعث إليك قائمة الكتب قريباً. اكتب لي. لم يبق لدى
وقت.

-
- (1) مدينة على الساحل الجنوبي لبحر البلطيق.
(2) بعد وفاة والد فيودور دوستويفسكي تولى خاله ألكسندر كومانين رعاية إخوته
الخمسة الأصغر (ألكسندر ونيقولاي وفيلا واندريه وبربارة) من دون
إجراءات الوصاية الرسمية .

11. إلى الزوجين كومانين

بطرسبرغ، 25 ديسمبر 1839

السيد الكريم خالي العزيز (ألكسندر كومانين)
السيدة الكريمة زوجة خالي العزيزة (ألكسنдра كومانيا)

قد يبدو لكم، أيها العزيزان، صمتني الطويل الذي لا يغتفر أمراً غريباً غير مفهوم وليس له ما يبرره ولا يجوز التسامح معه لخشونته وكونه نكراناً فظيعاً للجميل. ها أنا آخذ الريشة أخيراً لا لأسطر المبررات والأعذار. كلا. فأنا أعرف أن الذنب ذنبي مهما كانت الملابسات التي تتشفع لي وأن هذا الذنب أوطأ وأخس من كل المبررات. ثم هل يحق لي الأمل بقبول تبريراتي؟ لكنني أقول: إذا كان اعترافي الصريح الصادق ومحاولة توضيح تصرفي الذميم تجاهكمما يحظيان ولو بأقل اهتمام منكم فسأعتبر نفسي سعيداً، لأنني سأشعده ما لم أكن آمل باستعادته، وأعني أدنى قدر من اهتمامكم بما وميلكمما إليّ.

عندما التحقت بمدرسة الهندسة الرئيسية شغلتني الدروس

والأخبار وتنوع نمط المعيشة الجديد لبعض الوقت. وها هي اللحظة الوحيدة التي يؤنبني فيها الضمير بشدة على نسياني واجبي ويدركني بتصرفي المستنكر تجاهكما، بصمتى الذى لا أستطيع أن أفسره. فلا مفسر ولا مبرر. ربما ما عدا ذهولي وشروع البال العجيب الغريب... . أنا أعرف أن اعترافي بشرع البال يقلل من قيمتى كثيراً في أنظاركما. لكننى يجب أن أتحمل عاري وشناري، وسأتحمل طالما جنحت على نفسي بنفسى. ذكريات المرحوم والدى وأوامره بأن أقطع صمتى الغريب مع أقربائنا الذين كثيراً ما تفضلوا علينا بمعروفهم ومبراتهم جعلتني أتعمق في فهم تصرفي، فنظرت إلى نفسي على ضوء ليس في صالحى إطلاقاً من حيث موقفى تجاه خالى العزيز وزوجته الكريمة. وإلى جانب ذنبي الجسيم في شروع البال رأيت أن تصرفى يمكن أن يت忤د شكلًا أكثر حلوكة وسوداداً، شكل الخشونة الفظة ونكران الجميل... وهذا ما حيرنى وأربكنى كثيراً... .

بديهي أن هذا الارتباك ما كان ليستمر أبداً طويلاً. فأول ما كنت أفك فى هو التكfir عن ذنبي، وتصحيح الخطأ. إلا أن فكرة كونى خالفت أول التزاماتي ولم أنفذ الواجب الذى كلفتني به الطبيعة نفسها، هذه الفكرة بحد ذاتها دمرتني. أنا لم أتمسك بقاعدة الكثرين من يقولون إن الورق لا يحتقن من الخجل وإن الاعتذار الرخيص مرة أو مرتين، بذرية لا وقت لي وما إلى ذلك، يكفي لتصحيح الخطأ. لقد استولى على الخجل من بعيد وانتابتني الكآبة عن بعد، ولم أكن أعرف ماذا وكيف وبأى وجه أكتب لكما. التقطت الريشة ثم رميتها جانبًا، دون أن أكمل رسالتي. أرجوكم يا عزيزي، أستعطفكم أن تصدقا ما أقول. إنه فيض صاف من ضمير يرزع تحت التأنيب. سبب صمتى الطويل هو الحيرة والارتباك والخجل الشديد منكم.

فاجعة وفاة والدي وفضلكم على عائلتنا الذي لا أعرف كيف أتعلم أنأشكركم عليه أثارا في نفسي مشاعر استثارت بدورها وبقدر أكبر مزيداً مما كان ينتابني في السابق، مزيداً من الخجل وعدايات التوبة. أنا أشعر بذنبي، ولا أتجرا على الأمل بالصفح والسامحة. ولكنكم سترأfan بحالٍ أعظم رأفة لو سمحتما بالكتابة إليكما أو على الأقل إلى شقيقتي لأعرف منها عن كل ما هو عزيز على قلبي. وسيكون رأس السنة الذي أتمنى لكمـا فيه الخير والسعادة، يا عزيزي، دليلاً على صلاحـي.

سأحاول خلاله أن أحظى باهتمامكمـا من خلال تعلقـي بالخاصـ بكـما وامتناني على أفضـالكمـا وموعنـتكـما لـعـائـلـتـنـا وحرصـي الدائمـ على المودـةـ والاحـترـامـ والتـقدـيرـ والإـخلاصـ لكـماـ. ويـشـرفـنـيـ أنـ أـبـقـيـ ابنـ أـختـكمـ المـطـيعـ المـخلـصـ.

فـ. دـوـسـتوـيفـسـكـي



12. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 1 يناير 1840

أشكرك من صميم القلب، يا أخي الطيب، على رسالتك الرقيقة.
كلا، أنا لست مثلك. أنت لا تصدق مدى عمق خلجمات الفؤاد الدافئة
التي تعترني حينما يأتوني برسالة منك، ولذا ابتدعت أسلوبياً جديداً -
عجبياً - لل Mutation والتأذذ هو «تعذيب» النفس بالانتظار.

أتلتف رسالتك متلهفاً، أقلبها بضيع دقائق، أتلمسها، لأقتصر
باكتمال وزنها، وبعد أن أشبع من فحصها والتتمتع برؤية مظروفها
أدسها في جيبي... أنت قد لا تصدق بفرحة الروح والمشاعر والفؤاد
بالرسالة. أحياناً أبقى في حالة الانتظار هذه ربع ساعة، ثم أعمد بنهم
وتشوق إلى فتح ختم المظروف وألتهم سطورك، سطورك الرقيقة. ما
أكثر المشاعر التي تكتشف القلب عندما أقرأ هذه السطور. وما أكثر ما
تزدحم به الروح من إحساسات بهيجه وغير بهيجه، حلوة ومُرّة. نعم،
يا أخي الحبيب، بعضها إحساسات مُرّة غير بهيجه. ولن تصدق مدى
المراة والأسف عندما لا يفهمك الآخرون ولا يدركون مقصدك
ويصورون الأمر على خلاف ما هو عليه، ليس كما قلت، بل بشكل

آخر بشع ومشوه... عندما قرأت رسالتك الأخيرة استولت علىَ حالة من (الهياج الشديد)⁽¹⁾ لأنني لم أكن معك: أجمل خلجان الفؤاد وأكثر القواعد قدسيّة مما كسبته بالتجربة، بالخبرة العسيرة المضنية، تعرّض للتشويه والتزوير وارتدى لبوساً مزرياً بائساً. فأنت نفسك كتبت في رسالتك لي تقول: «اكتُبْ، اعترِضْ، تجادلْ معي». وترى أن في ذلك منفعة ما. لا نفع في ذلك إطلاقاً، يا أخي الحبيب، لا شيء سوى أن أنا نيتك التي هي أنا نيتنا جميعاً، نحن البشر الخاطئين، ستجعلك تخرج باستنتاج نافع عن شخص آخر وليس أنا، عن آرائه وقواعده وطبائعه وقلة عقله... وهذا مؤسف جداً ومهين يا أخي. كلا. الجدل في رسائل المودة سُم زعاف مُحلّى قليلاً. هل سيحصل شيء عندما نلتقي وإياك؟ يخيل إلىَيْ أن ما سيحصل هو التحراج الأبدى لإثارة الخلاف بيننا... ولكنني أترك هذا الموضوع الآن، على أن أعود إليه في الصفحات الأخيرة من الرسالة.

الأكاديمية العسكرية ذات هالة متسامية وهاجة. لعلك تدرى أن هذا مشروع لا أروع منه. ولقد فكرت طويلاً في مصيرك لكي أوقف بينه وبين الملابسات التي نعيشها. واستقر رأيي على الأكاديمية العسكرية. إلا أنك سبقتني، ما يعني أنها تعجبك أيضاً... ولكن ينبغي أن تخدم ما لا يقل عن سنة قبل الالتحاق بالأكاديمية. فابق في قسم التخطيط هذا العام.

لماذا تشغل بالك بدفاتر الملخصات وأنا لا أعرف منها جك؟ لماذا أرسل إليك الحال هذه؟ على فكرة، المدفعية مادة للصفوف المبتدئة. وهذا تحديداً ما أنتم بحاجة إليه. وسأرسل لك حتماً ملخص محاضرات الميجر- جنرال ديدان الذي سوف يختبرك بنفسه. لكنني سأبعث إليك هذه الدفاتر لمدة شهر لا غير، فهي ليست لي.

وقد حصلت عليها بصعوبة. شهر واحد ولا يوم أكثر. استنسخها أو اطلب من شخص ما ليستنسخها لك. ديادين غريب الأطوار، يطالب بحفظ محاضراته عن ظهر قلب أو عرضها بنفس مفردات كتابه. هندسة التحسين الميدانية تافهة يمكن حفظها عن ظهر قلب في 3 أيام. وسأرسلها إليك هي أيضاً في مايو. أما المحاضرات التي تتطلب وقتاً فهي مسألة أخرى سأحاول معالجتها. ولدينا دفاتر ليثوغرافية في مجال التحليل. إلا أنها منقوله حرفيًّا عن براشمان وباختصار طبعاً. إذن، نحن ندرس براشمان، فاحفظ محاضراته عن ظهر قلب. اشتِ لنفسك نسخة. هل أنت مطلع على الجيوديسيا؟ منهج بولوتوف (في علم المساحة) يدرس عندنا. كما يدرس منهج أوزيموف في الفيزياء. وسأحاول توفير دفاتر التفاضل الليثوغرافي. منهج التاريخ عندنا في منتهى الصخامة والاكتمال، بطبعه ليثوغرافية لا أستطيع الحصول عليها. منهج اللغة والأدب الروسي من تأليف بلاكسين، وهو نفسه يدرسنا. وأفيدك بأن امتحانكم لكلية المهندسين الميدانيين في منتهى السهولة. الجميع متسللون وملتزمون بمنطق لا يضيق الخناق على المهندسين. وهذا ما أرى أمثلة كثيرة عليه.

بعثت إلى كومانين وزوجته رسالة مؤدية للغاية. فلا تقلق. وأنا أنظر نتائج طيبة. لم أكتب للوصي⁽²⁾ حتى الآن. فلا وقت لدي، والله العظيم.

أهنتك برأس السنة يا حبيبي. سيحمل لنا شيئاً ما. كيف لا وقد كانت السنوات الخمس الأخيرة فضيعة بالنسبة لعائلتنا. قرأت تهنتك برأس السنة الفائدة. فكرتها جيدة. الروح المعنوية وتعبيرية الأشعار جاءت بتأثير أوغست باربيه⁽³⁾. وأنت، على فكرة، تتذكر تهكمه على نابليون.

والآن فلتتحدث عن أشعارك. اسمعني يا أخي الحبيب. أنا على يقين بأن حياة الإنسان مشحونة بالمصائب والأحزان، والأفراح أيضاً. حياة الشاعر مفروشة بالأشواك والورود. فيما الموهبة الغنائية رفيقة الشاعر الدائمة. لأنه كائن ناطق. أشعارك الغنائية رائعة، ومنها «النزة» و«الصباح» و«رؤيا الأم» و«الوردة»، على ما أتذكر، و«جياد فيبي» وكثير غيرها⁽⁴⁾. ما أروع هذه القصة الحية عنك يا عزيزي. وما أحبتها إلى قلبي. آنذاك كنت أستطيع أن أفهمك، لأن تلك الأشهر مشهودة وعالية في الذاكرة. فما أكثر ما حصل في حياتي آنذاك من غرائب الأمور وعجائبها الرائعة. تلك قصة طويلة لن أبوح لأحد بتفاصيلها.

شيدلوفסקי عرض على آنذاك أشعاره... . فما أقساك على شيدلوف斯基. لقد ظلمته وتجنيت عليه. أنا لا أريد أن أدفع عما لن يراه إلا من لا يعرفه ومن لا يغير رأيه بسهولة، أقصد معارفه وقواعدة. ولكنك لم تره في العام الفائت، حيث أمضى السنة كلها في بطرسبورغ بلا عمل ولا وظيفة. الله يعلم لماذا أقام هنا. لم يكن متمنكاً من الناحية المادية لكي يعيش في بطرسبورغ لفتر منها إلى جهة ما. وكان واضحأً أنه جاء إلى بطرسبورغ لفتر منها إلى جهة ما. لو نظرت إليه لرأيت عذاباته. أصابه التحول وانخسفت وجنتاه والتهب محاجراً عينيه وجفناً بعد بلل، وتعمق الجمال الروحي لمحياه مع تدهور مظهره البدنى. كان يعاني. ومعاناته شديدة مرهقة. يا إلهي، ما أعظم حبه لفتاة اسمها ماري على ما أظن. تزوجت من غيره. من دون ذلك الحب ما كان بوسعه أن يغدو كاهاً للشعر متسامياً طاهراً نزيهاً... عندما أتردد عليه أحياناً في شفته المتواضعة في مساء شتوي قبل عام بالتمام والكمال كنت أتذكر عفوياً شتاء أونيغين الحزين في

بطرسبورغ.⁽⁵⁾ ولكن الذي كان أمامي ليس شخصاً بارداً للأعصاب ولا حالماً متحمساً بالفطرة، وإنما هو كائن رائع متسامٍ. إنه لمحة قلمية متناغمة للإنسان، كائني قدمها لنا شكسبير وشيلر. ولكنه كان آنذاك على وشك الولوج في كابة شخصوص بايرون. وكنت كثيراً ما أقضى معه أمسيات كاملة نتجاذب أطراف الحديث في أمور ما أنزل الله بها من سلطان. ما أشد صراحة هذه الروح النقية. دموعي تسيل عندما أتذكر ما مضى. لم يكن يخفى عليّ شيئاً. وما قيمتني أنا بالنسبة له؟ كان يريد أن يفضي لأحد ما بما في نفسه. فما أشد أسفني لعدم وجودك معنا. كان يتوق إلى رؤيتك، ليسميك صديقاً شخصياً يعتز بصداقته. أتذكر كيف سالت دموعه أثناء تلاوة أشعارك، وهو يحفظها عن ظهر قلب. فكيف تقول عنه إنه كان يسخر منك؟ ما أشد إشفاقي على هذا البائس المسكين. روح طاهرة كالملائكة. وحتى في هذا الشتاء العصيب لم ينس حبه، فقد تأجج من جديد وبأشد من السابق. حل الربيع. وأنعشه. تصوراته أخذت تبدع دراماً ومسرحيات، ولكن أي مسرحيات يا أخي! لعلك كنت ستغير رأيك فيه لو قرأت «ماريا سيمونوفا» بعد تنقيحها. انكبَّ على تعديلها طول الشتاء. وكان قد اعتبر صيغتها السابقة بالمشوهة. ثم ما أروع قصائده الغنائية. يا ليتك تعرف القصائد التي نظمها في الربيع الماضي. كالقصيدة التي يتحدث فيها عن الشهرة والأمجاد. يا ليتك تقرأها يا أخي!⁽⁶⁾

عندما عدت من المعسكر قضينا معاً فترة قصيرة. في اللقاء الأخير تمثينا في يكاترينهوف. وما أروع تلك الأمسية. تذكرنا حياتنا في الشتاء عندما كنا نتحدث عن هوميروس وشakespeare وشيلر وهو فمان الذي تكلمنا عنه قدر ما قرأناه. كما تحدثت معه عن حياتنا، نحن الاثنين، عن حياتنا الماضية والقادمة. وتحدثنا عنك يا حبيبي. أما

الآن فهو قد غادر من زمان، ولا علم لي بأخباره. فهل هو على قيد الحياة؟ كان يعاني من الناحية الصحية أيضاً. أرجوك، اكتب له.

خلال الشتاء الماضي كنت مبتهجاً جداً. تعرفي على شيدلوفסקי منحني ساعات عديدة من حياة أفضل. إلا أن ذلك لم يكن هو سبب ابتهاجي آنذاك. ربما كنت ولا تزال تلومني على عدم مراسلتك. والسبب هو الملابسات الحمقاء في السرية العسكرية. ولكنني أقول لك يا عزيزي إنني لم أكن أبداً لأباياً تجاهك، وإنني أحبك لقصائدك ولشاعرية حياتك ولأعضائك، ولا شيء آخر. لم يكن هذا الحب مودة أخوية خالصة... فقد كان عندي صديق حميم أوّله ويودّني.⁽⁷⁾ كتبت لي، يا أخي، تقول إنني لم أقرأ شيلر. أنت على خطأ يا أخي. فقد حفظت شيلر عن ظهر قلب وكنت أترنم به لحد الهلوسة والهذيان. وأعتقد أن أفضل ما فعلته الأقدار في حياتي هو أنها مكتتبتي من معرفة شيلر في تلك الحقبة التي ما كان بوسعي أن أعرفه بأفضل منها في أوقات أخرى. كنت أقرأ شيلر مع صديقي وأجرب عليه خصال دون كارلوس النبيل النشيط والمركيز بوزا ومورتيمير⁽⁸⁾. هذه الصداقة حملت لي الكثير من الأفراح والأتراح. وسألزم الصمت بشأنها إلى الأبد. فيما بات اسم شيلر عزيزاً عليّ، وصار بمثابة صوت سحري يستثير كما هائلاً من الطموحات. وهي طموحات عصيرة ومريرة، يا أخي ، ولذا لم أحديثك عن شيلر وعن الانطباعات التي خلفها في نفسي، فأناأشعر بالألم تلك الانطباعات حتى من مجرد سماع اسمه.

كنت أريد أن أكتب الكثير في الرد على تهجماتك عليّ، كونك لم تفهم كلماتي. كما أردت أن أتحدث عن بعض الأمور. إلا أن رسالتي هذه إليك منحتني لحظات حلوة وأمنيات لذيدة وذكريات كثيرة جعلتني أعااف الكلام عن أية أمور أخرى. وعذرني إنني لم أعمد إلى تصنيف

الشعراء العظام، خاصة إذا كنت لا أعرفهم. أنا لم أعمد إلى المقارنة أو المقارنة بين الشعراء، بين بوشكين وشيلر على سبيل المثال. لا أدرى ما الذي جعلك تتصور ذلك. أرسل لي، رجاءً، كلماتي بهذا الخصوص وسأتأتي من مثل هذه التصنيفات. ربما كنت أتكلم عن أمر ما، فوضعت بوشكين وشيلر جنباً إلى جنب، ولكنني أظن أن ثمة فاصلة بين هاتين الكلمتين. إنهما لا يتشابهان من نواح كثيرة. بوشكين وبایرون صحيح. وفيما يخص هوميروس وفيكتور هيغو يخيل إليّ أنه تعمدت عدم فهمي. إليك ما أقوله: هوميروس، ذلك الإنسان الملحمي الذي خلقه الله وأرسله إلينا كالمسيح، لا يمكن أن يقارن إلا بالمسيح وليس بعنته. تعمق فيه، يا أخي، افهم «الإلياذة»، إقرأها جيداً، أنت لم تقرأها؟ أليس كذلك؟ اعترف. في «الإلياذة» قدم هوميروس للعالم القديم بمجمله تنظيمًا للحياة الروحية والدينية بنفس القوة التي قدم فيها المسيح تنظيمه للعالم الجديد. فهل تفهمي الآن؟ فيكتور هيغو شاعر غنائي بطبع الملائكة وتوجهات الشعر الطفولية النصرانية، ولا أحد يفوقه في ذلك، لا شيلر، مهما كانت نصرانية شعره، ولا شكسبير بشاعريته الغنائية، وقد قرأت السونatas بالفرنسية، ولا بایرون ولا بوشكين. هوميروس برسالته الراسخة وإيمانه الطفولي ياله الشعر الذي يعبد هو الوحيد الذي يشبه فيكتور هيغو من حيث وجهة ينابيع الشعر، ولكن من حيث الوجهة فقط، وليس الفكرة التي وهبته إليها الطبيعة وعبر عنها. ولعلّي أقول إن ديرجافين⁽⁹⁾ يمكن أن يتتجاوزهما كليهما من حيث الشاعرية. وداعاً يا عزيزي.

صديقك وأخوك
ف. دوستويفسكي

ملحوظة: هذا توبیخ تستحقه. فعندما تحدثت عن الشكل فقدت عقلك تقريباً. وأنا من زمان أظن أن اضطراباً طفيفاً حصل في دماغك. أنا لا أمزح. فقد قلت مؤخراً عن بوشكين ما لا يليق. أنا أهملت ذلك، وليس من دون سبب. وسأتحدث في الرسالة التالية عن الشكل. فلم يبق الآن مجال ولا وقت لهذا الحديث. ولكنْ خبرني رجاءً من أين جئت بهذا الكلام، أثناء حديثك عن الشكل، وكأن راسين وكورنای لا يمكن أن يروقا لنا بسبب رداءة الشكل عندهما؟ ما أتفهمك من إنسان. وإلى ذلك تسألني بفطنة: «هل يعقل أنك تظن أنهما لا يمتلكان شعراً؟» ليس لدى راسين شعر؟ راسين المتحمس الفوار المتيم بـ«مُثُلِّه العلیا لا يمتلك شعراً؟» وأنت تسأل عن ذلك؟ فهل قرأت «أندرومَاك» يا ترى؟ ماذا، يا أخي، هل قرأتها؟ هل قرأت «إيفينيا»؟ هل يمكنك أن تنكر رواعتهما؟ أليس أخيل راسين هو أخيل هوميروس؟ راسين انتحل هوميروس، ولكنْ كيف؟ ما طبيعة نسائه؟ حبذا لو تفهمته. راسين لم يكن نابغة، وهل كان بوسعيه أن يؤلف الدراما! كان عليه أن يحاكي ويقلد كورنای. و«فیدرا»، يا أخي، هل بوسعيك أن تنكر رواعتها؟ الله يعلم من ستكون أنت إذا لم تقل إنها تجسيد للطبيعة الصافية والشعر المتسامي. إنها بصمة شكسبير مع أن التمثال من الجبس وليس من الرخام.

وهذه المرة عن كورنای؟ اسمع يا أخي، لا أدرى كيف أتكلم معك. لعلك تشبه إيفان نيكيفوريتش «الذى أكل الكثير من الحمص»⁽¹⁰⁾. كلا، أنا لا أصدق، يا أخي! أنت لم تقرأه، ولذا أخطأت الهدف. هل تعلم أنه بمستوى شكسبير تقريباً من حيث الطابع الجبار والروح الرومانسية. يا لك من مسكين. لديك معيار واحد ترد به، ألا وهو «الشكل الكلاسيكي». هل تعلم، يا مسكين، أن كورنای

ظهر لـ 50 عاماً فقط بعد جوديل البائس الحزين غير الموهوب في تراجيديته الهجائية «كليوبطرا»، وبعد رونسار الذي يشبه تريدياكوفسكي عندنا، وبعد النظام الباهت مالهيرب المعاصر له تقريباً؟ فمن أين له فرصة ابتداع الشكل اللازم لمخطط المسرحيات؟ ومن حسن الحظ أنه اقتبسه من سينيكا. ثم هل قرأت مسرحيته «سينا»؟ إذا لم تكن قد قرأتها، يا مسكين، فاقرأ منها خصيصاً حوار أوغسطس مع سينا عندما عفا عن خيانته، ولكن كيف عفا؟ وسترى أن ذلك حوار لا يلازم إلا الملائكة المهاينين. وخصوصاً عندما قال أوغسطس: «فلنكن صديقين، يا سينا، ونطوي ما جرى منا». (...).

لا ترعل، يا عزيزي، بسبب تعابيري الخشنة. ولا تكن مثل إيفان إيفانيتش (في قصة غوغول).

هذه الرسالة جعلتني أبكي لذكريات الماضي.

حبكة مسرحيتك رائعة، وفكرتها الصحيحة واضحة، ويعجبني فيها خصوصاً أن بطلك فاوست عندما يبحث عما لا حدود له ولا يمكن الإحاطة به إنما يتحول إلى مجنون ما إنْ يعثر على بغيته ويبلغ ما لا حدود له، فيجد ضالته في الحب. هذا رائع. يسرّني أنك تعلمت شيئاً من شكسبير.

أنت مستاء لأنني لا أجيب عن جميع التساؤلات. كان بودي أن أجيب عنها، ولكن ليس عندي لا ورق ولا وقت. على فكرة، إذا كنت سأجيب عن كل الأسئلة، كالسؤال التالي: «هل نبت لديك شارب؟»، لن أجد أبداً مجالاً لكتابة ما هو أفضل. وداعاً يا أخي الطيب الحبيب. وداعاً مرة أخرى. اكتب لي.

-
- (1) في الأصل بالفرنسية.
 - (2) المقصود السيد ن. يلاجين. رسائل دوستويفسكي إليه مفقودة.
 - (3) أسماء العديد من الكتاب وعناوين مؤلفاتهم وردت في هذه الرسالة بالفرنسية.
 - (4) قصائد ميخائيل دوستويفسكي هذه مفقودة، ما عدا «رؤيا الأم».
 - (5) ملحمة بوشكين «يفغيني أونيجين». الفصل الثامن.
 - (6) مسرحية «ماريا سيمونوفا» وقصيدة «الشهرة» مفقودتان.
 - (7) يفترض النقاد أنه عسكري كان في الخدمة مع دوستويفسكي.
 - (8) من أبطال مسرحيتي شيلر «دون كارلوس» و«ماري ستوارت».
 - (9) جبريل ديرجافين شاعر روسي (1743-1816).
 - (10) بطل قصة غوغول «شجار بين إيفان إيفانيتش وإيفان نيكيفورينتش» (1834).



13. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بيرهوف، 19 يوليو 1840

ال نقط الريشة من جديد، يا أخي الحبيب، اللطيف والعنيد في الوقت ذاته. وعليّ أن أبدأ الرسالة من جديد برجائي أن لا تضرر غيظاً، وهو رجاء أشدّ عليه كلما تما ديت في عنادك وزعلك. كلا، يا أخي العزيز الطيب، لن أتركك وشأنك ما لم تمد لي يد المودة كالسابق. ولا أدرى، يا عزيزي، لقد كنت دوماً عادلاً في معاملتي، إلا فيما ندر، ومتسامحاً معي دوماً في حالة صمتي الطويل، والآن حيث أقدم السبب الوجيه أراك، وأنت تعرف ذلك، وكأنما أصبحت بالصمم ولا تسمع كلامي. سامحني على هذه الملامة، يا صديقي الطيب، وأنا لا أخفى عليك أنها نابعة من الفؤاد، وأنا أحبك ، يا عزيزي، ويولمني أنّ المنس هذه اللامبالاة تجاهي. لو كنت مكانك لنسّيت كل شيء من زمان لأغفر لصديقك بأسرع ما يمكن بدلاً من جعله يلتحّ فترة أطول في طلب المغفرة. من ناحيتي، على الأقل، وأنا أجد نفسي في ملابسات مقبولة، أي بوجود النقود التي أرسلها الوصي إلى، رغم قلتها، أعدك بالتأكد أنني سأكتب إليك كل أسبوع حتماً.

إلا أنني حالياً أكتب على عجل، لأنني لا أجرو على الإفاضة في رسالة مطولة ونحن نتظر في كل لحظة صفارات الإنذار والمناورات التي ستستمر ثلاثة أيام.

آه، يا أخي العزيز، اكتب لي بالله عليك ولو قصاصة. ليتك تعرف مدى قلقني على مستقبلك وعلى قراراتك ونواياك، وعلى امتحانك يا أخي الحبيب لأنه هو أيضاً على الأبواب. الله يعلم هل ستصلك هذه الرسالة وأنت في ريفيل. أمل أن تصلك يا صديقي العزيز إن شاء الله. لو استمرت هذه الخلافات وهذا الخلل في أواصر صداقتنا فلا أدرى بأية شدة سيحز الألم في نفسي بسبب صمتك. ها هو الوقت قد حان لحل العقدة الحمقاء والحاشمة في الوقت ذاته في مصيرك ومستقبلك، وهو الحل الذي كنت أنتظره دوماً بشيء من الخوف والهلع. حقاً ما الذي يتوقف على ذلك؟ تذكر يا عزيزي. حياتك وراحتك وسعادتك، نعم سعادتك. لأنك لو لم تتغير بنفسك أو لم يتغير مصيرك منذ أن كتبت لي متھمساً عن أمانيك وعن فتاة أحلامك إيميليا فيما كانك طبعاً أن تتأمل في نوعية التغيير الذي يمكن أن يجريه نجاح الامتحان على مستقبلك. وبناءً على هذه الملابسات المتعلقة بمستقبلك أليس من القساوة البالغة حجب ثقتك عن أخيك في وقت أستطيع فيه أن أتقاسم معك صداقتني وسعادتي أو تعاستي يا حبيبي؟ آه يا صديقي العزيز. لك الله على ما تركتني فيه من جهالة مضنية لا تطاق.

نعم، لقد حصل لك شيء ما يا أخي. الزمن هو المحك. الزمن سيبين هل تحققت، لا أقول أحلامك، هل تحقق ما ومض في عينيك من بريق القدر حينما أضاء في أفق حياتك الحالك ركن منير شحن الفؤاد بالأمل والسعادة. الزمن وحده يمكن أن يقيّم ويحدد بوضوح

مجمل أهمية مراحل حياتنا هذه. الزمن يمكن أن يحدد، اعذرني يا أخي على كلماتي، يمكن أن يحدد هل كان هذا النشاط روحاً من الصميم وصافياً صحيحاً واضحاً نيراً، شأن طموحنا الطبيعي في الحياة المكتملة للإنسان، أم أنه كان نشاطاً عثياً خاطئاً من دون هدف وضلاًّا اضطرارياً لقلب شخص يشعر بالوحدة والوحشة ولا يفهم نفسه ولا يزال في الغالب بلاوعي ناضج كالطفل الصغير، لكنه أيضاً متৎمس مندفع بلا إرادة يبحث لنفسه عن قوت فيما حواليه ويهدى طاقاته في طموح غير طبيعي إلى «حلم وضيع». حقاً، من المحزن أن يعيش المرء حياة تعشش الكآبة في ثناياها عندما يتلمس المتأهات التي ولجها ويدرك الطاقات اللامحدودة التي يمتلكها ويرى أنها تعرضت للهدر والتبذير في نشاط زائف مناف للطبيعة، نشاط لا يليق بأرومة مثل أرومتك، وفيهم أن لهيب الروح مخنوق أطفأته أمور لا يعلم بها إلا الله، وأن القلب ممزق شذر مذر، وبأي سبب؟ بسبب حياة لا تليق حتى بالأقزام، وليس بالطفل العملاق، الإنسان بأوسع معنى للكلمة.^(١)

وهنا أيضاً تدعو الحاجة إلى الصداقة، لأن القلب عندئذ يشبك نفسه ويقيدها بأواصر ونياط خشنة، وتنهار معنويات الإنسان وتختوب جذوته أمام الأحداث وأمام تقلب أطوار فؤاده وكأنما هي من مقدرات المصير، فيعتبر خيوط العنكبوت التافهة شيئاً فظيعاً لا فكاك منها ولا أحد يفلح في التملص منها وتذوي بوجودها كل الأحياء، بينما المصير هو القدر الحقيقي للمسيئة الإلهية، بمعنى أنه يؤثر علينا بقوة طبيعتنا المتكاملة التي لا تقف في وجهها أية قوة أخرى.

قطعت رسالتى لبعض الوقت بسبب الخدمة التي شغلتني. آه ، يا أخي، ليتك تعرف كيف نعيش. تعال إلينا بأسرع ما يمكن ،

يا صديقي العزيز، بالله عليك تعال. ليتك تدرك مدى ضرورة تواجدنا معاً، يا صديقي العزيز. سنوات كاملة مرت على فراقنا. قصاصة الورق التي أبعثها من شهر لآخر هي الوسيلة الوحيدة للتواصل بيننا، فيما يمر الوقت وينقضي ويُقدس الغيوم على رؤوسنا ويريق الدلاء. كل ذلك يمر بالنسبة لنا في وحدة كثيبة مضنية. آه، لو كنت تعلم كم توحشت هنا، يا صديقي الطيب العزيز. حبي لك حاجة مفهومة تماماً. فأنا حر طليق بالكامل، لا أعتمد على أحد، لكن الروابط بيننا، يا حبيبي، تجعلني أبدو وكأنني أعتمد بنبيباً على حياة شخص آخر.

ما أكثر ما انفلت وتبدل من تبدلات في عمرنا وأحلامنا وأمانينا وأفكارنا دون أن نلاحظه ولم يبق منه سوى المخزون في الفؤاد. عندما أراك سأشعر بأن كياني يتجدد، وأننا الآن لا أعرف الاستقرار على أية حال، وسيرأقاتي غير صحيح... أنا نفسي لا أدرى ماذا جرى لي. تعال، بالله عليك، يا صديقي وأخي الحبيب، تعال.

لا أدرى هل ينبغي لي أن أخشى عليك من الامتحان؟ هل أنت مستعد له؟ بخصوص أساتذتنا الذين يديرون الامتحانات أنا وائق بهم. سيجرون امتحانك عندنا، كالعادة، ببساطة وسهولة لدرجة أنك ستؤدي الامتحان⁽²⁾ حتى لو لم تراجع بعض المواد. والأمثلة كثيرة على هذه الحالة. أظن أنك لست زعلاناً علي بسبب دفاتر الملخصات. أكرر هنا أنك لست بحاجة إليها نظراً لقلة أهميتها. إنها مجرد تلخيصات بائسة لحد مخجل. ثم إنها غير متوفرة.

أختي⁽³⁾ لم تكن موجودة في بطرسبورغ. ونحن سنخادر بيتهوف قريباً، إلى عنواننا في بطرسبورغ. وداعاً يا صديقي الطيب العزيز. هذه السطور كتبتها في أوقات مختلفة. يا ليتك تعرف بحياتنا التي لا تطاق الآن.

إذن، إلى اللقاء يا صديقي الطيب وأخي العزيز. اكتب لي بسرعة من كل بد.

ف. دوستويفسكي

-
- (1) هنا يتجلّى تأثير ميخائيل ليرمونتوف وروايته «بطل من هذا الزمان» على دوستويفسكي .
 - (2) وهذا ما حصل بالفعل ، وقبل ميخائيل دوستويفسكي برتبة ملازم ثان هندسة عام 1841 .
 - (3) يرجح أن المقصود الأخت الكبرى بريارا التي تزوجت آنذاك.



14. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 22 ديسمبر 1841

كتبت لي، يا صديقي الغالي، عن الألم الذي يحزن في نفسك وعن مصيبك، وقلت إنك، يا أخي الطيب الحبيب، في يأس وقنوط. ولكن تصور مدى حزني واكتئابي وألمي وأنا أسمع منك هذا الكلام. لقد اشتدت علىي الأحزان لدرجة لا تطاق. إنك تقترب من لحظة الحياة التي تزدهر فيها كل آمالنا وأمانينا، فتغرس السعادة في الفؤاد وهو مفعم بالغبطة والسرور. ولكن... ماذا نرى؟ هذه اللحظات يفسدتها ويعكرها الحزن والضنى والهموم. يا عزيزي، يا حبيبي. يا ليتك تعلم كم أنا سعيد لأنني أستطيع مساعدتك ولو بشيء طفيف. أرسل إليك بارتياح هذه «الحاجة» الزهيدة لعلها تعيد إليك بعض الهدوء. وانا أعرف أن هذا قليل. ولكن ما العمل إذا كنت، والله، لا أستطيع أكثر؟ حكم عقلك يا أخي. لو كنت وحدك لأعطيتك كل شيء يا حبيبي. ولكنني أعيش أخي⁽¹⁾ ولا أريد أن أكتب عاجلاً إلى موسكو. كي لا يظنوا بي الظنون. هكذا إذن، أرسل لك هذه «الحاجة» وما فيها. ولكن، يا إلهي، كم أنت مجحف، يا صديقي

الطيب الغالي ، عندما تكتب كلاماً مثل : «أسدد لك الدين». لا تشعر بالخجل؟ حرام هذا الكلام بين الإخوة. هل يعقل أنك ، يا صديقي ويا أخي ، لا تعرفني على حقيقتي. إبني أستطيع أن أضحك من أجلك ليس بهذا !! كلا ، لقد كنتَ معتكر المزاج ، ولذا أسامحك . متى الزفاف؟ أتمنى لك السعادة وأنتظر منك رسائل مطولة. أنا حتى الآن لا أستطيع أن أكتب الكثير. هل تصدق بأنني أكتب إليك الآن في الثالثة فجراً ، ولم أذق طعم النوم ليلة البارحة. الامتحانات والدروس فظيعة. يسألون عن كل شيء ، ولا أريد المجازفة بسمعيتي. ولذا أحضرّ الواجبات وأحفظ عن ظهر قلب «بأشمizar».

أنا مقصر كثيراً جداً بحق خطيبتك العزيزة ، أختنا الطيبة الغالية ، مثلك يا صديقي الطيب ، ولكن ذات الطباع غير المفهومة.

هل يعقل أن ثقة الأقرباء بي قليلة لهذا الحد؟ أو أن هناك فكرة سيئة عنني وكأنني عديم الاحترام ومعدوم اللياقة وشديد النفور ، بل وأنوء بثقل جميع العيوب والخطايا لتكون هي متحيزة ضدي ولا تصدق بأنني لا أملك الوقت إطلاقاً وتزعل مني بسبب صمتي. لكتبني لا أستحق ذلك ، والله لا أستحقه. اعتذر لي منها لتصفح عنني وتساهل وتفقر لي ، أنا الخاطئ اللعين ، كل خطاياي وذنبي. يطيب لي أن أسمى نفسي أخاً لها محبأً صادقاً طيباً ، ولكن ما العمل؟ ليس في الأمر حيلة. أنا دوماً أعلل النفس وسأظل أعللها ببلوغ ذلك الطموح في آخر المطاف.

لن أكتب شيئاً عن نفسي وأحوالي في هذه الرسالة. لا أستطيع ، لا وقت لدى. إلى حين آخر. أندريه تمرّض ، وأنا في غاية القلق. ما أكثر متاعب السهر عليه. هذه مصيبة إضافية. تربيته ومعيشته معي ، أنا الوحيد الحر الطليق المستقل ، أمر يفوق طاقتني على التحمل. لا

مجال لممارسة شيء ولا الانشغال عنه. هل تفهمني؟ وإلى ذلك لديه طباع غريبة خاوية ومتقرّبة تبعد عنه أياً كان. أنا آسف جداً لمحاولتي الغبية في إعالتة. وداعاً يا صديقي الغالي. رافقتك السعادة!

المخلص
دوستويفسكي

ملحوظة: أبعث إليك 150 روبلأ. أكرر 150.

(1) كان دوستويفسكي آنذاك يستأجر شقة ومعه أخيه الأصغر أندريله.



15. إلى ميخائيل م. دوستويفסקי

بطرسبرغ، 31 ديسمبر 1843

لم نتراسل من زمن بعيد يا أخي الحبيب. ولا جدال أن ذلك لا يليق بنا كلينا. أنت متкаسل بطبيعة الحركة يا حبيبي. وما دام الأمر كذلك فلا يبقى سوى التثبت بذيل المستقبل، فيما أتمنى لك السعادة في رأس السنة ، لك وللصغيرة. إذا ولدت لك بنت سُمّها ماريا^(١). احتراماتي وتقديرني لإيميليا متمنياً لها عيداً سعيداً في رأس السنة وكل التهاني لها بهذه المناسبة. أتمنى لها موافر الصحة، وقبل فيودور نيابة عنِّي، أتمنى له أن يتعلم السير على القدمين.

والآن فلتتحدث عن أمور الدنيا يا حبيبي. على الرغم من أن كاريبين أرسل لي 500، إلا أنني، بناءً على الطريقة المنزليَة القديمة، لا أزال مديناً بـ 200 روبل فضي. ولا بد من التخلص من الديون على أية حال. منْ جَدْ وجد، والماء الراكد لا يحرك الجلاميد الساكنة. لقد باركتني المصير بفكرة أو بشغلة، سُمّها ما شئت. المهم أنها مفيدة جداً وأنا أسارع لأعرض عليك اقتراحًا بالمشاركة في العمل وفي المجازفة والمنافع. ذلك هو منبع القوة.

قبل عامين ظهرت باللغة الروسية ترجمة نصف المجلد الأول من رواية «ماتيلدا» لإيجين سيو، أي جزء واحد من 16 جزءاً من الكتاب. ومنذ ذلك الحين لم يصدر شيء آخر منها. على الرغم من اهتمام جمهور القراء. فقد ورد من إحدى المحافظات 500 طلب لمواصلة إصدار الرواية.⁽²⁾

(....). باتون وأنا، وأنت إذا أردت، توحد جهودنا ونصدر ترجمة الرواية لمناسبة أسبوع الآلام (...). نقسم الترجمة إلى ثلاثة أجزاء متساوية ونواكب على إنجازها بجد. (...) تكاليف الطباعة في حدتها الأدنى. (...) والرواية ستحظى برواج. الموزعون يتوقعون نفاد نسخها في ستة أشهر. هذه هي مبادرتنا، فهل ترغب في المشاركة؟ منافع المشروع بادية للعيان. يمكنك أن تبدأ الترجمة من الفصل «la cinquième partie». اكتب لي رأساً، هل ترغب في المشاركة أم لا؟

دوستويفسكي

ملحوظة: أجنبني فوراً. وداعاً.

(1) تيمناً باسم والدة الكاتب ماريا دوستويفسكايا.

(2) لم يفلح دوستويفسكي في إصدار هذا الكتاب الهام، لكنه تأثر به دون ريب.

16. إلى ميخائيل م. دوستوفسكي

بطرسبرغ، منتصف يناير 1844

أخي العزيز!

سررت لاستلام جوابك، وأسارع لأكتب لك بضعة سطور. تقول إنك ما كنت تعرف عنواني. لكنك، يا حبيبي، تعرف أنني أخدم في مديرية التخطيط الهندسي. فهل يقع خطأ إذا كتبت إلى مكان الخدمة؟ العنوان صحيح تماماً. لكنني فرح لحاجتك، وأقبلها. فأنت، على الأقل، لم تنسني تماماً يا عزيزي. مسرور جداً لسعادتكما. أتمنى لابنك وفiodور الصحة والعافية. وإذا تعين على التعميد عندك، فتلك مشيئة الله، فلينعم الله على الطفلين بالسعادة. أقبل يدي إميليا وأشكرها على الهدية التذكارية. بخصوص ريفيل سنفكّر في الموضوع، من يعيش يَرَ، على حد تعبير الأب غراندي.⁽¹⁾

والآن أنتقل إلى شؤوننا. وهذه رسالة عمل. الملابسات عندنا تسير جيداً، ولاقصى حد. أنا مكلف بالتحرير، وستكون الترجمة جيدة. باتون إنسان يفوق التقدير عندما تصل الأمور إلى المصالح. وأنت تعرف أن أمثال هؤلاء الرفاق أفضل من أكثر الأصدقاء نزاهة

فيما يخص الغش والاحتيال. لا مناص من مساعدتك لنا، فحاول أن تترجم برشاقة وأناقة. أردت أن أبعث إليك الكتاب بهذا البريد ، إلا أن النسخة موجودة عند باتون، وباتون أختفى. سأبعثه مع البريد التالي. ولكن ، بالله عليك ، يا عزيزي ، لا تخذلني. ترجم ونفع. حبذا لو أرسلت لي الترجمة في الأول من مارس كموعد أقصى. وسننجز بأنفسنا القسم المخصص لنا ، ونسلم الترجمة إلى الرقابة. باتون على معرفة بالرقيب نيكيتينكو ، وقد وعده بتمرير الرواية في أسبوعين. وسنطبعها دفعة واحدة في 15 مارس. ولعلك تسأل عن مصدر النقود، أنا استجمعت ما لدى ، وسأقدم 500 روبل ، وباتون يقدم 700 ، وهي متوفرة لديه ، ووالدة باتون تعطينا 2000. إنها تفرض ابنتها بفائدة 40%. هذه النقود كافية تماماً للطباعة ، والباقي بالآجل.

تجولنا على جميع بائعي الكتب والناشرين ، واتضح لنا ما يلي : تشيرنوغلازوف ، مترجم «ماتيلدا» لا يمتلك مالاً ولا فكرة عن الموضوع. ترجمته جاهزة ، ونحن سنعلن عن ترجمتنا عندما يكون نصفها جاهزاً ، وفي هذه الحالة يروح تشيرنوغلازوف في ذاهية. وهو نفسه مذنب ، فلماذا فوت ثلاثة أعوام بين الجزءين الأول والثاني. كما يحق لأي كان أن يقدم ترجمتين أو ثلاثاً لنتاج أدبي واحد. الباعة يتعهدون بتوزيع ألف نسخة في المحافظات ، ويتقاضون 40 كوبيكاً للروبل الواحد. قالوا لنا أن ليس من الحكم إصدار الكتاب بأقل من ستة روبلات فضية للنسخة الواحدة ، سعر طبعة بروكسل الفرنسية. وبالتالي سنستلم رأساً في مايو 3500 روبل فضي (...). وفي بطرسبورغ يؤكد الناشرون أنفسهم أن 350 نسخة ستعرض في السوق حتماً ، ومنها 20% لأصحاب الأكشاك والمكتبات. ولن يقل ما

سنحصل عليه عن 5000 روبل فضي، منها 1000 دينار علينا، والـ 4 آلاف المتبقية ربع صاف لنا. قررنا أن نتقاسمها كثلاثة أخوة، وستحصل أنت على حصةك بالتأكيد (...). فابداً الترجمة الآن.

يا شقيقتي الحبيب! لدى رجاء ملحّ إليك. ليس معنـى نقودـة وأحيطـك أـنـي تـرـجـمـتـ فيـ فـتـرـةـ الأـعـيـادـ «أـوـجـيـنـ غـرـانـدـ» لـبـلـزـاكـ. رـوـعـةـ بـكـلـ مـعـنىـ الـكـلـمـةـ. تـرـجـمـةـ مـنـقـطـعـةـ النـظـيرـ. أـكـثـرـ مـاـ سـيـعـطـونـنـيـ مـقـابـلـ التـرـجـمـةـ 350 روـبـلاـ. وـأـنـاـ حـرـيـصـ جـدـاـ عـلـىـ بـيـعـهـاـ. إـلـاـ أـنـ الثـرـيـ المـرـتـقـبـ لـاـ يـمـتـلـكـ نـقـودـاـ وـلـاـ وـقـتـاـ. فـلـوـجـهـ مـلـائـكـةـ السـمـاءـ اـبـعـثـ لـيـ 35 روـبـلاـ لـأـنـفـقـ عـلـىـ الـمـكـاتـبـاتـ. وـأـقـسـمـ لـكـ بـأـلـهـةـ الـأـولـمـبـ وـبـمـسـرـحـيـتـيـ النـاجـزـةـ «الـيهـودـيـ يـانـكـلـ»⁽²⁾ وـبـكـلـ مـاـ تـرـيدـ، حـتـىـ بـشـارـيـ اللـذـيـ سـيـنـبـتـانـ فـيـ زـمـنـ مـاـ وـأـتـعـهـدـ بـأـنـ أـعـطـيـكـ نـصـفـ الـأـجـرـ الـذـيـ سـيـدـفـعـونـهـ لـيـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ «أـوـجـيـنـ». كـلـمـةـ شـرـفـ.

إـلـىـ اللـقاءـ.

دوستويفسكي

مع أول بريد. مفهوم؟

(1) بطل رواية بلزاك «أوجين غراندي» بترجمة فيودور دوستويفسكي (1844).

(2) دراما مفقودة ألفها دوستويفسكي متاثراً بما كتبه شكسبير ونيقولاي غوغول عن اليهودي الجشع.

17. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، يوليو - أغسطس 1844

أخي العزيز! الفترة بين رسالتك الأخيرة وردي عليها كانت حبلی بأحداث كثيرة. لم ننجح في كل شيء، إلا أن بعض ما حدث كان موفقاً على أية حال.

استلمت «قطاع الطرق» وعكفت على المراجعة رأساً، وإليكرأيي في الترجمة: الأناشيد مترجمة بأروع صورة، وهي ذات قيمة نقدية تفوق التقدير. والنص التثري مترجم بشكل رائع أيضاً. من حيث القوة التعبيرية والدقة والأمانة. أنت تتشكى من لغة شيلر، ولكن لاحظ يا عزيزي أن هذه اللغة ما كان بوسعها أن تأتي على نحو آخر. وقد رأيت، في حالات متكررة، أنك أولعت كثيراً بلغة الحوار وكثيراً ما ضحيت بصواب المفردة الروسية من أجل الحفاظ على لهجة الحوار التقليدية. وإلى ذلك تظهر في بعض المواضع مفردات غير روسية، علمًا بأن استعمال مثل هذه المفردات على الوجه المطلوب أمر في غاية الصعوبة من الناحية الفنية والإبداعية. وأخيراً نجد بعض العبارات مترجمة بمعنى الإهمال. إلا أن الترجمة عموماً مدهشة بكل

ما في الكلمة من معنى. أجريت بعض التقييحات وبدأت العمل رأساً. راجعت بيسوتски وميجيفيش. الحقيران لا يفكران في نشر شيلر كله في مجلتهما. إنهم لا يفهمان الأفكار الجيدة، همّهما الوحيد هو المتاجرة. ولا يريدان نشر «قطاع الطرق» وحدها خوفاً من الرقابة. (وفكرت أن ننشر في مجلتهما «دون كارلوس» مع إعلان عن قرب صدور شيلر كله) وسيثير ذلك اهتمام القراء، وسيدفعان لنا مقابل «دون كارلوس»، وأصر من جانبي على أن يكون المبلغ مجزياً. ولذا بالله عليك أكمل الترجمة بأسرع ما يمكن. في الخريف سنطبع رأساً «قطاع الطرق» و«فيسيكو» و«دون كارلوس» و«ماري ستิوارت» ، بالله عليك «ماري ستิوارت» أيضاً. ولا بد من الأشعار إذا كنت ترغب في النجاح. (اكتُب يا صديقي، ترجم). أنا أتعهد بالنجاح، ولن أتركك بلا نقود. ستري أنهم سيتهافتون علينا كالذباب عندما يرون التراجم في أيدينا. وستنهال علينا العروض والطلبات من الموزعين والناشرين، هؤلاء الكلاب الذين صرت أعرفهم نوعاً ما.

إذن، عجل في ترجمة «دون كارلوس»، عجل. فهذا يعطينا نقوداً نبدأ بها طبعتنا. أمل أنك لم تتکاسل، بل كنت تترجم طول هذه الفترة. ولو كنت تريد نقوداً كثيرة منذ البداية لكان عليك أن تبدأ من «دون كارلوس» مباشرة وليس بالتعاقب. لكن الأفضل هو تأمين جودة العمل.

ميجيفيش يرجونا أن نوافيه على جناح السرعة بكل ما هو جاهز من كتابات شيلر في الدراما وفن المسرح. وخصوصاً المواضيع العاطفية الساذجة. أتصحّك بترجمتها لتتوفر النقود، فأسرع في الترجمة. ولا تخش شيئاً. أنا لن أسلم الترجمة من دون نقود. إذن، واظب على العمل. على «دون كارلوس» والنصوص النثرية الآن.

و«فييسكو» و«ماري ستيفارت» فيما بعد. كل أملبي فيك، يا أخي، فلا تصرخ خدك. أنت تتذكر «سيميلا» و«غيرمان ودوروثيا». عندما رفضوا «سيميلا» في إحدى دور النشر أهملت الترجمة. وكذلك «غيرمان ودوروثيا» في مجلة «مذكريات الوطن» بأتسع ترجمة. وكلتاها حققتا نجاحاً. فلماذا؟ لأنك، يا عزيزي، صعرت خدك في وقت غير مناسب. بالله عليك، سارع واشتغل. النفع سيكون مجزياً. «فييسكو» و«ماري» في البداية ثم يمكنك العمل على مهل. وسنطبعهما حالما يتتوفر المال. وسيتوفر. يمكننا في هذه الحالة أن نضغط على الناشرين في موسكو.

والآن لن تحذر، يا أخي الحبيب، حتى لو ساعدتك كل الشياطين، من التقيُّ في بطرسبرغ. عائلة ميركوروف!! التقيتهم بالصدفة، واستأنفت العلاقة معهم طبعاً. أحدهنك بالتفاصيل. أقول أولاً، يا أخي، إنهم أناس طيبون. ماريا كريشكيفينا امرأة مدهشة. أحترمها من كل قلبي. ميركوروف فيه شيء من خشونة البيكارديين، إلا أنه رجل محمود. لقد حققا ثراءً، دخلهم السنوي يناهز السبعة آلاف. الشيخ ميركوروف توقي على ما أظن. فانفصل بعضهما عن بعض من بعده. ولست محقاً عندما اعتبرته من الدرك. لقد خدم في الدرك ستة أشهر فقط. ثم انتقل إلى فوج الخيالة في أولفيفولسك في الجنوب. ثم أوفد إلى بطرسبرغ للخدمة في الفوج النموذجي. حصل ذلك عندما جرى ترقيعك إلى سلك الضباط ولم نكن نعلم به. وأخيراً بات يخدم من جديد ضابط أركان، وأحيل على التقاعد التام، ويقيم في بطرسبرغ. استقبلاني بمنتهى الحفاوة. وهما على عاداتها القديمة، لكنهما لم يتطرقوا إلى النقود في اللقاءات الأربع الأولى. وأنا أيضاً لم أتطرق إليها. كنت أشعر بالخجل. إلا أن حادثاً مؤسفاً

جرى لي بالصدفة. كنت أفتقر إلى النقود. إلا أن ترجمتي لرواية جورج صاند «الدينى الأخيرة» أوشكت على الانتهاء، فيما عرفت مرتعباً أن الرواية مترجمة في عام 1837. ارتكبت كثيراً ووقيعت في أشد حال من الانفعال. كتبت إلى موسكو، فيما بقية أتلوي ألمًا في بطرسبورغ. ودفعتني الحاجة إلى الاقتراض من ميركوروف. وبدلاً من الرد المباشر دعاني لاحتساء الشاي. وقال لي إنه يشعر بالخجل من رسالتي، لأنني ينبغي أن أطلب مستحقاتي. وإنه كان صامتاً لعدم توفر السيولة، وقد رأيته ذات مرة بالفعل ينفق 2000 على بعض المشتريات. وأنه يتظر استلام مبلغ في القريب العاجل وكان يريد أن يعطينا المال دون طلب منا، ليثبت احترامه لنفسه. إلا أنه يشعر بالخجل الآن لأنني ذكرته بالموضوع. ولعدم توفر النقد رجاني أن أقبل منه 50 روبلأً ورقياً. فقبلتها، لأنك لا تعرف ، يا أخي ، مدى حاجتي إليها. هما يبلغانك تحياتهما ، اكتب لهما ، يا أخي ، فهما مهتمان كثيراً بأحوالك. وقد دهشا لنبأ زواجك . ما أجمل السعادة. النقود باتت أكيدة. في السابق ما كان يريد أن يدفع ، وعندما رأني من جديد تأكد لي منذ اللقاء الأول أنه ينوي أن يدفع ، خاصة وأن لديه نقوداً. اكتب له ، رجاء ، بمزيد من المودة ، ولا تطلب المزيد من النقود. فهي ستصل في كل الأحوال بأقرب وقت ممكن.

ولكنْ يمكنك أن تذكر عرضاً وتشير إلى محمل الدين لا على التعبيين . فهو قد نسي المبلغ . وأنا لا أعرفه تحديداً . وداعاً ، يا حبيبي ، أهنتك بالأكلة غير المتوقعة . أعطه عنوانك في ريفيل . وبلغني . عندما يدفع لك . فالنقد ليست لي ، وأنا لن أستلمها . إنه يقيم على مقربة مني ، جنب كنيسة فلاديمير . شارع فلاديمير ، منزل ناشوكين ، صاحب السعادة .

وداعاً. بلغ تحياتي لزوجتك الرقيقة وقبل الطفلين، رافقتك السعادة والأناقة.

المخلص دوستيفسكي

ملحوظة: أحبطك بأن أوبودوفسكي ترجم «دون كارلوس». تنبه يا أخي، خذ بالك، وعجل. أوبودوفسكي لم ينشر الترجمة بعد، بل ولا ينوي نشرها حتى الآن.

قد أكسب قرابة 500 روبل في مقابل «دون كارلوس». لا يمكننا نشر الترجمة جزءاً جزءاً. جمهور القراء لا يزال يتذكر غوته. كلا، لن نستطيع.



18. إلى بطرس كاريبيين^(١)

بطرسبورغ، 7 سبتمبر 1844

السيد بطرس أندريفيتش الموقر!

في رسالي الماضية إلى أخي ميخائيل طلبت منه أن يتعهد لعائلتنا كلها بالنيابة عنِي بأنني حالما أتسلم المبلغ المطلوب لن أخالف الاتفاق الذي ترغبون في عرضه عليَّ باسم جميع أهلاَنَا، وأن أخي ميخائيل ينبغي أن يستجيب بنفسه لمطالبي المستقبلية أو يدفع لي في النهاية بنفسه جزءاً من حصته. ولكوني على يقين بأن أخي ميخائيل سيؤدي ما طلبه منه رأيت من الضروري أن أشغل بالكم مرة أخرى بهذه الرسالة.

يخيل لأخي، كما كان يخيل إليَّ من زمان، أن التقسيم العائلي بالتراضي أسهل بكثير من القسام الشرعي، ويمكن التقييد به من الجانبيين أولاً، ثم يصار إلى التقييد بالقوانين. وطبعي أنني لست أنا الذي يمكن أن يعرض عليكم هذا المقترح، فإن وكالة شقيقتي تستطيع طبعاً أن تعجل في سير الإجراءات. نظراً ليقيني بأن التدبير الذي اتخذته الآن، أي الاستقالة بسبب الديون وسوء الحال، سيقابل

بصيحات واتهامات وكأنني أريد أن أعيش عالة على إخوانني وأخواتي، ولذا أرى أنني ملزم بأن أتميز، رغم أن القضية مهمة في الملابسات التي أعيشها. وللأسباب المذكورة أعلاه أحدد المبلغ بـ 1000 روبل فضي الذي يعتبر، على خلفية تسديد الديون الرسمية والشخصية وغيرها ، مقبولاً تماماً، بل هو بالتأكيد أقل من المطلوب إذا أخذنا بالاعتبار تقديراتكم السابقة.

من هذا الألف الفضي أرجو تسديد 500 روبل دفعه واحدة، وتسديد الباقى على أقساط بمقدار عشرة روبلات في الشهر. (...). ولا بد من الاعتراف، يا بطرس أندريفيتش، بأن الموافقة والقرار يعودان لك. ويمكنك أن ترفض كل هذه المقترحات بآلاف الحجج والأعذار. (...) إلا أن حكمتكم ونبلكم ومشاطركم التي ترافق كل خطوة تخطونها إنما تساعد، في اعتقادى، على تخفيف مرارة ما أكتبه من سطور بمقتضيات الضرورة.

(فهل يعقل أن غضبكم على يبقى دون تغيير بعد هفوات الشباب من جانبي تجاهكم؟).

ملابسات حياتي الحالية كالتى : في منتصف أغسطس قدمت استقالتي لكترة ديوني ولا يكفي الإيفاد لتسديدها ، ما يعني أن الضابط المعروف بدأ خدمته بشكل غير حميد. ثم إن معيشتي نفسها ليست هي الجنة. فالديون التي تتجاوز الإمكانيات أمر مسموح به للأثرياء. وحتى في الملابسات غير المقبولة ينظر الناس إلى ذلك بعين الاحترام. أما الفقير فيواجهونه بالصد والرد. كان من الأفضل مواصلة الخدمة وتوزيع الشكاوى ذات اليمين وذات الشمال. ثم إن استقالتي جاءت بسبب التسرع. الديون تعذبني ولا أستطيع سدادها منذ ثلاثة سنوات. وكان يعذبني غياب أمل التسديد في المستقبل. ولذا أقدمت على

الاستقالة لغرض واحد هو تسديد الديون بالطريقة المعروفة، بتقسيم المزرعة التي هي صغيرة جداً، على حد تعبيركم، لكنها تصلح لهذا الغرض. أما احترام ذكرى الوالدين فلأجل هذه الملابسات تحديداً أريد أن أستخدم تركتها لها في ما كان والدي سيدخل باستخدامها من أجله. أي من أجل استقرار ابنه ومن أجل الصرف على الطريق الجديد والتخلص من سبة الدنيء على الرغم من أن أحداً لم يشتمني بها صراحة. طلبات التقسيم وفق الملابسات العائلية يتخذ بشأنها القرار السامي في الأول من أكتوبر. ولا يحتاج النظر في القضية إلى أكثر من عشرة أيام، وربما أسبوعين. منتصف الشهر يقترب. وسأقال. وسيتهدافت علىي الدائتون بلا رحمة، لاسيما واني لن أكون في البزة (الرسمية)، وسأ تعرض لأشد أنواع الأذى. ومع أنني توقعت شيئاً من هذا القبيل، وإذا صدقت توقعاتي وافتراضاتي، وأنا مستعد لها، إلا أنني، وأظنكم توافقوني، لن أذهب إلى السجن مترنماً بأشودة الشجاع الأحمق. فهذا مبعث للضحك والسخرية على أية حال. ولذلك أكتب إليك، يا بطرس أندريفيتشر، هذه الرسالة لآخر مرة. لأعرض حاجتي الملحة لآخر مرة، وأرجوك أن تساعدني بأسرع ما يمكن، ولآخر مرة، وفقاً للشروط المقترنة، ولو ليس دفعة واحدة، بل على الأقل بالقدر الذي يكفي لسد الرمق وستر البدن. وأخيراً، أقول، ولآخر مرة، وأنا جاهل تماماً بقرارك، إن الأفضل لي أن يتعرف بدني في السجن من أن أعود إلى الخدمة قبل انتهاء مشاكلي وديوني.

ف. دوستويفسكي

(1) الوصي على تركة دوستويفسكي (الأب) اعترض على بيع حصة الكاتب من المزرعة بالتراضي عائلاً.

19. إلى ميخائيل م. دوستوفسكي

بطرسبرغ، 30 سبتمبر 1844

أخي العجيب!

استلمت «دون كارلوس» وأسارع إلى رد عاجل، ليس عندي وقت. الترجمة جيدة جداً، بل مدهشة في بعض المواقع من حيث جودتها. وفي بعض السطور رديئة، لأنك ترجمت على عجل. ولكن لا أكثر من ستة سطور رديئة. تجرأت على تصحيح بعض المواقع، كما نجحت بعض الأشعار لتأتي طنانة. وأكثر ما يثير الأسف أنك استخدمت مفردات أجنبية لا مبرر لاستخدامها. كما أنك استخدمت مفردة «سير»، ولا أدرى كيف هي في الأصل، لكنني أعرف أنها غير مستعملة في إسبانيا، بل كانت في أوروبا الغربية فقط، في الدول ذات الأصول النورماندية. إلا أن تلك هفوات طفيفة. الترجمة جيدة لحد مدهش. أفضل مما كنت أتوقع. وسأحملها إلى الأحمقين في «المسرح الروسي والأوروبي». فليغفرا فاهيهم دهشة. وإذا كانت لديهما ترجمة أوبودوفسكي، وهذا ما أخشاه، فسأحمل ترجمتك إلى «مذكرات الوطن». ولن أبيعها رخيصاً. فلا تقلق. وحالما أبيعها

أبعث إليك التقدُّم. وفيما يخص إصدار شيلر فأنا أواقفك طبعاً، حتى أني أردت أن اقترح عليك بنفسِي تقسيم العمل على ثلاثة أعداد أو إصدارات. في البداية نشر «قطاع الطرق» و«فيسكو» و«دون كارلوس» و«الغدر». والرسائل عن كارلوس والسداجة. وسيكون ذلك أكثر من جيد. وسنفكِّر في موضوع الناشرين. إلا أن الأفضل أن تتولى المهمة بأنفسنا، وإن لم نكتب شيئاً. أنت واظب على الترجمة ولا تفكِّر في التقدُّم. سنجدها على أية حال، بصورة أو بأخرى. ولكن، يا أخي، ينبغي أن ننجز العمل بعد شهر، أي نعزم على الإنجاز، فلا يمكننا الإعلان بعد ذلك. ومن دون الإعلان نعود بخفيٍّ حنين. ولذا سأصر على نشر بعض كلمات حول الموضوع في «المسرح الروسي والأوروبي».

الترجمة ستثير ضجة. والكسب سيكون مذهلاً حتى في أدنى درجات النجاح. ولكنني أنا نفسي، يا أخي، أعرف أنني في ظروف جهنمية، ولذا أ وضع لك:

قدمت استقالتي، لأنني، أقسم لك بأغلظ الأيمان، لم أتمكن من مواصلة الخدمة. لا أجد مسرة في الحياة عندما ينتزعون مني عبئاً أفضل الأوقات. والحقيقة أنني لم أكن أبداً أرغب في خدمة طوبيلة، وبالتالي فما الداعي لتضييع أفضل السنوات؟ والأهم أنهم أرادوا أن يوفدوني، فقل لي رجاءً ماذا أستطيع أن أفعل من دون بطرسبورغ؟ وهل أصلح شيءً بعدها؟ هل تفهموني؟

بخصوص حياتي لا تشغلي بالك. سأجد لقمة العيش قريباً. سأعمل كالمحجنون. فأنا حر طليق الآن. ولكن ماذا أفعل حالياً، في الوقت الحاضر؟ تلك هي المسألة. تصور جيداً يا أخي إنني مدين بـ 800 روبل، منها 525 روبراً ورقياً لصاحب البيت. وقد كتبت

لأهلني أن ديوني 1500 روبل، لعلمي أنهم تعودوا دوماً على إرسال ثلث ما أطلب.

لا أحد يعرف أنني قدمت الاستقالة. فماذا سأفعل إذا قُلت؟ ليس لدى ولا كوييك واحد لشراء بدلة. استقالتي ستتم في 14 أكتوبر. وإذا تباطأ خنازير موسكو فساقع في داهية. واضح أن السجن ينتظري. من سخرية المصادرات أنك تتحدث عن التقسيم العائلي للتركة. ولكن هل تعرف كم أطلب في مقابل حصتي منها؟ في مقابل تحفيتي من المشاركة في شؤون المزرعة حالياً ثم سحب حقوقي منها عندما توفر الفرصة، أي في مقابل التنازل لهم عن مزرعتي الآن، أنا أطلب 500 روبل فضي إلى جانب 500 روبل فضي تسدد على أقساط بـ 10 روبلات في الشهر. هذا كل ما أطالب به. ألا توافقني بأن ذلك قليل ولا يسيء إلى أحد؟ ومع ذلك لا يصفون إلي. ألا توافقني بأنني لست ملزماً أن أقترح عليهم هذا الحل الآن؟ إنهم لا يثقون بي. يظنون أنني سأغدر بهم. فتعهد لي عندهم، يا روحى، رجاء. قل لهم إنك تعهد بكل ما تملك نيابة عنى، وإنني لن أوسع مطالبي لاحقاً. وإذا لم يتتوفر لديهم المبلغ المطلوب، فيمكننى أن أكون مسروراً لـ 700 أو حتى 600 روبل ورقي وأكتفى بذلك حالياً، فتشفع لي وتعهد بأنني سأقبلها على حساب المبلغ الإجمالي وهو 500 روبل فضي نقداً و 500 روبل فضي بالتقسيط.

تقول إن الدراما هي سفينة النجاة بالنسبة لي. ولكن الإخراج يتطلب وقتاً، كما يتطلب أجوراً. وقبول الاستقالة على الأبواب. بالمناسبة لو كنت لم أقدم استقالتي حتى اليوم لقدمتها الآن. ولست نادماً.

لدي أمل. فأنا أوشك على إنجاز رواية بحجم «أوجين

غراندي⁽¹⁾. وهي رواية أصيلة تماماً. أعکف الآن على تبييض المسودة، ولعلّي سأستلم رداً عليها في 14 يناير. سأقدمها إلى «مذكرات الوطن». وأنا راض عن الرواية، وربما سأتراضى 400 روبل عنها. تلك هي كلّ آمالي. كان بودي أن أحذثك أكثر عن روائي، ولكن لا وقت عندي. كما سأعمل في الدراما كمورد للرزق. الخنزير كاريبين غبي كحصان مخصي أدهم⁽²⁾. أهالي موسكو من أمثاله معتدلون بأنفسهم لحد يفوق الوصف. إنهم بُلْهُ، طبول طنانة جوفاء. في رسالته الأخيرة نصحني كاريبين دون مناسبة أن لا أولع بشكسبير. يقول إن شكسبير وفقة الصابون شيء واحد. أريد لك أن تفهم هذا التحامل المضحك على شكسبير. ما علاقة شكسبير في الموضوع؟ أجبته برسالة توقفه عند حده. باختصار أجبته بنموذج للجدل الحقيقي. لو تعلم كيف ألمنته حجراً. وأنت تعرف لهجة رسائي.

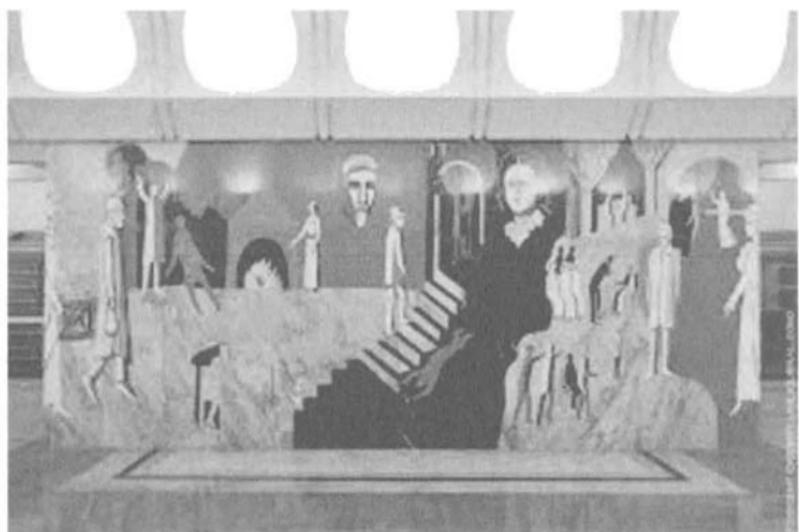
اكتب إلى الأهل بسرعة يا أخي، بالله عليك. أنا في وضع عصيب وفظيع. فالرابع عشر من الشهر هو الموعد الأقصى بعد أن قدمت الاستقالة قبل شهر ونصف. أرجوك، لوجه مالك السموات والأرض، اطلب منهم أن يرسلوا إليّ نقوداً. لأنّشي بدلة على الأقل. فساكون من دون البزة العسكرية. خليستياكوف⁽³⁾ لم يوافق على دخول السجن إلا في هندام مقبول. وإذا لم يبق لي بنطال فهل أدخل السجن مهندماً؟!

... كاريبين يحتسي الفودكا، ويشغل وظيفة في الدولة ويؤمن بالله. بمعنى أنه اعتمد على نفسه وفطنته.

عنواني: منزل بريانشكيروف قرب كنيسة فلاديمير في زقاد غرافسكي . لعنایة دوستويفسکی .

أنا راضٌ تماماً على روايتي، ومسرور لها جداً. وأظن أنني
سأستلم نقوداً منها، ولكن الله أعلم.
لا مؤاخذة على عدم ترابط الرسالة.

-
- (1) يرجع الباحثون أن دوستويفسكي أوشك آنذاك على إكمال المسودة الأولى من روايته «المساكين» (أو «الفقراء» حسب ترجمة سامي الدروبي).
 - (2) التوصيف مقتبس من كوميديا غوغول «المفتش العام».
 - (3) بطل مسرحية «المفتش العام».



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

20. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ ، 24 مارس 1845

أخي الكريم !

أكيد طال انتظارك لرسالتي يا أخي العزيز. أوضاعي المتقلقلة هي التي أعاقتني عن الكتابة إليك. لا أستطيع القيام بشيء عندما لا ترى عيناي سوى المجهول وضعف العزيمة. ومع أنني لم أحقق حتى الآن ما هو ليجاري بشأن أوضاعي الشخصية فلأننا أكتب لك، لأنه كان من اللازم أن أكتب من زمان.

استلمت من موسكو 500 روبل فضي. لكن ديوني القديمة والجديدة المتراكمة التهمتها ولم يبق منها ما يكفي للطباعة. ولا ضير كبيراً في ذلك، لأن بالإمكان الاقتراض من المطبعة أو عدم تسديد بعض الديون المتزالية، إلا أن الرواية لم تكن جاهزة تماماً. أنهيتها في نوفمبر تقريباً، لكنني صممت في ديسمبر أن أعيد هيكليتها، فعكفت على الإعادة، إلا أنني عدت في فبراير إلى تنقيحها من جديد بحذف وإضافة وما إلى ذلك. وفي منتصف مارس على وجه التقرير كنت جاهزاً وقائعاً. إلا أن ثمة مسألة أخرى. فالرقابة لا تقبل بأقل من

شهر. ولا تقوم بفحص الكتاب قبل هذه المدة. أشغالهم كثيرة كما يقولون. أخذت المخطوطة منهم ولا أدرى ماذا أفعل. فبالإضافة إلى الرقابة التي تستغرق أربعة أسابيع تلتهم الطباعة ثلاثة أسابيع أخرى. وستصدر في مايو، وهو موعد متأخر. بدأت على ضغوط ذات اليمين وذات الشمال لأسلم المخطوطة إلى «مذكرات الوطن». وتلك مسألة ميئوس منها. لن أكون مسؤولاً إذا سلمتها. فهم لن يقرأوها. هذا أولاً، وإذا قرأوها وبعد نصف عام. لديهم مخطوطات كثيرة حتى من دونها. ويطبعونها دون أن يدفعوا شيئاً. تلك أشبه بمؤسسة أوليغاركية. وما حاجتي إلى الشهرة إذا كنت أكتب من أجل القوت؟ ولذا قررت القيام بخطوة مستحبة هي أن أنتظر وأفترض من جديد، حتى الأول من سبتمبر عندما يتنتقل الجميع إلى بطرسبورغ ويبداون، ككلاب السباق، يتسمّون بمناخيرهم للعثور على شيء مستحدث ويدسّون روایتی على آخر الفنات التي يمكن أن لا تبلغها. دفع الكتاب إلى المجلة يعني الانحدار إلى الوهدة التي يتحكم فيها ليس الموظف الرئيسي فقط، بل وكذلك جميع المسؤولين الصغار ومساعديهم المعششين في أعشاش الثقافة والتنوير. المدراء لا أقل من عشرين، وليس مديرًا واحداً. أما إذا طبعنا الرواية بالاعتماد على أنفسنا فسننسق الطريق بصدورنا، وإذا كانت الرواية جيدة فلن تفشل، بل ستخلصني من ريبة الديون وتطعمني.

والآن أكتب عن الطعام. أنت تعرف، يا أخي، أن الجبل عندي متزوك على الغارب من هذه الناحية. ومهما يكن من أمر فقد أقسمت أن أصمد ولا أكتب حسب الطلب حتى لو مت جوعاً. فالطلب يقتل كل المبادرات. وأنا أريد لكل ما أكتبه أن يكون جيداً بلا جدال. انظر إلى بوشكين، وإلى غوغول، كتبما القليل لكن تمثاليين ينتظرانهما.

ويتقاضى غوغول الآن على الملزمة الواحدة 1000 روبل فضي. أما بوشكين، وأنت تعرف ذلك، فقد باع البيت الشعري الواحد بوزن الذهب (عشرة روبلات). إلا أنهما دفعا ثمن تلك الأمجاد، وخصوصاً غوغول، بسنوات من البؤس والجوع. المدارس القديمة تندثر. والمدارس الحديثة تتعرض ولا تكتب. كل المواهب تتفق على نطاق واحد واسع تلوح فيه أفكار رهيبة مبتورة وعضلات مفتولة لا جدوى منها، فالعمل الحقيقي نذر يسير. قال فيرانجيه عن الكتاب الفرنسيين الفكاهيين المعاصرين إنهم لا أكثر من قنية نبذ في دلو من الماء. وعندنا يقلدونهم أيضاً. رافائيل كان يرسم طوال سنوات يচقل ويشذب ويهذب خلالها فتخرج المعجزات من بين يديه. الآلهة خرجوا من بين يديه. فيما كان فيرنبيه يرسم لوحة في الشهر تعرض في قاعات خصوصية باللغة الاتساع وسط آفاق عريضة ولمسات فرشاة متباude، والتتيبة لا شيء. إنهم لا أكثر من رسامي ديكورات!

أقول بكل جد أنا راض عن روايتي. إنها ذات حبكة قوية ملتزمة. وهناك، على فكرة، نواقص فظيعة، والنشر سيكافئني. لكنني لا أزال خالي الوفاض. أفكر في كتابة شيء ما كبداية أو كوسيلة للكسب. إلا أنني لا أريد أن أكتب تفاهات، فيما يتطلب العمل الحقيقي وقتاً طويلاً.

يقترن الموعد الذي وعدت بزيارتكم فيه يا أصدقائي الأحبة. وطالما تعدم الوسيلة، أي النقود، فقد رأيت أن أبقى في الشقة القديمة. وقعت هنا على الأقل عقد إيجار لمدة ستة أشهر لن أفكر خلالها في هذا الموضوع. والقضية أنني أريد أن أسدّد الديون من خلال الرواية. وإذا فشلت لربما أتحرر.

أطمح إلى توفير 300 روبل على الأقل قبل أغسطس. فبهذا

المبلغ أيضاً يمكن طبع الكتاب. إلا أن النقود تزحف كسرطان البحر في جهات مختلفة. كانت ديوني قرابة 400 روبل فضي، مع المصروفات والبدلية. بمعنى أن لدى ما أرتديه مدة ستين على الأقل بهندام مقبول. عموماً سأتهليكم من كل بد. اكتب لي على جناح السرعة ما رأيك بخصوص شقتي. تلك خطوة حاسمة. فما العمل؟

كتبت لي تقول إنك خائف من مستقبل بلا نقود. إلا أن شيلر سيعوض عن كل النفقات، وإلى ذلك لا يعرف أحدكم سباع من نسخ روائيتي. وداعاً، أجبني بأسرع وقت. سأطلعك في البريد القادم على كل قراراتي.

أخوك دوستويفسكي

ملحوظة: قبل الأطفال وبلغ تحياتي إلى إميليا. إنني أفكر فيكم كثيراً. ولعلك تريد أن تعرف ماذا أعمل أنا عندما لا أكتب؟ أنا أقرأ. أقرأ بهم فظيع. القراءة تؤثر علىي بشكل غريب. أقرأ من جديد شيئاً مما كنت قد قرأته من زمان، فأنفعل لقوى وطاقات جديدة، وأتبحر في كل التفاصيل، وأفهمها بوضوح وأنزع منها القدرة على الكتابة.

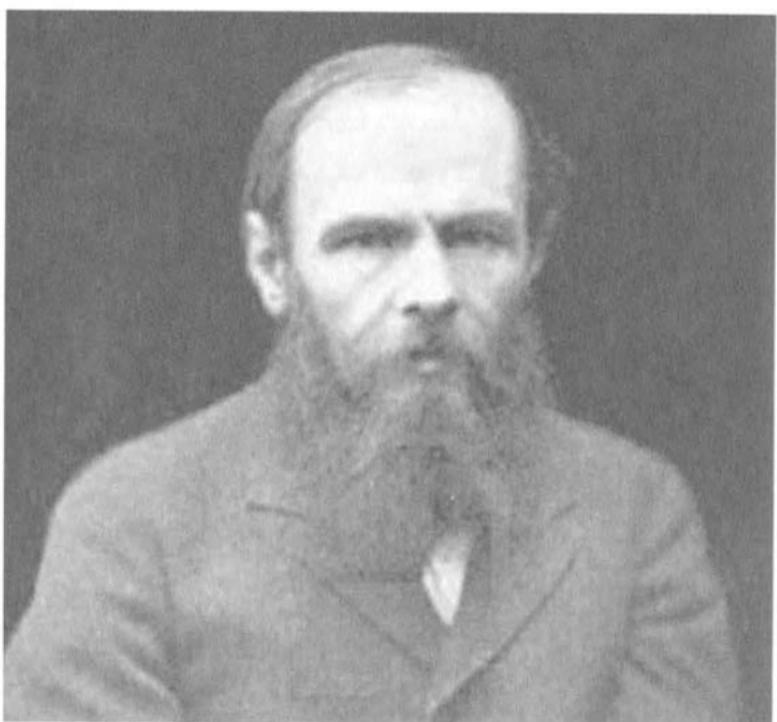
كيف تتحدث (بهذه البساطة) عن كتابة الدراما يا أخي. تلك مسألة تحتاج إلى سنوات من العمل والهدوء، بالنسبة لي على أية حال. الكتابة المسرحية الآن شيء جيد. الدراما انضوت تحت لواء الميلودrama. تألق شكسبير يختفي في الغسق ويلوح كالإله عبر غيش الكتاب المسرحيين العشوائين وكأنه الروح القدس يطل من فوق جبل بروكين هارتس. على فكرة، في الصيف ربما سأكتب (الدراما). عامين أو ثلاثة، وسراً. أما الآن فلستظرراً يا أخي، من ناحية الأدب أنا لم أعد ذاك الذي كان قبل عامين.

آنذاك كانت هناك صبيانية وهنر. عامان من الدراسة جاء بالكثير وأخذوا الكثير.

قرأت تواً في «الإنفليد» مقالة في الهجاء الاجتماعي عن الشعراء (والملحنين) الألمان الذين لقوا حتفهم بسبب المجموعة والبرد وفي دار المجانين. عددهم 20 تقريباً، وبينهم أسماء شهيرة.⁽¹⁾ لا أزال حتى الآن أشعر بالرعب. لا بد لجماعة «الإنفليد» أن يكونوا نصابين ليكتبوا عن أشياء كهذه.....

(1) منهم ، بحسب المجلة الروسية ، ليسنخ وشيلر وموزارت ويتھوفن .





ثانياً:

ما قبل «مذلون مهانون»

(1861)



21. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 3 سبتمبر 1845

صديقي الغالي!

أكتب إليك فور وصولي، كما اتفقنا. وأذكر لك يا صديقي الحبيب ما أكثر المنفصالات والضجر والأحزان والدنانير التي تحملتها في الطريق وفي اليوم الأول من مكوثي في بطرسبرغ. إنها أكثر مما تتحمل ريشتي كتابته. أولاً، عندما دعوك مع إميليا العزيزة ركبت الباخرة بمزاج معتكر للغاية. الزحام رهيب. وأحزاني لا تطاق. تحركنا في بداية الواحدة ظهراً. وكانت الباخرة تزحف ولا تسير. والرياح مؤذية والأمواج تصفع المتن كله، وانتابني برد شديد فامضيت الليل جالساً فاقد المشاعر تقريباً ومن دون قدرة على التفكير. وأنذّر الغثيان الفظيع الذي انتابني وجعلني أتقيأ ثلث مرات. في اليوم التالي وصلنا إلى كرونشتادت في الرابعة بعد الظهر، أي بعد 28 ساعة. انتظرنا حوالي ثلاثة ساعات ثم ركينا في الغسق باخرة صغيرة مزعجة أخرى اسمها «أولغا» سارت بنا قرابة ثلاثة ساعات ونصف في ظلام الليل والضباب. ما أشد حزني وأنا أدخل بطرسبرغ. كنت

أقلب مستقبلي بغموض ونحن في تلك الساعات الثلاث المميتة لوصولنا. خصوصاً بعد أن تعودت عليكم وتعايشت معكم وكأنني موجود في ريفيل من مئة عام. ويدت لي بطرسبورغ والحياة القادمة فيها فظيعة خالية لا تبعث على السرور.

إلا أن الضرورة قاسية، لدرجة أني قد أفضل إنهاء الحياة في هذه اللحظات وأقبل الموت بارتياح على ما أظن. أنا لا أبالغ. كل هذه التمثيلية لا تساوي شروى نقير. أنت، يا أخي، ترغب في المكوث في بطرسبورغ. فإذا جئت تعال بالطريق البري. إذ لا أفعع مندخولها، وخصوصاً في الليل، من جهة نيفا⁽¹⁾ هكذا خيل إليّ على الأقل. وأنت محق عندما لاحظت أن أفكاري لا تزال حتى الآن تتأرجح كاهتزازات الباحرة.

عندما وصلت إلى الشقة في الثانية عشرة ليلاً لم أجد صاحب البيت، كان يخدم مؤقتاً في مكان آخر. استقبلني الفراش فرحاً، ولا أدرى لماذا، وسلمني المفتاح اليتيم للشقة التي استأجرتها بـ 600 روبل والدفع بالأجل. ولم أستطع حتى أن أحتسي الشاي بالقدر الذي أريد، فأؤتيت إلى النوم في مزاج معتكر جداً. عندما استيقظت اليوم في الثامنة رأيت صاحب البيت واقفاً أمامي. أجب على تساؤلاتي مؤكداً أن كل شيء باق على حاله. في الشقة شيء من التصليح. غريغورييفيش ونكراسوف غير موجودين بعد في بطرسبورغ. ثمة إشاعة بأنهما سيأتيان على الأرجح في 15 سبتمبر. وحتى هذه الإشاعة مشكوك فيها. وبعد مقابلة قصيرة وحاسمة جداً مع بعض الدائنين مضيت لأعمالي دون أن أحرق شيئاً. تصفحت المجلات وتناولت طعاماً على عجل واستترت ورقاً وريش كتابة. هذا كل شيء. لم أذهب إلى بيلينسكي، غالباً أنوي الذهاب إليه. فاليوم مزاجي معتكر

إلى أبعد الحدود. في المساء جلست لأحر الرسالة، وأنا على وشك الانتهاء منها. فجاءت باهنة كثيبة تعكس حالي العصبية الراهنة. «دنيا الله مملة، يا سادة»⁽²⁾.

أكتب لك هذه الرسالة لأنني وعدتك بالكتابة سريعاً. هذا أولاً، وثانياً الكآبة نفسها دفعتني لكتابتها. ما أشد أحزان الوحدة يا أخي. وقد أخذت أحسدك أو أغبطك الآن. أنت سعيد يا أخي. حقاً، سعيد ولا تدرى بذلك. مع البريد القادم سأكتب لك أيضاً. يشغل بالي بعض الشيء أنني بلا نقود تقريباً حتى منتصف الشهر. انشغال البال بهذا الأمر ليس كبيراً، لأنني في الحال الحاضر لا أستطيع أن أفكر في شيء. عموماً، تلك سخافات. أنا مرهق جداً، وأريد أن أنام، لأن الليل قد حل. وسيقول المستقبل شيئاً. للأسف الشديد لا بد من العمل لنعيش. عملي لا يتحمل الإكراه.

لن تصدق، يا أخي، إذا قلت لك إنني أتوقع إلى العيش معكم ولو ساعتين آخرين. فهل ينطوي المستقبل على شيء، هل سيأتي بشيء؟ أنا الآن مثل غولياذكين⁽³⁾ الذي سأبدأ به، على فكرة، غداً. أما الآن فوداعاً. حتى البريد التالي. وداعاً يا صديقي الحبيب، تحياتي لإميليا وقبلاتي للصغيرين. لا يزال فيدور يتذكرني أم أنه يبدي لامبالاة؟ وداعاً يا أعز أعزائي، إلى اللقاء!

المخلص دوستويفسكي

غولياذكين انتفع من كتابتي. فولدت لدى فكريتان ووضع جديد. ولكن، وداعاً يا عزيزني. ماذا؟ هل سيحصل لنا شيء بعد عشرين عاماً؟ أنا لا أدرى ماذا سيحصل لي. الشيء الوحيد الذي أعرفه أنه أتعذب الآن كثيراً.

تحياتي واحتراماتي لعائلة ماريا وألكسندر بيرغمان . بطرسبورغ
لا تزال خالية. ذوى وذبل كل شيء فيها.

-
- (1) نهر يصب في بحر البلطيق
 - (2) تحويل لأخر عبارة في قصة غوغول «الشجار...»
 - (3) بطل رواية دوستويفسكي «الشيء» التي كان يعمل عليها آنذاك.



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

22. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبورغ، 8 أكتوبر 1845

أخي العبيب!

لم يكن لدى حتى الآن وقت ولا مزاج لأبلغك عن شؤوني. كل شيء كان مؤذياً مقيتاً لدرجة كنت أشعر فيها بالغثيان وأنا أنظر إلى دنيا الله. أولاً، كنت كل هذا الوقت، يا صديقي الوحيد العزيز، بلا نقود، أعيش على الاقتراض. وذلك أمر مرفوض للغاية. ثانياً، كان الحزن يتناولني عموماً حتى تتضاءل معنوياتي عفويًا ولا أعتني بنفسي بل أتحول إلى لأبالي لا عقل له، بل وإلىأسوء من ذلك، حيث أندفع متتجاوزاً الحدود وأغضب لأنفه الأسباب. في بداية هذا الشهر ظهر نكراسوف (في بطرسبورغ) وسدلي جزءاً من الدين، وسألتني الجزء المتبقى بعد أيام. ولعلك ألقى على بيلينسكي قبل أسبوعين موعظة مستفيضة عن كيفية التعايش في عالمنا الأدبي، وأبلغني في الختام بأنني يجب أن أطالب بما لا يقل عن 200 روبل ورقي للملزمة الواحدة، سعياً لإنقاذ نفسي. وبالتالي سيباع غولياتكين بـ 1500 روبل ورقي في أقل تقدير. وكان نكراسوف بداع من تأنيب

الضمير قد سارع ووعدني بمئة روبل فضي في منتصف ينابير مقابل رواية «القراء» التي اشتراها مني. ذلك لأنه أدرك بنفسه أن الـ 150 روبراً الفضية لا يجمعها بالتعاليم المسيحية جامع، ولذا قرر، على ما يبدو، أن يضيف لي مئة روبل دليلاً على التوبة. كل ذلك أمور جيدة حتى الآن. إلا أن المزعج فيها أنها لم نسمع شيئاً من الرقابة للأبالية بخصوص «القراء». إنهم يتکالبون على هذه الرواية البريئة ولا أدرى ما ستكون النتيجة. هل سيمنعونها، أم يختزلونها طولاً وعرضأ؟ تلك مصيبة، مصيبة بكل معنى الكلمة. فيما يلمح نكراسوف أن الوقت لم يعد يكفي لإصدار حوليتها⁽¹⁾ بعد أن أنفق عليها 4000 روبل ورقي.

يعقوب غوليادكين اسم على مسمى. سافل دنيء لا أحد يصل إلى مقامه، ولا يريد أن يمضي إلى الأمام مؤكداً أنه غير مستعد للتقدم بعد، وأنه لا يزال يدور في فلك ذاته، وأن وضعه هذا لا يشغل باله على الرغم من أنه قادر، هو أيضاً، على زحزحة الجبال إذا اقتضت الضرورة. نعم. لم لا؟ فهو لا يختلف عن الآخرين. لا بأس به، ولا يختلف عن أولئك الآخرين. ماذا يهمه؟ إنه سافل في أبعد حدود الخسفة والدناءة. لا يوافق على إنتهاء وظيفته قبل منتصف نوفمبر. لكنه أوضح لصاحب السعادة وأقنעה، ولم لا؟ بأنه مستعد لتقديم استقالته. هكذا فعل ووضعني، أنا المؤلف، في موقف حرج للغاية⁽²⁾.

أنا كثيراً ما أتردد على بيلينسكي. وهو يميل إلى تماماً ويرى جاداً أن لوجودي أمام الجمهور دلالة وأن آراءه بخصوصي مبررة. كما تعرفت قبل أيام على كرونبيرغ ، مترجم شكسبير، ابن البروفيسور العجوز كرونبيرغ من خاركيف. عموماً المستقبل المؤمل، وغير بعيد، يمكن أن يكون جيداً، ويمكن أن يكون رديناً لحد مرعب.

بيلينسكي يحثى على إنجاز صورة غولياذكين. وقد أذاع سره في العالم الأدبي كله وكاد يبيعه إلى كرايفسكي. أما «الفقراء» فنصف أهالي بطرسبورغ يتحدثون عنها. موقف غريغوريفيتش وحده يفوق التقدير. قال لي بنفسه: «أنا بوق للدعاية لك».

نكراسوف نصاب بالفطرة، وإنما استطاع أن يحافظ على وجوده. ولد على هذه الشاكلة، ولذا قدم في يوم وصوله، خلال المساء عندي، مشروع مطبوعة صغيرة عاجلة يعمل جميع الأدباء وبقدر المستطاع على إصدارها، بحيث أتولى أنا مهمة رئاسة التحرير وكذلك غريغوروفيتش ونكراسوف. فيما يتعهد الأخير بالنفقات على حسابه. المطبوعة ستتصدر في ملزمتين مرة كل أسبوعين، في 7 و 21 من كل شهر. عنوانها سيكون «الأنىاب المكشّرة» بهدف تشديد التهكم والسخرية من الجميع بلا استثناء والتشبّث بالكلمة والمجلات والمجتمع والأدب وأحداث الشارع والمعارض وأخبار الجرائد والأخبار الأجنبية، باختصار التشبّث بكل هذه الأمور على وتيرة واحدة وباتجاه واحد. البداية ستكون في 7 نوفمبر. وقد وضعنا لها توليفة رائعة. فهي ستكون مصورة، شعارها مقتبس من هجائية بولغارين المنشرة في «نحلة الشمال»: «نحن مستعدون للموت دفاعاً عن الحقيقة، فلا حياة لنا من دونها». وسيوقعها فادي بولغارين. وسنكتب الشيء ذاته في الإعلان الذي ستنشره في الأول من نوفمبر. مقالات العدد الأول ستكون لنكراسوف عن بعض الدناءات التي ستحصل طبعاً في بطرسبورغ خلال هذه الأيام. وثانياً الرواية المرتبة لأوجين سيو «الخطايا الفتاكه السبع» في ثلاثة صفحات⁽³⁾، وكذلك استعراض جميع المجالات. المحاضرة التي القاها شيفيريف بجامعة موسكو عن تناغم أشعار بوشكين قبل أن يرتقي المدرج الروماني ويتلّو

على سيدتين جاءتا معه إلى هناك أبياتاً جعلت الضفادع والعضايا تتحشد لتنصت إليه!!

ثم تفاصيل الجلسة الأخيرة لدعاة التزعة السلافية الذين أكدوا على رؤوس الأشهاد أن آدم كان صقليباً يعيش في روسيا، ولذا يتسم بأهمية بالغة ونفع كبير حل هذه المسألة الاجتماعية العظمى من أجل خير الأمة الروسية وازدهارها. ثم تكرس «الأنياب» قسم الفنون التشكيلية بالكامل لتبيان مصداقية «رسوم» كوكولنيك (...)، فيما يتولى غريغوريفتش كتابة «حصاد الأسبوع» وينشر بعض متابعيه الشخصية. وأنا سأكتب «مذكرات خادم عن سيده»⁽⁴⁾ وما إلى ذلك. وهكذا يمكنك أن تلاحظ أن المجلة ستكون مرحة جداً مثل «الغوبيس»⁽⁵⁾. وتلك مبادرة طيبة، لأنها يمكن أن توفر لي كسباً بـ 100-150 روبلًا في الشهر على أقل تقدير. وستحظى المجلة بالرواج. نكراسوف سينشر فيها أشعاراً أيضاً.

وداعاً، إذن. في المرة القادمة سأكتب لك أكثر. أما الآن فأنا مشغول جداً. ومع ذلك حررت لك كما ترى رسالة كاملة، وأنت لن تكتب لي نصف سطر من دون رسالتي، وتحسب الحساب للزيارات، كرسول أنت والله كرسول!⁽⁶⁾

اقرأ «تبفيرينو» لجورج صاند في عدد أكتوبر من «مذكرات الوطن». إنها ظاهرة غير مسبوقة في القرن الحالي. هذه هي النماذج البشرية المثلثي.

وداعاً يا صديقي. تحياتي إلى إميليا. أقبل يديها. كيف صحة الصغيرين؟ اكتب لي تفصيلاً.

ترجم شيلر خلسة، مع أننا لا ندري إطلاقاً متى سيصدر. أنا الآن أتشمم عملاً لك كي تترجمه. لكن الطامة الكبرى هي وجود ثلاثة

مترجمين رسميين في «مذكرات الوطن». عسى أن نفلح في إصدار شيء ما أنا وأنت معاً. المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات. والشيء الأكيد الذي أعرفه أن مسرح شيلر سينجح إذا مضيت أنا فيه. ⁽⁷⁾

المخلص ف. دوستويفسكي

-
- (1) نشرت «القراء» لأول مرة في حولية نكراسوف «مجموعة بطرسبورغ» في 15 يناير 1846.
 - (2) هذه إشارة إلى مشهد في الفصل ما قبل الأخير من «الشبيه»، وكان دوستويفسكي على وشك إنتهائها في أكتوبر 1845.
 - (3) المقصود مقالة نقدية لاذعة لروايات سيبو.
 - (4) عدل دوستويفسكي عن «مذكرات خادم» وكتب بدلاً منها «رواية في تسع رسائل».
 - (5) جريدة الكاتب الفرنسي ألفونس كار الهزلية 1839.
 - (6) في إشارة إلى نوزدروف بطل رواية غوغول «النفوس الميتة».
 - (7) في البداية كان إصدار تراجم دوستويفسكي لمسرحيات شيلر متثراً.

23. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 16 نوفمبر 1845

أخي الكريم!

أكتب إليك هذه المرة باستعجال، فليس لدى كثير من الوقت. لم أكمل غولياذكين حتى الآن. ولا بد لي أن أفرغ منه في 25 من هذا الشهر. لم تردد على رسائل طويلة، فانتابني قلق شديد عليك. اكتب أكثر. لماذا تتحجج بغياب الوقت وهذه حجة سخيفة، لأن الرسالة تحتاج إلى قليل من الوقت. كسل المدن الها姆شية يقتلك في عز الشباب يا عزيزي، الكسل وليس غيره.

ولكن، يا أخي، لا أعتقد أن شهرتي ستبلغ في أي زمن مثل ما هي عليه الآن. احترام بالغ في كل مكان، وفضول شديد بخصوصي. تعرفت على عدد كبير من أحسن الناس خلقاً. الأمير أو دويفسكي يرجونني أن أسعده بزيارة، والكونت سولوغوب ينشب أظفاره في شعره من اليأس والقنوط. فقد أبلغه باناييف بوجود كاتب موهوب سيفوهم جميماً. عرج سولوغوب على الجميع وurge على كرايفسكي وسأله بصورة مباغته: «من هو دوستويفسكي هذا؟ أين أجد

دوستويفسكي؟». فأجابه كرايفسكي بحذته المعروفة وصراحته المعهودة: «دوستويفسكي لن يرغب في إسعادكم بزيارتة». بالفعل تحول الأمر وكأنهم تلك الأرستقراطية المتعالية على عكاز وتفكير في تدميري بملاظفاتها المموجة. الجميع يستقبلونني وكأني أعجبوبة. لا أتفوه بكلمة إلا وأجد أصداءها في الأنباء: قال دوستويفسكي كذا ويريد أن يفعل كذا. بيلينسكي يحبني إلى أبعد الحدود. قبل أيام عاد من باريس الشاعر تورغينيف، لا بد أنك سمعت الخبر، وارتبط بي منذ الوهلة الأولى بصداقه يعزوها بيلينسكي إلى أن تورغينيف أحبني. ولكن أي إنسان هو يا أخي؟ ما أروعه! أنا أيضاً كنت أقع في حبه. شاعر موهوب أرستقراطي وسيم ثري وذكي، ومثقف في الخامسة والعشرين من العمر. لا أعرف أي صفة حميدة حجبتها الطبيعة عنه. ثم إن طباعه مفتوحة بمنتهى الصراحة والروعة، متمرة في مدرسة الطيبة والبشاشة. اقرأ قصته «أندريه كولوسوف» في «مذكرات الوطن». إنها صورة شخصية مع أنه ما كان يريد الكتابة عن نفسه.

لا أزال حتى الآن قليل النقود، لكنني لست في عوز. قبل أيام كنت في عوز شديد. نكراسوف بادر إلى إصدار مجلة «الأنىاب» الهزلية الرائعة التي كتبت أنا إعلاناً عنها أثار ضجة لأنها أول ظاهرة خفيفة وفكاهية في مثل هذه الأشياء. وذكرني ذلك بالمقالة الهجائية الأولى للوسين دي رويمريه (بطل روايات بلزاك). إعلاني نشر في «مذكرات الوطن» في ركن «أخبار متفرقة». وقد تلقيت 20 روبلأً فضيًّا بالمقابل. أكمل الحديث: قبل أيام، وكنت بلا نقود، عرجت على نكراسوف. وأنا جالسن عنده وردت على بالي فكرة كتابة رواية في 9 رسائل. عدت إلى البيت وكتبتها في ليلة واحدة بنصف ملزمة. وفي الصباح حملتها إلى نكراسوف واستلمت لقاءها 125 روبلأً ورقياً.

بمعنى أن سعر ملزمني في «الأنىاب» 250 روبلأً ورقياً. وفي المساء، عند تورغينيف، تمت تلاوة قصتي بحضور كل أفراد حلقتنا، أي 20 شخصاً في أقل تقدير. وأثارت دهشة الجميع. وستنشر في العدد الأول من «الأنىاب». سأبعث إليك الكتاب في 1 ديسمبر، وسترى بنفسك هل هو أسوأ من «الدعوى» لغوغل على سبيل المثال؟ بيلينسكي قال إنه بات واثقاً مني كلياً، لأنني أستطيع أن أتناول عناصر متنوعة للغاية. وقبل أيام عندما سمع كرايفسكي أنني خالي الوفاض ترجاني أن أقبل منه فرضاً بـ 500 روبل. وأعتقد أنني سأبيعه الملزمة بسعر 200 روبل ورقي.

لدي أفكار لا نهاية لها. ولا يجوز أن أتحدث عنها، حتى لتورغينيف، مثلاً. لأن الجميع في كل أرجاء بطرسبورغ تقريباً سيعرفون غداً، والحال هذه، بأن دوستويفسكي يكتب كذا وكذا. ولكن، يا أخي، لو عدلت لك كل نجاحاتي لما وجدت الورق الكافي للكتابة. وأعتقد أنني سأكسب نقوداً. غولياتكين يصدر بشكل رائع. (...). أمس زرت بانايف لأول مرة، ويخيل إليَّ أنني وقعت في غرام زوجته^(١). فهي ذكية مليحة، إضافة إلى كونها مؤدية وصرحية للغاية. أقضى الوقت بسرور. حلقتنا كبيرة جداً. أنا أكتب لك طول الوقت عن نفسي. لا مؤاخذة. يا عزيزي، أقول لك صراحة بأنني الآن مغمور بالأمجاد. أمجادي الشخصية. سأبعث لك مع الرسالة المقبلة مجلة «الأنىاب». يقول بيلينسكي إنني أستخف بسمعي عندما أنشر مقالاتي في «الأنىاب».

وداعاً يا عزيزي، أتمنى لك موفور السعادة. وأهنتك بالمنصب. أقبل يدي إميليا وأقبل طفليك. كيف حالهما؟

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: بيلينسكي يحمي من ملاحقة متعهدي الحفلات المسرحية. أعدت قراءة رسالتني واكتشفت أنني، أولاً، أمي، وثانياً معتقد بنفسي.

وداعاً، اكتب لي بالله عليك!

ستتحسن أمور ترجماتنا لشيلر من كل بد. بيلينسكي يمتدح موضوع المؤلفات الكاملة. أظن أن بالإمكان بيعه بنفع كبير بمرور الزمن على نكراسوف مثلاً. إلى اللقاء.

العرائس والخطيبات وغيرهن صرن أكثر جمالاً، لكن الكلفة تفوق التصور. قبل أيام انهال عليّ تورغينيف وبيلينسكي باللوم بسبب حياة العزوبية المرتبكة. هذان السيدان لا يريدان أن يعترفا بأنهما يحبانني كلاهما. ديوني لا تزال على المستوى نفسه.

(1) لم يدم غرام دوستويفسكي طويلاً. وكانت تلك هي الحالة الوحيدة التي صادفها في شبابه ولم تتكرر.

24. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 1 فبراير 1846

أخي الكريم!

أولاً، لا ترعل لأنني لم أكتب طويلاً. والله لم يكن لدي وقت، وسألت لك الآن. أهم ما أخترني هو أنني كنت، حتى الآونة الأخيرة، أي حتى 28 من الشهر، أواصل العمل لإنهاء غولياذكين، صاحبنا السافل. شيء فظيع. تلك هي الحسابات البشرية: أردت أن أنجز الرواية قبل أغسطس واستطال الأمر حتى فبراير. والآن أبعث إليك المجلة. «الفقراء» صدرت في 15 منه، ولكن، يا أخي، ما أشد حملة التهجم التي واجهتها في كل مكان. في «المصور» قرأت قدفاً وشائئم بدلاً من الانتقاد. وما جاء في «نحلة الشمال» أسوأ. لكنني أتذكر كيف استقبل أولئك الأشخاص أنفسهم غوغول، ونحن نعرف كيف استقبلوا بوشكين. حتى الجمهور في هياج: ثلاثة أرباع القراء يتهمون، وربع، وربما أقل من الربع، يفرطون في المديح. واحتدت المجادلات إلى أقصى درجة. يتهمون وبطيلون التهجم، لكنهم يقرأون على أية حال. المجلة لقيت رواجاً غير مسبوق، ولن

يبقى منها ر بما ولا عدد واحد بعد أسبوعين. مثل هذا حصل لغوغول. هاجموه بكل شدة، لكنهم قرأوه على أية حال وانقادوا له وراحوا يمتدحونه الآن. قدمت لهم عظمة كلب فليتمصمصوا. والشهرة لي، فيما يتصرفون كالحمقى. وقد بلغت بهم قلة الحياة حداً جعل انتقاد «نحلة الشمال» عديم الحياة بالمطلق. ما أسف هذه الحماقات. ولكن من ناحية أخرى، يا أخي، ما أجمل الثناء الذي أتلقاءه. تصور أن أفراد حلقتنا، وحتى بيلينسكي، يعتقدون بأنني سبقت غوغول أشواطاً. «مكتبة المطالعة» التي يكتب قسم النقد فيها نيكيتينكو ستنشر تحليلاً مستفيضاً «للفقراء» في صالحني. وسيدق بيلينسكي الأجراس في شهر مارس⁽¹⁾. فيما كتب أوديفيسكي مقالة منفصلة عن «الفقراء»، كما كتب زميلي سولوغوب عنها أيضاً.⁽²⁾ أنا، يا أخي، ولجه المجتمع الراقي وأحدثك شخصياً عن جميع مغامراتي بعد شهر.⁽³⁾

يمتلك جمهورنا غريزة فطرية كما في أي جمع من الجموع لكنه يفتقر إلى الثقافة. ولا يفهم كيف يمكن الكتابة بمثل هذه المفردات. لقد اعتادوا أن يروا في كل شيء بوز المؤلف، بينما أنا لا أعرض بوزي (في ما أكتب). ولا يتذمرون أن المتكلم هو ديدوشكين ولست أنا، وأن ديدوشكين هذا لا يستطيع أن يتكلم على نحو آخر. يجدون في الرواية إسهاباً وتمطيطاً. وليس فيها كلمة واحدة نافلة. بيلينسكي وأخرون يجدون في كتاباتي نفحة أصيلة جديدة تقوم على التحليل وليس التركيب، أي أنني أتعمق بحثاً عن الكل من خلال تفكيك ذراته وجزيئاته. أما غوغول فهو يتناول الكل رأساً، ولذا لا يتعمق كما أتعمق. ستري ذلك بنفسك عندما تقرأ الرواية. أما معي، يا أخي، مستقبل باهر!

اليوم يصدر غولياذكين («الشبيه»). قبل أربعة أيام كنت لا أزال أضع اللمسات الأخيرة عليه. وستشغل الرواية في «مذكرات الوطن» 11 ملزمة. غولياذكين أرقى من «الفقراء» بعشر مرات. يقول البعض في حلقتنا إن روسيا لم تشهد، بعد «النفوس الميتة»، رواية كهذه. يقولون إن الكتاب عبقرى وأكثر. ويتطلغون إلى بآمال عريضة. بالفعل جاء غولياذكين موفقاً إلى أبعد الحدود. وسيعجبك كل الإعجاب، بل سيعجبك أكثر من «النفوس الميتة». أنا على يقين من ذلك. هل توزع «مذكرات الوطن» عندكم؟ ولا أدرى هل سيعطيني كرايفسكي نسخة.

اعذرني، يا أخي، لم أكتب لك من زمان، حتى أني لا أتذكر أين توقفت آنذاك. وقت طويل مضى، وأحداث جرت. سنتقي قريباً. في الصيف سأتي إليكم حتماً يا أصدقائي وأمضي الصيف كله في الكتابة. الأفكار جاهزة. وأنا أكتب الآن أيضاً. استلمت 600 روبل فضي بالتمام والكمال مقابل غولياذكين وإلى ذلك استلمت نقوداً كثيرة حتى أني أنفقت 3 آلاف بعد مفارقتك. معيشتي غير منتظمة. تلك هي المشكلة. انتقلت من الشقة وأستأجرت غرفتين مؤثثتين بامتياز. حياتي جيدة جداً.

عناني: مقابل كنيسة فلاديمير، في الركن بين شارع غريبتسكايا ورقة كوزنيتشنى. دار التاجر كوتشنين رقم 9. اكتب لي رجاءً، بالله عليك. اكتب لي هل أعجبتك «الفقراء». تحياتي إلى إيمilia وقبلاتي للصغارين. كنت واقعاً في غرام بانياها بكل جد. حالياً هان الأمر. ولا أدرى ماذا بعد. صحتي متوعكة جداً. أعصابي مريضة. وأخشى السخونة والحمى العصبية. لا أستطيع أن أعيش بانتظام. أنا متهدور ضال. والطامة الكبرى ستأتي إذا لم أوفق في الاستجمام على البحر

صيفاً. وداعاً، اكتب لي بالله عليك. لا مؤاخذة على لهجة الرسالة.
فأنا مستعجل. أعانك. وداعاً.

المخلص دوستويفסקי

ملحوظة: اعذرني، يا أخي، بالله عليك، لأنني لم أبعث لك شيئاً حتى الآن. في الصيف سأجلب كل ما يلزم. وداعاً، الساعة تقترب من الثالثة ليلاً.

سأجلب هدايا للجميع.

سنقضي الصيف معك، يا صديقي الكبير، بسرور أكثر. لن يكون مالي وفيراً، لكنني آمل في 800 أو 1000 روبل. وهذا مبلغ كاف للصيف.

فيرا مخطوبة وستتزوج. ⁽⁴⁾ هل تعرف ذلك؟

-
- (1) أشار بيلينسكي إلى اعتماد دوستويف斯基 في «القراء» و«الشبيه» على غوغول، لكنه شدد على أصلية موهبته.
 - (2) المقالتان لم تريا النور.
 - (3) لا أحد يعرف عن «مغامرات» لدوستويف斯基 في المجتمع الراقي. المعروف أنه كان متربداً في التواصل معه.
 - (4) أخت دوستويفסקי الوسطى.

25. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 1 أبريل 1846

أخي العزيز

أرسل إليك خوذة ومستلزماتها وزوجاً من الكتافيات. الخوذة غير ملبسة لأن العارفين يقولون إن ريشتها العالية يمكن أن تتلف في الطريق. ولا أدرى هل قدمت لك خدمة جيدة أم لا. إذا كان العكس فلست أنا المذنب، لأنني لا أفقه شيئاً بالمطلق في هذه الأمور. أنا تخلفت عن الزمن يا صديقي.

والآن المسألة الثانية. يمكنك أن تسأل لماذا كل هذا التأخير؟ إبني، يا حبيبي، في أشغال شاغلة قد يبدو غريباً معها، في رأيك، أنني لم أجد الوقت اللازم للجنتك. صحيح أنني أضعت فرصتين للبريد بسبب أخطائي. أعتذر، لا تزعلي.

ثم إنك، يا صديقي المخلص، على حق عندما تلومني على تأخري في الكتابة إليك. لكنني موافق بالكامل على رأي بوبريشين، بطل غوغول، الذي قال: «الرسالة سخافة. ولا يكتب الرسائل إلا الصيادلة»⁽¹⁾. فماذا عساي أن أكتب لك؟ كان علىي أن أحبر مجلدات

لو بدأت بالكتابه كما أريد. ففي حياتي يومياً كثير من المستجدات والتبدلات والانطباعات وكثير من الأمور الطيبة والنافعة بالنسبة لي بقدر ما هي مؤذية وغير نافعة لدرجة لا ترك لي وقتاً للتأمل والتفكير. فأنا مشغول بالكامل. هذا أولاً. الأفكار تتواتر وأنا أكتب بلا انقطاع. فلا تظن أنتي كنت في جنينة من الورود. كلا. وثانياً، أنفقت نقوداً كثيرة، وتحديداً 4500 روبل منذ أن افترقنا، وبيعت بضاعتي سلفاً بـ 1000 روبل ورقي، وبالتالي، ونتيجة لما تعرفه عنى من سوء التدبير سرت نفسي بنفسي وعدت كالسابق إلى الجيوب الخالية.

ولكن، لا بأس، لا ضير في ذلك. شهرتي بلغت الذروة. وفقاً لحساباتي تحديداً مختلف المطبوعات عنى 35 مرة تقريباً. بعضها رفعته بمديحها إلى عنان السماء وببعضها باعتدال، والبعض الثالث جللتني بالعار والشمار. فما الأفضل والأعلى؟ إلا أن المؤذي والمؤسف أن رفاقنا، بيلينسكي والآخرين، غير راضين عنى بسبب غوليادكين. الانطباع الأول ملؤه الإعجاب بلا حساب، والمديح والصخب والضجيج. والانطباع الثاني هو الانتقاد. فالجميع، رفاقنا والجمهور، وكأنهم تواطأوا على قاسم مشترك، يرون أن غوليادكين شخصية مملة وباهتة ومهللة لدرجة لا ترك رغبة في مواصلة القراءة. والمهزلة الأكثر أنهم جميعاً غاضبون عليّ بسبب الإطالة والإطباب، لكنهم في الوقت ذاته يقرأون ويطلبون القراءة ويعيدونها. حتى أن أحد رفاقنا يعكف على قراءة فصل كل يوم كي لا يجهد نفسه، بل يتلمظ من الارتياح. والبعض الآخر من الجمهور يصرخ ويجرأ أن من العباء نشر مثل هذه الأشياء، فيما يصبح آخرون أن الرواية تصورهم وتححدث عنهم، بل إنني سمعت من البعض مدائح مطولة من المخجل استعراضها.

أما بخصوصي أنا فقد انتابني الاكتئاب بعض الوقت. أنا أعاني من عيب فظيع هو حب الذات والmbاهة. وقد ألمتني، بل قلتني، فكرة أنني خبيت الآمال وأتلفت نتاجاً كان يمكن أن يكون عظيماً. لقد كرهت غولياذكين. الكثير فيه مكتوب على عجل وفي تعب وضنى. النصف الأول من الرواية أفضل من نصفها الأخير. وإلى جانب الصفحات المتألقة هناك غث وقدى يدفعان إلى الغشيان ويُشطبان الرغبة في القراءة. هذا ما جعل حياتي جحيناً لبعض الوقت وأحزنني لحد المرض. سأبعث لك، يا أخي، غولياذكين بعد أسبوعين. وستقرأه، فاكتُب لي عن رأيك كاملاً فيه.

أترك حياتي وتدريباتنا جانباً وأحدثك عن بعض أخبارنا. الخبر الأول والأكبر أن بيلينسكي يترك «مذكرات الوطن». تدهورت صحته وينوي الذهاب إلى المياه (المعدنية) وربما إلى الخارج. ولن يكتب نقداً قرابة عامين. إلا أنه سيصدر حولية ضخمة (60 ملزمة) لدعم أحواله المالية. أنا أكتب له قصتين غير طويلتين: 1. «حليق الفودين»، و2. «قصة المكاتب المدمرة»، وكلتاهما بمضمون مأساوي مثير ومكثف للغاية. الجمهور يتظرني بفارغ الصبر. وإلى ذلك أكتب شيئاً ما لكريافسكي ورواية لنكراسوف. كل ذلك سيشغلني عاماً. أنا الآن على وشك الانتهاء من «حليق الفودين». ⁽²⁾

الخبر الثاني: ظهر لفيف كبير من الكتاب الجدد. منافسون لي من نوع آخر. ومن أبرزهم اسكندر هيرتسين وغونتشاروف. الأول نشر، والثاني بدأ في نشره بعد شيئاً. يحظيان بنجاح كبير. قصب السبق لا يزال في يدي، وأأمل أن يبقى في يدي إلى الأبد. عموماً لم يكن الأدب يغلي في فترة ما كما يغلي الآن. وهذا من بشائر الخير. ثالثاً، سأتي إليكم إما في وقت مبكر جداً أو في وقت متاخر

جداً، أو لا آتي عموماً. أنا مدين، ولن تكون لدى نقود، من دون نقود لن آتي إليكم مطلقاً، ثم إنني غارق في العمل. القول الفصل للمستقبل.

رابعاً. شيدلوفسكي استجاب. أخوه زارني. وقد بدأت المكاتبات معه.

خامساً. إذا أردت يا صديقي الحبيب أن تكسب شيئاً في مضمار الأدب فثمة فرصة للظهور والتأثير من خلال ترجمة «رينيكه فوكس» لغنته. طلب مني أن أكلفك بالترجمة لأنها ضرورية لحولية نكراسوف. ترجمتها إذا أردت. ولا تستعجل. وحتى لو لم أصلكم في 15 مايو أو 1 يونيو يمكنك أن ترسل الترجمة إذا كانت جاهزة. الجميع يتفرقون للاصطيف. وإذا توفرت الفرصة يمكن أن أنشرها في الربيع، وأجلب لك النقود. وإذا لم أوفق في الربيع ففي الخريف حتماً. وستتوفر النقود حتماً أيضاً. نكراسوف ناشر يشتري، وبيلينسكي يشتري، وبيوتر راتكوف يشتري كذلك، أما كرايفسكي فهو تحت تصرفني. والقضية مربحة. دار بينما حديث عن هذه الترجمة. ولذا ابدأ إذا أردت، وأنا أتعهد بالنجاح الباهر. إذا ترجمت ثلاثة فصول أرسلها لي، لأعرضها على السادة ، ولعلهم يدفعون الأجر سلفاً.

لم يحصل حتى الآن أن كنت مشغولاً بالنشاطات لهذا الحد. كل شيء يجري، كل شيء يغلي... ولكن هل سيحصل المنشود؟ وداعاً يا حبيبي!

إلى اللقاء يا عزيزي. أقبلكم جميعاً وأتمنى لكم كل خير. وأقبل كلتا يدي إميليا. والطفلين أيضاً. وأنت، كيف حالك؟ اكتب لي عن

صحتك. ما أشد رغبتي في رؤيتك يا صديقي. ولكن ما العمل؟

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: فيرا تزوجت منذ ثلاثة أشهر. ويقال إنها سعيدة. الحال (كومانين) أعطاها بقدر ما أعطى باريارة. اكتب له. تزوجت من إيفانوف، صاحب السعادة، وهو في الثلاثين من العمر. بروفيسور في الكيمياء. فيرا كتبت لي، وتقول إنها كتبت لك أيضاً.

- (1) من «مذكرات مجنون» لغوغل.
- (2) لم يكمل دوستويفסקי هاتين القصتين. وفيما بعد انعكست جوانب منها في مؤلفات أخرى.



26. إلى ميخائيل م. دوستوفيفسكي

بطرسبورغ، 26 أبريل 1846

أخي الكريم!

لم أكتب لك لأنني لم أتمكن حتى اليوم أن ألتقط الريشة، فقد كنت مريضاً، على شفا الموت بكل معنى الكلمة. كنت مريضاً بأشد درجة من حساسية النظام العصبي كله، فيما اتجه المرض صوب القلب وأحدث فيضاً في الدم والتهاباً في القلب أمكن وقفه بشق الأنفس بواسطة ديدان العلق والفصد مرتين. وإلى ذلك أنفقت كل ما لدى على مختلف النقوع والقطرات والمستحضرات والمخلوط وما يماثلها من الأشياء المقيمة. حالياً لا خطر علي. ولكن المرض بقي معني، لأن الطبيب يقول إن ممهادات المرض موجودة من قبل ثلاث أو أربع سنين، ولذا فإن الشفاء منه يتطلب وقتاً. والعلاج يجب أن يكون بدنياً ومعنوياً.

- 1) حمية وحرمان بدني متواصل كما وصف الطبيب.
- 2) استبدال الأمكنة، وتحاشي كل الانطباعات والهزات المؤثرة وتأمين حياة متوازنة هادئة وأخيراً التقييد بالنظام في كل شيء. هذه المرة الرحلة إلى ريفيل، ليس للاستحمام، فهو يعتبر مضراً بالنسبة

لي، بل لتغيير المكان ونمط المعيشة، إنما ستغدو وسيلة علاجية ناجعة. ولما كنت خالي الوفاض، وهذه الرحلة تحتاج إلى مبلغ كبير جداً، ليس من أجل ريفيل، بل على الأكثر للنفقات وتسديد الديون في بطرسبورغ، ولذا، على ما يبدو، تتوقف حياتي كلها تقريباً وكذلك صحتي على كرايفسكي. فإذا أعطاني النقود سلفاً سأجيء إليكم، وإن لم يعطني لن أجيء. ولذا لن أكتب بعد هذه الرسالة ثلاثة أسابيع تقريباً أكون بعدها عنكم بشخصي الكريم أو لا أراكم طول الصيف.

أكتب إليك باستعجال وبهدف معين. لدى رجاء إليك أن تنظر منك أن تلبيه وتحاول بكل الجهود. ألا وهو: بيلينسكي مسافر إلى موسكو لقضاء الصيف. توجه اليوم. ثم يقوم مع صديقه الممثل شيبكين وأخرين بجولة في جنوب روسيا، وفي روسيا الصغرى (أوكرانيا) وأوديسا والقرم. وسيعود في سبتمبر وبهتم بمجلته الدورية. فيما تتجه زوجته مع اختها ورضيعتها البالغ عمرها عاماً واحداً إلى هابسال⁽¹⁾. ربما سأتي معهما، أو لا آتي. الباخرة تتوقف عندكم في ريفيل بعض ساعات. والمشكلة أنه لم يعد هناك من يسافر معهما إلى جهة غريبة وإن كان لفترة الصيف فقط. ولذا بقىتا من دون حاضنة. ولا يمكن تكليف حاضنة من هنا، لأنها عاجزة عن تسديد المبلغ الكبير عند الحدود. ولذا طلبتا مني أن أكتب إليك عن رجائهما التالي: اعتباراً من تاريخ استلام رسالتى هذه أن تحاول جهداً ، وأن أنا أرجوك أيضاً، للبحث عن حاضنة في ريفيل ألمانية حتماً وليس إستونية، في سن متقدمة إن أمكن، توافق على السفر معهما إلى هابسال حتى سبتمبر. الراتب المقترح 15 روبلأً ورقياً في الشهر، وإذا وافقت على الذهاب معهما فيما بعد إلى بطرسبورغ يكون الراتب 25

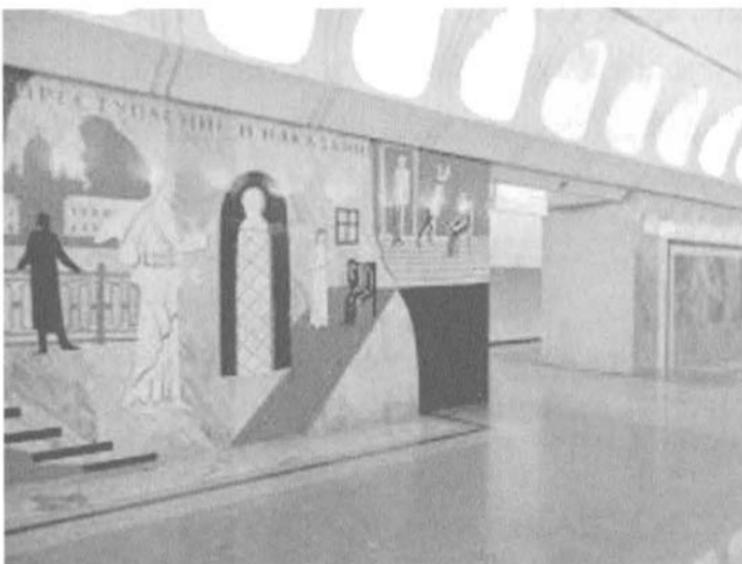
رويلاً، فليس بوسعهم الدفع أكثر. ومفهوم أن المطلوب هو البحث عن امرأة ذات سمعة طيبة، باختصار حاضنة معتبرة. وبالعثور عليها ينبغي تهيئتها للرحيل في أية لحظة اعتباراً من 5 مايو، ذلك لأن الباخرة تتوقف في ريفيل 4 ساعات وخلالها تأتيك السيدة بيلينسكايا وتبعث أنت في طلب الحاضنة فيتم ترتيب الأمر. هذا ما يقتروننه. والمشكلة هل ستتوافق أنت، بينما أبتهل أنا إليك ساجداً من أجل ذلك. أرجوك وأستعطفك من أجلي شخصياً. فأنا أحب هؤلاء الناس وأحترمهم. أرجوك كل الرجاء. أرجوك مع إميليا، فحاولا. السيدة بيلينسكايا ضعيفة جداً ومتقدمة في السن ومريرة مضطربة للسفر وحدها مع طفلتها. ولا أفضل من الخدمة عندها. خاصة وأنهم أناس طيبون ومكتفون وحسنو العشر. والحاضنة عندهم حاضنة فقط، لا تؤدي أي أعمال أخرى. حاول، يا أخي، بالله عليك. وإلى ذلك أجبني بأسرع ما يمكن. عائلة بيلينسكي يمكن أن تصلك إلى ريفيل في العاشر من الشهر. اكتب لي بسرعة وأوضح ما إذا كانوا يقبلون ركاباً على الباخرة المتوجهة من بطرسبورغ إلى هابسال عبر ريفيل؟ وإنما ينقلوا الحاضنة بالباخرة.⁽²⁾

عليّ أن أنهي إحدى القصص غير الطويلة قبل السفر، مقابل المبلغ الذي أخذته من كرايفسكي، ثم أستطيع أن أستدين. الحياة في أدبنا تغلي على قدم وساق. الجديد لا يحيطه الوصف. والأمال عريضة. سأحدثك عندما نلتقي. والآن وداعاً.

المخلص ف. دوستويفسكي

ملحوظة: أنتظر رسالتك بفارغ الصبر. كل الحب والاحترام إلى إميليا، وإلى (الصغيرين) فيودور وماريا.

-
- (1) مدينة في إستونيا على بحر البلطيق.
 - (2) رسالة ميخائيل دوستويفسكي الجواية مفقودة.



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

27. إلى ميخائيل م. دوستوفسكي

بطرسبورغ، 5 سبتمبر 1846

ها أنا، يا أخي الحبيب، أخبرك بأنني وصلت على أية حال إلى بطرسبورغ ونزلت، كما أردت، عند تروتونفسكي. لم أشعر بغثيان البحر، لكنني تبللت حتى العظام في الطريق وهنا في بطرسبورغ وأصابني الاستبراد، مع السعال والرُّشح. كل ذلك في أشد درجاته. في البداية شعرت بضجر لا يطاق. مضيت لاستأجر شقة واستأجرت من الأهالي غرفتين صغيرتين مؤثثتين مع خادمة بـ 14 روبيلاً فضياً. لكنني لم انتقل بعد. العنوان: مقابل كاتدرائية قازان في دار كوخيندورف رقم 25. اكتب لي سريعاً على هذا العنوان، لأنني أتشوق إلى رسالة منك. فأنا في حزن شديد.

عائلة بيلينسكي⁽¹⁾ وصلت (معي) بسلام، ولم أرهم منذ (توديعهم في) المرفأ. خلال اليوم التالي عرجت على نكراسوف. وهو يعيش في شقة واحدة مع بانائف، ولذا التقيت الجميع. الحولية في طريقها إلى الصدور، ولا بد من الإستعجال. ولم أرغب في السؤال عن الكشك ولا أدرى، ربما أمره تسير أيضاً. وإليك هذا الخبر الجديد:

لكي أعرف عنوان نكراسوف ذهبت إلى بروكوبوفيتش، فأوضح لي سبب رحيل الرجل إلى ريفيل. وكان يحفظ بهذا السبب بين الأسرار، لمختلف المبررات السياسية، ولم يخبر حتى بروكوبوفيتش الذي حضر بالأمر بناء على معطيات متنوعة. جاء ليلتقي مع ماسالسكي كي يشتري منه «ابن الوطن». ويبدو أن الأمر يسير كما ينبغي، وقد تظهر عندنا مجلة جديدة مع حلول العام الجديد.

لم أحذثك بشيء عن غوغول. فلليك هذه المعلومة. في الشهر القادم ستنشر «المعاصر» مقالة لغوغول هي وصيته الروحية التي يتبرأ فيها من جميع مؤلفاته ويعتبرها بلافائدة، بل وأدهى من ذلك. ويقول إنه لن يلتقط الريشة مدى العمر، لأن مهمته هي الصلاة والابتهاج. ويوافق على جميع انتقادات خصمه. ويأمر بنشر صورته بأكبر قدر من النسخ وتخصيص عائداتها لمساعدة الحجاج المتوجهين إلى القدس وغيرها. تلك هي المسألة. فتأمل!

زرت أيضاً كرايفسكي. بدأ بتنضيد «بروخارتشين» وستتصدر في أكتوبر. ولم أنطرق بعد إلى النقود. يازيكوف افتح مكتباً وعلق رقمة. في الشارع مطر مدار، والخروج صعب. لا أزال أقيم عند تروتونفسكي، وغداً سأنتقل إلى الشقة الأخرى. بخصوص المعطف لم أفعل شيئاً بسبب الأشغال والأمطار. أريد أن أعيش بمتنه التواضع. وأتمنى لك الشيء ذاته. ينبغي المضي في العمل رويداً رويداً. من يعش ير. والآن وداعاً. أنا مستعجل. بودي أن أكتب الكثير، لكن الصمت أفضل أحياناً. أكتب لي. أنتظر منك جواباً بأسرع ما يمكن. أقبل الصغارين. تحياطي إلى إميليا. كما أحيي الآخرين أيضاً. في البريد القادم سأكتب أكثر. هذه الرسالة مجرد تبليغ. وداعاً. أتمنى

لك كل خير، يا صديقي الغالي. وأهم ما أتمناه لك الآن هو الصبر والصحة الجيدة.

المخلص

أخوك ف. دوستويفسكي

(1) أمضت زوجة بيلينسكي ورضيعتها وأختها الصيف في ريفيل ولم تواصل رحلتها، وتعرفت على عائلة ميخائيل دوستويفسكي.



28. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 17 سبتمبر 1846

أخي العزيز!

أبعث إليك المعطف. واعذرني على التأخير. وهو ليس من جانبي. كنت أبحث عن الشخص الذي أعرفه، إلى أن وجدته. وما كان بوسعي أنأشتريه من دونه. فللمعطف مزاياه وعيوبه. من مزاياه أنه كامل تماماً وكأنه مزدوج، ولونه مقبول، رمادي، معتدل. ومن عيوبه أن قماشه بسعر 8 روبلات ورقية للเมตร. لم نجد أفضل. وبال مقابل بلغ ثمنه 82 روبراً ورقياً لا غير. باقي النقود أنفقت على الطرد. (...).

لم أكتب لك لحد الآن بسبب المعطف. وقد أخبرتك بأنني استأجرت شقة. أموري ليست سيئة. لكنني لا أمتلك نقوداً تقريباً للمستقبل. كرايفسكي أعطاني 50 روبراً فضياً، ومن تعابير وجهه يبدو أنه لن يعطيوني أكثر. وعلىّ أن أصبر وأتحمل.

«بروخارتشين»⁽¹⁾ تشوّهت لحد مرعب في المكان المعهود. فالسادة هناك منعوا حتى استخدام مفردة الموظف وشطبوها في كل

مكان، والله وحده يعلم لماذا، رغم أن كل شيء (في المتن) بريء تماماً. واختفى كل ما هو حي. لم يبق سوى هيكل عظمي لـما فرأته عليك. (أريد أن أتبرأ من قصتي).

ليس لدينا جديد. كل شيء على حاله. ننتظر بيلينسكي. السيدة بيلينسكايا تبلغك تحياتها. كل المشاريع تراوح في مكانها، أو ربما تحيط بها غلالة من الكتمان. الشيطان وحده يعلم.

أنا أتناول طعامي مع الجماعة. في عائلة بيكتوف ستة أشخاص من معارفهم، وأنا منهم، وكذلك غريغوريفيتش، كل منا يدفع 15 كوبি�كاً فضياً في اليوم الواحد ونحصل على غداء صاف جيد من طبقين. والجميع مسرورون. بمعنى أنني أنفق على وجبة الغداء 16 كوبيكًا.

أكتب لك مستعجلًا. لأنني تأخرت. والداعي يتضرر حاملاً الطرد ليوصله إلى البريد. لدى إشكالات أكثر مما كانت لديك عندما تألمت أسنانك. أخشى أن يصلك المعطف متأخرًا. ما العمل؟ لقد بذلت جهدي قدر ما أستطيع.

لا أزال أكتب «حليق الفودين». ببطء شديد. وأخشى أن أختلف عن الموعد. سمعت من سيدين (...) أن أهالي المحافظات يسمون حولية «مجموعة بطرسبورغ» لا باسمها بل «بالقراء». ولا يقرأون مما في المجموعة سوى الرواية، رغم التنافس على شرائها بشمن مرتفع. وفي أكشاك الكتب في بينزا وكيف مثلاً بلغ ثمن النسخة الواحدة رسمياً 25 روبلًا ورقياً. حالة غريبة. (المجلة) مهملة هنا، وهناك يتهاfتون عليها.

كتب غريغوريفيتش قصة جيدة للغاية بتشجيع مني ومن مايكوف. والأخير، على فكرة، ينوي كتابة مقالة وافية عني لمناسبة الأول من

أبريل. قصة غريغوريفيتش⁽²⁾ ستنشر في «مذكرات الوطن» التي باتت فقيرة تماماً، وليس في حقيتها ولا قصة واحدة.

أنا هنا في حالة من الكآبة القاتلة. وأنا أعمل بشكل أسوأ. عشت عندكم كما في الجنة. لكتني بطاعي، يا للشيطان، أحول كل الطيبات إلى أدران. أتمنى لإميليا صادقاً الراحة والرفاه وموفور الصحة والعافية. أنا أفكّر فيكم كثيراً. أجل، يا أخي، المال والرفاه شيء جيد. أقبل ابنك وابنته. وداعاً. في الرسالة القادمة سأكتب أكثر. أما الآن فلا تزعل مني بالله عليك. أتمنى لك الصحة، ولا تأكل بهذا القدر الكبير من لحم البقر.

عنوانی:

قرب كاتدرائية قازان، في ركن شارع ميشانسكايا الكبير وساحة الكاتدرائية، دار كوخيندورف 25.
وداعاً.

أخوك ف. دوستويفسكي

رجاءً حاول أن تأكل طعاماً صحيحاً، من دون فطر ولا خردل وما يماثلها من أدران، بالله عليك.

(1) قصة «السيد بروخارتشين» لم ترأف بها الرقابة.

(2) «القرية».

29. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 26 نوفمبر 1846

كيف استطعت، يا صديقي الغالي، أن تكتب بأنني زعلان منك
لعدم إرسال النقود، ولذلك لا أتواصل معك؟ كيف تخطر فكرة كهذه
في بالك؟ ثم ما هي الذريعة التي جعلتك تفكّر في بهذه الصورة؟ إذا
كنت تحبني فاعمل معروفاً وامتنع في المستقبل عن مثل هذه الأفكار
إلى الأبد. حاول أن يكون كل شيء فيما بيننا صريحاً بسيطاً. وأقول
لنك علناً وبصراحة إنني مدين لك بالكثير وإن عدم الاعتراف بذلك من
جانبي دناءة وسفالة ومثاره للسخرية. فيكتفي الكلام عن ذلك. الأفضل
أن أكتب الآن عن ظروفي وأحاول إطلاعك على كل شيء بمزيد من
الوضوح.

أولاً - كل مشاريعي للنشر فشلت. لم تكن تستحق الاهتمام،
وشغلت وقتاً كثيراً وكانت سابقة لأوانها. ولربما ما كان الجمهور
سيستجيب. سأقوم بالطباعة في الخريف القادم. حتى ذلك الحين
سيتعرف الجمهور على أكثر، وسيكون موقفي واضحاً. زد على ذلك
أنني أنتظر استلام عدة سلف. «الشيء» تم تزيينها من قبل أحد رسامي

موسکو. «الفقراء» يجري تزيينها هنا في مؤسستين على أساس التنافس. برنارديسكي يقول إنه لا يمانع في بدء محادثات معه في فبراير وتسليمي مبلغًا معيناً مقابل حق النشر في «المصور». وحتى ذلك الحين ينشغل مع «النفوس الميتة». باختصار لم أعد أبالى بالإصدارات لحين من الوقت. ثم إنني في شغل شاغل عن هذه الأمور. العمل والطلبيات الموجهة إلى بلا نهاية. وأقول لك إنني تшاجرت نهائياً للأسف الشديد مع «المعاصر» بشخص نكراسوف. فقد أحزنه أنني أعطي كرايفسكي قصة على أية حال، فأنا مدین له، وإنني لا أريد أن أعلن على الملا أنني لا أنتمي إلى «مذكرات الوطن»، ويس من الحصول على قصة مني في القريب العاجل، فأغلوظ لي الكلام وطالبني بإعادة النقود. ولقد أدته من لسانه ووعده في رسالة مقابله بأنني سأسلمه المبلغ في 15 ديسمبر. أريد لهم أن يأتوا إلى بأنفسهم. إنهم جمیعاً أندال وحساد. عندما سلطت اللوم على نكراسوف أخذ يجرجر قدميه ومضى كيهودي سرقت نقوده. باختصار، تلك حكاية قذرة. والآن يشيرون بأنني مصاب بحب العمة أفكـر في نفسي وأنساق إلى كرايفسكي لأن مايكوف يمتدحني. نكراسوف ينوي ملامتي. أما بيلينسكي فهو شخص ضعيف لا يستقر له رأي حتى في المداولات الأدبية. معه فقط حافظت على العلاقات الطيبة السابقة. فهو إنسان نبيل. فيما فرح كرايفسكي للمناسبة وأعطاني نقوداً وعد، فضلاً عن ذلك، بتسديد كل ديوني حتى 15 ديسمبر. وبالمقابل أنا أعمل له حتى الربيع. لاحظ، يا أخي، أنني استخلصت من ذلك كله قاعدة حكيمـة. أول تصرف خاسر بالنسبة للموهبة الناشئة هو الصداقة مع دهاقنة المطبوعات، والتي تنجب المحسوبية وتعقبها مختلف الفواحش. ثم التبعية، وأخيراً العمل في

سبيل «الفن للفن»، وهو عمل طاهر مقدس من صميم القلب الذي لم ينبع في السابق أبداً ولم يتحرك كما ينبع عندي الآن أمام كل الصور الجديدة التي ترتسم في روحي. إبني ، يا أخي ، في حالة إحياء وإنعاش بدني ، إضافة إلى المعنوـي . لم يكن لدى مثل هذا القدر من الوفـرة والوضـوح والهدـوء في الطـبـاع والصـحة الـبـدنـية . وأنا مدين بذلك كثيراً لأصدقائي الطيبين من عائلة بيكيف و كذلك زالويتسكي وأخرين ممن أعيش معهم . إنـهـمـ أـذـكـيـاءـ جـادـونـ بـأـرـيـحـيـةـ عـالـيـةـ وـطـبـعـ نـيـلـ . لـقـدـ شـفـيـتـ بـفـضـلـ وـجـودـهـمـ حـولـيـ . وأـخـيرـاـ اـقـرـتـ حـلـيـهـمـ أـنـ نـقـيمـ مـعـاـ . فـوـجـدـنـاـ شـقـةـ كـبـيرـةـ كـلـ نـفـقـاتـهـاـ عـلـىـ جـمـيعـ الـجـوـانـبـ الـمـعـيـشـيـةـ لـاـ تـعـجاـوـزـ 1200ـ روـبـلـ وـرـقـيـ لـلـشـخـصـ الـواـحـدـ فـيـ الـعـامـ تـلـكـ هـيـ ثـمـارـ الـرـوـابـطـ الـاجـتمـاعـيـةـ . لـدـيـ غـرـفـتـيـ الـخـاصـةـ ، أـعـمـلـ فـيـهاـ طـوـلـ الـوقـتـ . عـنـوـانـيـ جـدـيدـ أـرـجـوـكـ أـنـ تـكـتـبـ لـيـ عـلـيـهـ : جـزـيـرـةـ فـاسـيـلـيـفـسـكـوـيـهـ ، الـخـطـ الـأـوـلـ ، جـنـبـ الـطـرـيقـ الـعـامـ ، فـيـ دـارـ سـولـوـشـيـتشـ 26ـ مـقـابـلـ الـكـنـيـسـةـ الـلـوـثـرـيـةـ .

أهـنـئـكـ ، يا صـدـيقـيـ العـزـيزـ ، بـالـمـولـودـ الـثـالـثـ ، وـأـتـمـنـيـ لـكـ وـهـ ولـإـمـيلـياـ كـلـ خـيـرـ . أـنـاـ آـنـ أـحـبـكـ ثـلـاثـ مـرـاتـ أـكـثـرـ . وـلـكـنـ لـاـ تـزـعـلـ مـنـيـ ، يا أـخـيـ الـغـالـيـ ، لـأـنـيـ أـكـتـبـ قـصـاصـةـ وـرـقـ ، وـلـيـسـ رسـالـةـ مـعـتـبـرـةـ . لـاـ وـقـتـ لـدـيـ . يـنـتـظـرـونـنـيـ . وـسـوـفـ أـكـتـبـ لـكـ مـرـةـ أـخـرىـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ . فـاعـتـبـرـ هـذـهـ الرـسـالـةـ غـيـرـ مـكـتـمـلـةـ .

صدـيقـكـ فـ . دـوـسـتـوـيفـسـكـيـ

30. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، 17 ديسمبر 1846

ماذا حدث لك، يا أخي الحبيب، حتى لزرت الصمت؟ مع كل بريد أنتظر شيئاً منك، ولا كلمة. أنا قلق. كثيراً ما أفكر فيك، وفي أنك تمرض أحياناً وأخشى أن أخرج باستنتاجات. اكتب لي ولو سطرين، بالله عليك. اكتب لي رجاءً وهدئاً أعصابي. ربما كنت تنتظر بقية رسالتي الأخيرة، ولكن لا تزعلي مني لأنني غير منضبط من حيث تنفيذ الوعود. أنا الآن غارق في العمل. وقد التزمت أن أسلّم إلى كرافسكي في 5 ينابير الجزء الأول من رواية «نيتوشكا نيزفانوفا» التي ربما قرأت خبر نشرها في «مذكرات الوطن». أكتب هذه الرسالة على فترات متقطعة، لأنني مشغول في التأليف ليل نهار، ما عدا الساعة السابعة مساءً حيث أتردد على «الأوبرا الإيطالية» للترفيه عن النفس وأستمع في الجاليري إلى إنشاد مغنينا الذين لا يجاريهم أحد. صحتي جيدة. ولا داعي للكتابة عنها أكثر. أكتب بحماس كبير. ويخيل إليَّ أنني دخلت في عملية مع أدبنا كله، مع المجالات والقاد وثلاثة أجزاء من روايتي في «مذكرات الوطن»، وأرسم أسبقيتي

وتُفوقى لهذا العام أيضاً رغم أنف خصومي. كرايفسكي صعر خده. وهو يكاد يهلك. أحوال «المعاصر» ليست باهرة. وقد بدأ تبادل إطلاق النار فيما بينهم.⁽¹⁾

اسمع يا أخي، أنا لن أسافر إلى الخارج في هذا الشتاء ولا في الصيف، بل سأتأتي من جديد إليكم في ريفيل. وأنظر الصيف بفارغ الصبر. في الصيف سأعيد تنقیح المكتوب، وأستعد للنشر في الخريف، وأنذاك لكل حادث حديث. هل الجميع عندكم في صحة جيدة يا أخي؟ أليست إميليا متوعكة؟ أطالبك بالجواب على هذه الرسالة فوراً. أنا أقيم، كما أبلغتك يا أخي، عند بيكيتوف في جزيرة فاسيليفسکويه. ليس هناك ملل، الموقف طيب، والكلفة ليست عالية. أزور بيلينسكي أحياناً. وهو مريض طول الوقت. ولكن بأمال عريضة. السيدة بيلينسكا وضعت مولوداً جديداً.⁽²⁾

أنا أسد كل ديوني من خلال كرايفسكي. و مهمتي هي أن أعمل من أجله طوال الشتاء كيلا أكون مديناً ولا بكونيك واحد في الصيف. سأتخلص من الديون في وقت ما. فالقصبة هي العمل أجيراً عند أحد. إنه يفتكر بكل شيء، بالموهبة والفتوة والأمل، فتتردى الجهود ويتحول الشخص في الأخير إلى متاذب ملوث وليس كاتباً حقيقياً.

وداعاً يا أخي. لقد شغلتني عن الصفحة الأكثر إثارة في الرواية، فيما ينتظرنى عمل كثير. آه، يا عزيزي! حبذا لو وُفقت. يشدّنى الشوق إلى رؤيتك بأسرع ما يمكن، إلى رؤيتك بعد أن نحدد موقفى ونحل مشكلتى. لقد قيدت يدي وقدمي بسلسل متعمد نشر مؤلفاتي، بينما تأتينى من جهات أخرى عروض مغربية. «المعاصر» التي تريد أن تنتقدنى بريشة نكراسوف إنما تعرض على 60 روبلأً فضياً، ما يعادل 300 روبل ورقي في «مذكريات الوطن» و250 روبلأً

في «مكتبة المطالعة» وهلمجرا مقابل كل ملزمة من مؤلفاتي وأنا لا أستطيع أن أعطيهم شيئاً لأن كرايفسكي وضع يده على كل شيء مقابل 50 روبيلاً فضياً أعطاني إياها سلفاً. على فكرة: غريغوريفيتش نشر روايته «القرية» في «مذكريات الوطن» وأثارت الإعجاب عندنا. وداعاً يا أخي الوفي تحياتي إلى إميليا و(الصغار) فيدور وماريا وميخائيل. هل نسيني الأطفال أم لا؟ تحياتي إلى رينهارت والآخرين. هل تتردد عليكم آنا إيفانوفنا؟⁽³⁾ تحياتي أيضاً إلى جميع المعارف القدامى..

المخلص لك دوماً
ف. دوستويفسكي

ملحوظة:

عناني جزيرة فاسيليفسكويه، الخط الأول، على الشارع العام،
دار سولوشيش 26، شقة بيكيتوف.

والآن يا أخي تعال إلى بطرسبورغ في عيد المرافع لهذا العام. ولو لأسبوعين. تعال من كل بد. السكن والغذاء لن يكلفانك شيئاً. الشاي والسكر وباقى المؤونة أيضاً. ولن تنفق على التثريات تقريباً. وستكون الرحلة كلها زهيدة للغاية. فما رأيك؟ ها..؟ فكر في الموضوع. فماذا يكلفك؟ سأكون مسروراً جداً لرؤيتك. وسيسرك أنت أيضاً المكوث في بطرسبورغ. بل إنك لا تحتاج إلى أية نقود لأنك إلى هنا. أنا مدين لك وسأدفع ثمن كل المتطلبات. وسنحصل على نقود. تعال يا أخي بالله عليك. أنت. هل يعقل أنك تريد أن تصل إلى حالة يحتاج فيها سحبك من ريفيل إلى كماشة؟ تعال في أسبوع المرافع. أقولها بلا مزاح.

-
- (1) لعل دوستويفسكي يقصد السجال بين مايكوف ويلينسكي . في تلك الفترة .
 - (2) ولدت زوجة بيلينسكي صبياً سرعان ما توفي .
 - (3) ربما المقصودة خطيبة مايكوف .



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

31. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، يناير - فبراير 1847

أخي الكريم!

من جديد أستميحك عذراً لأنني لم أفع بوعدي ولم أكتب لك مع البريد التالي. كل هذا الوقت استولت عليّ كآبة شديدة أعاقتني عن الكتابة. فكرت فيك كثيراً وبألم هو العذاب بعينه. مصيرك صعب، يا أخي الحبيب. الحياة لا تطاق بمثل صحتك وأفكارك من دون أناس حواليك، وبالملل بدلاً من الأفراح، وبالعائلة التي تشكل علينا تقليلاً رغم قدسيّة السهر عليها وفرحة رعايتها. ولكن ليس لك، يا أخي، أن تنافق للأحزان. فستنكشف الغمة. وكلما كانت الروح فيها وفيرة زاخرة، وكلما كان محتوانا الداخلي غنياً، بدا ركتنا في الحياة أكثر بهاء وجمالاً. بديهي أن عدم التنااغم وغياب التوازن في المجتمع شيءٌ رهيب. ولللازم أن يكون المحيط الخارجي متوازناً مع الباطن الداخلي. وإنما يعلو الباطن إلى درجة خطيرة جداً في ظل غياب الظواهر الخارجية. وتشغل الأعصاب والخيال مجالاً واسعاً جداً في الكائن الحي. وتبدو كل ظاهرة خارجية، بسبب عدم التعود عليها،

ضخمة ومخيفة بعض الشيء. وينتاب المرء خوف من الحياة. وقد حالفك الحظ حيث منحتك الطبيعة جبًا غامرًا وطبعاً قوية. ولا يزال فيك فكر سليم متين وبوارق من الفكاهة والمرح كالمجوهرات. وهذا كفيل بإنقاذهك. أنا أفكر فيك كثيراً. ولكن، يا إلهي، ما أكثر الحكماء والعرفاء الطاعنين في السن وفقهاء الحياة المرائين من ضيق الأفق المقيتين الغدارين الذين يتباهون بالخبرة والحنكة، أي بغياب الهوية، لأنهم مصهورون بمقاييس واحد، ويروجون طول الوقت للقناعة بالمصير والإيمان بشيء محدود في الحياة والرضا بالمكانة التي هم فيها دون أن يفهموا مغزى هذه الكلمات، وهي قناعة أشبه بعذاب وقيود الاعتقال في الأديرة، ويستنكرون بغضب تافه لا يناسب الروح القوية الفوارقة التي لا تطيق توقيتاتهم اليومية المبتذلة وتقويم حياتهم الخاوي. إنهم سفلة أنذال بما يتحدثون عنه من سعادة دنيوية أسطورية. أنذال ولا شيء آخر. نصادفهم أحياناً فنشاط غضباً ونتضور ألماً.

حالياً على سبيل المثال عَگر على عملي الثثار الثقيل الظل سفيريدوف بزيارة مما اعتادت عليه النخبة الفطينة. ويخيل إليّ، يا أخي، أنه أكثر الحمقى لجاجة وثقلًا. جاء بسؤال من كتابات المحللين وبصفحات عتيبة متنوعة تبدو تافهة لا نفع فيها. ويرجوني أن أتوسط له عند بيكتوف بشأن تنقيح هذه الصفحات. إنه إنسان مضحك. هو نفسه لا يفقه شيئاً في هذه الأوراق ويريد من الآخرين أن يجربوا حظهم عليهم يفهمون. (...).

إلا أن الوقت يمضي. وكان بودي أن أكتب لك الكثير. وللأسف الشديد تعثر كل شيء. ولذا أكتفي بكتابة شيء ما عن نفسي. أنا أعمل، يا أخي، ولا أريد تقديم شيء قبل أن أنهي منه. وال الحال

النقود غير متوفرة. ولو لا وجود الطيبين من الناس لهلكت. ظهور شهرتي في المجالات يمنحي منافع أكثر من الأضرار. ما يدفع المعجبين بي، وهم كثيرون جداً على ما أعتقد، إلى تلقيف الجديد والدفاع عنِي. أنا أعيش في فقر مدقع. ومنذ أن غادرتك أنفقت 250 روبلأً فضياً بالإضافة إلى 300 روبل فضي على تسديد الديون. وكانت ضريبة نكراسوف هي الأشد. فقد أعدت له سلفة الـ 150 روبلأً فضياً لعدم رغبتي في التواصل معه. وفي الربيع سأخذ من كرايفسكي قرضاً كبيراً وأرسل إليك حتماً 400 روبل. وهذا عهد أمام الله. لأن انشغال بالي بك يؤرقني أكثر من أي شيء آخر. ومن المستبعد أن أصل إلى هلسينغفورست مبكراً. لأنني ربما سأخذ علاجاً بالماء البارد للشفاء النهائي على طريقة بريسينيتس. ولذا سأأتي في يوليو على الأرجح. والحقيقة، يا عزيزي، أنتي لا أدرى بعد. مستقبلي بعيد. ولكنني لن أتزحزح الآن حتى لو أرعدت الدنيا وأبرقت فوق رأسي. أنا أعرف كل ما أستطيع القيام به ولن أقصر في عملي وسأصحح أوضاعي المالية بالنجاح في تسيير أمور الكتاب الذي سأصدره في الخريف^(١). سفيريدوف اللعين! حوالى ساعتين. حاولت بكل السبل أن أمح له بأن لا وقت لدى. لكنه ظل جالساً يثرث عن كيفية طرحه لسؤالك وعن أهمية مساعدتك له وكيف سيسافر إلى القوقاز ويؤلف عن عالم النبات هناك كتاباً غير مسبوق. فلينذهب إلى الشيطان. إنه مهرج. صحيح أنتي أتكلم معأشخاص آخرين أحياناً وكأنني خرجت تواً من أحد المكاتب الإدارية. لكنه شغلني عنك يا حبيبي. حافظ على نفسك يا أخي. وخصوصاً على صحتك. خذ قسطاً من الترفيه، ولا تنس أن تمني لي إنجاز العمل بأسرع ما يمكن. فبعده تأتي النقود وأستطيع عندئذ أن أكون عندك. العلاج بطريقة بريسينيتس مجرد فكرة.

فالأطباء ربما لن ينصحوا به. ما أشد رغبتي في رؤيتك. أحياناً تتنابني كآبة قاتلة. وأنذرك أحياناً كم كنت فظاً ثقيلاً عليكم في ريفيل. لقد كنت مريضاً يا أخي. وأنذرك كيف قلت لي مرة إن تعاملني معك يشطب المساواة فيما بيننا. يا أخي الحبيب، لم يكن في ذلك شيء من العدالة. إلا أن طباعي مقيدة منفقة. وأنا دوماً أدرك أكثر وأفضل مما أقدر نفسي. أنا مستعد أن أضخّي بحياتي من أجلك ومن أجل أسرتك، ولكني أحياناً، وعندما يكون قلبي مفعماً بالمحبة، بخيل ولا تحصل مني على كلمة ملاطفة. أعصابي لا تنصاع لي في تلك اللحظات. أنا كريه مثير للضحك والسخرية ولذا أعاني دوماً من التقويمات المجحفة بحقني. يقال إنني متخشب لا قلب لي ولا عواطف. فما أكثر ما أخشنتُ القول لإميليا، تلك المرأة النبيلة التي هي أفضل مني ألف مرة. وأنذرك كيف كنت أحياناً أغضب متعمداً على فيودور الصغير الذي كنت أحبه في الوقت ذاته حتى أكثر منك. أنا لا أستطيع أن أبدو إنساناً ذا فؤاد وعواطف ومحبة إلا عندما تنزعني الملابسات الخارجية والمصادفات عنوة من دناءة الأيام. وحتى ذلك الحين أبقى حقيراً مقيناً. وأنا أنسّب سبب هذه اللامساواة إلى المرض. هل قرأت «لوكريتيسيا فلورياني»⁽²⁾ لاحظ (شخصية البطل) كارول. إلا أنك ستقرأ قريباً (روايتها) «نيتوتشكا نيزفانوفا». وهي عبارة عن اعتراف مثل غوليادكين، ولو بلهجة أخرى ومن نوع آخر. بشأن غوليادكين سمعت من الكثيرين بصورة غير مباشرة إشاعات تثير الهلع. البعض يقولون صراحة إن هذه الرواية أujeجوية لم يفهمها القراء. وسيكون لها دور خطير في المستقبل. ولو أني كتبت غوليادكين وحدها لكان ذلك كافياً، وإن اهتمامهم بها أكبر من اهتمامهم بكتابات دوماس. وهكذا انتفض غروري. ولكن يا أخي،

ما أجمل أن يفهمك الآخرون. لماذا تحبني يا أخي؟ سأحاول أن أعانقك قريباً. وسنحب بعضنا بعضاً جبأ جمأ. ادعُ لي بالنجاح. أو أصل كتابة «ربة المنزل». ولعلها أفضل من «القراء». وهي في السياق نفسه. ريشتي يوجهها منبع إلهام منجس من الروح مباشرة. ليس كما كان الحال مع «بروخارتشين» التي عانيت منها طول الصيف. ما أشد رغبتي في مساعدتك، يا أخي، بأسرع ما يمكن. علق آمالك، يا أخي، على النقود التي وعدتك بها، فالوعد راسخ كالجدار، كالجبل. قبلاتي للجميع. (...)

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: هل سنلتقي في وقت ما، يا أخي، في بطرسبورغ؟ ما رأيك في الخدمة المدنية براتب محترم؟ .
(...)

- (1) المقصود الطبعة الثانية من «القراء».
- (2) رواية جورج صاند وبطلها كارول.

32. إلى يفغينيا مايكوفا

بطرسبرغ، 14 مايو 1848

السيدة الفاضلة يفغينيا بيتروفنا (مايكوفا)

أسارع في الاعتذار منكم، فأناأشعر بأنني تركتكم أمس بغيط لا يليق، حتى أني لم أودعكم إلا بعد أن نبهتموني إلى ذلك. وأخشى أن تظنوا أني كنت متشددًا فظًا غليظًا بنوایا غريبة. إلا أنني مضيت مسرعاً بالغريرة متحسساً ضعف طباعي الذي لا بد أن يطفو على السطح في الحالات القصوى، ويطفو تحديدًا بشكل تطرف مبالغ فيه. أرجو أن تفهموني: بسبب ضعف أعصابي يصعب عليّ التحمل والرد على الأسئلة ذات المعندين التي تطرح عليّ وضبط النفس بسبب ازدواجية تلك الأسئلة، فأغضب على نفسي لأنني عجزت عن جعل تلك الأسئلة صريحة مباشرة ومقبولة، وفي الوقت ذاته يصعب عليّ أن أحافظ ببرود الأعصاب، وأنا أعترف بذلك، عندما أرى أمامي أكثرية تعمل ضدّي، كما أتذكر، بالحدّة نفسها التي عارضتها بها. بديهي أنه حصل هرج ومرج وتطايرت من الجانبين النعوت الغلاظ، المتعتمدة والساذجة، فلذلت أنا بالفرار غريزياً خشية أن يتسع نطاق تلك النعوت أكثر. لكم

أن تحكموا على ضعف طباع شخص مثلي. التقطت الريشة لأعتذر ببساطة وبكل رضوخ وانصياع. إلا أنني بدأت أكتب مبرراتي بالصيغة الالزمه. أنا أشعر بالفعل أنني كنت متشددأً ثقيل الظل مزعجاً لكم، ولذا أستعين بصبركم وأرجو صفحكم. وأنا على يقين بأنكم تفهمون لجاجتي وإلحاقي على طلب المسامحة. فأنا أقدر رفيع التقدير اسمكم الكريم، ولذا أخشى كثيراً أن أفقده. ولعل هذه الرسالة نافلة لا موجب لها، ولربما أنا أبالغ كعادتي، ولعلكم سامحتموني منذ اللحظة الأولى، إلا أن هذا الخوف الزائد وهذا الشعور بالخجل تجاهكم يبينان لكم، إذا سمحتم، مدى الاحترام الذي أكتّه لكم دوماً كالابن البار. ⁽¹⁾

المخلص لكم أبداً
ف. دوستويفسكي

(1) لعل الكلام في هذه الرسالة يدور عن شجار حصل بين دوستويفسكي وأحد أعضاء حلقة «المعاصر» في منزل مايكوف.

33. إلى أندريه كرايفسكي

بطرسبرغ، 31 مارس 1849

السيد الفاضل أندريه ألكساندروفitch (كرايفسكي).
ذكرتكم في رسالتكم أنكم تبعثون النقود للمرة الأخيرة، وأن من
اللازم التسديد الكامل في مقابل المطالبة بنقود أخرى.
هذا ما كنت أريده. أي أن أقدم أولاً الجزء الثالث⁽¹⁾ الذي كنت
أتصور بأنني سأنجزه حتى يوم الاثنين. ثم أشرع فوراً بالجزء الرابع
والجزء الخامس اللذين قررت تخصيصهما لشهر مايو. ولكنني، خلافاً
لكل الحسابات، أنهيت الجزء الثالث، ثلاثة ملازم ونيفاً، يوم
الأربعاء، وسيكون حجم الجزء الرابع قرابة 4 ملازم. المجموع 7
ملازم، أي 350 روبلأً فضياً (...). وكنت أتمنى أن أجلب لكم
الجزء الثالث في نهاية هذا الأسبوع وأطلب منكم مساعدة لمناسبة
العيد، وفي العاشر من الشهر بودي أن أسلمكم الجزء الخامس.
أما الآن فأنا أواظُب على كتابة الجزء الرابع من دون توقف. بدأته
حالما أنهيت الجزء الثالث ولم آخذ قسطاً من الراحة، لأنني أريد
(...). نشر الجزءين الرابع والخامس في مايو من كل بد. وأنا الآن

غاضب على نفسي لأن المشهد غير مكتمل، بل مجرّأ إلى ثلاثة أقسام. لا شيء مكتملاً، سوى إثارة الفضول. والفضول المثار في بداية الشهر، باعتقادي، ليس هو ذاته في آخر الشهر. فهو يخفت ويرد وتفقد التوليفات شيئاً من قيمتها. وهذا يضاهي تقسيم مشهد بوكروفسكي في «الفقراء» إلى جزئين، لو كنت قد فعلته، ما يجعل الجمهور يتنتظر شهراً كاملاً. والانطباعات تتلاشى. إذن أنا أتحدث عن الجزءين. أنا أعمل على الجزء الرابع. وسأقدم هذا الجزء مع الجزء الخامس في الموعد المحدد، لا أبعد من الخامس عشر من الشهر، لأن من اللازم، فضلاً عن ذلك، توجيه رد على «المعاصر». (...)

خبرني رجاءً، يا أندريه ألكساندروفيتش، هل يعقل أنكم لم تلاحظوا طوال أربعة أعوام من عملي عندكم أنني لا أستطيع أبداً أن أسدّديوني لكم إذا بقينا على النظام نفسه من التسليم والتسليد الذي نحن عليه لحد الآن؟ خذوا مثلاً الشتاء الحالي. لقد عملت فيه كالحصان، وكانت أنتقل من نجاح إلى نجاح. والجمهور معجب، وأنا رغم كل اعتباراتي في الخريف المنصرم لا أستطيع حتى شهر مايو أن أسدّد أكثر من 650 روبلًـا فضيًـا. ولا أزال مدیناً. فما سبب ذلك؟ أليس السبب واضحًا، يا أندريه ألكساندروفيتش؟ فإنما أخذت النقود منكم، كثيراً من النقود. فلنأخذ المثل التالي: عندما أخذت منكم آخر مرة مئة روبل، قبل شهرين، عكفت شهراً كاملاً على ابتداع قصة منحتي 50 روبلًـا فضيًـا أخرى لأن المئة روبل لم تؤمن لي الاستقرار. وطالما كنت أكتب قصة ذات اتجاه وطبيعة يتوافقان مع المجلة التي أردت أن أنشرها فيها فقد بقيت شهراً كاملاً أفكّر ولم يتمخض تفكيري عن شيء سوى الصداع وارتباك الأعصاب، بالإضافة إلى ثلاث حبكات رائعة لثلاث روايات مطولة. (...)



الناشر كرايفسكي

عندما استلقت منكم مئة روبل في المرة الأخيرة أقسمت أن لا آخذ النقود مسبقاً بعد الآن. لكن حساباتي تملأ جاءت من دون موسكو.⁽²⁾ وسوف يبعثون مبلغاً من هناك بعد العيد. العيد وما أدران ما العيد. بالنسبة لي كله سواء. لكن الدائنين يتذمرونه تحديداً، فهم يتهالكون على المدينين زرافات ووحداناً، لأنه ليس لديهم، المساكين، سوى مواعدين في السنة تسلد فيها كل الديون تقريباً.

هل يعقل أنكم، يا أندريه ألكساندروفitch، لم تفكروا أبداً في أنني يمكن أن أموت ذات يوم، فماذا يحصل لديوني آنذاك؟ ديوني لكم كثيرة لدرجة لا تكفي النقود الواردة من موسكو لتسديدها. فلتته بأسرع ما يمكن من هذا النظام التسليفي وتنقل إلى الدفع الهادئ بالقطعة في مواعيد محددة في الأيام الأولى (من الشهر). وللأسف الشديد أنني حتى لو عملت لدرجة يشقق فيها جلد يدي لن أتمكن بذلك من تسليمكم الجزء الرابع يوم السبت، بل سأسلمه في السابع من

الشهر. والحقيقة لن يكون بإمكانني أن أكتب. لقد عذبني الدائنين، فهم على مدار سبع سنوات جعلوني سريع الانفعال أندفع لأداء عمل جانبي، أي أني سأكون مضطراً لكتابة حكاية ما لجهة أخرى. والطامة الكبرى أن العمل الجانبي لأسبوعين أو لشهر يعيق طاقة تأليف روايتنا ويلغي الرغبة في مواصلتها.

سأتّي إليكم، يا أندريه ألكساندروفitch، صباح هذا السبت. بالله عليكم سامحوني على المئة روبل التي أخذتها منكم. سأعيدها لكم وأكثر، لا أقول بمئة ضعف، بل بخمس مرات في 15 أبريل. ولن آخذ ديناً بعد الآن، وأخي شاهد على ما أقول. فاسألوه: نقوتنا من موسكو ستصل في أبريل حتماً، وعندها لن أطلب منكم طبعاً. ولن أنسى فضلكم أبداً في مساعدتي الآن لآخر مرة. ذكروني بذلك في وقت ما، وسترون بأنفسكم. حكموا العقل: طوال فريضة الصوم كتّ أنتظركم بقلق وتوجس أسبوع الآلام وغزوات الدائنين. هل تتذكرون يوم الجمعة في أسبوع الآلام العام الماضي؟ لا يزال عالقاً في ذاكرتي حتى الآن. آذاك وصلتنا، فضلاً عن ذلك، عائلة شقيقتي من ريفيل. أما الآن فستتتبّاني الكولييرا، ولا شيء غيرها. فأين هي الشاعرية يا ترى؟

المخلص ف. دوستويفسكي

(1) من رواية «نيتوتشكا نيزفانوفا».

(2) لعل دوستويفسكي كان يتّظر مبلغًا من كاريين الوصي على التركة.

34. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ. قلعة بتروبافلوفسكايا⁽¹⁾، 18 يوليو 1849

شعرت بفرحة عارمة تفوق الوصف لرسالتك، يا أخي الحبيب. استلمتها في 11 يوليو. وأخيراً أطلقوا سراحك، وأنا أتخيل مدى الفرحة التي اكتنفتك عندما التقىتي مع أفراد عائلتك. أكيد كانوا ينتظرونك على آخر من الجمر. وأرى أنك بدأت تنظم حياتك بشكل جديد. فماذا يشغلك الآن؟ والأهم على أي مورد تعيش؟ هل لديك عمل؟ وماذا تفعل تحديداً؟ الصيف في المدينة صعب ثقيل. وإلى ذلك تقول إنك استأجرت شقة أخرى، ربما هي أضيق. للأسف أنك لا تستطيع قضاء فصل الصيف في الضاحية.

أشكرك على الطرود، فقد سهلت على الأمور وآنستني. تكتب لي، يا صديقي العزيز، أن لا أنساق للاكتئاب. أنا غير مكتتب. طبعاً لا مفر من الملل والضجر. فما العمل؟ على فكرة ليست الأحوال مملة دوماً. عموماً أوقاتي تسير بغير توازن. تارة بسرعة كبيرة، وتارة ببطء شديد. وأحياناً أشعر بأنني كأنما تعودت على هذا النمط من الحياة وكأن كل الأمور سواء. أنا بالطبع أطرد كل المغريات من

مجال تصوراتي، إلا أنها أحياناً أقوى مني، فتقتتحم الحياة القديمة روحي مع انطباعاتها السابقة. وهذا، على فكرة، في طبيعة الأشياء. حالياً الأيام أكثر صحواً، معظمها على الأقل، فصار الجو أكثر حبوراً. إلا أن الأيام المكفهرة لا تطاق. وتبعد الزنزانة الانفرادية أكثر قسوة. ثم إنني مشغول. ولم أضيع الوقت جزافاً. فقد فكرت في ثلاثة قصص وروايتين، أكتب إحداهما حالياً. لكنني أخشى العمل كثيراً.

هذا العمل، وخصوصاً عندما يجري برغبة شديدة، إنما يرهقني كثيراً ويؤثر على أعصابي. ولم أكن قد عملت يوماً بمثل هذا القدر من الحب والرغبة كما أعمل الآن. عندما عملت خارج السجن كنت بحاجة إلى التوقف كثيراً واللجوء إلى الترفيه. أما هنا فالانفعال بعد الكتابة ينبغي أن يتهدى من تلقاء ذاته. صحتي جيدة، ما عدا التهاب البواسير واضطراب الأعصاب الذي يتضاعد شيئاً فشيئاً. حنجرتي باتت، كالسابق، تؤلمني من حين لآخر، شهيتي ضعيفة، ونومي قليل، مع كوابيس مؤذية. أنم قرابة خمس ساعات في اليوم، وأستيقظ في الليل أربع مرات تقريباً. هذا هو الأمر الصعب الوحيد. أصعب الأوقات عند الغسق، والظلام يخيم علينا في التاسعة. أحياناً لا أنام حتى الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل. ولذا يصعب جداً تحمل الظلام قرابة خمس ساعات. وهذا يشوش الصحة أكثر من غيره.

لا أعرف شيئاً عن موعد انتهاء دعوانا⁽²⁾، لأنني ضيعت الحساب، وأكتفي بتقويم أسجل فيه يومياً، دون حماس، تاريخ اليوم الذي يتهدى والحمد لله. مطالعتي هنا قليلة. قرأت عن رحلتين إلى الديار المقدسة، ومواعظ القديس دميتري روستوفسكي. وقد أثارت الأخيرة

اهتمامي. إلا أن هذه المطالعة قطرة في بحر، وسأكون سعيداً جداً، على ما أعتقد، لو استلمت كتاباً ما للقراءة. لا سيما وأن ذلك سيكون وسيلة حتى للعلاج بإزاحة أفكار الغير لافكاري أو إعادة بناء الأخيرة في ترتيب جديد.

تلك هي كل تفاصيل حياتي المعيشية، ولا شيء غيرها. يسرني أنك وجدت عائلتك كلها في صحة جيدة. فهل كتبت إلى موسكو عن إطلاق سراحك؟⁽³⁾ يؤسفني جداً أن الأمور هناك لا تستقيم. ما أشد رغبتي في التواجد معكم ولو ليوم واحد. قريباً تنقضي ثلاثة أشهر على اعتقالنا، وسيحدث شيء ما لاحقاً. ربما لن نرى خضراء الأشجار هذا الصيف. هل تتذكر كيف كانوا يقتادوننا أحياناً للتمشي في الجنينة في شهر مايو؟ يومها بدأت الأرض هناك تعشوشب، وتذكرت ريفيل عندما كنت في زيارتك في مثل تلك الأوقات، وكذلك حديقة دار المهندسين. وخيل إليَّ آنذاك أنك أيضاً ستقارن بين الحالتين. كان الموقف حزيناً. و Boyd أن أرى آخرين أيضاً. البعض منهم. أنت الآن تلتقي أشخاصاً، ينبغي أن تلتقطهم في الضاحية. أخونا أندريه لا بد أن يكون في المدينة. هل رأيت نيكولا؟ تحياتي لهم. وقبلاتي للأطفال، وتحياتي لزوجتك. قل لها إنني ممتن جداً لأنها تذكرني، وبلغها أن لا تقلق علىَّ كثيراً. كل ما أتمناه أن أكون في صحة جيدة، أما الملل فهو ظاهرة عابرة. ثم إن المزاج الطيب يتوقف علىَّ شخصياً. في الإنسان بحر من المرونة والحيوية. ولم أكن أعرف في الحقيقة عن ذلك البحر الراخر، وقد تأكدت منه الآن بالتجربة. وداعاً إذن. أرجو لهذه الكلمات المقتضبة أن تبعث في نفسك الارتباط. بلغ تحياتي لجميع من تراهم ولجميع من أعرفهم بلا استثناء. فأنا أتذكر الجميع. ماذا يظن بي أطفالك؟ حبذا لو عرفت افتراضاتهم بخصوصي: أين

اختفى يا ترى؟ وداعاً. أرسل لي «مذكرات الوطن» إن أمكن. فلا بد أن أقرأ فيها شيئاً. واكتب لي أنت أيضاً كلمتين، فذلك يبعث الفرحة في نفسي.

إلى اللقاء.

أخوك ف. دوستويفسكي

- (1) كانت القلعة سجناً في العهد القيصري.
- (2) اعتُقل فيودور دوستويفسكي وأُودع سجن القلعة ليلة 22 على 23 أبريل 1849. كما اعتُقل أخوه ميخائيل وسرعان ما أفرج عنه. سبب الاعتقال هو تأييدهما لحركة بترافيسكي الثورية المناهضة للنظام القيصري.
- (3) يبدو أن أقارب دوستويفسكي في موسكو لا علم لهم بخبر اعتقال الآخرين.



35. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، قلعة بيتروفالوفسكايا، 27 أغسطس 1849

يسرّني جداً، يا أخي العزيز، أنني أستطيع أن أجيبك وأشكرك على الكتب التي أرسلتها. وأنا شاكر لك بخاصة على (مجلدات) «مذكرات الوطن». كما يفرحني أنك في صحة جيدة وأن السجن لم يترك أي أثر سبيع على حالتك الصحية. لكنك قليل الكتابة. ولذا فإن رسائلي أكثر تفصيلاً من رسائلك. إلا أنني أترك ذلك جانباً. فستصحح هذا الأمر فيما بعد.

عني شخصياً لا أستطيع أن أقول شيئاً على وجه التحديد. نفس ذلك المجهول فيما يخص انتهاء دعوانا. حياتي الشخصية لا تزال رتيبة كالسابق. لكنهم سمحوا لي من جديد أن أتمشى في الحديقة التي تحوي 17 شجرة تقريباً. وتلك بالنسبة لي فرحة لا تقدر بثمن. وإلى ذلك يمكنني الآن أن أحصل على شمعة في المساء. وتلك فرحة أخرى. والثالثة ستتحقق عندما تجيبني بسرعة وترسل إلىي «مذكرات الوطن»، لأنني بصفتي مشتركاً فيها من مدينة أخرى أنتظراها كما يتظر المرء تباشير عهد جديد، كإقطاعي قتله الملل في ضيعة هامشية⁽¹⁾.

تريد أن ترسل لي مدونات تاريخية؟ سيكون ذلك رائعاً. إلا أن الأفضل أن ترسل لي الكتاب المقدس بجزءيه. أنا بحاجة إليه. وإذا كان إرساله ممكناً أرسله لي بالترجمة الفرنسية. وإذا أضفت النسخة السلافية فسيكون ذلك متنه الروعة.

بخصوص صحتي لا أستطيع أن أقول ما يسر الأسماع. فمنذ شهر كامل أتناول زيت الخروع، وبفضله أواصل بقائي على قيد الحياة. التهاب البواسير اشتد إلى أقصى حد. وأشعر بألم في الصدر لم أكن أعرفه في السابق مطلقاً. وإلى ذلك يشتد التأثير النفسي، وخصوصاً مع قدوم الليل. أحلام طويلة مشوشهة كل ليلة، وفوق ذلك يخيل إلى من وقت قريب أن الأرضية تترنح تحتي وأجلس في غرفتي كأنني في قمرة بآخرة. وأستنتج من ذلك كله أن أعصابي تدهور. عندما كانت هذه الحالات العصبية تداهمني في السابق كنت أستفيد منها لأكتب. فالكتابة تأتي أفضل وأكثر في مثل هذه الحالات، أما الآن فامتنع، كيلا أجهز على البقية الباقية مني. كانت لدى فرصة، قربة ثلاثة أسابيع، لم أكتب فيها شيئاً. أما الآن فقد بدأت من جديد. كل ذلك لا ضير فيه، يمكن أن أعيش معه. فقد أفلح في التعافي.

لقد أدهشتني عندما كتبت تقول إن معارفنا في موسكو، باعتقادك، لا يعرفون شيئاً عن اعتقالنا. فكرت في ذلك وحلته واستنتجت أن ذلك غير ممكن بأي حال. إنهم، ربما، يعرفون، وأنا أرى لصمتهم سبيلاً آخر. عموماً، هذا شيء متوقع، والقضية غنية عن البيان.

كيف هي صحة إميليا؟ ما أتعسها. هذا هو الصيف الثاني وهي تعاني من ملل لا يطاق. العام الماضي بسبب الكوليرا وغيرها، والعام الحالي الله وحده يعلم برداءة الجو. ولكن يا أخي من الخطيئة أن

نساق إلى الخمول. العمل الحديث بولع شديد هو السعادة بعينها. فما أفضل من أن تعمل وتكتب.

تقول إن الأدب في وعكة. ومع ذلك لا تزال أعداد «مذكرات الوطن» غنية بالمواد، وإن كانت غير روائية. ولا مقالة فيها تقرأ بغير متعة. قسم العلوم رائع. «غزو بيرو» لا أقل من الإلياذة. ولا تقل أهمية عن مقالة «غزو المكسيك» في العام الماضي. ولكن ما الحاجة إلى نشرها مترجمة؟!

قرأت بمنتهى الارتياح المقالة الثانية في تحليل «الأوديسة». إلا أن هذه المقالة أسوأ بكثير من الأولى، مقالة دافيدوف. فتلك كانت مقالة أدبية، وخصوصاً في الموضع الذي يفتقد فيه آراء و Wolff ، مكتوبة بهم عميق للقضية ويحمس يصعب توقعه من بروفيسور طاعن في السن. وحتى في هذه المقالة تمكّن من تحاشي الحذقة الملازمة لكل العلماء بعامة، وعلماء موسكو بخاصة. من ذلك يمكنك، يا أخي، أن تستخلص أن كتبك تبعث في نفسك ارتياحاً عظيمًا وإنني شاكر لك على إرسالها أجزل الشكر. وداعاً، أتمنى لك كل النجاح. اكتب لي بسرعة. وسيكون جميلاً لو أنك كتبت إلى أقربائنا في موسكو عن قضيتنا وسألتهم رسميًّا كيف أحوال الضياعة؟

قبلاتي للجميع. أعتقد أنهم يأخذون الأطفال للتنزه في حديقة «ليتي». تحياتي إلى إميليا ومن تراهم من معارفنا. كتبت تقول إنك تتمنى أن تراني... ستحقق ذلك في وقت ما. أما الآن فوداعاً.

المخلص فيودور دوستويفسكي

ملحوظة: اكتب لي من هو السيد ف. ش. الذي نشر مقالاته في

«مذكرات الوطن». ثم من هو صاحب تحليل أشعار شاخوفا في عدد يونيو من هذه المجلة. اسأل عنهم إن أمكن.

بين العاشر والخامس عشر من سبتمبر تنفذ نقودي يا أخي. ساعدنى من جديد إذا استطعت. المطلوب قليل. لي دين على سوروكين من ربع «القراء» لكننى نسيت المبلغ، وأعتقد أنه زهيد للغاية. فقد سدد لي الأجر كاملاً تقريباً.

- (1) تكرار هزلٍ لعبارة وردت في رسالة سابقة من ميخائيل إلى أخيه فيودور دوستويفسكي.



36. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، قلعة بيتروفالوفسكايا، 14 سبتمبر 1849

أخي العزيز! استلمت رسالتك مع شكسبير والكتاب المقدس و«مذكرات الوطن» وعشرة روبلات فضية، وأنا شاكر لك على ذلك كله. ويسرني أنك في صحة جيدة. أما أنا فكالسابق. اضطراب المعدة نفسه، والتهاب البواسير نفسه. ولا أدرى متى ينتهيان.وها هي شهور الخريف الصعبة مقبلة علينا، ومعها هواجس الأمراض والوساوس التي تلازمني. السماء مكفهرة الآن. والبقعة المضيئة التي يمكن أن أراها من كوة زنزانتي هي ضمانة صحتي وحسن مزاجي. ولتكنني، على أية حال، لا أزال حياً أرزق. هذه حقيقة وواقع بالنسبة لي. ولذا لا نفكّر، رجاءً، أنني في حالة مি�توس منها. كل شيء تمام فيما يخص صحتي حتى الآن.. كنت أتوقع الأسوأ، والآن أرى الحيوية في كياني لن تنضب.

أشكرك مرة أخرى على الكتب. فهي على أية حال تلهية. ها أنا أعيش قرابة خمسة أشهر على وسائلي الخاصة، أقصد على دماغي وحده ولا شيء غيره. هذه الآلة لا تزال تعمل ولم تتقوض.

بالمناسبة، التفكير المتواصل وحده، من دون أية انطباعات خارجية تحبّي الفكرة وتندعمها، أمر صعب. فأنا كأنني تحت مضخة هوائية تنفث الهواء. كل ما فيه ماضٍ إلى الدماغ، ومن الدماغ إلى الفكر. كل شيء، نعم كل شيء. ورغم ذلك يستمر هذا العمل يوماً بعد يوم. الكتب، مع أنها قطرة في بحر، إنما تساعدني على نحو ما. أما عملي الشخصي فهو، على ما أعتقد، يمتص آخر نسخ لدى. على فكرة أنا مسرور لهذا العمل.

أقرأ من جديد الكتب التي أرسلتها لي. وأشكرك خصوصاً على شكسبير. كيف حزرت؟ الرواية الإنجليزية⁽¹⁾ في «مذكرات الوطن» جيدة للغاية. لكن ملهاة تورغينيف⁽²⁾ سيئة لدرجة لا يجوز السكوت عليها. من أين جاءته هذه المصيبة؟ هل يعقل أنه مقدر له أن يتلف كل مؤلف له يتجاوز الملزمة الواحدة؟ أنا لم أتعرف عليه في هذه الملهاة. ليس فيها أية أصالة: طريق وعر ومطروق. كل تلك الأمور قيلت قبله، ويأفضل منه. المشهد الأخير يسوده عجز صياني. في بعض المواضع تلمع شذرات، لكنها تعتبر جيدة لعدم وجود أفضل منها. ما أروع المقالة عن البنوك، وكيف فهمها المجتمع؟

أشكر جميع الذين يتذكرونني. وتحياتي إلى إميليا وأخي أندريه، وقبلاتي لأطفالك الذين أتمنى لهم خصوصاً موفور الصحة والعافية. أنا لا أدرى، يا أخي، كيف ومتى نتلاقي. وداعاً ولا تنسني رجاء. اكتب لي ولو بعد أسبوعين. إلى اللقاء.

المخلص ف. دوستويفسكي

ملحوظة: أرجوك، لا تقلق بخصوصي. إذا وجدت شيئاً يُقرأ
أرسله لي.

-
- (1) المقصود رواية «جين آير» لشارلوت برونتي. الترجمة الروسية 1849.
(2) «الأعزب». سبب انتقاد دوستويفسكي اللاذع لمسرحية تورغينيف هذه هو
مزاجه الذي يقوده إلى توجهات أخرى.



37. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

بطرسبرغ، قلعة بيتروبالوفسكايا ، 22 ديسمبر 1849

أخي وصديقي الحميم !

خلاص. صدر القرار. حكموا علىَ بالأشغال الشاقة لمدة أربع سنوات أقضيها في إحدى القلاع. اعتقد قلعة أورينبورغ. وبالإضافة إلى ذلك تخفّض رتبتي إلى جندي عادي. هذا اليوم، الثاني والعشرين من ديسمبر، نقلونا إلى ساحة سيمينوفسكي للاستعراضات. هناك تلوا علينا جميعاً حكم الإعدام. وقربوا الصليب منا فقبلناه، وعقدوا السيوف فوق رؤوسنا، وقاموا بغسل الموت^(١) حيث ألسونا قمصاناً بيضاء. ثم اقتادوا ثلاثة منا إلى عمود تنفيذ الإعدام. أنا كنت سادس محكوم. وكانوا يستدعوننا ثلاثة ثلاثة، بمعنى أنني في الوجبة الثانية ولم يبق لي على قيد الحياة سوى دقيقة واحدة. تذكرتك، يا أخي، وعائلتك جميعاً. في اللحظة الأخيرة كنت وحدي، ولا أحد غيرك، في ذهني. فعرفت مدى حبي لك يا أخي الوفي. وتسنى لي أن أعانق بليسييف ودوروف اللذين كانا جنبي وودعهما. وفي تلك اللحظة دوى بوق تغيير الحكم. فأعادونا وأبلغونا أن صاحب الجلاله الإمبراطور

يهبنا الحياة. ثم تلو الأحكام الحقيقة. وتم العفو عن بالم وحده. وأبقاءه على رتبته في الجيش.

عرفت الآن، يا أخي العزيز، أننا سنتوجه اليوم أو غداً في التسفيرات. وطلبت أن يسمحوا لي بمقابلة معك. فامتنعوا.⁽²⁾ يمكنني فقط أن أكتب لك رسالة، فأسرع أنت في الرد عليها. أخشى أن تكون على علم بحكم الإعدام علينا. رأيت من نافذة العربية التي نقلونا فيها إلى ساحة الاستعراضات جمهوراً غفيراً. ولربما وصلك النبأ أنت أيضاً، فكنت متألماً علىي. الآن سيكون الأمر بشأنى أهون عليك. أنا لم أكتب، يا أخي، ولم تضعف معنوياتي. فالحياة هي الحياة أينما كانت. الحياة في داخلنا، في الباطن وليس في الظاهر. سيكون على مقربة مني أناس، وأن يكون الشخص إنساناً بين البشر ويبقى إنساناً أبداً، مهما كانت المصائب، ولا يكتبه ولا يسقط، ذلك هو مغزى الحياة و مهمتها. لقد أدركت ذلك. هذه الفكرة تسربت في مسامات كياني، في دمي. نعم، تلك هي الحقيقة. فالدماغ الذي كان يبدع ويحيا حياة الفن الراقية، والذي أبدع وتعود على احتياجات الروح السامة، دماغي ذاك قطع من العنق. وبقيت الذاكرة والصور المرسومة وغير المتجسدة من قبلني في واقع الحال. صحيح أنها قروح في داخلي. لكن القلب باق لدى ونفس الدم ونفس النطفة التي تستطيع أن تحب وتتألم وتتوق وتتذكر. وهذا كله حياة على أي حال. السجين أيضاً يرى الشمس⁽³⁾. وداعاً، إذن، يا أخي. ولا تحزن علىي. والآن أتناول الأمور الشيئية: الكتب، ما عدا الإنجيل، وعدة ملازم من مخطوطاتي، مسودة مسرحية ورواية وخاتمة قصة «حكاية الأطفال» انتزعت مني، والاحتمال الأكبر أن تسلم لك. وسأترك معطفي وبدلتي القديمة أيضاً. ويمكنك أن تأخذهما. والآن يا أخي العزيز ربما

يتنظرني طريق طويل بالتسفيرات. وأنا بحاجة إلى نقود. أخي العزيز إذا استلمت هذه الرسالة وإذا كان بالإمكان استحصال بعض النقود أرسلها فوراً. فالنقد الآن أهم من الهواء بحسب ملابسي. وابعث لي كذلك بضعة أسطر عنك شخصياً. وفيما بعد، إذا استلمت النقد من موسكو، حاول من أجلي ولا تتركني... هذا كل شيء. هناك ديون، فماذا نفعل لها؟!

قبلاتي لزوجتك وأطفالك. ذكرهم بي واجعلهم لا ينسوني. ولربما سنتنقى في وقت ما. حافظ على نفسك وعائلتك يا أخي، عش بهدوء وتحوط وبعد نظر. وفكّر في مستقبل أولادك... عش حياة إيجابية.

لم يكن كياني يزخر بمثل هذه الاحتياطيات السليمة والوفيرة للحياة الروحية كما هو الآن. ولكن هل سيتحمل بدنني؟ لا أدرى. أنا متوجه للتسفيرات ولست بصحة جيدة. أصبحت بتدرن الغدد اللمفية العقدية. ولكن لعله يتتهي. فما أكثر ما جربت في الحياة، يا أخي، ولم أعد أخشى هذه الأمور. فليكن ما يكون. سأخبرك بأحوالى في أول فرصة سانحة.

انقلْ تحياتي الوداعية الأخيرة إلى عائلة مايكوف. وقل لهم إننيأشكرهم جميعاً لمشاطرتهم المتواصلة في مصيري. وانقلْ بضع كلمات أكثر دفتاً، بما يملئه عليك فؤادك، إلى يفغينيا مايكوفا. أنا أتمنى لها المزيد من السعادة وسابقى أتذكرها دوماً بامتنان واحترام. شد على يد نيكولاي ألكساندروفيتشر وأبولون مايكوف، ثم الآخرين فرداً فرداً.

حاول أن تجد يانوفסקי شد على يده واسكره. وأخيراً اشكر جميع الذين لم ينسوني. وذكر الذين نسوني. قبل أخي نيكولاي،

واكتب رسالة إلى أخي أندريه وأخيه عنـي. اكتب لخالي وزوجته. أرجوك أن تكتب بالأصالة عن نفسـي، وتحـيـهمـا بالنيابة عنـي. واكتب لأخواتـي، أنا أتمنـى لهنـ السـعادـة.

لربـما نـلتـقيـ ياـ أخيـ. حـافظـ علىـ نفسـكـ، وـعشـ، بـالـلـهـ عـلـيـكـ، حتىـ موـعـدـ اللـقاءـ معـيـ. فـلـربـماـ نـتـعـانـقـ فـيـ وقتـ ماـ، وـنـتـذـكـرـ صـبـاناـ وأـوقـاتـنـاـ الـذـهـبـيـةـ السـابـقـةـ وـأـمـالـنـاـ وـطـمـوـحـاتـنـاـ التـيـ اـفـتـطـعـهـاـ فـيـ هـذـهـ اللـحظـةـ منـ قـلـبـيـ وـأـدـفـنـهـاـ مـدـمـاءـ.

هلـ يـعـقـلـ أـنـيـ لـنـ آـخـذـ الرـيشـةـ بـيـديـ بـعـدـ الـآنـ؟ـ أـظـنـ أـنـ ذـلـكـ سـيـكـونـ بـالـإـمـكـانـ بـعـدـ أـرـبـعـةـ أـعـوـامـ. سـأـبـعـثـ لـكـ كـلـ مـاـ سـأـكـبـ إـذـاـ كـنـتـ سـأـكـبـ شـيـئـاـ. يـاـ إـلـهـيـ!ـ مـاـ أـكـثـرـ الصـورـ التـيـ عـاـيـشـتـهاـ وـرـسـمـتـهاـ مـنـ جـدـيدـ سـتـلـفـ وـتـمـوتـ، سـتـخـبـوـ فـيـ مـخـيـلـتـيـ وـدـمـاغـيـ أوـ تـنـسـكـ سـمـاـ زـعـافـاـ فـيـ دـمـيـ. نـعـمـ. إـذـاـ اـسـتـحـالـ عـلـيـ أـنـ أـكـبـ سـأـهـلـكـ وـأـمـوـتـ. الأـفـضـلـ خـمـسـةـ عـشـرـ عـامـاـ فـيـ السـجـنـ مـعـ رـيشـةـ الـكـتـابـةـ فـيـ الـيدـ.

اـكـتـبـ لـيـ أـكـثـرـ، اـكـتـبـ بـتـفـصـيلـ أـكـثـرـ وـيـاسـهـابـ. فـضـلـ فـيـ كـلـ رـسـالـةـ أـحـوالـ العـائـلـةـ حـتـىـ صـغـائـرـ الـأـمـورـ. لـاـ تـنسـ ذـلـكـ. فـهـوـ يـمـنـحـنـيـ الـأـمـلـ وـالـحـيـاةـ. يـاـ لـيـتـكـ تـعـلـمـ كـيـفـ أـنـعـشـتـنـيـ رـسـائـلـكـ هـنـاـ، فـيـ الزـنـزـانـةـ. هـذـانـ الشـهـرـانـ وـالـنـصـفـ، هـذـهـ الـفـتـرـةـ الـأـخـيـرـةـ التـيـ مـنـعـونـيـ فـيـهـاـ مـنـ الـمـارـاسـلـةـ كـانـتـ صـعـبـةـ جـداـ. وـكـنـتـ مـتـوـعـكـاـ. عـدـ إـرـسـالـكـ التـقـودـ أـحـيـاـنـاـ عـذـبـيـ بـالـتـفـكـيرـ فـيـكـ. ذـلـكـ يـعـنـيـ أـنـكـ نـفـسـكـ كـنـتـ فـيـ عـوزـ شـدـيدـ. قـبـلـ الـأـطـفـالـ مـرـةـ أـخـرـىـ. مـحـيـاـ كـلـ صـغـيـرـ مـنـهـمـ عـالـقـ فـيـ ذـاـكـرـتـيـ. فـمـاـ أـجـلـهـمـ. يـالـيـتـ أـنـ يـكـونـواـ سـعـادـاءـ. وـكـنـ سـعـيـداـ أـنـتـ أـيـضاـ، اـتـمـنـىـ لـكـ السـعـادـةـ يـاـ أـخـيـ.

لـاـ تـحـزـنـ بـالـلـهـ عـلـيـكـ. لـاـ تـحـزـنـ عـلـيـ. وـاعـلـمـ أـنـيـ لـمـ أـكـتـبـ. وـتـذـكـرـ أـنـ الـأـمـلـ لـمـ يـفـارـقـنـيـ. بـعـدـ أـرـبـعـةـ أـعـوـامـ سـيـهـونـ الـمـصـيـرـ. سـأـكـونـ

جندياً، والجندي ليس سجينًا. واعلم أنني سأعانقك في زمن ما. ألم أكن اليوم في حضرة ملوك الموت؟ ثلاثة أرباع الساعة عايشت هذه الفكرة، كنت على شفا الهاوية،وها أنا الآن على قيد الحياة من جديد⁽⁴⁾.

إذا كان أحد يذكرني بسوء، وإذا كنت قد تشاجرت مع أحد، وإذا تركت انتساباً منفراً في نفس أحد، قل لهم إذا تقيتهم أن ينسوا ذلك. لا مرارة ولا حقد في نفسي. حبذا لو أستطيع في هذه اللحظات أن أحب وأعانق أحداً من المعارف القدامي. هذه فرحة جربتها اليوم، حينما ودعت زملائي الطيبين قبيل مواجهة الموت. فكرت في تلك اللحظة أن نبا إعدامي كان سيقتلنك. ولكن ثق الآن بأنني أعيش وأسأل أعيش في المستقبل على فكرة أنني سأعانقك يوماً ما. لا شيء في دماغي الآن سوى هذه الفكرة.

ماذا تفعل؟ هل فكرت في شيء اليوم؟ هل تعرف عن أحوالنا؟ ما أشد البرد هذا اليوم⁽⁵⁾.

يا ليت رسالتي تصلك سريعاً، وإلا سأبقى قرابة أربعة شهور من دون أخبار منك. رأيت المظاريف التي أرسلت لي فيها النقود في الشهرين الأخيرين، العنوان بخط يدك، وفرحت لأنك في صحة جيدة.

قلبي يكاد يتقطّر كلما عدت بالذاكرة إلى الماضي ورأيت إلى كثرة الوقت المبدد عبثاً والمضيع في الضلالات والأخطاء والبطر وسوء تدبّر العيش وكيف أنني لم أقدر ثمن ذلك الوقت وكم خطيئة ارتكبت ضد روحي وفؤادي. الحياة نعمة، الحياة سعادة، كل دقيقة يمكن أن تكون بمثابة دهر من السعادة. «فيما ليت الشباب يعود يوماً...»⁽⁶⁾ أما

الآن وقد تغيرت حياتي فقد تحولت إلى كيان آخر. أقسم لك، يا أخي، أنني لن أفقد الأمل وسأحتفظ بروحي وفؤادي نقين صافيين. وسأخلق من جديد بشكل أفضل. ذلك هو كل أمني، وتلك هي سلواي الوحيدة.

حياة الزنازين قلت في داخلي الكثير من المتطلبات الجسدية غير النظيفة تماماً، بينما لم أكن أحافظ على نفسي كثيراً في الماضي. أما الآن فالحرمان لا أهمية له بالنسبة لي، ولذا لا تخشَ أن تقتلني شهوة مادية ما. ذلك لن يحصل. يا ليت أن أكون في صحة جيدة.

وداعاً، يا أخي، وداعاً. سأكتب لك مرة أخرى في زمن ما. وستسلم تقريراً عن تسفييري بأكابر قدر من التفصيل. يا ليتني أحافظ على صحتي، والباقي سيكون حسناً على العموم.

إذن، وداعاً، يا أخي، وداعاً. أعانقك بشدة، وأقبلك بشدة. تذكرني من دون ألم في القلب. ولا تحزن، رجاءً، لا تحزن عليّ. في الرسالة القادمة سأكتب لك عما ينتظري في الحياة. فتذكر ما قلته لك: إحسب الحساب لحياتك ولا تبذرها ولا تهدرها، ابنِ مصيرك واحرص على أطفالك. يا إلهي، متى، متى أراك؟ وداعاً. والآن أنفصل عن كل ما كان عزيزاً على الفؤاد، ويؤلمني أن أتركه. يؤلمني أن أقسم نفسي إلى شطرين، وقلبي إلى فلتتين. وداعاً وداعاً. لكنني سأراك. أنا على يقين من ذلك وأأمل أن يتم، فلا تتبدل، وابقَ على حبك لي. ولا تجعل ذاكرتك فاترة باردة، وسيكون تفكيري في حبك لي أفضل جزء في حياتي. وداعاً، مرة أخرى وداعاً. وداعاً لكم جميعاً.

أخوك فيودور دوستويفسكي

ملحوظة: أخذوا مني عدة كتب أثناء الاعتقال. اثنان فقط كانا من الكتب الممنوعة. لا ت يريد أن تحصل على الكتب الباقية؟ أحد تلك الكتب «مقالات فاليريان مايكوف الندية»، وهو نسخة يغينيا بتروفنا. وقد أغارني إياها كقطعة من المجوهرات. أثناء الاعتقال طلبت من ضابط الجندرمة أن يسلّمها هذا الكتاب وأعطيته عنوانها. ولا أدرى هل أعاده إليها. رجائي أن تستفسر عن الموضوع. أنا لا أريد أن أنتزع منها هذه الذكريات. وداعاً، وداعاً مرة أخرى.

لا أدرى هل سأمضي في التسفيّرات ماشياً أم راكباً. أعتقد راكباً. يا ليت.

مرة أخرى شد على يد إميليا وقبل الأطفال بدلاً مني. وبلغ تحياتي ربما... إلى كرايفسكي أيضاً.

اكتُب لي بمزيد من التفصيل عن اعتقالك وعن السجن وإطلاق سراحك.

- (1) تعبير رسمي يقصد به تنفيذ حكم الإعدام.
- (2) لقاء الكاتب مع أخيه تم في 24 من ديسمبر في يوم التسفيّرات إلى سيبيريا.
- (3) في الأصل بالفرنسية، نقلًا عن فيكتور هيغو.
- (4) إشارة إلى إلغاء حكم الإعدام قبل ثلاثة أرباع الساعة من تنفيذه. هنا المشهد انعكس في رواية «الأبله».
- (5) كانت درجة الحرارة 21 مئوية تحت الصفر والمحكومون يتظرون الإعدام في قمchan بيضاء.
- (6) أبو العناية. في الأصل بالفرنسية.

38. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

أومسك، 30 يناير - 22 فبراير 1854

أخيراً يبدو أنني أستطيع أن أتحدث إليك باستفاضة وبشكل أصح. ولكن قبل أن أكتب سطراً أأسلك: لماذا لم تكتب لي حتى الآن ولا سطراً واحداً، أخبرني بالله عليك، لماذا؟ (السلطات منعت ميخائيل من مراسلة أخيه 4 سنوات) وهل أتوقع منك ذلك؟ هل تصدق أنني، في وحدتي الانفرادية، واجهت القنوط الفعلي عدة مرات، متتصوراً أنك لم تعد على قيد الوجود. وأنذاك كنت أفكر طوال الليالي ماذا سيحدث لأولادك، فلעת مصيري لأنني عاجز عن مساعدتهم. وفي مرات أخرى عندما عرفت أنك على قيد الحياة شعرت بغضب شديد، وكان ذلك في ساعات المرض، وهي كثيرة عندي، فصرت أسلط اللوم عليك بمرارة وألم. وفيما بعد زالت هذه الحالة، فسامحتك وحاولت أن أجد لتصرفك كل المبررات، وكانت أهدئ نفسي على أفضل تلك المبررات، ولم أفقد ثقتي وإيماني بك ولا مرة. فأنا أعرف أنك تحبني وتذكريني بالطيب الحسن. بعثت إليك رسالة عن طريق هيئة الأركان، وكان لا بد أن تصل إليك.

وبقيت أنتظر منك جواباً لم أستلمه. هل يعقل أنهم منعوك؟ هذا شيء مسموح به، وكل السجناء السياسيين يستلمون عدة رسائل في العام. دوروف استلم عدة مرات. وقد أكدت الإدارة مرات كثيرة، في معرض الاستفسار منها عن الرسائل، السماح بكتابتها. أعتقد أنني حزرت سبب سكوتوك الطويل. فإنك، بسبب خمولك، لم تراجع البوليس، وإذا كنت قد راجعته فإنك تهدأ بعد أول رد سلبي ربما من شخص غير ملم بالأمور جيداً. وبذلك سيبت لي الكثير من المصائب الأنانية أيضاً. و كنت أفكّر: «إذا كان لا يستطيع المطالبة بكتابة رسالة فهل يستطيع القيام بشيء أهمل من أجلي؟» اكتب. أجبني بأسرع ما يمكن. قبل كل شيء اكتب بصورة رسمية دون انتظار مصادفة ما. اكتب بتفصيل أكثر وياسهاـب. أنا الآن كفلذة منتزعـة منكم. وأريد للفلذة أن تعود إلى موضعها، لكنني عاجز عن إعادتها. الغائبون يجانبون الحقيقة دوماً. هل يعقل أن ذلك كان يجب أن يحصل بيتنا؟ ولكن لا تقلق. أنا (الغائب) أثق بك.

منذ أسبوع خرجت من نظام الأشغال الشاقة. هذه الرسالة تأتيك في منتهى السرية. ولا يجوز التفوّه بشأنها أمام أحد. على فكرة، سأبعث إليك أيضاً رسالة بالقنوات الرسمية من خلال أركان الفيلق السiberi. أجب على الرسالة الرسمية فوراً، أما هذه فأجب عليها في أول فرصة سانحة. بالمناسبة ينبغي لك في جواب الرسالة الرسمية أيضاً أن تستعرض بأكبر قدر من التفصيل أهم ما كان في حياتك طوال هذه السنوات الأربع. أما بخصوصي أنا فيسرّني أن أكتب لك مجلدات كاملة، ولكن ما دام لا يوجد لدى الوقت الكافي حتى لهذه الرسالة فسأكتب الأهم فقط.

ما هو الأهم؟ وما الذي أعتبره هو الأهم بالنسبة لي في الآونة

الأخيرة؟ كلما فكرت في الأمر أستنتاج أنني لن أصف لك شيئاً في هذه الرسالة. فكيف أنقل إليك دماغي، ومفاهيمي، وكل ما عايشته، وكل ما اقتنعت به وما توقفت عنده في هذه الفترة؟ لن أقوم بذلك. فهو عمل غير ممكن إطلاقاً. وأنا لا أحب القيام بعمل لحد النصف. بينما الكلام عن شيء ما بلهجة معتدلة لا يعني شيئاً. على فكرة، البلاغ الرئيسي أمامك. اقرأ واستنتج منه ما يحلو لك. أنا ملزم بالقيام بذلك. ولذا أبدأ بالذكريات.

هل تتذكر كيف افترقنا يا عزيزي وأخي الحبيب الغالي؟ حالما غادرتني أخذونا نحن الثلاثة، دوروف وباسترجيمبسكى وأنا، لتقييدنا بالسلسل. وفي تمام الثانية عشرة، أي في عيد الميلاد، ارتديت السلسل لأول مرة. وزنها قرابة عشرة أرطال والسير فيها صعب للغاية. ثم أجلسونا في زحافة مكشوفة كل واحد على حدة مع دركي، وتوجهنا على أربع زحافات من بطرسبورغ، ساعي البريد العسكري (ضابط الارتباط) في الأمام. كنت أشعر بثقل في القلب وبغموض مشوش ناجم عن الكثير من الأحساس المتنوعة. كان القلب يعيش حالة من الفوضى، ولذا كان يئن ويحزن دون وضوح. إلا أن الهواء الطلق أنعشنى. وما دام المرء يشعر مع كل خطوة يخطوها في الحياة عادة بشيء من النشاط والحيوية فإني كنت في الواقع هادئاً تماماً أتطلع باهتمام إلى بطرسبورغ وزحافاتنا تسير جنب البيوت المزينة بمناسبة العيد، وكانت أودع كل بناية ودار على حدة. ومررنا بشقتك. كما رأيت في منزل كرايفسكي إنارة أكثر. خبرني هل زين شجرة الميلاد وذهبت إليه إميليا مع الأطفال؟ بقرب هذا المنزل شعرت بحزن شديد وكأنني أودع الأطفال. كنت آسفاً عليهم.. وحتى فيما بعد، بمرور السنين، كنت أتذكرهم مراراً والدموع تترفق في عيني.

سفرنا لجهة ياروسلافل. وفي الصباح، بعد ثلاثة أو أربع محطات توقفنا أمام مقهى في شليسيلبورغ. هرعنا إلى أكواب الشاي وكأننا لم نذق طعاماً من أسبوع. وبعد ثمانية أشهر من السجن شعرنا بجوع شديد في الفرجن الشتاء في درجة أفقدتنا الذاكرة. أنا كنت مرحماً، وكان دوروف يثرثر بلا انقطاع، فيما كانت تلوح في دماغ ياسترجيمبسكى مخاوف رهيبة من المستقبل. كنا جميعاً نتابع ساعينا العسكري ونجربه، واتضح أنه شيخ طيب حسن العشر يعاملنا معاملة إنسانية بالقدر الذي يمكن تصوره عن ضابط ارتبط بمجرب جاب أوروبا كلها حاملاً الرسائل العاجلة. وقد قدم لنا الكثير من الخدمات الطيبة في الطريق. اسمه كوزما بروكوفيف. على فكرة، لقد نقلنا كوزما إلى العربات المسقوفة، وكان في ذلك نفع كبير لأن الزمهرير لا يطاق. اليوم التالي كان يوم العيد. الحوذية ركبوا الزحافات معنا، وهم يرتدون قفاطين من الجوخ الألماني الرمادي ومازير حمراء (فوق المعاطف الدافئة)، ولا أحد في شوارع القرى. كان الجو شتوياً رائعاً. ساروا بنا في البراري على طريق بطرسبورغ ونوفغورود وياروسلافل وهلمجرا. المدن متباينة ومظهرها لا يشير الاهتمام. إلا أنها دخلناها في العيد، ولذا كان هناك ما يؤكل ويُشرب.. وتعرضنا لزمهرير فظيع. كنا نرتدي ملابس دافئة، إلا أن الجلوس عشر ساعات تقريباً من دون مغادرة العربية والقيام بتبدل الجياد 5-6 مرات شيء لا يطاق. نخر البرد عظامي حتى النخاع. ولم تتمكن من أن أندفأ فيما بعد في الغرف الدافئة إلا بشق الأنفس. والغريب أن الطريق حسن أوضاعي الصحية. ففي محافظة بيرم تجمدنا ليلة بدرجة حرارة 40 مئوية تحت الصفر. وأنا لا أنصحك بذلك. إنه لأمر غير مريح! وكانت حزينة فترة عبور الأورال. الخيول

والعربات تغوص في أكواام الثلوج، والزوابعة الثلجية تصرق. خرجننا من العربات، وكان الوقت ليلاً وبقينا ننتظر حتى يتم سحبها. الثلوج في كل مكان والزوابعة تفتح على حدود أوروبا، وأمامنا سيبيريا والمصير الغامض فيها، ووراءنا الماضي كله. موقف حزين. وانجست الدموع. على امتداد الطريق كانت قرى كاملة تهرب للتفريج علينا، ورغم السلسل التي تقيدنا كانوا يأخذون منها في المحطات أضعاف المطلوب. الساعي العسكري كوزما وحده تكفل قسراً بحوالي نصف مصروفاتنا. ولذلك دفع كل واحد منا 15 روبلأً فضيأً فقط على مصروفات الطريق. في 11 يناير وصلنا إلى توبولسك. وبعد أن قدمونا إلى الإدارة وفتثونا وصادروا كل نقودنا، زجّونا، أنا ودوروف وياسين جيمبسكى، في حجرة خصوصية صغيرة، فيما كان الآخرون، سبيشنيف والذين وصلوا قبلنا، مسجونين في قسم آخر. ولم نر بعضنا بعضاً طول الوقت تقريباً. بوادي أن أتحدث بمزيد من التفصيل عن تواجدنا في توبولسك لمدة ستة أيام. وعن الانطباع الذي تركته تلك الأيام في نفسي. ولكن المجال هنا لا يتسع. أكتفي بالقول إن المشاطرة والتعاطف الحي منحانا السعادة تقريباً. المنفيون من الأزمان البعيدة، وعلى الأصح زوجاتهم وليس هم، سهروا علينا كما لو كنا من أهلهم. ما أروع هذه القلوب التي جربتها خمسة وعشرون عاماً⁽¹⁾ من المحن والتضحيه بالنفس. رأيناهم بصورة خاطفة، بسبب التشدد الكبير تجاهنا. إلا أنهم أرسلوا لنا الطعام والثياب، وقاموا بمواساتنا وتشجيعنا. أنا، بعد أن بدأت التسفيرات من غير ثياب دافئة، لم آخذ حتى بدلتى، أسفت كثيراً لذلك. فأرسل لي المنفيون بدلة. وأخيراً غادرنا ووصلنا إلى أومسك بعد ثلاثة أيام. وعندما كنا في توبولسك عرفت بأمرينا المباشرين الذين سنكون في

عهدهم. القومدان رجل شريف. إلا أن الميجر الميداني كريفتسوف لثيم من أحقر الناس. إنه ببرلي متواحش، سكير ومشاكس، فيه كل ما يمكن تصوره من منفرات.

بدأ بشتمنا، أنا ودوروف، على قضيتنا وهدد بجلدنا في أول تصرف خاطئ من جانبنا. كان للعام الثاني في رتبة ميجر ميداني، واقترب أبغض المظالم.

وبعد عامين أحيل إلى المحكمة. وخلصني الله منه. كان يداهمنا دوماً في حالة سكر، ولم أره مرة صاحياً. ويأخذ بخناق السجين الصاهي ويضربه بحجارة أنه سكران لأقصى حد. وفي التفقد الليلي يضربه أحياناً لمجرد أنه ينام على جنبه الأيمن أو يهزم ويتأوه في المنام، ولأية ذرية تبادر إلى الرأس المخمور. كان علينا أن نتعايش مع هذا الشخص دون أن نصاب بأذى. وكان هو يرفع التقارير ويبيع شهادات واقع الحال عنا كل شهر في بطرسبورغ. تعرفت على المحكومين بالأشغال الشاقة منذ أن كنا في توبولسك. وهنا في أومسك كنت أتوقع أن أعيش معهم أربعة أعوام. إنهم أناس غلاظ انفعاليون وموتورون. حقدتهم على النبلاء يتجاوز كل الحدود، ولذا استقبلونا، نحن أبناء طبقة النبلاء، بعداء وشماتة على المصيبة التي حلّت بنا. كانوا على استعداد أن يأكلونا لو سمح لهم بذلك. بالمناسبة، حكم عقلك، هل كانت الحمايةكافية ونحن مضطرون أن نعيش ونقتات وننام عدة سنوات مع هؤلاء الناس، وليس هناك من نشتكي إليه أو يسمع شكوانا من شتى الإهانات الإنسانية: «أنتم النبلاء نفترمونا بأنوفكم الفولاذية، في السابق كنتم أسياداً تعذبون الناس، واليوم صرتم كسائر الناس وأسواؤ منهم». هذا هو الموضوع الذي تكرر طوال أربعة أعوام. 150 من الأعداء كانوا يلاحقوننا بلا

كلل. كانت تلك هي تسلية المحببة وشغلهم الشاغل. وما كنا نتخلص من هذه المصيبة إلا باللأبالية وعدم الرضوخ لإرادتهم وبالتفوق الخلقي الذي ما كان بسعهم أن يتجاوزه أو لا يحترمه. كانوا يدركون دوماً أننا أرقى منهم. ولم يكونوا يفهمون الجريمة التي نسبت إلينا. نحن التزمنا الصمت بهذا الخصوص، ولذا لم نكن معهم نفهم بعضاً. وتعين علينا أن نتحمل الثأر والانتقام الذي يعيشون عليه ويتنفسون تجاه طبقة النبلاء⁽²⁾. كانت حياتنا سيئة للغاية. الأشغال الشاقة العسكرية أثقل من المدنية. أمضيت السنوات الأربع كلها رهين المحبس وراء الجدران، لا أغادرها إلا للعمل. وكان من نصبي عمل شاق حقاً، ليس دوماً بالطبع، وكان على أن استهلك آخر طفقاتي، في الجو المكفر، في البلل والوحول أو في الشتاء القارس لدرجة لا يطاق. ذات مرة قضيت أربع ساعات في عمل طارئ عندما تجمد الزئبق، وبلغت درجة الحرارة ربما 40 تحت الصفر. تجمدت ساقی. كنا نقيم سوية في ثكنة واحدة. فتصور القاوش الشبّي العتيق البالي الذي كان ينبغي تجريفه من زمان ولم يعد صالحأ للخدمة. في الصيف جو خانق، وفي الشتاء برد لا يطاق. خشب الأرضية متعرّض. والأرضية نفسها قذرة بطبقة سميكة من الأوساخ يمكن أن ينزلق الشخص عليها ويسقط. النوافذ الصغيرة متجلدة ولا يمكن القراءة طول النهار تقريباً. طبقة الجليد على الزجاج بسمك عدة سنتيمترات. ومن السقف تساقط قطرات. والريح تصول وتتجول في الداخل. نحن كالسمك المعلب. تسخين الفرن يجري بست حطبات سميكة ولا دفء هناك. فالجليد في الغرفة لا يكاد يذوب. وروائح الدخان لا تُحتمل. ذلك هو الشتاء. وفي الثكنة يغسل السجناء ثيابهم فتبتل الثكنة الصغيرة عن آخرها. والتحاشك لا يتيح للشخص حتى أن

يستدير. ومن الغصق حتى الشفق يُمنع الخروج لقضاء الحاجة، وتُقفل الثكنة. ويوضع في المدخل للتبول برميل ذو عروتين. ولذا فالجو خانق جداً. والروائح الكريهة تفوح من جميع السجناء كما من الخنازير. وهم يقولون إنهم لا يستطيعون أن يتذنبوا سلوك الخنازير لأنهم «كائنات حية» مثلها. ننام على أسرّة خشبية من دون حشية. وكل منا وسادة واحدة. نلتحف معاطف قصيرة، وأقدامنا عارية طول الليل. نرتجف من البرد طول الليل. والبراغيث والقمل والصرافر أكواخ لا تعد ولا تحصى. في الشتاء نرتدي معاطف قصيرة، من أسوأ الأنواع في الغالب، ولا تدفعه تقريباً. ونحتذى جزمات لا تقاد أطرافها القصيرة تغطي الساقين ولا تقي من الزمهرير. وعندما يعطوننا رغيفاً مع حساء يحتوي على ربع رطل من اللحم للشخص الواحد فإن اللحم يضعونه مفروماً ولم أره مرة في الحساء. وفي العطل والأعياد يعطوننا عصيدة من دون زبدة تقريباً. وفي الصيام يعطوننا قرنبيطاً بالماء ولا شيء آخر تقريباً. اضطربت معدتي في ألم لا يُحتمل، فمرضت عدة مرات. فهل يمكن العيش والحال هذه بلا نقود؟ لو لم تكن معني نقود لهلكت حتماً. ولا أحد من المساجين يتحمل حياة كهذه. كل واحد منهم يمارس عملاً ما ويبيع ما يبيع ولديه فلوس. أنا كنت أحتسى كوب الشاي وأتناول أحياناً شريحة من لحم البقر، وهذا ما أنقذني. عدم التدخين غير ممكن. وكان بالإمكان الاختناق في هذا الجو العفن. ذلك كله يجري بالخفية. كنت غالباً ما أرقد مريضاً في المشافي. ويسبب الاضطراب العصبي أصبت بالصرع⁽³⁾، ولكن في حالات نادرة. كما أعاني من الروماتيزم في القدمين. وفي ما عدا ذلك أشعر بأن صحتي لا بأس بها. أضعف إلى هذه المنغصات تعذر الحصول على الكتاب تقريباً. وما أحصل عليه أقرأه خفية. العداء

المتواصل والشجار الدائم حوالي الشتائم والصياغ والصخب والضجيج، وكوني دوماً تحت الحراسة لا يتركوني وحدي، كل ذلك، على مدى أربع سنوات دون تغيير، شيء قد لا يجوز التسامح مع من يقول بخصوصه إنه رأى أسوأ منه. وإلى ذلك هناك الشعور بالمسؤولية الذي يلاحقنا دوماً، هناك القيود والسلالس والمضايققة التامة للروح - تلك هي صورة وجودي وحياتي. لن أحذثك عما حصل لروحي، لمعتقداتي، لعقلي وقلبي خلال هذه السنوات الأربع. هذا الحديث يحتاج إلى وقت طويل. إلا أن التركيز المتواصل على الذات والذي لجأت إليه فراراً من الواقع المرير عاد بشماره. فلدي الآن متطلبات وطموحات كثيرة لم أكن أتصورها. إلا أن تلك الغاز ولذلك أمر عليها من الكرام. الشيء المهم هو أن لا تنساني، تذكّرني وساعدني. أنا بحاجة إلى الكتب والنقود. فأرسلها لوجه المسيح! أو مسك مدينة صغيرة مقيدة. لا أشجار فيها تقريباً. الصيف شديد الحرارة مع عواصف رملية، وفي الشتاء زوابع ثلجية. لم أر أثراً للطبيعة. المدينة عسكرية قدرة، ومتفسحة أخلاقياً لأبعد الحدود. أنا أتحدث عن العامة المتوجهة. ولو لم أجده هنا أساساً طيبين لهلكت وانتهى أمري. على سبيل المثال ك. إيفانوف، يصح فيه القول «رب آخ لم تلده أمك». لقد فعل من أجلني كل ما يستطيع. وأنا مدين له بـ 25 ببعض النقود. فإذا جاء إلى بطرسبورغ أشكوه. أنا مدين له بـ 25 روبلأً فضياً. ولكن بماذا نرد الجميل امتناناً على الترحاب والاستعداد الدائم لتنفيذ مختلف الطلبات والاهتمام والعناية التي لا يبديها الشخص إلا لأخيه من أمه وأبيه. وليس إيفانوف الوحيد. ففي الدنيا، يا أخي، كثير جداً من الناس الطيبين.

سبق وكتبت أن صمتك كان يعذبني أحياناً. شكرأً على تحويل

النقود. مع أول رسالة، ولو كانت رسمية، لأنني لا أعرف حتى الآن هل أستطيع أن أبعث إليك معلومات، مع أول رسالة اكتب لي تفصيلاً عن أحوالك، وعن زوجتك إميليا والأولاد وعن جميع الأهل والأقارب والمعارف. في موسكو، من منهم على قيد الحياة ومن توفاه الله وعن أمورك التجارية، اكتب لي من أين لك رأس المال الذي صرت تمارس به التجارة، وهل هي مربحة، وهل لديك شيء، وأخيراً هل تستطيع مساعدتي مالياً، وكم تستطيع أن تبعث لي سنوياً⁽⁴⁾. ولكن لا ترسل النقود بالرسائل الرسمية، إلا إذا لم أجد أنا عنواناً آخر. أرسل الآن من ميخائيل بتروفيتش. مفهوم؟⁽⁵⁾ علماً بأنه لا تزال لدي بقية من نقود، ولكن ليس عندي كتب. إرسل لي، إذا استطعت، مجلات هذا العام، «مذكرات الوطن» على الأقل. إلا أن المهم أنني بحاجة ماسة إلى المؤرخين القدامى بالترجمة الفرنسية والمحدثين⁽⁶⁾ وكذلك الاقتصاديين وآباء الكنيسة. أرسل هذه الكتب من كل بد. اختر الأرخص والأصغر مقاساً. سيتم تسفييري إلى سيمبلاatinسك، في سهب قرغيزيا تقريباً. وسأبعث إليك العنوان. وأسجله هنا أيضاً على سبيل الاحتياط: (...). وهو عنوان رسمي أبعث الرسائل عليه. أما بالنسبة للكتب فسأرسل لك عنواناً آخر. أما الآن فاكتُب لي باسم ميخائيل بتروفيتش. ول يكن في علمك أن أول كتاب أنا بحاجة إليه هو المعجم الألماني⁽⁷⁾.

لا أدرى ماذا ينتظرنـي في سيمبلاatinسك. وأناأشعر بشيء من اللاإالية تجاه هذا المصير. لكنـني لـست أبـالياً تجاه أمر آخر. حـاولـ أن تـتشـفعـ ليـ، وـاطـلبـ مـمـنـ يـسـتـطـعـ أنـ يـتـشـفعـ ليـ بـإـرـسـالـيـ إـلـىـ القـوقـازـ (لـلـخـدـمـةـ الفـعـلـيـةـ فـيـ الجـيـشـ) بـعـدـ عـامـ أوـ عـامـينـ. فـالـقـوقـازـ، عـلـىـ آـيـةـ حـالـ، روـسـياـ. تـلـكـ هـيـ رـغـبـتـيـ الشـدـيـدةـ. فـتـشـفعـ لـوـجـهـ المـسـيـحـ. لـاـ

تنبني يا أخي. ها أنا أكتب لك وأتصرف بكل شيء حتى بأمورك المالية. إلا أن ثقتي بك لم تخفت. أنت أخي، وقد أحببتهني. أنا بحاجة إلى النقود. وعليّ أن أعيش يا أخي. لن تكون هذه السنوات عجافاً. أنا بحاجة إلى النقود والكتب. كل ما تنفقه عليّ لن يذهب هباءً. أنت لا تسرق أطفالك إذا أعطيتني. وسأعيده إليهم وزيادة إذا بقيت على قيد الحياة. أكيد سيسمحون لي بالنشر بعد ست سنوات أو قبل ذلك. أمور كثيرة ستتغير. وأنا لن أكتب تفاهات بعد الآن. وستأتيك أخباري.

سنلتقي، يا أخي، قريباً جداً. أنا واثق من ذلك ثقتي ببعديهيات الحساب. روحي في وضوح. كل مستقبلني وكل ما سأقوم به يلوح أمام أنظاري. وأنا راض على حياتي. الشيء الوحيد الذي يمكن أن أخشاه هو الأشخاص والاستبداد. تأتي إلى رئيس فيكرهك، والرؤساء من هذا النوع موجودون. يبحث عن التواقص، فنهلك بسيبها أو يهلكنا بالخدمة، وأنا ضعيف القوى لا أستطيع بالطبع تحمل كل أعباء الجنود. يقول لي البعض مشجعين: «كل الناس هناك بسطاء». والحقيقة أنا أخشى الشخص البسيط أكثر من المعقّد. على فكرة، الناس سواء في كل مكان. وفي الأشغال الشاقة، بين قطاع الطرق، تمكنت في أربع سنوات أن أميز أخيراً بين الناس. هل تصدق؟ هناك طباع قوية عميقه رائعة، وكم كان معيناً للمرح البحث عن الذهب تحت القشرة الخشنة. تلك ليست الحالة الوحيدة أو الثانية. بل عدة حالات. البعض منهم يستحقون الاحترام، والبعض الآخر رائعون بلا جدال. علمت اللغة الروسية شاباً شركسياً محكوماً بالأشغال الشاقة لجريمة نهب وسلب، فما أكثر ما أمرطني به من امتحان وتشكريات. وسجين آخر بكى عندما ودعني. كنت أعطيته نقوداً، على قلتها،

ف كانت تشكراته بلا حدود. علماً بأن طباعي ترددت. كنت معهما سريع الانفعال ناقد الصبر. وهم يقدران حالي النفسانية، فكانا يتحملان دون أثر للتشكي. وبالمناسبة ما أكثر ما خرجت به من النماذج والصور والطبع الشعيبة من الأشغال الشاقة. لقد تعایشت معهم، ولذا يخيل إلىّي أنني أعرفهم جيداً. ما أكثر المصائر التي تجوب (منطقة الجنایات) وما أكثر قطاع الطرق، وعموماً ما أكثر أصحاب السوابق الحزانى في تلك المعيشة الكالحة. تلك النماذج البشرية تكفي لكتابه مجلدات. فما أغرب هذا الشعب. وما أروعه. عموماً الوقت ليس ضائعاً أو مضيناً بالنسبة لي. فقد عرفت الشعب الروسي، إن لم أقل روسيا، جيداً. عرفته بالقدر الذي لا يعرفه فيه إلا القليلون. هذا ما تقوله كبرياتي المتواضعة. فلا مؤاخذة.

اكتُب لي، يا أخي، حتماً عن جميع الملابسات الرئيسية لحياتك. ابعث الرسائل إلى سيمبلاتسك رسميأً وبالشكل غير الرسمي الذي تعرفه. اكتب عن جميع معارفنا في بطرسبورغ، اكتب عن الأدب، آخر تفاصيله، وأخيراً عن معارفنا في موسكو. كيف حال أخي نيقولا؟ وكيف حال أخي ألكساندرا، وهذا هو المهم، هل خالي على قيد الحياة، كيف حال أخي أندريه؟ أنا أراسل زوجة خالي بواسطة أختنا فيرا، بالمناسبات. هذه الرسالة بالخفية. بالله عليك، احتفظ بهذه الرسالة خفية، بل أحرقها كيلا نسيء إلى سمعة الناس. ولا تنس تزويدك بالكتب، يا صديقي الحميم. المهم مؤلفات المؤرخين والاقتصاديين ومجلدات «مذكرات الوطن» ومؤدونات الآباء الكنسيين وتاريخ الكنيسة. أرسلها في أوقات مختلفة، ولكن أرسلها حتماً. أنا أتصرف بجيبيك وكأنه جيبي. وسبب ذلك هو جهلي بإمكانياتك المادية. اكتب لي عنها بشكل دقيق، لكي آخذها بنظر الاعتبار. ولتكن

عندما سافر فيلينوف إلى سيفاستوبول أهداهاني 25 روبلأً فضياً. تركها عند القومتدان نابوكوف كي لا أعرف بالموضوع. كان يتتصور أنني لن أمتلك نقوداً. ما أطيب قلبه. جميع المنفيين عندنا يعيشون

بتواضع. تول أنهى فترة الأشغال الشاقة، وهو في تومسك يعيش بلا إشكالات. ياستارجيمبסקי على وشك إنهاء الأشغال الشاقة بمدينة تارا. سبيشنيف في محافظة إركوتسك يتمتع بحب الجميع واحترامهم. عجيب مصير هذا الإنسان. فainما وكيفما ظهر يحيط به الناس رأساً زرافات ووحداناً ويفرقونه بالاحترام والتقدير. بتروشيفسكي لا يزال كالسابق بعيداً عن العقل السليم.⁽⁹⁾ مومنيلي ولفوف في صحة جيدة. أما المسكين غريغوريف فقد اختل عقله نهائياً وهو في المستشفى. وأنتم كيف الحال عندكم؟ هل تلتقي السيدة بليشيفا؟ كيف حال ابنتها؟ سمعت من سجناء التسفيرات أنه حي يرزق في سجن قلعة أورسكايا. أما غولوفينسكي فقد نُقل إلى القوقاز من زمان. ما موقفك من الأدب ووضعك فيه؟ هل تكتب شيئاً؟ ماذا عن كرايفسكي، وما هي علاقاتك به؟ أوستروفسكي⁽¹⁰⁾ لا يعجبني. أنا لم أقرأ بيسيمسكي. مقالات دروجينين تبعث في نفسي الغثيان. أعجبت كل الإعجاب بيفغينيا تور. كريستوفسكي تعجبني أيضاً⁽¹¹⁾.

بودي أن أكتب لك الكثير، لكن وقتاً طويلاً مضى لدرجة أجد فيها صعوبة حتى مع هذه الرسالة. فليس معقولاً أن أموراً بهذا القدر تغيرت فيما أحدهنا تجاه الآخر. قبل الأطفال. هل يتذكرون عمهم فيودور؟ تحياتي لجميع معارفنا، لكن هذه الرسالة يجب أن تبقى طي الكتمان. وداعاً، وداعاً يا عزيزي الغالي. ستسمع عني، ولربما ستراني. نعم سألتقي حتماً. أليس كذلك؟ وداعاً. أقرأ جيداً كل ما أكتبه إليك. اكتب لي أكثر، ولو رسمياً. أعانفك وجميع أفراد العائلة مرات لا تعد ولا تحصى.

المخلص

ملحوظة: هل استلمت «حكاية أطفال» التي كتبتها في سجن القلعة؟ إذا كانت عندك لا تصرف بها ولا تعرضها على أحد. من هو تشيرنوف الذي كتب (قصة) «الشبيه» عام 50. (في محاكاة لرواية دوستويفسكي «الشبيه» - ملاحظة المترجم). وابعث لي، رجاءً، سيجار، ولو رديئة بشرط أن تكون أميركية، وكذلك سجائر لف فيها مفاجآت حتماً.

22 فبراير

غداً على الأرجح سيسفرونني إلى سيمبولاتنسك. وسيبقى ق. إ. هنا حتى مايو. وأعتقد أنك تستطيع، إذا أردت، أن ترسل لي شيئاً ما، كالكتب مثلاً، على الاسم السابق ميخائيل بتروفيتشر. للمراسلة مع سيمبولاتنسك ربما سأزودك بعنوان آخر، غير رسمي. ولكن اكتب لي على العنوان الرسمي بأسرع وأكثر ما يمكن. اسع من أجلي بالله عليك. هل يمكن تسفييري إلى القوقاز أو أية جهة أخرى بعيداً عن سيبيريا؟

من الآن فصاعداً سأكتب روايات ومسرحيات، وإلى ذلك بقى الكثير، الكثير جداً، مما يجب أن أقرأه. لا تننسني. وداعاً مرة أخرى. قبل الأولاد. إلى اللقاء! المخلص.

-
- (1) الخدمة الإلزامية في الجيش القبصري آنذاك 25 عاماً.
 - (2) الملك العقاريين والإقطاعيين. ألغى نظام القنانة والعبودية في روسيا رسمياً عام 1861.
 - (3) هذه أول إشارة إلى إصابة دوستويفسكي بالصرع. وبين الباحثين من يقول إن الكاتب أصيب بهذا المرض في الطفولة.

- (4) يحتمل أن يكون الكاتب قرأ في الجرائد الإعلان الذي نشره أخوه ميخائيل حول تجارة السجائر. ويرجع أن ميخائيل بدأ يمارسها في بطرسبورغ بعد أن استلم حصته من تركة الوالد.
- (5) الأرجح أن هذا اسم مستعار.
- (6) فيكو وغيفو وتير ورانكيه وهلمجرا. (ملاحظة دوستويفسكي)
- (7) تفيد بعض المعلومات أن دوستويفسكي كان آنذاك ينوي ترجمة «الفلسفة» لهيجل وغيرها.
- (8) أول طبعة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية صدرت بمرسوم من القيسar بطرس الأكبر في عام 1716.
- (9) موقف دوستويفسكي من بيتروشيفسكي، زعيم الحركة الثورية المسماة باسمه والتي حكم على الكاتب بسبب الانساب إليها، متناقض لغرابة أطواره، قال عنه: «عقل بيتروشيفسكي أكبر من عقلانيته»، لكن دوستويفسكي أكد في الوقت ذاته أنه يكن له كل الاحترام لتزاهته وبنبله.
- (10) فيما بعد قرأ دوستويفسكي مسرحيات ألكسندر أوستروف斯基 وأعجب بها.
- (11) كريستوفسكي اسم مستعار للكاتبة خفوشينسكايا التي بدأت تنشر في «مذكرات الوطن» عام 1850.

39. إلى نتاليا فونفيزينا

أومسك، يناير- فبراير 1854

وأخيراً، يا مثال الطيبة والأريحية السيدة ن. د.⁽¹⁾، أكتب إليك بعد أن خرجت من المكان السابق. في المرة الأخيرة التي كتبت فيها إليك كنت مريضاً نفسياً وبدنياً. كانت الكآبة تنهشني، وأظن أنني كتبت رسالة مشوشة للغاية.. هذه الحياة الطويلة الكالحة المرهقة مادياً ومعنوياً قهرتني. وأنا أحزن دوماً عندما أكتب الرسائل في مثل هذه اللحظات. من الجبن والتخاذل، في اعتقادي، إلقاء الأحزان في تلك اللحظات على الآخرين، مهما كانوا يميلون إلينا. أرسل هذه الرسالة في فرصة مناسبة، وأنا مسرور جداً لأنني أستطيع أن أتكلم معك هذه المرة، خاصة وأنهم نسبونا إلى الكتبية السابعة في سميبلاتينسك ولا أدرى كيف أستطيع فيما بعد أن أكتب لك الرسائل أو أستلمها منك. لقد كتبت لي من زمان عن أخي. آنذاك أعددت رسالتين لك وله، لكنني خشيت أن أرسلهما، وأعتقد حسناً فعلت. قرأت كل عناوينك في رسالتك إلى س. د. (سرغي دوروف) وسأخذها منه على سبيل الاحتياط. ولربما هي عناوين مأمونة، إلا أن رسالتك الأخيرة وصلت

مفتوحة، ولذا لا بد من التزام الحذر الشديد. الأفضل، لو أردت أن تسعديني بالكتابية إلى، أن تعنونها إلى أخي في بطرسبورغ، أو أنه يأتي إليك بنفسه، ليس أكيداً، ويلتقيك شخصياً. أو يبعث إليك شخصاً موثقاً به. أخي يمارس التجارة الآن. ولذا أعتقد أن العثور على عنوانه ليس صعباً، في المطبوعات مثلأً. أنا شخصياً لا أعرف عناوينه. بالمناسبة أنا لا أنسنك بالاعتماد على البريد. فما دام يتنقل بين موسكو وبطرسبورغ، على ما أعتقد،أشخاص من معارفك فالأفضل توصيل الرسالة المعونة لي إليه عن هذا الطريق. وبالتالي سأتراسل مع أخي فقط.. والأفضل في مثل هذه الأحوال أن يكون هناك اتصال واحد وليس اثنان. فهذا آمن وأسلم. وإذا وجدت، بالمناسبة، فرصة مأمونة ولا ضرر فيها للكتابة إلى بطريقة أخرى فسيكون ذلك أيضاً شيئاً رائعاً، بل وأفضل من كوني لا أعرف فيما بعد الطريقة التي يتبعين على أن أكتب فيها لأخي. إبني أعتمد عليه لأن المراسلة معه تتم من كل بد. ثم إنك تقيمين في مارينو، وهذا طريق عادي من موسكو إلى قريتنا في محافظة تولا. لقد قطعت هذا الطريق قرابة عشرين مرة ذهاباً وإياباً، ولذا أستطيع أن أتصور بوضوح مكان إقامتك الجبرية، والأصح محبك الجديد. ما أشد الارتياح الذي أقرأ فيه رسائلك يا ن. د. (نتاليا دميتريفنا) الغالية. تكتبنها بأروع صورة، أو الأفضل أن أقول إن رسائلك تناسب برقق وهدوء من أعماق قلبك الطيب المحب للإنسانية. هناك نماذج ذات طباع انطوانية موتورة نادراً ما تجد في نفسها لحظة طيبة للتواصل مع الآخرين. أنا أعرف مثل تلك الطباع. ولكنهم عموماً ليسوا من الأشرار، بل على العكس تماماً.

لا أدرى تحديداً، لكنني أستشف من رسالتك أنك وجدت مسقط

رأوك مجدداً بحزن واكتتاب. أنا أفهم ذلك. لقد فكرت مراراً أني إذا عدت في زمن ما إلى مسقط رأسي فسأجد في انطباعاتي أحزانَا تفوق المسرات. أنا لم أعش حياتك، ولا أعرف الكثير فيها، كما لا يعرف أي إنسان في حياة إنسان آخر. إلا أن الشعور الإنساني فينا مشترك. ويخيل إليَّ أن كل منفي عندما يعود إلى موطنه يستحضر من جديد، في الوعي وفي الذكريات، جميع مصابيه السابقة. ذلك يشبه الميزان الذي تزن وتعرف من خلاله على وجه الدقة الوزن الحقيقي لما تحملته وعانته فقدته، ولما انتزعته من الناس الطيبون. بارك الله فيك وأمد في عمرك. لقد سمعت من الكثيرين أنك متدينة متعبدة، أقول لك يا (ناتاليا دميتريفنا)، ليس لأنك متدينة، بل لأنني عايشت ذلك وتلمسته، إن الإنسان في هذه اللحظات يتعطش «كالعشب الجاف»⁽²⁾ إلى الإيمان ويجد السبيل إليه، في الواقع لأن الحقيقة تتضاع في المصائب والملمات. عن نفسي أقول لك إنني ابن عصري وزماني، ابن الشكوك وغياب الإيمان حتى الآن، وربما حتى اللحد، أنا أعرف ذلك. فما أشد العذابات الفظيعة التي كنت ولا أزال أتحملها ثمناً لتعطشي إلى الإيمان الذي يزداد في روحي كلما ازدادت الزرائع والحجج المضادة. إلا أن الخالق يهبني أحياناً لحظات أكون فيها هادئ البال تماماً. وفي تلك اللحظات أنا أحب، وأرى أنني محبوب من قبل الآخرين، وفي مثل تلك اللحظات جمعت في نفسي مكونات رمز الإيمان الذي كل شيء فيه بالنسبة لي واضح ومقدس. هذا الرمز بسيط للغاية: الإيمان بعدم وجود ما هو أروع وأعمق وأجمل وأرجح عقلاً وأكثر بسالة وكمالاً من (السيد) المسيح. لا أقول مجرد عدم وجود مثيل له، بل أقنع نفسي بكل محبة وحرص بأن لا مثيل له إطلاقاً. والأكثر من ذلك لو استطاع شخص ما أن يثبت لي

بأن المسيح خارج عن الحقيقة، وأن الحقيقة بالفعل خارج المسيح لفضل البقاء مع المسيح وليس مع الحقيقة.

لكن الأفضل أن نكف عن الكلام في هذا الموضوع. ولا أدرى، على فكرة، لماذا أبعدت بعض مواضيع الحوار نهائياً عن التداول في المجتمع، وإذا تكلم البعض فيها على نحو ما يبدو هذا الكلام وكأنه يخدش أسماع البعض الآخر. فلتترك هذا الموضوع جانباً. سمعت أنك تنويين السفر إلى الجنوب، فعلى بركة الله. ولكن، خبريني رجاءً متى سنكون أحراراً تماماً، أو، على الأقل كسائر الناس؟ عندما تتمنى الحاجة إلى الحرية كلياً؟! فيما يخصني شخصياً أنا أتمنى إما الكل أو لا شيء. ففي معطف الجندي أنا أسيّر أيضاً كالسابق. وما أكثر سروري لأنني أجد في نفسي صبراً يكفي لوقت طويل، وأنني لا أرغب في خيرات الدنيا، ما عدا الكتب وإمكانية الكتابة والبقاء وحيداً لعدة ساعات كل يوم. النقطة الأخيرة تشغّل بالي كثيراً. فقربياً جداً سأعيش عامي الخامس وأنا تحت الحراسة أو بين جمع من الناس، ولم أكن وحدي ولا ساعة واحدة. بقاء الشخص وحده حاجة في طبيعة الأشياء، كالشرب والأكل، وإنما يتحول في هذه الشيوعية القسرية إلى كاره لبني آدم.، فيما يتحوّل المجتمع البشري إلى سم ووباء. ومن هذا العذاب الذي لا يطاق كانت حصتي أكثر من غيرها طوال هذه السنوات الأربع. وصادفتني لحظات شعرت فيها بالكراءية لكل من أصادفه سواء كان على حق أو باطل. و كنت أنظر إليهم كما أنظر إلى أعداء سرقوا مني حياتي دون أن يتلقوا العقاب. إن أكبر مصيبة لا تطاق هي عندما يتحوّل الشخص إلى جائز حقدود كريه، ويدرك ذلك ويلوم نفسه ولا يستطيع أن يسيطر على الموقف أو يغيره. لقد مررت بهذه التجربة. وأنا واثق بأن الله خلصك من هذا الشعور.

أنا أفكركِ كامرأة لديها الكثير من الطاقات على التحمل والمسامحة.

اكتبي لي شيئاً يا ن. د. سيتم تسفييري إلى مجاهل آسيا، وهناك في سيمباليانسك، يتركتني، على ما أعتقد، الماضي كله، كل انطباعاتي وذكرياتي، لأن آخر الأشخاص الذين كانوا أمامي كظلي في الماضي سيفترقون عنِّي. أنا أتعايش مع الآخرين حتى النخاع. أتحول رأساً إلى جزء من معاملتهم لي، ثم أنفصل عن ذلك بألم شديد. عيشي يا ن. د. عيشي عمراً مديداً بسعادة أوفر. عندما نلتقي، ستتعرف بعضاً على بعض من جديد. وقد يخصص المصير الكثير من الأيام السعيدة لكل منا. أناأتوقع حدوث شيء ما. أناأشعر وكأنني لا أزال مريضاً جداً. وأظن أن شيئاً حاسماً سيحدث لي في القريب العاجل، وأنني أقترب من أزمة في مجلـم حياتي، وأنني قد نضجت لشيء ما، وأن شيئاً ما، ربما هادئاً وواضحاً، ربما رهيباً، سيحدث حتماً على أية حال.. وإلا ستكون حياتي حياة شخص منسلخ عن المجتمع فاقد للذاكرة التاريخية. أو ربما هذا مجرد هذيان من دماغي المحموم. وداعاً، وداعاً يا ن. د. والأفضل أن أقول إلى اللقاء!

المخلص د.

ملحوظة: لا مؤاخذة، اعذرني بالله عليك لأنني أكتب لك رسائل غير منقحة وفيها شطبة كثيرة. فأنا والله لا أستطيع من دون الشطبة. لا تزعلي مني رجاء.

(1) ناتاليا دميريفنا، زوجة أحد الثوريين الديسمبريين.

(2) الإنجيل، سفر إشعيا، الإصحاح 42.

40. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 30 يوليو 1854

منذ شهرين لم أكتب لك، يا صديقي الحميم وأخي الكريم. لم تكن الكتابة ممكناً، كانت مستحيلة تقريباً. ولكن قل لماذا أنت صامت؟ كم عدد الرسائل التي بعثتها إليك؟ فيما عدا رسالة ينابير أجبتنى على رسالة واحدة فقط، هي الأولى. هذا الجواب، أي رسالتك الثانية المكتوبة في أبريل، استلمته في مطلع يونيو، ولحد الآن لم أجبك عليه. أؤكد لك، يا عزيزى، أنه لم يكن لدى وقت تقريباً حتى هذه اللحظة. ثم إنه حتى لو توفرت بعض دقائق من الوقت فقد أرجأت الكتابة عمداً إلى حين أفضل كان الجميع يتوقعون مجبيه تقريباً. ولم أكن راغباً في الكتابة إليك باستعجال خاطف. طبيعى أنك تعرف أو تحذر بما أنا مشغول فيه الآن. التدريبات واستعراض أمري اللواء والكتيبة والتحضير له. وصلت إلى هنا في مارس، ولم أكن أعرف شيئاً تقريباً عن تدريبات الاصطفاف. إلا أنني شاركت في الاستعراض في شهر يونيو على قدم المساواة مع الآخرين عارفاً بواجبي لاأسؤا من غيري. كم كان تعبي شديداً وكم كلفتني تلك

الجهود- موضوع لست بصدده الآن. غير أن المسؤولين راضون عنى والحمد لله. الحديث عن هذه الأمور ليس مهمًا جداً بالنسبة لك طبعاً. لكنك تعرف على أية حال بما كان يشغلني كلياً هنا ومهما كتبت في الرسالة ليس بالإمكان توضيح كل شيء. ومهما كان ذلك غريباً عليك فأنا أعتقد أنك تفهم أن خدمة الجندي ليست تسلية، وأن حياة الجنود مع محمل واجباتهم ليست سهلة تماماً بالنسبة لشخص بمثل هذه الصحة المعتلة ويمثل هذا الابتعاد، أو على الأصح غياب المعرفة في مثل هذه التدريبات. وللحصول على هذه الخبرة لا بد من العمل كثيراً. أنا لا أتشكى. فهذا صليبي الذي أستحقه. أكتب ذلك لأرغنك على تحبير عدة أسطر يصعب على العيش والله، من دونها. تصور أخيراً إذا كنا ننتظر بعضنا من بعض جواباً عن كل رسالة ولا نكتبه أصلاً، فستطول مدة الانتظار ربما ثلاثة أشهر. فمن يتحمل؟ وأنت تعرف قيمة رسالتك بالنسبة لي. فهل يعقل أنا سنحسب الرسائل كما نحسب الزيارات؟ فنحن لم نلتقي أصلاً من زمان، ولم نكتب بعضنا لبعض منذ وقت طويل.

وأخيراً استلمت رسالتين من شقيقتي الرائعتين كالملائكة بربارة وفيرا. أنا واثق أنهما تحبانني كما تقولان. ما أرق ما كتبته بربارة. الروح كلها في هذه الرسالة الرائعة. فكرت أن أرد عليهما في أول بريد، لكنني أرجأت الجواب لثالث بريد. كنت مشغولاً جداً. ولا أرغب في كتابة رسالة صغيرة. لا أدرى كيف أعرض مشاعري واهتمامي وحبي لهما. فليباركهما الله. الآن صرت تعرف أهم مشاغلي. والحقيقة لم تكن هناك سوى مشاغل الخدمة. ولم تحصل أحداث خارجية أو انقلابات حياتية أو حالات طارئة. أما الروح والقلب والعقل، ما نما وكبر، ونضج ثم ذوى، وما رمي بعيداً مع

الرؤان فليس بالإمكان توصيله أو تحبيره على قصاصة الورق. أعيش هنا منعزلاً. أتحاشر الظهور مع الآخرين كما هي عادتي. وإلى ذلك كنت خمس سنوات تحت الحراسة، ولذا أجد أعظم المتعة في البقاء وحيداً في بعض الأحيان. عموماً الأشغال الشاقة خلصتني من الكثير وغرست في نفسي الكثير. أنا، مثلاً، كتبت عن مرضي. نوبات الاختلاج والتشنج الغريبة الشبيهة بالصرع. إلا أنه ليس داء الصرع. سأكتب عنه بتفصيل أكثر في وقت ما.

على فكرة، أعمل معرفاً ولا تصوروني سوداوي المزاج وسواسياً كما كنت في بطرسبورغ في السنوات الأخيرة. كل ذلك انتهى دون أن يبقى له أثر. بالمناسبة، كل شيء من عند الله وبيد الله. اشكر أخي نيقولاي على المراسلة. كنت نفسي أريد أن أكتب له. ولكن فليواصل البعض الوقت ويعذرني أنا المسكين. ول يكن واثقاً بأنه عزيز جداً على قلبي وأنني أذكره بمشاعر الدفء والمحبة. قبله كثيراً بدلاً عنني، وتمَّ له كل خير. وقبل الأولاد أيضاً. وبلغ تحياتي إلى إميليا. أحياناً أتذكر مرتبعاً عام 49 والشهرين اللذين قضتهما وحدها عندما اعتقلوك. هل هي بصححة جيلة؟ وهل هي راضية الآن؟ في الأشغال الشاقة ازدادت أمنياتي وازداد تفكيري في الماضي والمستقبل، والأهم فيكم جميعاً.

بعض الذكريات مريرة مريرة، ولكني لا أطربها. حتى المر حلو بالنسبة لي.

بلغ تحياتي لأختي ألكساندرا، قبلها وتها نيابة عنِي. ⁽¹⁾ هل هي بصحة جيدة الآن؟ قبلها نيابة عنِي وأخبرها بشيء جيد عن أموري. عموماً امتدحني، وتمَّ لها الكثير الكثير من السعادة.

أخي الحبيب! أنت تكتب لي عن النقود وتسأله هل أنا بحاجة

إليها؟ لكنك تعرف أحوالى بنفسك. إذا كنت تستطيع فابعث. فأنت أملى الأول. أنا لا أغلق آمالى على أحد مثلما أغلقها عليك.

وداعاً يا حبيبي. اكتب لي أكثر عن أحوالك. اكتب لي من كل بد عن صحتك، ويمزيد من التفصيل عن سير تربية أولادك. وداعاً، يا صديقي، ها قد انتهت الرسالة، فماذا كتبت فيها؟ من المحزن أن نعيش على الرسائل دون أن يرى أحدهنا الآخر خمس سنوات. من الآن فصاعداً سأكتب أكثر. مضموناً وعدداً. ولكن أجبنني أنت أيضاً باسع ما يمكن.

وداعاً وإلى اللقاء.

أخوك فيودور دوستويفسكي

(1) دوستويفسكي يهنىء بزواج اخته.



41. إلى يفغيني ياكوشكين

سيميالاتينسك، 15 أبريل 1855

أشكرك، يا يفغيني إيفانوفيتش الموقر، على تذكرك لي واهتمامك بي. لحسن حظي أني وجدت فيك فجأة شخصاً من أهلي. فشكراً لك مرة أخرى. عن أحوالى أقول إنني أعيش معظم أوقاتي على الآمال وحدها. والحال الحاضر ليس جميلاً. وإلى ذلك اخittelط المكرور بال محمود. رفيقي دوروF ترك الخدمة العسكرية وانتقل، كما سمعت، إلى الخدمة المدنية في أومسك، بسبب المرض. رب ضارة نافعة.

استلمت بوشكين، أشكرك كل الشكر. أخي كتب لي أنه أرسل لي عن طريقك منذ ربيع العام الماضي بعض الكتب، مثل مدونات القديسين والمؤرخين القدامى، ومن بين تلك الحاجيات علب سيجار. لكنني لم أستلم منكم شيئاً. أرجوك أن تبلغني الآن هل أرسلتها إلي أم لا؟ إذا كنت قد أرسلتها فالضائع ثمين، وإن لم ترسلها فذلك يعني أنك نفسك لم تستلمها. تكرم وأخبر أخي بذلك^(١). أشغالى هنا متعددة وغير محددة إطلاقاً. بودي أن ألتزم

بالانضباط، ما يجعلني أقرأ وأكتب على فترات متقطعة أسعى جاهداً إلى تصيدها. لا وقت لدى، خصوصاً الآن، لا وقت بالفعل. اكتب أنت عن جمع الأغاني (الفولكلور). ومن جانبي سأحاول جمعها إن وجدت. ولكن ذلك مستبعد. سأحاول على أية حال. أنا في السابق لم أجمع نتاجات من هذا القبيل. كانت تمنعني فكرة الجودة، فإذا قمت بعمل يجب أن أتقنه. أما جمع الأغاني الشعبية على سبيل الصدفة فلن يعطي شيئاً. لا شيء يتم من دون جهد جهيد. خاصة وأن أشغالي الآن من طبيعة أخرى. فكم ينبغي عليّ أن أطالع؟ وكم تأخرت في هذا المضمار؟ عموماً حياتي مرتبكة.

أخبرني رجاءً من هي أولغا⁽²⁾. ومن هو ل. ت. الذي نشر «المراهقة»⁽³⁾ في «المعاصر».

وداعاً يا عزيزي يفغيني إيفانوفيتش. لا تنسني، وأنا لن أنساك أبداً.

المخلص د. (دوستويفسكي)

ملحوظة: أبعث طيباً رسالة إلى ك. إيفانوف، أرجو التكرم بإرسالها إلى بطرسبورغ، دار ليسيتسين قرب كنيسة المخلص. ولعلك تعرف العنوان من دوني.

(1) تؤكد المصادر أن ياكوشكين أرسل الكتب عن طريق موظف خشي أن يسلمهما إلى دوستويفسكي عندما عرف أنه محكوم.

(2) الاسم المستعار للكاتبة الروائية الروسية س. إنجلهاردت.

(3) هذه الرواية نُشرت في «المعاصر» عام 1854 بالأحرف الأولى ل. ن. ت. (ليف نيكولايفيتش تولstoi)

42. إلى ماريا عيسايفا

سيميالاتينسك، 4 يونيو 1855

لا حدود لتشكراتي لكم على رسالتكم الرقيقة من الطريق مباشرة. وأمل يا صديقتنا الغالية ماريا دميتريفنا أنك مع العزيز ألكسندر إيفانوفيتش تسمحان لي بأن أطلق كلمة الصديق عليكما كليكما. فقد كنا أصدقاء هنا، أليس كذلك؟ وأمل أن نبقى أصدقاء. فهل يعقل أن الفراق سيغرننا؟ كلا. فالأمور صعبة علىي من دونكما يا صديقي العزيزين وأنا جالس بحكم تعليقي... أكتب الرسالة الثانية لكم. ولمناسبة البريد السابق كان جاهزاً لدى جواب على رسالتكم العاطرة الطيبة يا عزيزتي الغالية ماريا دميتريفنا. لكنه لم يصل. فإن الكسندر يغوروفيتش الذي أردت أن أعطيه المظروف ليوصله إلى البريد سافر فجأة (...). السبت الماضي دون أن أعلم بسفره (...). ثم إن خادمه اختفى أيضاً ليومين وظللت الرسالة في جيببي. مما أعظم مصيبي! والآن أكتب ولا أدرى هل ستذهب هذه الرسالة أم لا (...).

عندنا يتظرون في كل لحظة وصول الحاكم العسكري للمحافظة،

ولعله وصل الآن. ويقال إنه سيمكث هنا قرابة خمسة أيام. ولكن فلتترك هذه المسألة. لقد وصلت إلى كوزنيتسك، فهل حصل مكروره، والعياذ بالله، في الطريق؟ كتبت تقولين إنك متقدرة بل متوعكة. أنا لا أزال حتى الآن خائفاً عليك أشد الخوف. فما أكثر المشاغل والهموم والمنغصات المترتبة على الانتقال والسفر وحدهما، فكيف إذا أضيف إليها المرض؟ وما أصعب تحمل ذلك كله. أنا أفكر فيك طول الوقت. وإلى ذلك تعرفين أنني وسواسي، ويوسعك أن تحكمي على مدى قلقني. يا إلهي هل تليق بك وتبلغ مقامك هذه الهموم وهذه الحزازات وهذا المصير عموماً؟ مقامك أنت التي يمكن أن تكون زينة لكل مجتمع؟ يا له من مصير ملعون! أنتظر رسالتك على آخر من الجمر. (...). تسألين كيف أقضي أوقاتي ولا تعرفين كيف تسبر وتتوزع ساعاتي بغيابك؟ منذ أسبوعين وأنا لا أعرف ماذا أفعل لطرد الأحزان. آه، لو تعلمين إلى أي مدى تبنت أنا هنا وحدي. صحيح أن هذا الوقت أشبه بالفترة التي اعتقلوني فيها عام 1849 وزجوا بي في السجن وعزلوني عن كل ما هو عزيز عليّ ومفضل لدى. لقد تعودت جداً عليكم، ولا أعتبر تعارفنا أمراً عادياً، والآن، وبعد أن فقدتكم، توصلت إلى الكثير من خلال الحدس والتجربة. لقد عشت خمس سنوات من دون بشر، وحيداً ليس لدى، بكل معنى الكلمة، شخص أستطيع أن أبوح له بمكتون فؤادي. فيما تقبلتموني أنتم كواحد من أبناء الأسرة. أتذكر أنني كنت عندكم كما عند أهلي. ألكسندر إيفانوفيتش كان يداربني أكثر مما يداري أخاه. وما أكثر المنغصات التي سببها لكم بسبب طباعي الثقيلة. وأنتما، كلاكم، أحبيتماني. أنا أفهم ذلك وألمسه، فأنا، على أية حال، لست بلا فؤاد. أنت امرأة مدهشة، أُعجبُ بها، وقلبك كبير تملأه طيبة الأطفال. لقد كنتِ

بالنسبة لي شقيقة لم تلد لها أمي. مجرد كون المرأة قد مدت يدها لي إنما يشكل حقبة كاملة في حياتي. فالرجل، حتى أجود الرجال، لا يمثل في بعض الأحيان، ولا مؤاخذة، سوى هراوة. فيما قلب المرأة والمشاطرة الأنثوية والمواساة والطيبة اللامتناهية التي لم نشهدها من قبل ولا نلاحظها في الغالب لحماقتنا المعهودة إنما هي خصال لا بديل لها. كل ذلك وجدته فيك. ولن تبلغ حتى أختي شقيقتي المستوى الذي بلغته أنت من حيث الاهتمام بي وبنواصي ومن حيث مدى الطيبة واللطف في معاملتي. وحتى لو حصلت مجادلات بيننا فذلك لأنني، أولاً، كنت خنزيراً عقوقاً، ثانياً، لأنك، وأنت المريضة، المتورطة الأعصاب، المظلومة من قبل المجتمع الكريه الذي لم يفهمك ولم يدرك حق قدرك، كان لا بد أن تستنكري الغبن والظلم بما جبلي عليه من قوة شكيمة وعزم، وكان هذا الموقف نبيلاً نزيهاً. هذا هو أساس طباعك. إلا أن المصيبة والمعيشة بالغا في أمور عديدة وأشاراً أعصابك لأسباب كثيرة. ولكن، ما شاء الله، تم التعويض عن ذلك وأكثر، بمرات ومرات. وطالما أنا لست غبياً دائماً، فقد رأيت ذلك وأقدره حق قدره. باختصار، ما كان بوعي أن لا تتعلق بداركم روحاً كما لو كانت دار أهلي. أنا لن أنساكما أبداً وسابقى شاكراً لكما أبد الدهر. لأنني على يقين بأنكم لا تفهمان حقاً مدى أهمية ما قدمتماه لي ومدى ضرورة أمثالكم من الناس بالنسبة لي. وهذا أمر لا يمكن فهمه إلا بعد تجربته. فلو لاكم لتختسبت أنا وتحجرت نهائياً، وبفضلكم أنا إنسان من جديد. ولكن كفاية بشأن هذا الموضوع، فليس بالإمكان إشباعه بالكلام، وخصوصاً في رسالة. الرسالة باتت ملعونة لأنها تذكرني بالفرق، وكل شيء هنا يذكرني بالفرق. في الأمسيات، عند الغسق، يصادف أن أذهب إليكم في الساعات التي

كنت آتي بها إليكم سابقاً، وتعتصر فؤادي الكآبة لحد انهمار الدموع لولا أنني عصي الدمع. وأكيد أنك لن تضحكني أو تسخري مني بسبب ذلك. من خواص قلبي أنه يتتصق بمن وبما يحب لدرجة تدعوه فيما بعد إلى انتزاعه وعلاجه. أعيش الآن وحيداً وليس من جهة يمكنني أن ألجأ إليها. مللت من كل ما هو موجود هنا. فراغ مطلق. ما عدا ألكسندر يغوريتش (فرانغيل). إلا أن الاختلاط به صعب على لأنني أقارن عفويأً بينه وبينكم، والبون شاسع بالطبع. ثم إنه غير موجود في المنزل. ذهبت من دونه مرة أو مرتين إلى دارة بستان كازاكوف التي انتقل للإقامة فيها. وكان اللقاء حزيناً. كلما أتذكر الصيف الفاتح يعود إلى ذهني منظرك أنت المسكونة ورغبتك طول الوقت في السفر إلى مكان ما في الضواحي لاستنشاق الهواء الطلق على الأقل ولم تتمكنني، فأشعر بالإشراق عليك وأحزن لك. هل تتذكري أننا تمكننا مرة أن نذهب أنت وألكسندر إيفانوفيتش وأنا وهيلينا إلى بستان كازاكوف. وتذكرت الآن عندما أتيت إلى هنا كل شيء. لم يتغير شيء في البستان. المصطبة ذاتها التي جلسنا عليها... فشعرت بالحزن. تقتربين في رسالتك أن أقيم مع فرانغيل. لكنني لا أريد، لأسباب وجيهة عديدة: 1) النقود، عندما أقيم معه لا بد أن أنفق المزيد من النقود طبعاً على الإيجار والخدمة والمائدة، أما العيش على حسابه فهو صعب علىي. 2) طباعي. 3) طباعه، 4) لاحظت أن الضيوف يتترددون عليه غالباً. بأعداد كبيرة أحياناً. ومن المعتذر الانسلاخ عن الجماعة في بعض الأحيان، لا سيما وأنا لم أعد أطيق الغرباء. وأخيراً أنا أحب الوحنة، تعودت عليها، والتّعود هو الطبيعة الثانية للإنسان.

(...) في اليوم الذي ارتحلت فيه وودعتكم حتى طرف

الغاية...). لم يقر لي قرار. واشتدت بي الرغبة أن أبقى وحدي. لم أذق طعم النوم طويلاً في البيت. كنت أجوب الغرفة جيئةً وذهاباً، واتطلع إلى الفجر المنبلج وأتذكر كل هذا العام الذي انقضى بالنسبة لي بصورة غير ملحوظة. تذكرت كل شيء وانتابني الحزن عندما فكرت في مصيري. من ذلك الحين أتسكع من دون هدف واضح، كذلك اليهودي الجوال^(١)، ولا أتردد على أحد تقريباً، مللت. (... زرت بعض الأشخاص)، وأنا أتردد على المعسكر للتدريبات. صحتي تتوعك أحياناً. (...). عرجت على شقتكم، أخذت أصيص الليلاب، فهو عندي الآن، ورأيت (القطة) الميتمة سوركا (ولعله سنجاب الجحور - المرمoot)، هرعت إلى بأقصى سرعتها، لكنها لم تترك المنزل. وأخيراً جاء السائس برسالتك التيأشكرك عليها جزيل الشكر، فقد عادت علي بالفرحة. (...). ما أروع كتابتك لهذه الرسالة يا ماريا دميتريفنا. كنت أطمح إلى رسالة كهذه بالذات. تحتوي على الكثير من التفاصيل. فاكتبي في المستقبل أيضاً بهذه الطريقة. أنا كأنما أرى جدتكم، هذه العجوز البغيضة التي ستنسى إلى محوكمن قيد الوجود. فلتبق مع جرائها المدللة «حتى مثواها الأخير». أمل أن الكسندر إيفانوفيتش سينتزع الوصبة المطلوبة، ويترك العجوز وشأنها. ينبغي إقناعها بأن ذلك أفضل، وإلا يتوجب عليها أن تعطي تعهدأً بأنها ستموت بعد ثلاثة أشهر وتدفع ألف روبل مقابل كل شهر. وبغير ذلك لا تتوافقوا على قبولها. هل يعقل، يا ماريا دميتريفنا، أنك ستضطررين إلى رعاية كلابها، وأنت بصحة متدهورة؟ هؤلاء العجائز لا يمكن تحملهن. قرأت رسالتك على فرانغيل، مقاطع منها طبعاً. ولم أصبر، فمضيت إلى هيلينا، إنها المسكينة تعيش وحيدة. يؤسفني جداً أن صحتك تتوعكت في الطريق. سأبقى في

انتظار رسالتك. أنا قلق بسبب ما حصل لك في الطريق. أشد على يد ألكسندر إيفانوفيتش وأقبّله. آمل أن يكتب لي قريباً. أعانقه من صميم القلب. وأتمنى له كصديق وأخ شلة من الرفاق أفضل. فهل يعقل أنه في كوزنيتسك أيضاً سيعحيط نفسه بأشخاص لا يعرف حقيقتهم كما كان في سيمبیا لاتینسک؟ وهل يستحق هؤلاء الأشخاص التواصل معهم والجلوس إلى مائدة طعام واحدة ثم تحمل المساوى منهم؟ ذلك يعني إلحاق الضرر بالنفس عمداً. إنهم مقيتون، والأهم، ملوثون. وبعد اللقاء معهم تبقى النفس ملوثة وكأنما كان الشخص في حانة خمور. آمل أن ألكسندر إيفانوفيتش لن يزعل من تمنياتي له. وداعاً يا ماريَا دميتریفنا الغالية، وداعاً. وسنلتقي حتماً، أليس كذلك؟ اكتب لي أكثر وأوفر. اكتب عن كوزنيتسك، عن المعارف الجدد، عن شخصك الكريم. اكتب أكثر ما يمكن. قبلي (الصغير) بافل، لعله كان يتسيطن في الطريق. وداعاً، وداعاً. هل يعقل أننا لن نلتقي؟

المخلص دوستويفسكي

(1) الذي رفض مساعدة المسيح في حمل الصليب، فحكمت عليه الأقدار بالتسكع الدائم.

43. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميلاتينسك، 14 أغسطس 1855

أبدأ رأساً بالاعتذار منك، يا عزيزي ألكسندر يغورو فيتش، على التشويس في رسالتي هذه. فأنا واثق بأنها ستصلك مشوشة. الآن الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وقد حررت رسالتين⁽¹⁾، وأشعر بالصداع وأرغب في النوم، وإلى ذلك أنا منفعل كلّياً. صباح اليوم استلمت من (مدينة) كوزنيتسك رسالة. توفي المسكين التعيس ألكسندر إيفانوفيتش عيسايف. أنت لا تصدق مدى أسفه وحزني عليه ومدى اضطرابي وانفعالي. ربما أنا الوحيد من نزلاء المنطقة الذي يجيد تقديره حق قدره. وإذا كانت لديه نواقص فإن مصيره الأسود هو المسؤول عن نصفها. أنا لم أجد شخصاً أكثر صبراً منه في مثل هذه الإخفاقات. وبالمقابل ما أكثر الطيبة والنبل الحقيقي في سلوكه. أنت لم تكن تعرفه جيداً. وأخشى أن أكون مذنباً بحقه لأنني أحياناً، في حالات الغضب، كنت أحكي لك، ربما باهتمام لا موجب له، عن خصاله السيئة فقط. توفي في آلام تفوق التصور. (...) ماريا دميترييفنا كتبت لي عن وفاته بكل التفاصيل. وتقول إن ذكرى هذه

التفاصيل هي السلوى الوحيدة لها. (...). هل تذكر ابنهما بافل؟ كاد يجن. أخذ يقفز من السرير في منتصف الليل ويركع أمام أيقونة المسيح ويتوسل الابتهالات بتلقيين من أمه على روح والده. دفنهه بتواضع الفقراء. على حساب غرباء طيبين. وكانت هي كالمسوسة. تقول إن صحتها متدهورة جداً. وهي لم تنم عدة أيام وليلات جنب سريره. وتؤكد أنها مريضة فقدت طعم النوم وشهية الطعام. زوجة القسيس وأمرأة أخرى تساعدانها. وليس لديها سوى الديون المستحقة للحانوت. أحدهم أرسل لها ثلاثة روبيات فضية. وتقول: «الحاجة دفعتي لقبول هذه الصدقة!...»

إذا كنت، يا ألكسندر يغورو فيتش، على نفس رأيك، كما كنت في سيمباليتينسك قبل أيام، وأنا واثق بأن لديك قلباً كبيراً وأنك لا تتخلى عن الأفكار الطيبة لسبب تافه لا يتاسب والقضية أبداً، فارسل الآن مع الرسالة التي أرفقها لها ذلك المبلغ الذي تحدثت عنه آنذاك. وأكرر لك، يا عزيزي ألكسندر يغورو فيتش، أنني أفكر الآن حتى أكثر مما في تلك الأيام في أن هذه الـ 75 روبيلاً هي دين لك عليّ. وسأعيدها لك من كل بد، ولكن ليس قريباً. أنا أعرف جيداً أن قلبك يتوق إلى فعل الخير... ولكن، حكم عقلك: أنت تعرف عليهم منذ فترة قصيرة، ولا تعرف عنهم إلا القليل. ومع أن المرحوم ألكسندر إيفانوفيتش استدان منك نقوداً للسفر، فإن من الصعب أن تعرض عليها القود باسمك.

ومن ناحيتي أنا أكتب لها في رسالتني عن استعدادك التام لمساعدتها، ومن دونك ما كان بإمكانني أن أفعل شيئاً. أكتب ذلك لا لكي يكون لك شرف عمل الخير والامتنان المستحق. فأنا أعرف أنك، كمسيحي، في غنى عن ذلك. ولكنني لا أريد أن أتلقي

تشكرات لا أستحقها، فأنا أخذت من جيب الغير، ومع أنني سأحاول التسديد لك في القريب العاجل، إلا أنني أخذت منك ديناً لأجل غير مسمى في الواقع.

إذا كنت تنوی إرسال النقود ضعها في رسالتی هذه غير المختومة. وسيكون من أطيب الأفعال من جانبك إذا كتبت لها بضعة سطور. كأن تقول لها كنا على معرفة ضعيفة ببعضنا البعض، لكنه بقي مديناً لك، وستعرف بأنك أعطيتني نقوداً، ولذا فالفرصة مناسبة للكتابة، بل من الضروري الكتابة. فما رأيك؟ بضعة أسطر لا أكثر... يا إلهي، ارافق بحالي، يبدو أنني بدأت أعلمك كيف تكتب. أعود بالله. صدقني، يا ألكسندر يغوروفيتش، أنا أعرف جيداً أنك تفهم أفضل من أي شخص آخر كيف تتواصل مع إنسان اضطررت إلى إقراصه. أنا أعرف أنك تضاعف الاحترام للشخص الذي أفرضته، وتتصرف معه بحذر. فهو وسواسي يخيل إليه أن تساهل الآخرين معه وعدم اللياقة في معاملتهم له يهدفان إلى جعله يدفع ثمن أفضالهم عليه. كل ذلك تعرفه أنت كما أعرفه أنا. فما دام الله منحنا التفكير والشهامة النبيلة فلا يمكننا أن نكون على غير ذلك. فالنبل له مستحقاته⁽²⁾ والنبل من خصالك. أنا أعرف ذلك.

كما أعرف، من كلامك، أن حافظة نقودك ليست على ما يرام حالياً. وبالتالي إذا تعذر عليك إرسال النقود فلا تبعث إليها رسالتی، بل أعدها إلى فيما بعد. وتكرم بإبلاغي مع البريد الأول هل بعثت الرسالة أم لا.

(...) أكتب إليك في بارناول على العنوان الذي أعطيتنيه، ولا أدرى هل وصلت إليها أم لا. أظن أنك كتبت آنذاك أن أراسلك في بارناول بعد الثالث والعشرين من الشهر. أبعث الرسالة على طريقة

عسى ولعل . أبعثها من خلال كروتوف . فهل هذا أفضل؟ اكتب لي .
ماذا تفعل؟ هل أنت في مرح وحبور؟ هل صحيح ما سمعته من أن
المدموازيل أولغا أباظهه⁽³⁾ مخطوبة؟
إذا كنت سترسل النقود فلا تتهاون . فالوضع لن يكون ، بالطبع ،
أصعب مما هو عليه الآن .

بما أنني لا أعرف هل ستصلك هذه الرسالة وأنت في بارناول
(...) أكتب الآن رسالة أخرى إلى ماريا دميترييفنا مع نفس البريد
الذي سأرسله غداً إن شاء الله . كما أرسل لك بريدك ليوم السبت .
فتحتُ الرسالة كما طلبت . إذا تمكّن كروتوف من توصيل رسائل يوم
الاثنين فسأضع معها بريد السبت .

إلى اللقاء . ما أشد الصداع . أنا منفعل إلى أقصى حد . أصابعي
ترتعش حتى من الريشة . أعانقك من صميم القلب .

المخلص ف. د.

(1) الرسائلان مفقودتان ، وهما معنوتان إلى ماريا عيسافا .

(2) في الأصل بالفرنسية .

(3) إحدى معارف دوستويفسكي .

٤٤. إلى براسكوفيا آنينكوفا^(١)

سيميا لاتينسك، 18 أكتوبر 1855

السيدة الفاضلة براسكوفيا يغوروفنا!

كنت من زمان أريد أن أكتب لك وانتظرت طويلاً الفرصة السانحة
لدرجة لا يمكنني معها أن أفوّت الفرصة الحالية. حامل رسالتي،
ألكسي إيفانوفيتش باخريف، شاب متواضع للغاية وفي منتهى الطيبة
والبساطة والتزاهة. أعرفه من عام ونصف ولا أعتقد أني مخطئ في
وصف خصائصه.^(٢)

وسأبقي أتذكر دوماً أنكم، أنت وعائلتك الرائعة، شاطرتموني
ورفافي التعباء مشاطرة صادقة وكاملة منذ أن وصلت إلى سيبيريا.
وكلما أتذكر هذا الموقف أشعر بالارتياح والسلوى، وأظن أني لن
أنساه أبداً. فمن عاش متاعب الحياة القاسية وتجرع مراراتها،
وخصوصاً في ملابسات معينة، إنما يدرك حلاوة المشاطرة الأخوية
التي يتلقاها حينئذ على غير المتوقع. كان هذا موقفكم تجاهي. وأنا
أتذكر لقائي بكم عندما وصلتم إلى أومسك وعندما كنت أنا في
الأشغال الشاقة.

منذ وصولي إلى سيميبالاتينسك لم أسلم أية أخبار تقرباً عن قسطنطين إيفانوفيتش وعن أولغا إيفانوفنا الموقرة⁽³⁾ التي سيبقى تعرفني عليها من أفضل الذكريات في حياتي. قبل عام ونصف، عندما أنهينا الأشغال الشاقة أنا ودوروف، أمضينا شهراً تقريباً في منزلهما. وأنت تعرفي مدى الانطباع الذي يمكن أن يخلفه هذا التعارف في نفس شخص كان طوال أربع سنوات بمثابة قطعة متزرعة من البدن ومطمورة في الأرض على حد تعبير رفاقنا السابقين في الأشغال الشاقة. لقد مدت أولغا إيفانوفنا يد العون لي كأخت لم تلدتها أمي، وسيظل الانطباع عن هذه الروح النقية الرائعة المتسامية النبيلة هو الأكثر تألقاً وشفافية في حياتي. فليختصها الله بالكثير الكثير من السعادة، السعادة لها شخصياً ولمن تحب. أنا أتشوق لمعرفة أخبارها. ويخيل إليَّ أن روحًا رائعة كهذه يجب أن تكون سعيدة هائمة. فالآرواح الشريرة وحدها تعيسة. يخيل إليَّ أن السعادة تكمن في النظرة الوضاءة إلى الحياة وفي طيبة القلب، وليس في المظهر الخارجي. أليس كذلك؟ أنا على يقين بأنك تدركين ذلك تماماً، ولذا أكتب لك بهذا الخصوص.

حياتي تمتد كيما اتفق. وأحيطك علماً بأن لدى آملاً عريضة... تقوم على بعض الواقع: هناك جهود كبيرة تبذل من أجلني في بطرسبورغ، ولربما سأعرف شيئاً بعد بضعة شهور. ولعلك تعلمين أن دوروف أعني من الخدمة العسكرية لأسباب صحية وانتقل إلى الخدمة المدنية في أومسك. ربما لديك معلومات عنه. نحن وإياه لا نتراسل، مع أننا نذكر بعضنا بعضاً جيداً.

البارون فرانغيل الذي تعرفينه يخصك بالسلام. وأنا تربطني به صدقة حميمة. فهو شاب أريحي رائع، فليكن الله في عونه ليبقى دوماً كما هو الآن.

تحياتي الخالصة واحترامي الصادق لزوجك. أتمنى لكم موفور السعادة.

(...) وداعاً يا براسكوفيا يغوروفنا المحترمة. أنا واثق بأن المشينة الإلهية ستجمعنا، وربما قريباً. فأنا أتشوق إلى ذلك. وأنذرك وجميع أفراد عائلتكم بكل حنان. وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

المخلص ف. دوستويفסקי

(...)

-
- (1) زوجة أحد الثوار الديسمبريين.
 - (2) باخيريف شقيق أم السرية التي خدم فيها دوستويفסקי. وكانت بينهما علاقة مودة.
 - (3) يبدو أن المقصود عائلة ابنة آتينكوفا.

45. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميالاتينسك، 13-18 يناير 1856

أنهزم الفرصة للكتابة إليك يا صديقي. منذ العام الفائت، عندما كتبت لك مع م. م. خوميروف斯基، لم أجد الفرصة السانحة، وهذا هي الآن تتوفر. لا بد من الاعتراف بأنك في العام الماضي دفعت القليل في مقابل رسالتي المطولة، فلم ترد على شيء تقريراً، بل إنك لم تجب عن بعض أسئلتي التي كنت أنتظر منك ردًا مفصلاً عليها. لا أدرى ما الذي منعك آنذاك، هل هو الكسل؟ لم يكن الكسل في محله إطلاقاً. هل هو العمل؟ لكنني كتبت لك أنتي لن أصدق بوجود أعمال لا توفر لحظة من وقت الفراغ. هل هو الحذر؟ ولكن ما دمت أنا أكتب لك فلا موجب للتخوف أغلب الظن. آمل أنك هذه المرة ستكتب لي أكثر، على الرغم من أنني سأنتظر جوابك طويلاً، قرابة سبعة شهور. وهذه المرة أيضاً أردت أن أحير لك الكثير جداً، وبالتفصيل، عن عيشيتي وحياتي منذ أن غادرت أومسك ووصلت إلى سيميالاتينسك.

إلا أنني سأكتفي بهذه الورقة، ذلك لأن ألكسندر يغورو فيتش

فرانغيل، حامل هذه الرسالة، يمكن أن يطلعك بكل تفصيل ويكشف لك عن الكثير من الخفايا عني من نواح عديدة، إن لم أقل من جميع النواحي. استقبله بأكبر قدر من الحفاظة وحاول أن تعرف عليه وتتواصل معه بأسرع ما يمكن. فهذا الشاب يستحق معاملة كهذه. إنه طيب القلب، نظيف، ناهيك عما فعله من أجلي وعن مدى إخلاصه لي وارتباطه بي أكثر من ارتباط الأخ مع أخيه. لا أعنيك أنت طبعاً. فاعمل معروفاً وحاول أن تؤده وتتواصل معه سريعاً. فقد أوصيته بك خيراً. وإلى ذلك أعتقد أن المسألة ليست صعبة بالنسبة لك، وأنا أتذكر بهذا الخصوص طبعك الطيب المتميز بحسن المعاشرة وأدب اللياقة والذي يعجب الجميع فأحبوه فيك. وأصور لك هنا باختصار طباع ألكسندر يغوروفيتش ليسهل عليك التواصل معه ولا تشغل بالك بهذا الأمر أكثر. إنه شاب يافع ووديع جداً، على الرغم من شعوره العالي بالكرامة الشخصية. وهو في منتهى الطيبة وبشيء من الاعتزاز بالنفس، حسب الظاهر، وأنا أحب ذلك الشعور، ولديه بعض نواقص الفتوة. وهو مثقف من دون بريق التعليم وأعمقه. ويحب التعلم. ضعيف العزيمة يتأثر بالعواطف كالنساء، سوداوي المزاج بعض الشيء ينساق لللوساوس. وما يثير غضب غيره ويخرجه عن طوره يسبب له هو مرارة وألمًا، وهذا دليل على طيبة القلب. متقييد بأداب اللياقة إلى أقصى حد. لقد تشعّ لي بنكران ذات وساعدني بكل ما يستطيع. خلاصة القول لقد توافقنا، وهو يحبني. سأحدثك المزيد عنه فيما بعد. أما الآن فانتقل إلى أموري أنا.

لعلك تعلم يا عزيزي أن هناك، في بطرسبورغ، من يبذل جهوداً كبيرة من أجلي وأن لدى آمالاً عريضة. وإذا لم تتحقق كلها، إيه إذا لم يطلقوا سراحي، فمن المحتمل تتحقق بعض تلك الآمال على

الأقل. شقيق ألكسندر يغورو فيتش الذي يخدم في فرقة الخيالة كان عندك. أعرف ذلك من رسالته إلى أخيه، ولعله أخبرك بجميع الجهود التي بذلت من أجلي في بطرسبورغ. وأنا واثق بأن ألكسندر يغورو فيتش من جهته سيهز الأرض والسماء لصالحي عندما يصل إلى بطرسبورغ. وسيحدثك عن كل ذلك بتفصيل أكثر مما أستطيع أن أكتب في هذه الرسالة. وأقول لك من جهتي إنني الآن في موقف سلبي تماماً، حيث قررت أن أنتظر. وأفيدك بالمناسبة أنه تم ترفيعي إلى ملازم ثان. وهو أمر هام نسبياً، لأن المرحمة التالية، إذا حصلت، يجب أن تكون بالضرورة أعلى من رتبة الملازم. وأكدوا لي هنا أنني يمكن بعد عامين أو حتى عام واحد أن أرشح رسمياً لسلك الضباط. وأعترف لك أنه كان بوادي أن أنتقل إلى الخدمة المدنية، والآن أيضاً أرغب في ذلك، ولربما سأحاول. لكنني حالياً على الأقل قررت أن أنظر صابراً الرد على كل الجهود الراهنة التي تبذل من أجلي في بطرسبورغ. وأكرر لك أن ألكسندر يغورو فيتش سيحدثك عن ذلك بمزيد من التفصيل. أما أنا فأضيف الآتي: لا تظن، يا صديقي، أن منافع اجتماعية أو ما يشابهها حملتني على بذل الجهود بإصرار من أجلي شخصياً. كلا، صدقني، عندما يخوض الشخص مشاكل كالتي خضتها إنما يخرج أخيراً بعده صيغ فلسفية. والفلسفة كلمة فسرها كما تشاء. إلا أن هناك سببين يجعلانني أخرج بأسرع ما يمكن من عنق الزجاجة ويدفعانني إلى الاهتمام المحموم بنفسي وبشئوني. ولا بد لي أن أطلعك على هذين السببين. 1) رغبتي في الكتابة والنشر، فأنا أعرف أكثر من أي وقت مضى أنني لم ألح هذا الطريق عثناً وأنني لن أُنقل جزاً على هذه الأرض بوجودي فيها. أنا على يقين من أن لدى موهبة وأنني أستطيع أن أكتب شيئاً مرموقاً. أرجوك، بالله عليك، لا

تعتبر كلماتي هذه تغنجأً أو غندرة. فمن غيرك يستطيع أن يصدق طموحاتي وأمالتي؟ ثم إنني أردت لك حتماً أن تعرف لأية اعتبارات أنا بحاجة إلى الحرية وإلى مكانة ما في المجتمع.

والآن السبب الثاني، المهم جداً بالنسبة لي، لكنك لم تسمع مني شيئاً عنه بالمطلق. لا بد لك أن تعلم، يا صديقي، أنني عندما أنهيت الأشغال الشاقة الحزينة توجهت إلى هنا تحدوني السعادة والأمل. كنت أشبه بالمريض الذي أخذ يتعافي بعد داء مستعصٍ، وبات بعد أن أشرف على الموت يشعر بلذة الحياة في الأيام الأولى من النقاوة بأشد مما مضى. وكانت آمالني كبيرة. كنت راغباً في الحياة. فماذا أقول لك؟ لملاحظ كيف انتهت السنة الأولى من حياتي هنا. كنت سعيداً جداً. وهبني الله التعارف مع عائلة لن أنساها أبداً. إنها عائلة عيسايف التي كتبت لك عنها مراراً، بل وطلبت منك أن تقدم لها خدمة. كان هنا في وظيفة ليست رديئة مطلقاً، لكنه لم يتمكن من التعايش معها واستقال بسبب المنفصالات. عندما تعرفت عليهم كان متقادعاً من عدة شهور، يبحث طول الوقت عن وظيفة أخرى. كان يعيش على المعاش وليس لديه مدخلات، ولذا بات في عوز شديد بعد أن حُرم من الراتب. عندما تعرفت عليهم كانوا يبدون أمرهم على نحو ما. وترآكمت عليه الديون. كان يعيش من دون انتظام. وهو بطبيعته غير منتظم. طباعه غريبة ومتعدنة وغلبية بعض الشيء. لقد سقط في أنظار الرأي العام وواجه أذى كبيراً. لكنه تحمل من المجتمع الحالي الكثير من الملاحقات التي لا يستحقها. كان لأبالي كالإجر، معتقداً بنفسه فخوراً، لكنه لا يجيد السيطرة على أعصابه، فسقط إلى الهاوية، كما أسلفت. إلا أنه في الوقت ذاته كان رجلاً طيب القلب ذا شخصية متطوره جداً. كان متعلماً يفقه كل ما تتكلم

معه عنه. وهو في منتهى النبل والشهامة رغم اللطخات الكثيرة. لكن زوجته ماريا ديميتريفنا جذبني إلى عائلتهم، وليس هو. هذه السيدة الشابة، في الثامنة والعشرين، مليحة ومثقفة جداً، وذكية للغاية وطيبة ورقيقة وأنيقة بقلب رائع كبير. تحملت مصيرها هذا بأنفة وشموخ، ومن دون تذمر أو شكوى. كانت تؤدي بنفسها واجبات الخادمة وترعى زوجها الالأبالي الذي قدمت له أنا نصائح كثيرة، بحكم الصدقة، كما تسهر على ابنها الصغير. إلا أنها غدت مريضة سريعة التأثر والانفعال.

كانت بطبيعتها، على فكرة، مرحة لعوباً. وأنا لم أغادر منزلهم تقريباً. فما أروع الأمسيات السعيدة التي قضيتها بحضورها. أنا لم أصادف امرأة مثلها إلا فيما ندر. الجميع تفرقوا عنهم تقريباً، بعضهم بسبب زوجها. ثم إنهم ما كانوا يستطيعون الحفاظ على التعارف. وأخيراً حصل الزوج على وظيفة في كوزنيتسك بمحافظة تومسك. محلقاً، فيما كان في السابق موظفاً للمهام الخاصة في الكمارك. وكان الانتقال من الوظيفة المرموقة الغنية إلى هيئة المحلفين مهيناً جداً. ولكن لا حيلة في الأمر. لم يكن لديهم ثمن القوت تقريباً. وأنا لم أتمكن رأساً من تقاسم الخبز الكفاف معهم، فلم يوافقوا على مساعدتي إلا بعد فترة طويلة من الصدقة الحالصة. وفي مايو 55 ودعتهم إلى كوزنيتسك، وبعد شهرين توفي الزوج بسبب ترسب الحصى. وظلت هي في دار الغربة، وحيدة معدبة بالمصيبة الداهمة، مع ابنها البالغ من العمر سبع سنوات، من دون ثمن كسرة الخبز. ولم يكن لديها حتى ما تدقن به زوجها. ولم تكن لدى أنا نقود. افترضت من ألكسندر يغوروفيتش في الحال 25 روبلأً فضياً، ثم 40 روبلأً وأرسلتها إليها. والآن يساعدها والحمد لله أقرباؤها الذين كانت في

خلاف معهم بسبب زوجها. وهم يقيمون في آستراخان. والدها ابن نازح فرنسي، واسمه دي كونستانط، وهو عجوز يشغل منصباً كبيراً في آستراخان بصفة مدير الحجر الصحي. ليس لديه أملاك، ويعيش على راتبه الكبير. وسيتقاعد قريباً، فينغلص دخله. وهو إلى ذلك يعيش ابنتين آخرتين. ثم هناك أقارب زوجها الأبعدون. أحد إخوة زوجها يخدم كابتناً في كتيبة المشاة الفنلندية التابعة للحرس (القيصري). أنا أعرف أن عائلة الزوج أيضاً كانت محترمة جداً. والآن أفيدك يا صديقي بأنني أحب هذه المرأة من زمان، وأعرف أنها هي أيضاً يمكن أن تحب. أنا لا أستطيع العيش من دونها، ولذا سأتزوجها حالما تتبدل ظروفي نحو الأحسن وبصورة إيجابية ولو قليلاً. وأنا أعرف أنها لن ترفض. إلا أن المصيبة هي أنني لا أمتلك نقوداً ولا منزلة اجتماعية، في حين أن أقاربها يدعونها للذهاب إليهم في آستراخان. وإذا لم يتغير مصيري حتى الربيع فإنها سترحل إلى روسيا. لكن ذلك سيؤجل القضية ولا يغيرها. قراري النهائي، وسأنفذه حتى لو انفطرت الأرض بين قدمي. ولكنني لا أستطيع الآن، وأنا لا أملك شيئاً، أن أستغل ميل هذا الكائن النبيل إلىِّي، وأدفعها إلى الزواج. منذ مايو حيث فارقتها تحولت حياتي إلى جحيم. نراسل كل أسبوع. وكان ألكسندر يغورو فيتش (فرانغيل) على معرفة مع عائلة عيسايف، ولكن فقط للفترة الأخيرة من حياتهم في سيمبلاatinسك. لقد رأى ماريا دميتريفنا، لكنه قليل المعرفة بها. وقد كنت صريحاً معه بعض الشيء بهذا خصوص، ولكن ليس بالكامل. وهو لا يعرف مضمون هذه الرسالة، لكنه، على ما أظن، سيتحدث معك عن كل هذه الأمور. لا أزال حتى الآن أفكر في الانتقال إلى الخدمة المدنية. مدير مصانع ألطي المقدم هيرنغروس، صديق ألكسندر يغورو فيتش،

راغب جداً في انتقالي للعمل عنده، وهو مستعد لتعييني براتب في بارناول. وأنا أفكر في ذلك، لكنني، على أية حال، أنتظر هل يأتي خبر من بطرسبورغ حتى الربيع؟ فإذا تعذر عليَّ السفر من سيبيريا أنا أنوي الإقامة في بارناول حيث سينتقل للخدمة هناك ألكسندر يغوروفيتش. وبعد حين من الوقت سأعود إلى روسيا، أنا أعرف ذلك. لكنني، على أية حال، لا أعرف هل يحق لي أن آمل براتب معين. ولا يمكن لهذا الراتب أن يكون كبيراً. بديهي أنني سأبحث عن كل السبل لكسب المال. وسيكون رائعًا لهذا الغرض لو سمحوا لي بالنشر. وإلى ذلك، يمكن هنا في سيبيريا المضاربة الجيدة الموفقة برأسمال صغير جداً لا يستحق الذكر. ولو كنت أملك هنا، في سيمبالياتينسك، 300 روبل فضي نافلة لكسبت من خلالها حتماً 300 روبل أخرى في العام. فالمنطقة جديدة ومثيرة للفضول. على أية حال، سيكون مخجلاً لي، يا صديقي الغالي، أن أطلب منك إعاليٍ. ولكنني على يقين بأنك ستساعدني بعض الشيء عاماً آخر. المهم أن تساعدني الآن. فإذا جاءتني مرحمة سأطلب المساعدة من خالي، فليعطيني شيئاً أبدأ به حياتي الجديدة. بديهي أنني لن أكتب لأحد في العالم بأنني أنوي أن أتزوج قبل أن يحصل ذلك. وقد أفضيت لك بهذا السر الخطير فحافظ على كتمانه. وأعترف بأنني لم أكن راغباً بفضحه حتى لك أنت. فتلك قضية قلبى يخشى الإعلان عنها ويخشى نظرة الغير وتعرضهم. تلك هي، على الأقل، طباعي. ولذا، فلو وجه المسيح لا تخبر أحداً بسرّي مطلقاً. عموماً لا تخبر أحداً بكل مضمون رسالتي ولا تعرضها على أحد. بالله عليك، لا تتعرض لهذا الموضوع بكلمة أمام أخواتي، فسيشعرن بالخوف على رأساً، وتبدأ النصائح بالالتزام التعقل. أما بالنسبة لي فلا حاجة للحياة نفسها من

دون الشيء الذي بات رئيسياً فيها. أنا أثق بك وحدك، يا أفضل صديق. أنت الوحيد الذي. والآن أحدثك عن بعض الملابس العامة في حياتي هنا، ببعض الكلمات، لأن الأفضل أن يحدثك البارون (فرانغيل) بكل شيء. صحتي جيدة تماماً، نوبات الصرع لم تحصل من زمان. وقد سلكت هنا الطريق القوي. فعلى الرغم من أنني مجرد جندي، إلا أن جميع ذوي المراتب الأعلى يعرفونني، بل ويترفون بمعرفتي. الرئاسة تحبني وتحترمني. (الجنرال هاسفورت) أمر الفيلق وحاكم المحافظة يعرفني ويحاول مساعدتي. وفي بارناول الجنرال مدير التعدين مستعد، من جانبه، أن يبذل كل ما من شأنه أن يساعدني، وهو في منصبه (العلي) قادر على الكثير. إلا أن الأفضل بالنسبة لي هو، في اعتقادي، الانتقال إلى روسيا (الداخل)، للخدمة في مكان ما في البداية. ثم، إذا استطعت أن أحصل على حق النشر، فلن أكون في عوز. كل ذلك سيحصل. أنا على يقين، ولكن ربما ينبغي الانتظار فترة أخرى. وحتى ذلك الحين ربما سأضطر إلى العيش في سيبيريا. فما العمل؟ لا بد من الانتظار. المهم أن أحصل على مرحمة مهما كانت ضئيلة، للانتقال إلى الخدمة المدنية والتعيين في وظيفة متواضعة براتب في مكان ما. لا أدرى هل ستتحقق كل أمنياتي؟ ولربما تتبدد فرصة الزواج. وعندها سأكون تعيساً مغلوباً على أمري من جديد. أنا أعرف نفسي. لا بد من النقود. تلك هي المشكلة..

أقول لك إنه يخجلني أن أطلب منك مساعدتي عندئذ، ولكن، ولو بالقليل، ساعدني في البداية على الأقل. والآن إليك بعض الكلمات عن أموري المالية الفعلية. طلبت منك في رسالة عن طريق شقيق ألكسندر يغوروفيتش أن ترسل لي 100 روبل فضي. يا صديقي، هذه

الـ 100 روبل لا تكاد تسعفني، لأن ديوناً كثيرة تراكمت عليّ. مجموعها 50 روبلأً فضيًّا، وإذا وصلتني نقودك قريباً ستبقى لدى 50 روبلأً تمكنتني من انتظار تبدل ملابسات حياتي، في حال صدور المرحمة مثلاً. وعندذاك ساحتاج إلى مبلغ كبير لأشتري الثياب وغيرها من الحاجيات، ولا موجب للتعداد. هذه الـ 50 روبلأً التي ستبقى لدى سرعان ما تصرف، لأن كل ثيابي رثة، ولا بد من شراء ملابس داخلية وترميم البذلة وخياطة معطف جديد. ولن يبقى لدى سوى القليل، ولا يمكن العيش بأقل من 15 روبلأً في الشهر، إضافة إلى المصاروفات غير المتوقعة. أسأل من فرانغيل عن ذلك. كل شيء هنا باهظ الثمن. على فكرة، أنا لا أطلب أكثر. سأكتفي بهذه الـ 100 روبل على أية حال. ربما باريارة ذات الروح الملائكية تبعث لي شيئاً ما أروع رسائلها. من أين تعلمت الكتابة هكذا؟ إنها أجمل من رسائلك يا صاحب السعادة! وفي حال تغير مصيري، حيث ساحتاج إلى الكثير من النقود، سأطلب من خالي كما أبلغتك. فهل يعقل أنه سيرفض؟ آه يا صديقي، ليتك تعلم كم يصعب على الاعتراف لك بنقطة أخرى. لدى دين آخر، بالإضافة إلى هذا الدين. أنا مدین لآلکسندر يغورو فيتش، حيث أخذت منه في أوقات مختلفة 125 روبلأً فضيًّا. ولا تسألني علام أنفقتها؟ أنا نفسي لا أدرى. أنا أعرف فقط أنني أعيش بفقر مدقع، وأنتحاش التمتع بشيء، ومع ذلك أصبحت مدیناً. أنا لا أطالبك، يا صديقي، بأن تسدد لآلکسندر يغورو فيتش بدلاً مني. فهذا الطلب يتجاوز الحدود. لكنني أعرف أنني يجب أن أسدده له على الرغم من أنه لا يحقن غضباً عندما أتحدث عن هذا الدين، بل ويشعر بالمرارة عندما أذكره به. فهو مؤدب للغاية. عموماً، يكفياناً كلاماً عن النقود. أنا أعرف أنك لن تنساني. فكريتي

الرئيسية هي أن أؤمن بالكسب النفسي بأسرع ما يمكن كيلا أثقل عليكم جميماً. وأضيف هنا بعض كلمات عن ألكسندر يغوروفيتش. فاسمعني. إذا تنسى لك أن تتواءل معه راقبه ولا تتركه وحده. وأكشف لك هنا عن سر كبير. وربما أنا أسيء التصرف لكلامي معك عنه. ولكن ذلك من مصلحته. «إنه واقع في غرام سيدة من هذا البلد، كريمة المحتد وثرية جداً ومن عائلة محترمة»⁽¹⁾ وستصل إلى بطرسبورغ في الوقت نفسه تقريباً.

لا تبين لفرانغيل أنك تعرف بذلك، ولكن كن له بمثابة الأخ الشقيق، كما كنت أنا. وخذ مكانني بهذا الخصوص، فراقبه، لأنه يمكن أن يقوم بحماقات فظيعة، أي مأساوية حتى ضد أخيه، وأنا لا أريد ذلك. هناك المدعو المركبز دي ترافيرس، من أبناء ريفيل، وقد كان صديقاً للبارون فرانغيل، حيث ترعرعا في الطفولة معاً، لكن البارون يعتبره منافساً له، ولذا يمكنهما أن يقدما على حماقات كبيرة. لن أكتب لك أكثر. فإذا تصادقت مع ألكسندر يغوروفيتش وحظيت بشقته فإنه سيحدثك أكثر. وإلا فليس لك أن تعرف المزيد. في كل الأحوال راقبه مستفيداً من القليل الذي كتبته لك عنه. إنه ضعيف العزم، رقيق المعشر، بل وسريع التأثر، فأوفقه عند حده. ولكن، بالله عليك، لا تتفوه بيانت شفة عن ذلك لأحد. ولا تقل لفرانغيل إنني كتبت لك بهذا الخصوص، حتى في لحظة المصارحة إذا تم التواصلي بينكما. فقد فعلت ذلك من أجله، لأنني أوده كثيراً. لا يعرف السر أحد سوانا، هو وأنا، والآن أنت. ولا أحد غيرنا. أعطني الكلمة شرف بأنك لن تفشي السر. إنه غير صريح تماماً مع أخيه، لكتني مهتم بكل ما يتعلق به، حتى أني أفك أن أكتب لأخيه بعض كلمات. وبإضافة إلى هذا السر أخبرك بأن علاقته ليست على ما يرام مع

والده المتعنت الغريب الأطوار والوساوي الشكاك. والده يحبه كثيراً، لكنه يطالبه، مثلاً، بأن لا يقوم حتى الآن بخطوة دون استشارة الأب، حتى في صغار الأمور، بسبب حبه لابنه. وهو ثري، بل ثري جداً، لكنه بخيل على أولاده. إلا أن صديقي البارون لا يريد أن يأخذ شيئاً من والده لأن الأخير متعدد على الملامة بسبب النقود التي يعطيها لأبنائه. لن أستطيع الحديث عن كل شيء في سطور. لكنني أتوقع وأعرف أن مشاكل كبيرة يمكن أن تحصل له مع والده. فإذا صار حك أعلن مشاطرك له في الملمات ومارس الإيحاء له بأن والده هو الأب، على أية حال، وبالوالدين إحساناً. ولديه أخت هي على ما أعتقد الملك الحارس للعائلة كلها. لقد قرأت رسائلها وأعرفها من أحاديث البارون نفسه.

18 يناير. حررت رسائل لأخواتي وخالي، ولم أطلب من أحد شيئاً، وكذلك إلى إيفانوف ومايكوف والأمير أوديفسكي. وطلبت من الأمير أن يساعدني عندما سأقدم طلب السماح باستئناف النشر. ولربما أستطيع أن أكتب في القريب العاجل مقالة عن الحركة الوطنية في روسيا.

إذا سمحوا لي بالنشر فسأطلب مالاً (بال مقابل) وستكون لدى نقود. هل تعرف يفغيني نيكولايفيتش ياكوشكين؟ إذا كنت لا تعرفه فتعرّف عليه. إنه يتعاطف معي كثيراً. كما أرجوك أن تعرف على إيفانوف بشكل أفضل.

بالله عليك لا ترتعب ولا تفك كثيراً فيما كتبته لك عن عواطفني. فذلك يمكن أن يحصل ويمكن أن لا يحصل. أنا إنسان شريف ولا أريد أن أستغل نفوذني لإرغام هذا الكائن النبيل على أن يضحي من أجلني. ولكن عندما تحين الفرصة، ولو بعد 5 سنوات، سأنفذ نواياي

(في الزواج منها). رجاء لا تزعل مني على طلب النقود. ساعلنـي الآن فقط، ففي القريب العاجل، والعاجل جداً، يمكن أن يتغير مصيري.

وداعاً يا صديقي. عش بسعادة ولا تنسني. فبر حيل فرانغيل
غدوات الآن يتيماماً تماماً. ما أشد حزني.
قبل الأطفال وبلغ تحياتي إلى إميليا. كيف صحتها؟ فليهbkم الله
جبيعاً موفور السعادة. أحبني وتذكريني. وأنا أيضاً أحبك جبأ جماً.

المخلص د (وستويفسكي)

(١) في الأصل بالفرنسية.



46. إلى أبولون مايكوف

سيميا لاتينسك، 18 يناير 1856

أردت من زمان أن أرد على رسالتك الغالية^(١) يا عزيزي أبولون نيكولايفيتش. وقد تلمست فيها وأنا أقرأها نفحة الماضي وسابق العهود. أشكرك جزيل الشكر لأنك لم تنسني. ولا أدرى لماذا كان يخيل إليّ دوماً أنك لن تنساني، ذلك على الأقل لأنني أنا أيضاً لا يمكن أن أنساك. كتبت تقول إن وقتاً طويلاً مضى وإن أموراً كثيرة تبدلت، وحصلت تحولات جمة. نعم، هكذا بالفعل. إلا أن الشيء الجيد أنها كبشر وكأناس لم تتغير. أنا أتحدث عن نفسي بشعور من المسؤولية. وكان بوسعي أن أكتب لك الكثير عن ما يثير الفضول وحب الاستطلاع. لا تلمني لأنني الآن أكتب الرسالة على عجل، وبفترات متقطعة، ولربما بغير وضوح. لكنني أشعر في هذه اللحظة ربما بما كنت تشعر به أنت عندما كتبت لي: لا يمكن التعبير عما في النفس بعد كل هذه السنين ليس في صفحة واحدة، بل بـ 50 صفحة. من الضروري والحال هذا أن يدور الكلام وجهاً لوجه، لكي تقرأ بصمة الروح على الوجه ولكي يرن صدى القلب في أصوات

الكلمات. الكلمة الواحدة التي تقال باعتقاد راسخ وبمنتهى الصدق والإخلاص ومن دون تردد، وجهاً لوجه، إنما تتضمن مغزى أكبر بكثير من عشرات الصفحات المحبحة.

أشكرك بخاصة على المعلومات عن أحوالك الشخصية. أنا كنت أعلم مسبقاً أن أمورك ستؤول إلى الزواج. كتبت لي تساؤل هل أتذكر آنا إيفانوفنا؟ كيف يمكن نسيانها؟ أنا مسرور لسعادتها وسعادتك. لم يكن ذلك غريباً عليَّ في السابق أيضاً. هل تتذكر عام 47 عندما بدأت (قصتكما). ذكرها بي، وأكمل لها احترامي وإخلاصي اللامتناهيين. وبلغ والديك بأنني أتذكر تعرفي عليهما ورعايتهما بكل سرور. (...) بلغ تحياتي لوالديك، أتمنى لهما من صميم القلب السعادة وطول العمر. لعلك تعرف من أخي بعض تفاصيل حياتي. في ساعات الفراغ أسجل بعضاً من ذكريات تواجدي في الأشغال الشاقة، مما يثير الفضول ويسترعى الانتباه. على فكرة، الأمور الشخصية الصرف قليلة في هذه التسجيلات. عندما أفرغ من التسجيل وأحصل على فرصة سانحة سأبعث إليك نسخة بخط يدي للذكرى (...). هذه الرسالة يحملها إليك البارون ألكسندر يغورو فيتش فرانغيل. وهو شاب يافع بخصال قلبية وروحية رائعة، جاء إلى سيبيريا من الثانوية مباشرة بأحلام بريئة ليتعرف على المنطقة وليكون نافعاً لها وما إلى ذلك. وقد خدم في سيمبلاatinسك، وتعارفنا، فكانت بيني وبينه مودة عميقة. وما دمت سأطلب منك باللحاح أن تلتفت إليه وتهتم به وتتعرف عليه بشكل أفضل إن أمكن، فإنني أذكر لك براجاز شيئاً عن طباعه: إنه طيب القلب للغاية، ولا يحمل أية معتقدات متميزة. يتحلى بالنبل والشهامة والفتنة والذكاء. إلا أن قلبه ضعيف، رقيق، مع أن مظهره يبدو متعالياً متكبراً للوهلة الأولى. بودي لو تعرفت عليه عموماً من أجل

مصلحته. البيئة التي ترعرع فيها شبه أرستقراطية أو أرستقراطية بثلاثة أرباعها، في عائلة بارون. إلا أن هذه البيئة لا تعجبني كثيراً، بل ولا تعجبه هو أيضاً، لأنها رغم المزايا الرائعة، إلا أنها متأثرة بالماضي كثيراً وبشكل صارخ. فليكن لك تأثير عليه إذا تمكنت، فهو يستحق ذلك. وقد عمل لي الكثير من المعروف. لكتني أحبه ليس فقط بسبب ما قدمه لي من معروف. وفي الختام أقول إنه وسواسي بعض الشيء، سريع التأثر، انطوائي أحياناً، ويعوزه بعض التوازن في المزاج. تكلم معه، إذا توافقتما، بصرامة وببساطة، وبأكبر قدر ممكن من الصدق، ولا تبدأ الكلام من بعيد. لا مؤاخذة لأنني أرجوك هكذا بخصوص البارون، ذلك، وأكرر، لأنني أوده كثيراً. ملاحظاتي عنه، وكذلك هذه الرسالة عموماً، ينبغي أن تبقى طي الكتمان. وبالطبع لا موجب لإلفات نظرك إلى ذلك، فأنت أدرى.

(...) كتبت تقول إنك عانيت الكثير وفكرت في الكثير ورأيت من المستجدات الكثير. ذلك في طبيعة الأشياء، وأنا على يقين بأن أفكارنا، أنت وأنا، يمكن أن تتوافق اليوم أيضاً. أنا كذلك فكرت وعانيت، وكانت هناك ملابسات ومؤشرات دفعتني لإعادة التأمل والتفكير في الكثير من الأمور، بل فوق طاقتني. إنك، وأنت تعرفي حق المعرفة، لا بد أن تقول بأن الحق معي عندما سلكت دوماً ما بدا لي هو الأفضل والأكثر إستقامة، فلم أداهن، بل مارست ما مارسته برغبة وحماس. لا تظن أنني أمح من خلال هذه الكلمات إلى ما نُفيت بسببه إلى هنا. فأنا أتحدث عما جاء بعد تلك الأحداث، لأن الكلام عن الماضي غير مناسب. ثم إن ذلك جاء من قبيل المصادفات لا أكثر. الأنفاس تتبدل والقلب يبقى كما هو. قرأت رسالتك ولم أنهما الأمر الرئيسي. أقصد الوطنية، الفكرة الروسية، الشعور بالواجب

وكراة الوطن، كل ما تتحدث عنه أنت بكل هذا الإعجاب والحماس. ولكن، يا صديقي، هل يعقل أنك كنت ذات يوم على غير ذلك، من رأي غير هذا؟ أنا دوماً كنت أؤمن بهذه المشاعر والمعتقدات. روسيا الواجب، الشرف؟ نعم. أقول لك بصراحة: أنا دوماً كنت روسيّاً حقاً وحقيقة. فما الجديد في هذه الحركة الذي اكتشفته حواليك وتكتب عنه وكأنه اتجاه جديد بالفعل؟ أتعرف لك بأنني لم أفهمك. قرأت أشعارك ووجدتها رائعة. وأشاطرك تماماً شعورك الوطني بالتحرر الأخلاقي للسلافيين (الصقالبة). هذا هو دور روسيا الشماء العظيمة، روسيا الأم المقدسة. وما أروع الخاتمة والسطور الأخيرة في (قصيدتك) «كاتدرائية كليرمونتسكي». من أين أخذت هذه اللغة لتعبر عن هذه الفكرة الهائلة بمثل هذه الروعة؟ نعم، أشاطرك الفكرة القائلة بأن روسيا ستنهي أوروبا ورسالتها. كان ذلك واضحاً بالنسبة لي من زمان. تقول في رسالتك إن المجتمع كأنما أخذ يصحو من اللأبالية والخمول. ولكنك تعلم أن التظاهرات لا تحصل في مجتمعنا عموماً. فمن قال استناداً إلى ذلك إن المجتمع يفتقر إلى الطاقات؟ ألق الضوء جيداً على الفكرة، وادع المجتمع وسيفهمك ذلك المجتمع. والحال كذلك الآن أيضاً: الفكرة أنيرت بشكل رائع، بروح وطنية وفروسية تماماً، وهذا أمر حقيقي لا بد من الاعتراف به، وتبني الجميع فكرتنا السياسية التي أوصى بها بطرس. ولعلك تشعر بالاستياء، منذ وقت قريب، من غزو الأفكار الفرنسية لذلك الجزء من المجتمع الذي يفكر ويحس ويتدارس. صحيح أن ذلك كان استثناء، وكل استثناء يولد ضداً بطبيعته. ولكن ألا توافقني بأن جميع ذوي العقل السليم، أي أولئك الذين يوجهون ويتحكمون بكل شيء، قد نظروا إلى الأفكار الفرنسية من الزاوية العلمية لا أكثر. وأنهم، هم،

حتى وإن كانوا يتقيدون بالاستثناءات، إنما كانوا من الروس. فأين ترى المستجدات؟ أؤكد لك أبني، على سبيل المثال، يعز علي كل ما هو روسي. حتى سجناء الأشغال الشاقة لم يثروا مخاوفي، فهم من أبناء الشعب الروسي وهم إخوتي في المصيبة، وكان يسعدني أن أبحث أكثر من مرة عن سماحة الخلق حتى في جوانح الواحد من قطاع الطرق، ولذا تمكنت في الواقع من فهمه، لأنه كان روسيأ. مصيبي وفُرت لي فرصة الاطلاع عملياً على الكثير من الأمور، ولعل هذه الممارسات أثرت في كثيراً، لكنني عرفت عملياً بأنني كنت دوماً روسيأ من حيث القلب والfovad. يمكن الوقوع في خطأ الفكرة، ولكن لا يجوز الخطأ في القلب وخطأ فقدان الضمير، أي العمل ضد المعتقد الشخصي. ولكن لماذا أكتب لك عن ذلك كله؟ لماذا؟ فأنا أعرف أنني لن أتمكن من التعبير عن شيء في سطور، فما الداعي لكتابه ذلك؟ الأفضل أن أخبرك شيئاً إضافياً عن نفسي. في فترة الأشغال الشاقة لم أقرأ إلا القليل. فلم تكن هناك كتب أبداً. أحياناً كنت أحصل عليها. وعندما وصلت إلى هنا، إلى سيمبیلاتینسک، أخذت أقرأ أكثر. ومع ذلك لا توجد كتب، بل حتى الكتب الضرورية غير موجودة. والوقت يمضي. لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى عذابي لأنني لم أتمكن من الكتابة في فترة الأشغال الشاقة. في حين أن العمل كان يغلي في داخلي. وإن النتائج جيدة أحياناً. كنت أتلمس ذلك. لقد ألفت هناك، في الدماغ، قصتي الكبيرة المكتملة. كنت أخشى أن يخفت الحب الأول لنتائجي حين تمر السنين ويحين وقت التجربة، فلا أجده النحب الذي تتعذر الكتابة من دونه. لكنني أخطأت. طباع الشخصوص التي أبدعها وتشكل أساس القصة بمجملها تطلبت عدة سنوات من النضوج والتطوير، وأنا واثق بأنني يمكن أن

أفسد كل شيء فيما لو أخذت أكتب وأكتب من دون تمهيد. ولكنني عندما أنهيت الأشغال الشاقة لم أكتب مع أن كل شيء كان جاهزاً. لم أتمكن من الكتابة. هناك حادث تباطأ كثيراً في حياتي حتى جاءني أخيراً وشغلني عن كل شيء في الدنيا. كنت سعيداً، ولم أستطع أن أعمل. ثم حلت بي الأحزان والمصائب. فقدت ما كان يشكل كل شيء بالنسبة لي. مئات الأميال تفرق بيننا. لا أستطيع أن أوضح لك القضية الآن، ربما سأوضحها في زمن ما. إلا أنني لم أكن عاطلاً عن العمل نهائياً. كنت أعمل، لكنني أرجأت مؤلفي الرئيسي ووضعته جانباً.⁽²⁾ فهو يحتاج إلى استقرار نفسي أكثر. في معرض المزاح بدأت كتابة ملهاة، وبذلك أثرت مازحاً الكثير من المواقف الهزلية ورسمت العديد من الشخصوص الفكاهية، حتى أعجبني بطي لدرجة أنني تركت الشكل الفكاهي رغم نجاحه، وذلك للشعور بالارتياح من متابعة مغامراته وقتاً أطول والضحك عليه. هذا البطل يشبهني بعض الشيء. باختصار، أنا أكتب رواية هزلية، لكنني لحد الآن كتبت مشاهد منفصلة للمغامرات، كتبت ما يكفيه والآن أعمل على توليفها في رواية متكاملة. هذا هو البلاغ المبين عن مشاغلي. فما كان بوسعي أن لا أحذثك عنها وأنذكر ماضينا يا صديقي الغالي. نعم. كنت سعيداً مراراً معك، فكيف أنساك. كتبت لي شيئاً عن الأدب. خلال العام الحالي لم أقرأ شيئاً تقريراً. وأذكر لك هنا متابعتي: تورغينيف يعجبني أكثر من الجميع. وللأسف أن فيه القليل من ضبط النفس رغم موهبته الكبيرة. ل. ت. (ليف تولستوي) يعجبني كثيراً. لكنه، باعتقادي، لن يكتب الكثير، وربما أنا مخطئ. أنا لا أعرف أوستروفسكي إطلاقاً، لم أقرأ له على العموم، لكنني قرأت مقتطفات عديدة في الدراسات عنه. وهو ربما يعرف جيداً طبقة معينة من

روسيا، لكنني أعتقد أنه ليس فناناً. وإلى ذلك أعتقد أنه شاعر بلا مثال أعلى. فأرجوك أن تغير رأيي، اكتب لي بالله عليك ما هي أفضل مؤلفاته لكي أتعرف عليه ليس من كتابات النقاد فقط. من مؤلفات بيسيمسكي قرأت «الثرثار» و«الخطيب الشري» فقط. وهو يعجبني كثيراً. ذكي، طيب القلب، بل وساذج، ويحكي جيداً. إلا أن المؤسف لديه هو الاستعجال في الكتابة. يكتب كثيراً وبسرعة كبيرة. لا بد من المزيد من حب الذات واحترام الموهبة الشخصية والفن، لا بد من حب الفن أكثر. الأفكار تسيل منذ الفتوة، ولا يجوز تلتفت كلّاً منها على عجل والتعبير عنها في الحال، والتسرع في ذلك التعبير. الأفضل انتظار المزيد من التراكيب، والمزيد من التفكير، انتظار تجمع الكثير من صفات الأمور التي تعبّر عن فكرة واحدة في مجموع كبير، في صورة مجسمة كبيرة، وعنذاك يمكن التعبير عنها. الشخص الهائلة التي ابتدعها كتاب كثيرون غالباً ما كانت ترسم وتتنضمّ أمداً طويلاً وبصبر وأناء. فلا يصح التعبير عن كل التجارب والعينات والرسومات الأولية. لا أدرى هل فهمت ما أقول؟ أما بخصوص بيسيمسكي فهو، باعتقادي، يطلق العنان لريشه. كاتباتنا يؤلقن ككاتبات أنثويات، بمعنى أنهن يكتبن بقطنة وبرقة ويسرعن كثيراً في الصياغة والتعبير. خبرني لماذا لا تغدو الكاتبة أبداً تقريباً فنانة صارمة؟ حتى الفنانة التي لا جدال في موهبتها، جورج صاند، أساءت إلى نفسها أكثر من مرة بخصالها الأنوثية. قرأت الكثير من أشعارك القصيرة في المجلات طول الوقت. وهي تعجبني كثيراً. فتشجع وأعمل. وأقول لك بالنسر والكتمان توتشيف شاعر رائع، ولكن كذا وكذا... أي توتشيف هذا؟ شاعرنا؟ على فكرة، الكثير من أشعاره في منتهى الروعة. وداعاً، يا صديقي العزيز. لا مؤاخذة على عدم

ترابط الرسالة. لا يمكن كتابة شيء في الرسائل. ولذا أنا لا أطبق مدام دي سيفيج، فقد كتبت رسائل في متنه الروعة. من يدري؟ ربما ساعانقك في زمن ما. يا ليتنا. بالله عليك لا تخبر أحداً برسالتي هذه. ساعانقك.

المخلص د (دوستويفسكي)

-
- (1) رسالة مايكوف إلى دوستويفسكي مفقودة.
(2) في الخمسينات تحدث دوستويفسكي مراراً عما سمّاه روايته الرئيسية، لكنها لم تر النور.



47. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميا لاتينسك، 23 مارس 1856

صديقي الطيب الغالي ألكسندر يغوروفيتش! أين أنت؟ ماذا دهاك؟ هل نسيتني؟ اعتباراً من الاثنين القادم سأظل أنتظر منك بفارغ الصبر الرسالة الموعودة، كما لو كانت هي السعادة بعينها وتحقيق كل أمنياتي الفعلية. تحت هذا المظروف تجد ثلاث رسائل غير مختومة، واحدة لأخي والأخرى للجنرال المرافق إدوارد إيفانوفيتش توبلينين. فلا تدهش. سأوضح لك. والآن أتحدث بالترتيب، وأبدأ الحديث عنـي. يا ليتك تعرف مدى كابتي وانكساري وخيبة أملـي النهائية تقريباً الآن، في الحال الحاضر، لو عرفت لفهمـت حقاً لماذا أتـت رسالتـك كسفينة النجـاة. فهي لا بد أن تحلـ الكـثير، والـكـثير جـداً، في مصـيري. لقد وعدـتـني بأنـ تكتبـ بأسرعـ ما يمكنـ، حالـ وصولـكـ إلى بـطـرسـبورـغـ وتـبلغـنـي بكلـ ما أـطـمـعـ إـلـيـهـ وما بـذـلـتـهـ منـ جـهـودـ أـخـوـيـةـ منـ أـجـلـيـ طـوالـ عامـ كـامـلـ، بـصـراـحةـ منـ دونـ إـخـفـاءـ شـيءـ. ومنـ دونـ تـزوـيقـ لـلـحـقـيقـةـ ومنـ دونـ تـهـدىـتـيـ بـآـمـالـ مـهـزـوـزةـ. أناـ أـنـتـظـرـ منـكـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ كـأـنـفـاسـ الـحـيـاةـ. بـالـلـهـ عـلـيـكـ لـاـ تـعـرـضـ رـسـالـتـيـ عـلـىـ أـحـدـ. وأـحـيـطـكـ أـنـ أحـوـالـيـ

كما في حال الطوارئ. السيدة⁽¹⁾ مكتبة، مخبية، متوعكة طول الوقت، أخذت تفقد الأمل في تطلعاتي وفي تأمين مستقبلني، والأسوأ من ذلك أنها محاطة في مديتها الصغيرة، لم تنتقل إلى بارناول حتى الآن، بأناس يدبرون أموراً غير طيبة إطلاقاً. فهناك من يطلب يدها. ويبذل المتزلفون من أقربائها جهوداً باللغة لإقناعها بالزواج، وإعطاء وعد بالموافقة لخطيب لا أعرف اسمه بعد. وفي انتظار الوعد يتجلسون عليها ليعرفوا ممّن تأيها الرسائل؟ وهي لا تزال تنتظر أخباراً من أقاربها الذين ينبغي أن يتولوا هناك، على أطراف الدنيا، البت في مصيرها هنا. بمعنى هل تعود إلى روسيا (الداخل) أم تنتقل إلى بارناول. رسائلها الأخيرة إلى تغدو طول الوقت أكثر كآبة وحزناً. كتبت لي بتأثير المرض، وأنا أعرف أنها مريضة. وقد حزرت بأنها تخفي عنّي شيئاً. للأسف أني لم أحدثك عن ذلك أبداً. فعندما كنت تخدم هنا كانت غيرتني عليها تقوتها إلى اليأس والقنوط، ولربما هي الآن تخفي علىَّ الكثير بسبب ذلك. وماذا بعد؟ فجأة سمعت بأنها وعدت شخصاً آخر، في كوزنيتسك، بالزواج منه. وصعقت لهذا النبأ. ومن يأسني لم أكن أعرف ماذا أفعل. هل أبدأ بالكتابة إليها؟ لكنني يوم الأحد استلمت منها رسالة رقيقة بدعة كالعادة، لكنها منطوية أكثر من السابق. الكلمات القلبية فيها أقل، وكأنما تخشى أن تكتبها. ولا ذكر لأمانينا المستقبلية وكأن التفكير فيها أرجى إلى أجل غير مسمى. ليس هناك أي أثر للإيمان بإمكان التغيير في مصيري قريباً. وأخيراً جاء الخبر كالرعد الهادر: فقد قررت أن ترفع ستارة الكتمان وتسألني بتتردد: «بماذا ترد لو طلب يدها رجل ثري متقدم في السن بخصال حميدة ومنصب مرموق؟». إنها تطلب النصح مني. وتقول إن رأسها داخ من التفكير في بقائهما وحيدة في أطراف الدنيا،

مع ابنها، ووالدها العجوز الذي يمكن أن يقضي نحبه. فماذا سيحصل لها عندئذ؟ وتطلب مناقشة الموضوع ببرود أعصاب، كما هو المتوقع من صديق، وتريد جواباً فورياً. وبالمناسبة كانت في الرسائل السابقة أيضاً تأكيدات على الحب. والآن تضيف أنها تحبني، وأن موضوع الزواج مجرد افتراض وحسابات. صعقت للنهاية، فترنحت وهويت وأغمي علىي، ثم شرعت أبكي طول الليل. والآن أنا راقد في غرفتي. وفي دماغي فكرة متحجرة. وأكاد لا أفهم كيف أعيش ولا أفقه ما يقال لي. آه، أعود بالله من هذا الشعور الفظيع الرهيب. فرحة الحب عظيمة، لكن المعاناة فظيعة، والأفضل للإنسان أن لا يحب أبداً. أقسم لك أنتي أصبحت باليأس والقنوط. لقد فهمت احتمال شيء غير عادي، ما كان بوسعي أن أقدم عليه مطلقاً في ظروف غير هذه... حررت لها رسالة في ذلك المساء نفسه، رسالة فظيعة مفعمة باليأس. يا لها من مسكونة. ملاكي. إنها مريضة حتى من دوني. فيما رحت أنهشها وأعذبها. ولربما كنت سأقتلها بهذه الرسالة. قلت لها إنني سأموت إذا حرمت منها. اجتمعت في الرسالة التهديدات والملاطفات والاستعطاف والمذلة وغيرها كثير. أرجو أن تفهمني، أنت ملاكي وأمي. فلنحكم العقل: ماذا يبقى لها أن تفعل المسكونة المهجورة الوسواسية لحد المرض، وإلى ذلك فقدت ثقتها بانتظام مصيري؟ فهل يجدر بها أن تتزوج جندياً مثلّي؟ فرأيت كل رسائلها الأخيرة هذا الأسبوع. الله يعلم، ربما هي لم تعط وعداً بعد، ويخيل إلى أنها متعددة. لكنها تحبني، أنا أعرف ذلك، وأراه من حزنها وكآبتها ومن موجات رسائلها ومن مؤشرات كثيرة أخرى لن أكتب لك عنها. يا صديقي، أنا لم أكن صريحاً معك للنهاية بهذا الخصوص. فماذا عساي أن أفعل الآن؟ أنا لم أتعرض في حياتي أبداً لمثل هذا اليأس

الفتاك... كآبة قاتلة تمتص قلبي. في الليل كوابيس، وفي المنام صيحات، وحشارة في الحنجرة تكاد تخنقني. والدموع تستعصي تارة وتنهر مدراراً تارة أخرى. أرجوك أن تفهم موقفي. أنا إنسان نزيه. وأعرف أنها تحبني. ماذا سيحصل لو اعترضتُ على سعادتها؟ ومن جهة أخرى أنا لا أصدق بخطيب من كوزنيتسك. فليس من شأنها، وهي المريضة المنفعلة المحطممة القلب والمثقفة الذكية، أن تستسلم لشخص لا يعرف إلا الله، شخص قد يعتبر حتى الضرب والعراك أمراً مشروعاً في الزواج. إنها طيبة القلب ساذجة سريعة التصديق.. أنا أعرفها جيداً. يمكن جعلها تصدق بأي شيء. وإلى ذلك يضللها الأقارب الملائين، وكذلك نفق الأوضاع المسدود. سأعرف الجواب الحاسم، أي سأطلع على حقيقة الأمر في الثاني من أبريل. ولكن انصحني، يا صديقي، ماذا عليَّ أن أفعل؟ على فكرة، لماذا أنسد النصح منك؟ أنا لا أستطيع أن أتخلى عنها في أي حال من الأحوال. الحب في مثل سني ليس هبة. وهو مستمر من عامين. هل تسمعني؟ من عامين. وخلال 10 أشهر من الفراق لم يخفت، بل وصل إلى حد اللامعقول. سأهلك إذا فقدتها، ملاكي، فإما الجنون وإما إرطيش.⁽²⁾ بديهي أنه لو استقامت أمري، بتصور البلاغ (القيصرى)، فستكون الأفضلية عندها لي بالمقارنة مع الجميع، ذلك لأنها تحبني، وأنا واثق بحبها. وأقول لك إننا نقصد بلغتنا، معها، من مفردة استقامة مصيري، الانتقال من الخدمة العسكرية إلى المدنية، أي وظيفة براتب من الدرجة 14 على الأقل، أو الأمل القريب فيها، مع إمكانية الحصول على المال لكي نعيش على الأقل حتى يتم ترتيب أمري نهائياً. وغني عن البيان أنها ستعتبر ترك الخدمة العسكرية أو الانتقال إلى الخدمة المدنية، ولو من دون درجة وظيفية ومن دون نقود وفيرة،

أملاً عريضاً يعيد إليها الروح. ومن جهتي أعلن لك عن آمالي التي يجب أن أتحققها لأنزعها ممن يطلبون يدها وأظل في نظرها إنساناً شريفاً، وبعد ذلك سأسألك عما يمكن أن يتحقق أو لا يتحقق من الآمال. ذلك لأنك في بطرسبورغ وتعرف الكثير مما لا أعرفه أنا.

آمالي، يا صديقي الغالي، وربما الوحيد، صاحب القلب النقى الصافي الصادق، كالآتي. فاستمع إليها. ومهما فكرت فيها يخيل إلى أنها واضحة تماماً. أولاً - هل يعقل أن المرحمة، أياً كانت، لن تأتي هذا الصيف بمناسبة الصلح⁽³⁾ أو بمناسبة عيد الجلوس؟ أنتظرك منك هذا النبأ بفارغ الصبر وبرجفة في القلب. ثانياً - ترك جانباً ما يخص الأمانيات والأمال. لا يحق لي أن أتحول من الخدمة العسكرية إلى الخدمة المدنية وأنقل إلى بارناول إذا لم ينص البلاغ على خلاف ذلك؟ دورف انتقل إلى الخدمة المدنية، أليس كذلك؟ أقول لك إن هذا الانتقال وحده يعيد إليها الروح، فتطرد كل من يطلب يدها، لأنها كتبت في الرسالة الأخيرة والرسالة التي قبلها أنها تحبني جماً، وأن الخطيب (موضوع البحث) مجرد حسابات مصلحية، وترجوني أن لاأشكك في حبها وأن أثق بأن ذلك افتراض لا غير. وأنا أثق بالاحتمال الأخير. فلربما طلبوا يدها وعرضوا عليها وحاولوا إقناعها، لكنها لم تقطع لهم عهداً. وقد استفسرتُ عن الإشاعات وبحثت عن مصادرها واتضح لي أن التهمة والأقوال فيها كثيرة. وفضلاً عن ذلك، لو أنها عاهدتهم لكتبت لي. فقد طالبتها بالصراحة الكاملة، وبالتالي سأعرف كل التفاصيل. آخر يا صديقي. هل يمكنني أن أتركها أو أتنازل عنها لغيري؟ فلي حق عليها. هل تسمعني، لي حق بها وعليها. هكذا سيعتبر انتقالي إلى الخدمة المدنية أملاً عريضاً وسيحظى بالاستحسان. ثالثاً - هل سيطول بقائي بلا

وظيفة؟ ما رأيك؟ وهل يصدر منع بترقيتي؟ المجرمون من أمثالى استلموا كل المستحقات. أنا لا أصدق. أنا على يقين بأنني سأعود إلى روسيا بعد عامين حتى لو لم أحصل على شيء الآن. بخصوص النقطة الأهم - النقود. لدى علان سيكونان جاهزين في سبتمبر. أحدهما مقالة⁽⁴⁾ والآخر رواية⁽⁵⁾ أريد أن أطلب رسميًّا نشرهما. فإذا سمحوا لي فسيكون لدى الخبز الكفاف مدى الحياة. أنا حالياً لست كما في الماضي. فما أكثر ما نجحت وخططت وما أقوى طاقتى ورغبتي في الكتابة. أمل أن أكتب بحلول سبتمبر رواية أفضل من «القراء». فإذا سمحوا لي بالنشر، وأنا لا أصدق، هل تسمعني؟ لا أصدق بأن ذلك مستحيل إذا بذلت الجهود الازمة للتشفع لي، فستار ضجة ويعظى الكتاب بالإقبال وترسل النقود إلى وتزداد أهميتي وتلتفت الحكومة إلى، فتأتي العودة أسرع. حاجتي لا تتجاوز 2-3 آلاف روبل ورقي في السنة. وهكذا، هل أن موقفى منها نزيف وشريف أم لا؟ هل أن ذلك قليل للصرف على احتياجاتنا؟ بعد عامين تقريباً نعود إلى روسيا، وهي ستعيش في بحيرة. بل وربما سندخر مالاً. هل يعقل أنني، ببساطة وطاقاتي التي قاومت فيها آلاماً لا تطاير طوال ستة أعوام، لن أتمكن من كسب نقود تكفي لإطعامي مع زوجتي؟ كلام فارغ. المهم لا أحد يعرف طاقاتي وعمق موهبتى، في حين أنا أعلق آمالى على هذا الأمر الرئيسي. والاحتمال الأخير، لنفترض، أنهم لن يسمحوا بالنشر عاماً آخر. فأنا حالماً يحصل أول تغيير أكتب إلى خالي وأطلب منه 1000 روبل فضي لأباشر العمل على الصعيد الجديد، ناهيك عن الزواج. وأنا واثق بأنه سيعطيني. أليس بإمكاننا أن نعيش بهذا المبلغ عاماً؟ وعند ذاك تستقيم الأمور. ثم إنني أستطيع أن أنشر باسم مستعار وأستلم نقوداً على أية حال. أرجو أن تفهمنى.

كل هذه الآمال واردة إذا لم يصدر البلاغ في الصيف الحالي. فماذا لو صدر؟ كلا، أنا لست سافلًا ذنبًا في نظرها. وما دامت تذكر ب نفسها أنه يطيب لها أن تترك جميع طالبي يدها من أجلي، وتفعل ذلك بلا أسف، فإنني سأخلصها من المحنّة، على أن تستقيم أمورنا. ولكن ماذا أقول؟ القرار النهائي بأنني لن أتركها تهلك من دوني. عزيزي ألكسندر يغورو فيتش! ليتك تعلم كم أنتظر رسالتك. فعلـلـ فيها أخباراً إيجابية. وعندذاك أبعثها إليها نصاً. وإذا تعذر ذلك سأقتطف السطور المتعلقة بالأمل في انتظام مصيرـي وأرسلـها إليها.

ولكن لعلك تفهم المشاغل والهموم التي أنا فيها. ولدي عدة طلبات إليك. أرجوك أن تنفذـها لوجهـ المسيح. الطلب الأول. تجد هنا رسالة إلى إدوارد إيفانوفيتش توتليـين. وإليك فكرتي: كنتـ في زـمنـ ماـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ جـيـدةـ بـهـذـاـ رـجـلـ. وـأـنـاـ صـدـيقـ طـفـولـةـ أـخـيـهـ. وـقـبـلـ اعتـقـالـيـ بـعـدـ أـيـامـ التـقـيـتـهـ صـدـفـةـ، وـتـصـافـحـنـاـ بـتـرـحـابـ مـنـ الـطـرـفـينـ. وـمـاـذـاـ بـعـدـ؟ رـبـماـ هوـ لـمـ يـنـسـنـيـ.. إـنـهـ إـنـسـانـ طـيـبـ القـلـبـ مـتـواـضـعـ بـأـرـيـحـيـةـ كـبـيرـةـ، وـقـدـ أـثـبـتـ ذـلـكـ شـخـصـيـاـ، إـنـهـ مـنـ أـبـطـالـ سـيـواـسـتـوـبـولـ الـحـقـيـقـيـيـنـ مـنـ مـقـاتـلـيـ نـاخـيمـوفـ وـكـورـنـيلـوـفـ عـنـ جـدـارـةـ وـاسـتـحـقـاقـ. اـحـمـلـ لـهـ رـسـالـتـيـ. اـقـرـأـهـ فـيـ الـبـداـيـةـ جـيـداـ. أـكـيدـ أـنـكـ سـتـلـاحـظـ مـنـ لـهـجـةـ رـسـالـتـيـ إـلـيـهـ أـنـيـ كـنـتـ مـتـرـدـدـاـ وـلـاـ أـدـرـيـ كـيـفـ أـكـتـبـ لـهـ. فـهـوـ الـآنـ فـيـ مـنـزـلـةـ رـفـيـعـةـ، وـأـنـاـ، مـنـ أـنـاـ؟ وـهـلـ سـيـرـغـبـ أـنـ يـتـذـكـرـنـيـ؟ عـلـىـ أـيـةـ حـالـ كـتـبـ الرـسـالـةـ عـلـىـ طـرـيـقـ عـسـىـ وـلـعـلـ. اـذـهـبـ إـلـيـهـ شـخـصـيـاـ، وـأـمـلـ أـنـ يـكـونـ فـيـ بـطـرـسـبـورـغـ، وـسـلـمـهـ رـسـالـتـيـ عـلـىـ اـنـفـرـادـ. وـسـتـرـىـ مـنـ مـلـامـحـ وـجـهـ رـأـسـاـ رـدـةـ فـعـلـهـ. فـإـذـاـ كـانـتـ سـلـيـةـ فـلـاـ دـاعـيـ لـلـقـيـامـ بـشـيءـ. أـوـضـعـ لـهـ المـوقـفـ بـاختـصارـ وـاشـكـرهـ وـقـدـ اـحـتـرـامـاتـكـ وـانـصـرفـ، وـاـطـلـبـ مـنـهـ سـلـفـاـ أـنـ يـكـتـمـ سـرـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ. إـنـهـ إـنـسـانـ مـؤـدـبـ جـداـ،

طبعه كطبع الفرسان بعض الشيء، سيستقبلك ويودعك ببشاشة حتى وإن لم يعد بما يرام. وإذا رأيت من ملامح وجهه أنه سيهتم بقضيتي ويعبر عن الكثير من المشاطرة والطيبة، فلنك أن تتصارح معه تماماً و تعالج الموضوع بصدق وتحده عنني وتقول له إن لكلمته الآن أهمية بالغة ويمكنه أن يت flushing لي عند صاحب الجلاله و يتکفل بحسن سلوكي كمواطن جيد، لمعرفته بي. أكيد أنهم لن يرفضوا طلبه. صاحب الجلاله عفا مراراً عن المجرمين البولنديين برجاء من باسكيفيتش. توتبليين الآن في رعاية وحب (من البلاط) بحيث يضاهي رجاوه رجاء باسكيفيتش. عموماً أنا أعلق آمالاً كثيراً عليك. وأنا واثق بأنك ستقول كلمتك المتحمسة. فلا تبخلا بها عليّ، بالله عليك. شدد بخاصة على تركي الخدمة العسكرية. والأمر الرئيسي، إذا أمكن أكثر، هو العفو التام، فلا يغيبن ذلك عن بالك. ألا يجوز، مثلاً، تسرحي من الخدمة العسكرية ومنحى حق التنسيب للخدمة المدنية من المرتبة 14 مع العودة إلى روسيا والسماح بالنشر، وهذا هو الأهم؟ عموماً أقرأ رسالتي إلى توتبليين باهتمام. وهل يمكن الاستفادة من القصيدة؟⁽⁶⁾ قرأت في الصحف أن مايكوف تلا شرعاً أمام توتبليين في مأدبة غداء. فهل هو على معرفة شخصية به؟ إذا كان كذلك حدث مايكوف بكل شيء سراً، واطلب منه أن يت flushing لي هو أيضاً عند توتبليين ويرافقك في زيارته. هل يمكنك أن تلتقي أدolf، شقيق توتبليين الأصغر، وهو صديقي. حدثه عنني، فيهرع إلى أخيه مستعطفاً أن يت flushing لي. طبيعي أنك ستختتم رسالتي إلى توتبليين في مظروف تقدمه له. وأرسل لي بأسرع ما يمكن خبراً عن كل هذه الأمور سواء كانت جيدة أو سيئة. والمشكلة أن الرجل يمكن أن يرتحل في تلك الأناء إلى منطقته. فسيذهب إليها لمدة شهر. أعتقد أنه لن يرتحل

الآن. يخيل إليّ أنه لن يرتحل. فعجل في الجواب إلىّي. إنني أخشى أمراً آخر. فهل تقبل الأمير أودويفسكي رسالتي؟ هل أُسقط في يدك؟ وهل أنت متعدد في الذهاب إلى تولبيين؟ يا ملاكي، لا تركني. لا تدفعني إلى اليأس المطبق.

الطلب الثاني. اكتب لي بالتفصيل وبسرعة: ما رأيك في أخي؟ بأي حال وجدته؟ ما رأيه في قضيتي؟ في السابق كان يحبني جماً. كان يبكي عندما ودعني. ألم يفتر موقفه مني؟ ألم تغير طباعه؟ ما أشد حزني لو حصل ذلك؟ ألم يتکالب على كسب المال، فنسي الماضي كله؟ أنا لا أصدق بذلك في كل الأحوال. ولكن كيف نفسر توقفه عن الكتابة لي أحياناً على مدى 7 أو 8 أشهر؟ ثم يكتب ما لم ينزل الله به من سلطان. وحتى في الرسائل التي يحملها خوميتوفسكي، خارج مجال الرقابة، لا يجيب عن أسئلتي، ولا أجده فيها إلا القليل من دفء الماضي وأريحيته. لن أنسى أبداً ما قاله لخوميتوفسكي الذي نقل إليه رجائي في التشفع لي من أن الأفضل لي أن أبقى في سiberيا. في ديسمبر كتبنا، ولعلك تتذكر من خلال أخيك، وطلبت أنا نقوداً ترسل عن طريق لاموت. وأنت تعرف مدى حاجتي. وبالنتيجة لا خبر جاء ولا وحي نزل. أنا أفهم أنه يمكن أن لا يمتلك مالاً نقدياً، فهو يتاجر، ولكن لا بد من إنقاذ الشخص في الملمات. علماً بأنني لن أكون عالة عليهم لأمد طويل، وسأسد كل المطلوب. ثم إنني أطلب منه نقوداً لأنني أتذكر كلماته أثناء توديعي. في رسالتي إليه، المرفقة طيّاً، أطلب، فضلاً عن الـ 100، مبلغاً أكبر على قدر المستطاع. أنا بحاجة إلى ذلك تحوطاً للاحتمالات. فلو أطلقوا سراحني لسافرت على جناح السرعة إلى كوزنيتسك، ولا يمكنني أن أفعل ذلك من دون نقود. ثم إنها إذا عزمت على المغادرة

إلى بارناول فسأحاول إقناعها بأن تأخذ مني نقوداً. أنا لا أستطيع أن أكتب لك، لكنني بأمس الحاجة إلى النقود. مرة واحدة في الحياة يصادف أن تكون النقود ضرورية لهذا الحد. 300 روبل فضي من شأنها أن تنقذني، بل وحتى 200 ترضيني، بما فيها الـ 100 التي طلبتها في ديسمبر. بديهي أنني أكتب لك ذلك كصديق، فلا تفكّر أن تساعدني بنفسك. أنا أصلاً غذّار ومدين لك بالكثير جداً. على أية حال أقرأ رسالتي لأخي. وما أكتبه لك الآن لا أعرضه عليه. فأنا أحيله إليك لتوضيح الأمور. حدثه بكل شيء. ماذا لو كان هو أيضاً، شأن الأعمام والأقارب في الروايات، مستاءً من حبي لها ويحاول أن يقنعك بعدم مساعدتي؟ أنا في الخامسة والثلاثين. فماذا يظن؟ هل يتصور أنني أحبه من أجل النقود التي يرسلها إلى؟ كلام فارغ. لدى شعور بالعزّة والكرامة الشخصية. سأقتات على الخبز وحده، وسنظلك أنا وإياها، فلا حاجة لي بالنقود التي يرسلها بدافع من شعور كهذا. أنا لا أريد صدقة. أنا بحاجة إلى أخي وليس إلى نقوده. في زمن ما تشارجنا، لكننا كنا نحب بعضنا بعضاً جبأ جماً. أقسم لك أنني مستعد للتضحية برقبتي من أجله. طباعي ممقوتة، لكنني أقف في صف الأصدقاء عندما يقتضي الأمر. حينما اعتقلونا كان يمكن التفكير في النفس قبل كل شيء في لحظة الفزع الأولى، لكنني كنت أفكر فيه وكيف سيضر الاعتقال بعائلته وبزوجته المسكينة. ورجوت أخانا الثالث⁽⁷⁾ الذي اعتُقل عن طريق الخطأ (...) بأن يرسل نقوداً إلى أخيه متقدراً بأنه لا يمتلكها. فهل يعقل أنه نسي الماضي كله وشعر بالغيط لأنني طلبت مبلغاً كبيراً، وفي أي وقت؟ في وقت حرج عصيب للغاية من حياتي. أكتب لي كيف استقبلك؟ وما رأيك فيه؟ بصراحة. أرسم لي لوحة أفكاره بشأن هذه القضية كلها، ولا تنصت إلا لقلبك

الذهبي، يا أطيب صديق. وكن أكثر صراحة مع مايكوف بخصوصي. فهو إنسان رائع، وفضلاً عن ذلك يحبني. وبالطبع اطلب منه أن يتلزم الكتمان. الطلب الثالث. بالله عليك افهمني. ساعدني، ولا تظن أن حبي لها سيضر بمستقبلِي، هذا أولاً، ثانياً - لا تظن أنني أعاملها بلا نزاهة وأشغلها عن زواج مصلحي من شخص آخر، انطلاقاً من مصلحتي الأنانية وحدها. كلا، ليس في الزواج من غيري مصلحة، ولا أنانية جبانة في نفسي. لا يجوز الظن هكذا. وإنما، أقسم لك، مستعد لتقديم روحي قرباناً لها، مستعد للتخلي عن كل آمالِي من أجلها. حكم بنفسك: هي تكتب في كل رسالة من رسائلها، وحتى في الرسالة الأخيرة، أنها تحبني أكثر من أي شيء في الدنيا، وأنها تعتبر مسألة الشخص الذي طلب يدها مجرد حساب مصلحي. وترجوني وخاصة أن أصدق بأن هذه الخطوبة مجرد افتراض آخر. ولا بد لك أن تفهم موقفها أيضاً. إنها تنتظر بفارغ الصبر تغييرات معينة في مصيرِي. ولا أثر لتلك التغييرات. فيستولي عليها اليأس. ولإدراكها أنها أم لديها طفل صارت تتردد بخصوص إمكانية الزواج من غيري إذا تعثرت قضيتها. وفي البريد ما قبل الأخير كتبت لي، لتخفف من شدة غيرتي عليها، أن أيّاً من رجال كوزنيتسك لا يساوي خنصري، وأن بوذها أن تقول لي شيئاً، لكنها تخشاني، وأن الذين حواليها كلهم من التمامين الأدنياء، يتصرفون بخشونة وبقلة أدب. وهي تؤكِّد بالرسالة نفسها أنها تشعر أكثر مما في أي وقت مضى ب حاجتها إليَّ وبحاجتي إليها، وتقول: «تعال بسرعة لنضحك معاً». نضحك، بالطبع، على تصرفات أقاربها الذين آلوا على أنفسهم إلا أن يزوجوها. بيد أنها، المسكينة المستضعفَة، تخشى من كل شيء. فقد يفلحون أخيراً في تضليلها، فتحيد عن الطريق المستقيم. والأدهى من ذلك أنهُم

سينهشونها إذا رأوها عصية على أحابيلهم، فتعيش وحيدة بين الأعداء. ليكن واضحًا لك أن زواجهها هناك يعني الهلاك والموت بالنسبة لها. وأنا أعرف لو كان هناك أدنى أمل في مصيري لعادت إليها الروح وانتعشت معنوياتها، ولسافرت إلى بارناول أو آستراخان بعد الحصول على رسالة بالموافقة من والدها. أما بخصوصي أنا فالطبع كنا سنتمتع بالسعادة. وبالزواج مني تكون مدى العمر محاطة بأناس طيبين يكتنون لها احتراماً أكثر مما لو كانت مع ذلك الموظف. وأنا نفسي سأكون موظفاً ربما في القريب العاجل. أنا على يقين بأنني قادر على إعالة الأسرة. فسأعمل، سأكتب. وحتى لو لم تصدر أي مرحمة أو عفو يمكن على أية حال الانتقال إلى الخدمة المدنية والحصول بسرعة على وظيفة من الدرجة 14 واستلام راتب. والأهم أنني أستطيع أن أنشر، حتى ولو باسم مستعار. وستكون عندي نقود. وأخيراً، فإن ذلك كله سيتحقق ليس الآن، وحتى ذلك الحين تستقيم الأمور. هل تعلم بماذا أجبتها وماذا طلبت منها؟ ما دامت لن تتمكن من الزواج قبل انتهاء فترة الحداد، أي قبل سبتمبر، فينبغي لها أن تنتظر ولا تعطي لذاك (الرجل) وعداً قاطعاً. وإذا لم تستقم أموري قبل سبتمبر فيمكنها، على الرحب والسعنة، أن تعلن موافقتها. ألا توافقني بأنني حتى لو تصرفت معها بأنانية ودناءة ما كان بوسعي أن ألحق بها ضرراً من خلال طلبي الانتظار حتى سبتمبر؟ زد على ذلك أنها تحبني. مسكينة. إنها تعذب. فهل يليق بها وبقلبه الضعيف وفطنتهما وذكائهما أن تعيش حياتها كلها في كوزنيتسك مع شخص لا يعرف أحد حقيقته؟ إنها في وضع مثل بطلة روايتي «الفقراء» التي تزوجت من ييكوف، وبيدو أنني توقعت لنفسي هذا المصير. يا عزيزي، أكتب لك ذلك كله لكي تعمل من صميم القلب والروح لمساعدتي. أملني فيك

كاملٍ بأخي. وإنما سأقدم على المحذور. فما حاجتي إلى الحياة عندئذ؟ أقسم لك أنني سأقدم حينها على فعل جلل. أستعطفك يا ملاكي. إذا كنت ستحتاج إلى شخص يتبعك في السراء والضراء فهذا الشخص جاهز ومستعد. وهو أنا. أنا لا أترك من أحب لا في السراء ولا في الضراء، وقد أثبت ذلك، ولذا أقدم الطلب الرابع، وأنت ملاكي. بالله عليك لا تضيع الوقت واكتب لها رسالة على عنوان كوزنيتسك وأوضح لها كل أمالي بمزيد من الدقة والجلاء. وخصوصاً إذا كان هناك شيء إيجابي بشأن تغيير مصيري، فاكتب لها عن ذلك بكل التفاصيل، وعندذاك تنتقل بسرعة من اليأس والقنوط إلى الثقة، فتعود إليها الروح بسبب الآمال. اكتب لها الحقيقة، والحقيقة وحدها. المهم أن تكتب بالتفصيل. وهذا شيء يسير. اكتب على هذه الصورة: «نقل إلى فيودور ميخائيلوفيتش حياتك، فهي تحريك وتمني لك السعادة. ولعلمي بأنك تشاطرين فيودور ميخائيلوفيتش مصيره أسرع لأبعث السرور في نفسك، فثمة أخبار وأمال له في كذا وكذا...». وتقول في الختام: «فكرة فيك كثيراً. تعالى إلى بارناول وسيستقبلونك هناك بحفاوة وترحاب»، وما إلى ذلك. بهذه اللهجة اكتب لها. ثم أنها قالت لي إنك عندما غادرت كتبت لها. وهي مسروقة جداً وممتنة لأنك لم تسها، لكنها تقول إنه ليس واضحاً من رسالتك ما إذا كانت ستراحة في بارناول، وإنك لا تكتب عما إذا كانت بارناول موافقة على مجيشي. ولذلك فهي لا تدري هل سيستقبلونها بأسف كمسولة عندما تصل إلى هناك؟ صحيح. لقد كنت مهموماً ومنفعلاً عندما كتبت لها بإيجاز وعلى الماشي. أنا أفهم ذلك ولا أعتابك عليه. ولكن، بالله عليك، صحيح الموقف هذه المرة. افعل ذلك من أجلي، من أجلي يا ملاكي. يا أخي، يا صديقي.

أنقذني من اليأس القاتل. فأنت يمكن أن تفهمني أكثر من أي إنسان آخر.

وأخيراً، لوجه المسيح، بلغني عن مجلمل سير أموري بأكبر قدر من التفصيل وبأسرع ما يمكن. وأنا أعتمد عليك تماماً في ذلك. أقنع أخي بأن يساعدني، وتعامل معه كأنك تتشفع لي. أوح له بأنني سأسعد في الزواج منها، وأننا لسنا بحاجة إلى الكثير لنعيش، وأن لدى من الطاقة والقدرة ما يكفي لإعالة الأسرة. ماذا لو سمحوا لي بالكتابة والنشر؟ عندذاك أحصل على طوق النجاة، ولن أكون عالة على أحد ولن أطلب منهم أن يساعدوني. والأهم أنا سأتزوج ليس الآن، بل سانتظر ما يتتوفر من رخاء. وهي ستنتظر بكل سرور، لا يعزها سوى الأمل في انتظام مصيري. وقل له إنني في الخامسة والثلاثين ولدي من التعلق ما يكفي لعشرة أشخاص. وداعاً يا عزيزي، يا صديقي الغالي. لا مؤاخذة، نسيت. بالله عليك تحدث مع أخي عن أموري المالية. أقنعه بأن يساعدني للمرة الأخيرة. وأنت تعرف الوضع الذي أنا فيه. لا تتركني. فالملابسات التي أعيشها تصادف مرة واحدة في العمر. ومتى تمتد يد الصديق إن لم يكن في مثل هذا الضيق؟ أعانفك وأقبلك. عموماً، كيف أحوالك؟ أنا لا أعرف شيئاً عنك. أنتظر رسالة منك بفارغ الصبر. أختتم الرسالة بأسف. وأنا من جديد وحيد مع دموعي وشكوكني وقنوطتي.

اكتب لي رجاءً: كاترينا أوسبيوفنا هيرنغروس⁽⁸⁾ في بطرسبورغ أم لا؟ أسألك عن قضيتي وعن أمور عيسايها (في بارناول). وداعاً، أعانفك مع قبلاتي مرة أخرى. أنت أملني، أنت منقذني!

المخلص د (دوستويفسكي)

-
- (1) عسايقا.
 - (2) نهر عظيم في سيبيريا.
 - (3) في حرب القرم 1853-1856.
 - (4) عن الحركة الوطنية في روسيا.
 - (5) المقصود فكرة رواية كوميدية لم يحققها دوستويفسكي.
 - (6) لمناسبة عيد الجلوس. وتوقيع الصلح. وسبق لدوستويفسكي أن نظم قصيدة في عيد ميلاد الإمبراطورة.
 - (7) أندرية. وقد بقي رهن التوقيف قرابة أسبوعين (أبريل - مايو 1849).
 - (8) سبق لهذه السيدة أن ساعدت دوستويفسكي، وهو يأمل الآن في مساعدتها وزوجها.



48. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميالاتينسك، 24 مارس 1856

أخي وصديقي الطيب ميشا⁽¹⁾ الغالي. هذه الرسالة يسلمك إياها ألكسندر يغوروفيتش فرانجيل. أكتب إليك، وأترك التفاصيل لألكسندر يغوروفيتش الذي ستتعرف عليه جيداً باعتقادي. سطور الرسالة المعدودات لن تسع لكتابة الكثير، يا صديقي الطيب القلب. وبودي لو أراك وأتحدث إليك، في مناجاة بين قلبين، عن كل ما يشغل بالي ويعذبني حالياً. أقول لك لم تشهد حياتي مرة مثل هذا القدر من الحزن والكآبة والقنوط. أنا أنشد مساعدتك، فلا تتركني في هذه اللحظة على الأقل. ألكسندر يغوروفيتش سيحدثك الكثير. في الرسالة التي يحملها إليك كتبت عن السيدة التي تعرفت عليها في سيميالاتينسك، وقد انتقلت مع زوجها إلى كوزنيتسك، وتوفي الزوج هناك. كما كتبت لك عن آمالى وعن حبنا. يا صديقي العزيز، هذا التعلق، هذه العاطفة تجاهها، هما بالنسبة لي كل شيء في الدنيا. أنا أعيش وأنتنفس بأنفاسها ومن أجلها وحدها. عندما افترقنا قطعنا

الوعود والمعهود على أنفسنا. ووعدتني بأن تكون زوجة لي. وهي تحبني، وقد دللت على حبها بالبرهان. إلا أنها الآن وحيدة من دون معين. والداها بعيدان، وهما يساعدانها بالمال، وعندما رأت أن مصيري لم يتقرر من أمد طويل وليس هناك شيء مما كنا ننتظره أنا وإياها وأن تخفيف مصيري لا يزال موضع شك وارتياح، مع أنني متأكد منه، انساقت لليلأس والقنوط، وغرقت في الكآبة والأحزان، زد على ذلك أنها مريضة. وتعرضت في تلك المدينة الصغيرة للدسائس والنميمة ولضغوط تدفعها للزواج. الكل هناك صاروا بمثابة كوتشكاريوف.⁽²⁾ وإذا لم تعط عهداً بالزواج يناسبونها العداء، ويحيدون بها عن الطريق القوي ويشلدون على عجزها.. وأخيراً كتبت لي عن ذلك بعد أن كانت تخفيه أمداً طويلاً. كتبت تقول إنها تحبني أكثر من أي مخلوق آخر في الدنيا، وإن احتمال الزواج من غيري مجرد افتراض آخر لا أساس له من الصحة، لكنها تسألني: «ما العمل؟» وتستعطفني أن لا أتركها في هذه اللحظة الحرجة من دون نصح أو إرشاد. وقع هذا الخبر عليّ وقع الصاعقة. ونهشتني الآلام. ماذا لو نجحوا في تضليلها؟ ماذا لو أهلكت نفسها بزواجهها من عيبط فظ، موظف بليد؟ لن تقوم بذلك إلا من أجل رغيف خبز لها ولابنها. ولكن كيف تبيع نفسها ولديها حب آخر في القلب؟ وكيف سيكون حالي أنا؟ ربما نحن في عشية تحول ما في مصيري وتنظيمه بشكل جديد. ذلك لأنني مؤمل لدرجة لا تجيز لي أن أتخلّى عن الأمل. وإذا لم أتمكن الآن فإني سأحقق في زمن ما تنظيم أموري بالكامل. حالياً القليل يمكن أن ينقذنا كلينا إذا تعذر تحقيق كل المطلوب. وهذا القليل ممكّن أصلاً في القريب العاجل. حتى أني وجدت هنا من هو

على استعداد لتوظيفي، في حين من الممكن دوماً الانتقال من الخدمة العسكرية إلى المدنية. ويمكن أن ينقلوني إلى المرتبة 14. وقد أملوني، على سبيل المثال، بأنهم يمكن أن ينسبوني إلى سلك الضباط في العام القادم. وسأحصل على وظيفة وراتب. وحتى لو لم تصدر مرحمة هذا الصيف وتفشل كل الجهود المبذولة من أجلني فإن مثل هذا الانتقال إلى الخدمة المدنية من شأنه أن يعدل أحوالى نهائياً. ثم إن هناك ما هو بالإمكان. وأخيراً سيكون الراتب بالطبع قليلاً، إلا أنني أستطيع أن أكسب النقود بنفسى، وسأسعى إلى جعلهم يسمحون لي بالنشر. ألم ينشر بوليجايف ومارلينسكي؟! وعندذاك سأكون مؤمناً، بل وغنياً بمعايير هذه الأنحاء. فأنا أنتظر من الأدب الكثير. تصور أن مؤلفاً رائعاً مثل «القراء» سيجلب انتبا乎 الجميع إليّ، بل وأكثر. ثم إذا رفضوا طلبي هذا الشتاء بالسماح بنشر الرواية والمقالة اللتين أعكف عليهما الآن، إذا رفضوا رغم اعتقادى بأننى سأحصل على هذا السماح، فيمكتنى في العام الأول من الزواج تأمين حياتي والعيش من دون أن أطلب منك، على سبيل المثال، أن تساعدنى، لأنه لو تغير مصيرى على نحو ما فأنا أنوي الطلب من خالي أن يساعدنى لأبدأ بحياة جديدة، ناهيك عن الزواج. وسيعطيني. أنا واثق بذلك. والآن أحكم بنفسك على أوضاعي. لا بد لي أن أعطيها أملاً وأقنعها وأنقذها. أنا بعيد عنها، والأمور لا تسوى بالرسائل. أرجوك أن تفهم مدى يأسى وقنوطى. أرجوك، يا أخي، لوجه المسيح كن أخاً لي وافهم أن تلك ليست عاطفة ابن العشرين وأننى في الـ 35 تقريباً، وساموت من الهم والغم إذا فقدتها. كما أرجوك أن تفهم أننى أريد أن أكرس حياتي كلها لجعلها سعيدة. أنا لا أستطيع أن أصف لك

آمالي ولا قنوطي. نحن وإياك لم نلتقي من ست سنين أو يزيد. فهل ستفهم بعضاً البعض بالشكل المطلوب كأخ يفهم أخيه؟ هل تحبني كما كنت في الماضي؟ ألم تتغير؟ أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك. يا صديقي وملاكي. لدى أمل وثقة بأنك أخ لي. فأنقذني. ساعدني. عندي رجاءان إليك. أحدهما تافه، والآخر مهم. ولكنهما كليهما لو نفذا لساعداني ولكان لك فضل علىّ، هل أنت سامع يا أخي؟ فضل علىّ. ها هما الرجاءان. أستعطفك لا تهملهما، بل نقذهما بأسرع ما يمكن. تذكر ما يمكن أن يحصل، وساكون نافعاً لك. فأنا لم أنسك في اللحظة الحرجة. وأنت تعرف أني أحبك. فساعدني يا أخي وملاكي. هل يعقل أن الجميع، قاطبة، يتربونني وحدي. الطلب الأول الذي أرجوه منك هو الآتي: عندها ابن، صبي في الثامنة من العمر. وعندما توفي زوجها استولى عليها يأس فظيع وقلق شديد بشأن مصير ابنتها، كونها أمّاً مهجورة في أطراف الدنيا وهي امرأة على أية حال. وقد أعطيتها أنا أملاً. أبوها العجوز كتب لها بأنه لن يترك حفيده، وسيدخله المدرسة ثم الجامعة. وهي تفكّر: ماذا سيحصل لو قضى العجوز نحبه؟ فمن يعيّل ابنتها حينئذ؟ ولذا تعتقد أن الأفضل إدخاله مدرسة سلك الضباط التي توفر فيها حالياً تربية رائعة والحكومة لا تترك تلاميذها مدى العمر، حتى في أثناء الخدمة، طالما تكفلت برعايتهم. ووفقاً لمنصب أبيه لا يجوز تنسيبه إلا لسلك بافلوفسكي. وأنا موافق على رأيها تماماً، وقد قلت لها إن نسيينا غولينوفسكي يشغل منصباً كبيراً في هذا السلك ويمكنه أن يرعى الصبي خصيصاً ويهتم بتربية الأخلاقية، وإنك بصفتك شقيقتي، لن ترفض طلبي الملح في اصطحاب الصبي إلى بيتك ولو أحياناً في الآحاد.

وبذلك لن يبقى الصغير يتيمًا تماماً، وسيتردد على دار محترمة يرى فيها قدوة السلوك، وستكون الأم بالتالي مطمئنة على تربية طباعه وأخلاقه. عندما وعدتني بالزواج أكدت لها أنني سأسعى عند أقربائي لرعاية ابنها، وفي حال تمكناها من تنسيبه إلى سلك بافلوفسكي، وستقوم بذلك بنفسها دون أن تشق على أحد، فإن أقربائي، الذين سيكونون على نحو ما أقرباء لابنها، سيُبدون به اهتماماً أكبر وأكثر دفناً. وقد شعرت بارتياح عميق لهذا الرأي بعد أن كانت، المسكينة، غارقة في الأحزان. وأقول لك، يا عزيزي، إن أملِي فيك كان بالفعل قوياً. فماذا سيكلفك أن تأخذ الصبي أحياناً إلى البيت في الآحاد؟ لن ينتزع هذا اليتيم المسكين الطعام من فمك. في حين سيهبك الله المزيد من رحمته لرعايتك له. زد على ذلك أن والدي هذا الصبي أحاطا بالرعاية أخيك عندما كان في المنفى تعيساً مهجوراً في آخر الدنيا وقد تركه الجميع. لقد وفرا له، كفرد من العائلة، الطعام والشراب والعناية التي جعلت أيامه معهما سعيدة. ثم إن انتساب الصبي إلى السلك لن يتم قريباً، ذلك لأنَّه في الثامنة من العمر فقط. والآن افهمني: أريد أن أطلب منك أن تكتب لها بهذا المعنى. على النحو التالي: «السيدة المحترمة ماريا دميتريفنا! أخي فيودور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي كتب لي مراراً كيف استقبلته أنت والمرحوم زوجك في سيمبلاatinisk بذلك الترحاب وتلك المشاعر الحميمة. وتعوزني الكلمات للتعبير عن الامتنان لكم على ما قدموه للمنفي المسكين. أنا شقيقه، ولذا أشعر بكل تلك الأحساس. كنت من زمان أريد أن أعتبر عن شكري لك. وقد أبلغني أخي أنك تنوين تنسيب ابنك عندما تكتمل سنَه إلى فيلق بافلوفسكي. فإذا انتسب إلى

هذا الفيلق وإذا تمكنتُ من تخفيف شعور الصبي بالوحدة حيث يفتقد الأقرباء والمعارف في بطرسبورغ فسيكون من دواعي سروري، صدقيني، أن أخفف عليه وحده، خاصة وأنني سأستطيع بذلك أن أردد الجميل وأعبر لكم عن خالص الامتنان على حفاوة استقبالكم لأخي في منزلכם. صدقيني مرة أخرى أن كل ما كتبه شقيقتي عنكم وعن التعرف على عائلتكم بعث الارتباح العميق في نفسي وملاً فؤادي بالمسرة والفرحة لأخي المسكين. لا أمتلك الكلمات الكافية للتعبير عن احترامي العميق لكم. المخلص، وإلى آخره».

في هذا الموضوع أرجو أن تكتب لها باختصار وبصيغة أفضل. أرجو أن تفهم ما تستطيع أن تفعله من أجلي، لا سيما وأن ذلك لن يكلفك شيئاً. وبالتالي ستمنحكها أملاً، فترى أنها ليست وحيدة. والأهم أنك ستساعدني أكثر مما تتصور في ترتيب أموري. ذلك لأن ميل أقاربي إليها أمر في متنه الأهمية حالياً، فقد أبلغتها بأنني كتبت لك عن احتمال زواجنا. بديهي أن هذا الزواج يجب أن يبقى طي الكتمان. العنوان كالتالي: جناب السيدة ماريا دميتريفنا عيسايفا، مدينة كوزنيتسك، محافظة تومسك.

لوحة المسيح، قم بذلك، يا أخي، من أجلي. أكرر: إنك تفعل الخير لي. أستعطفك وأركع أمامك. لا تقتلني برفضك. والطلب الثاني مهم. كنت قد كتبت لك، يا صديقي، بأنني في عوز فظيع وطلبت منك 100 روبل فضي. ولكن لا خبر جاء ولا وحي نزل. يا إلهي! هل مللت مني؟ وهل أنت مسرور لتخالص مني نهائياً، فيما أكتب لك رسالة بهذه الحرارة؟ لكنني أتجرأ على الكتابة مرة أخرى وأطلب منك مساعدة كبيرة. يا صديقي. أنا بحاجة إلى مبلغ كبير أخشى أن أذكره. لكنني أطلب منك للمرة الأخيرة، بعدها لن أزعجك

أبداً مدي العمر، وساعدك لك المبلغ كاملاً حالماً يتسم لي الحظ. إضافة إلى تلك الـ 100 التي طلبتها منك، أنا بحاجة إلى 200 روبل. اسمعني يا أخي. هل تتذكر الفترة التي تزوجت فيها؟ ألم أنقسام معك آنذاك باخر ما عندي؟ أعرف، ولا تلمني على الجحود. لقد أعطيتني الكثير من النقود طوال حياتي. وإن ما أعطيتك إياه لا يساوي شيئاً بالمقارنة مع ما أعطيتنيه. كل شيء جيد في الوقت المناسب. ثم هل يعقل أنك تستطيع أن تمتنع عن مساعدة أخيك في ساعة المحنّة؟ افهم الآن: لم أمر في حياتي أبداً بفترة في مثل هذه الفطاعة. هذه النقود من شأنها أن تساعدني في أخرج الملابسات. إذا لم تستطع إرسال 300 أو 200. أرسلها بالله عليك. لن أزعجك بعد الآن.

أنا آمل في تغير مصيري، ويقيناً أنتي سأكسب لقمة عيشي بنفسي قريباً. وأريد أن أقول لك، يا أخي، شيئاً آخر، لكنني في حزن شديد، شديد جداً. هل يعقل أنك، يا أخي، تبدلت عليّ؟ ما هذه البرودة وعدم الرغبة في الكتابة إليّ؟ في 7 أشهر ترسل النقود مرة واحدة في 3 أسطر. كأنما صدقة. أنا لا أريد صدقة، أريد أخاً. فلا تهنيّ يا صديقي. أنا إنسان تعيس، تعيس جداً. أنا هالك الآن، ممزق. روحني تنوح حتى الموت. لقد عانيت طويلاً. 7 سنوات من مرارة وألام نفق الوصف. ثم هناك حد للآلام على أية حال. قلبي ليس من حجر. لقد طفت الكأس. يا ملاكي، إذا كنتُ أهنتك بسلامتي، أو تجنيت عليك، فاغفر لي، أرجع أمامك فاغفر لي. لا تزعل مني، أنا لا أكاد أتحمل. لا تشح بوجهك عنّي، ساعدني واسمع ندائني.

تحيات صادقة وضاءة للأخت إميليا، وللعائلة كلها. أرجوك،

لوجه المسيح، لا تخبر أحداً ببنيتي في الزواج. اكتب رسالة إلى ماريا
دميتريفنا بأسع ما يمكن، ولا تتماهل. وضمنها المزيد من الاحترام.
فهذه المرأة تستحق� الاحترام.

(أخوك)

-
- (1) تصغير ميخائيل للتحبيب.
 - (2) بطل ملهاة غوغل «الخطوبية».



49. إلى إدوارد توتليبيين

سيميلاتينسك، 24 مارس 1856

معالي السيد إدوارد إيفانوفيتش
أستميحكم عذراً على تجروي لإشغال بالكم برسالتي. وأخشى
أنكم ستلقون نظرة على التوقيع وعلى اسمي المنسي من قبلكم، أغلب
الظن، مع أنني تشرفت في الماضي البعيد أن أكون معروفاً لديكم،
فتعلون مني ومن وقاحتي وترمون الرسالة في سلة المهملات دون أن
تقرأوها. أستعطفكم أن تسامحوا معي. ولا تتهمني بأنني لا أفهم
البون الشاسع بين مكانتكم ومتزلكم وبين موقعي. فقد مررت في
حياتي بالكثير من التجارب المحزنة، ولا بد لي، والحال هذه، أن
أفهم الفارق بيننا. كما أنني أفهم جيداً أنه لا يحق لي مطلقاً أن أذكر
الآن بأنكم كنتم تعرفونني في زمن ما، لأنخذ من ذلك مبرراً ولو
ضئيلاً لجلب انتباهم. إلا أنني تعيس لدرجة جعلتني أعيش عفويًا
على الأمل في أنكم لن تسدوا باب قلبكم الكبير أمام منفي هضيم،
فتمحوه ولو دقيقة واحدة من اهتمامكم، لعلكم تنتصرون بطيبة خاطر
إلى ما يقول.

لقد رجوت البارون ألكسندر يغورو فيتش فرانغيل أن يسلمكم هذه الرسالة. فهو عندما كان هنا، في سيمبالياتينسك، فعل من أجلي ما لا يستطيع الأخ أن يفعله من خير أخيه. و كنت سعيداً كل السعادة لصداقةه. وهو يعرف جميع ملابسات قضيتي. وطلبت منه أن يسلمكم رسالتي شخصياً. وهو يحترم طلبي وإن لم يكن قد تشرف بمعرفتكم، ولا أنا أستطيع أن أؤكّد له أنكم ستقبلون رسالتي بتسامح. الشكوك في قلب شخص محكوم بالأشغال الشاقة أمر في طبيعة الأشياء. ولدي رجاء كبير إليكم يحدوني أمل متعدد في أنكم ستستمعون إليه.

لعلكم سمعتم باعتقالي ومحاكمتي وبالقرار السامي الذي أعقّب الدعوى التي كنت متورطاً فيها عام 1849. ولربما كنتم قد أبدعتم بعض الاهتمام بمصيري. وأستند في افتراضي هذا إلى أنني كنت على علاقة صداقة وطيدة مع شقيقكم الأصغر أدولف إيفانوفيتش، و كنت أحبه حباً جماً من سني الطفولة تقريباً. وعلى الرغم من أنني لم ألتقه في الآونة الأخيرة، إلا أنني على ثقة بأنه آسف عليّ، ولربما نقل إليكم قضيتي الحزينة. لن أخذ من وقتكم للحديث عن ذلك. كنت مذنباً، وأدرك ذلك تماماً. تم تجريمي بنية العمل ضد الحكومة. بالنسبة فقط لا أكثر. وحكم على قانوناً ووفقاً للعدالة. وكانت التجربة المريرة الأليمة الطويلة الأمد قد أعادتني إلى رشدي وغيرت أفكاري بقدر كبير. ولكنني عندما كنت أعمى آمنت بالنظرية الطوباوية. وعندما سفروني إلى سيبيريا ظلت لدى على الأقل وسيلة واحدة لتهيئة النفس، وهي أنني تصرفت أمام المحكمة بنزاهة ولم ألق بجريريتي على غيري، بل ضحيت بمصلحتي عندما رأيت أن إمكانية الاعتراف من شأنها أن تحمي الآخرين من المحنّة. إلا أنني أحقّت الضرر بنفسني، فلم أتعترف بكل شيء، ولذلك تلقيت عقاباً أشد. كان بوسعي

أن أقدم بعض التبريرات. فقبل الحادث كنت مريضاً لعامين على التوالي. وكان مرضي نفسانياً غريباً. استولت عليَّ السوداوية، وكانت هناك فترات فقدت فيها عقلي. كنت سريع الانفعال والتأثير النفسي المرضي الشديد، حتى كنت أشوه أبسط الواقع وأضخمها وأبالغ في أحجامها وأضفي عليها مظهراً مغايراً. ورغم أن هذا المرض أثر كثيراً وبصورة سلبية على مصيري، إلا أنني شعرت بأنه سيكون تبريراً سيئاً جداً، بل ومهيناً. علماً بأنني لم أفهم هذا الأمر جيداً آنذاك. لا مؤاخذة على ذكر هذه التفاصيل، فتكرموا عليَّ بالتسامح واستمعوا إلى حتى النهاية.

وحلت الأشغال الشاقة بالنسبة لي. 4 سنوات من الزمن الحزين الفظيع. عشت مع قطاع الطرق، مع أناس يفتقرون إلى المشاعر البشرية، بعاداتهم اللاأخلاقية الممسوخة، ولم أشهد، وما كان بوعي أن أشهد، خلال هذه السنوات الأربع أي فرحة ما عدا الواقع الأسود الحالك وال بشع للغاية. ولم يكن قربي أي كائن حي أتفوه أمامه بكلمة روحية واحدة. تحملت الجوع والبرد والمرض والعمل الذي فوق طاقة الإنسان، وصبرت على كراهية زملائي قطاع الطرق الذين ثاروا مني لأنني كنت ضابطاً من فئة النبلاء. ولكن، أقسم لكم أنه لم يكن هناك عذاب أشد من العذاب الذي أصابني عندما فهمت ضلالاتي، وأدركت في الوقت ذاته أنني منقطع عن المجتمع، وأنني منفي ولا أستطيع أن أقدم نفعاً على قدر المستطاع ووفقاً لرغباتي وقابلياتي. أنا أعرف أنني حُكمتُ بعدل، لكنني عوقبت على الأحلام والأمنيات النظرية....

الأفكار، وحتى المعتقدات، تتغير، وتتغير الإنسان نفسه، فلماذا نعاني الآن بسبب ما لم يعد موجوداً؟ بسبب ما تغير في داخلي إلى

عكسه؟ لماذا نعاني بسبب الضلالات السابقة التي أرى بطلانها بنفسي الآن؟ لماذا نشعر بالقوة والقدرة على القيام بشيء ما من أجل التكفير عن لاجدوى الماضي وبنقى عاطلين بلا نفع ولا فائدة؟

أنا الآن جندي عادي أخدم في سيمبیالاتینسک، وقد تمت هذا الصيف ترقتي إلى ملازم ثان. أنا أعرف أن الكثيرين حاولوا ويحاولون بصدق مشاطرتني في مصيبي، وقد تشفعوا لي وترجموا (السلطات). وأملونني ولا يزالون يؤملونني. القيصر رحيم طيب القلب. ثم إنني أعرف أن الشخص الذي عزم على إثبات نزاهته ويريد أن يعمل المعروف يجد صعوبة في جهوده، ولكنه لا بد أن يحقق هدفه في وقت ما. وأنا أيضاً أستطيع أن أفعل شيئاً ما. فلست عديم المواهب، ولدي مشاعر وقواعد! لي رجاء كبير وعظيم إليكم، يا إدوارد إيفانوفيتش. الشيء الوحيد الذي يؤذيني هو أنني لا أملك الحق في إزعاجكم بقضتي. إلا أنكم بقلب متسامح نبيل. والكلام عن ذلك غير محظور. فقد أثبتتم هذا الواقع مؤخراً بكل جدارة، على مرأى من العالم كله.^(۱) وقد حالفني الحظ من زمان، قبل الآخرين، أن أسمع هذا الرأي من الناس عنكم، فتعلمت احترامكم من وقت طويل. لكمتكم أهمية كبيرة الآن عند قيصرنا الرحيم الممتن لخدماتكم والمحب لكم شخصياً. تذكروا المنفي المسكين وساعدوه. أنا أريد أن أكون نافعاً. من الصعب تفادي المعاناة من العطالة ما دام في الروح طاقة وعلى الكتفين دماغ. إلا أن الرتبة العسكرية ليست المضمار الذي أطمح إليه. أنا مستعد لبذل قصارى الجهد، لكنني مريض، وإلى ذلك أتأثر بأنني أميل إلى مضمار آخر يتاسب أكثر وقابلياتي. كل أحلامي أن أتسرح من الخدمة العسكرية وأنتسب إلى الخدمة المدنية في مكان ما في روسيا، أو حتى هنا وأحصل على

بعض الحرية في اختيار مكان الإقامة. ولكنني لا أعتبر الخدمة الهدف الرئيسي لحياتي. في زمن ما انتعشت آمالى باستقبال الجمهور لي وميله إلى على صعيد الإبداع الأدبي. بوادي أن أحصل على سماح بالنشر. وثمة أمثلة على ذلك. فالسجناء السياسيون حصلوا، بناء على الاهتمام والرحمة بهم، على سماح بالكتابة والنشر قبلى. إنني أعتبر مهنة الكاتب أكثر المهن نبلًا ومنفعة. وأنا على يقين راسخ بأن هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكنني بسلوكه أن أغدو إنساناً نافعاً، وقد أحظى ببعض الاهتمام وأستعيد كرامة اسمى وأؤمن على الأقل تكاليف معيشتي، لأنني لا أملك شيئاً ربما سوى بعض القابليات الأدبية القليلة جداً. ولا أخفى عليكم أنه بالإضافة إلى رغبتي الراهنة في تغيير حالى إلى حال آخر تستجيب أكثر لطاقاتي ثمة سبب، شخصي صرف، ربما توقف عليه سعادة حياتي كلها، دفعني على التجربة لتذكيركم بقضيتى. أنا لا أطلب كل شيء دفعة واحدة، بل أقتصر على إمكانية التسرع من الخدمة العسكرية وحق الانتقال إلى الخدمة المدنية.

عندما تقرأون طلبي هذا لا تتهمني بالجبن أو التخاذل. فقد تحملت الكثير من الآلام لدرجة أثبت فيها إمكانية تحملها والصبر عليها، بل وحتى بعض الرجلة في ذلك. لكنني الآن منهار المعنويات، وأنا نفسي أتلمس هذا الانهيار. كنت دوماً أعتبر من الجبن أن أشغل بوجودي بالآخرين، أيّاً كانوا. ناهيك عن إشغال بالكم بقضيتى. ولكنني أستعطفكم أن ترحموا حالى وتشفقوا علىّ. لقد تحملت مصيبي ببسالة لحد الآن. إلا أن الملابسات قهرتني حالياً، ولذا عزمت على المحاولة، مجرد محاولة. أقسم لكم أن فكرة الكتابة إليكم والطلب منكم مساعدتي لم تخطر في بالي سابقاً. فقد

كان من المخجل والصعب، على أية حال، أن أذكركم بقضتي. وكانت في الآونة الأخيرة أتابع بشعور عظيم من الإثارة والإعجاب مأثرتكم البطولية. يا ليتكم تعلمون مدى اعزازي بكوني قد تشرفت في حينه بالتعرف عليكم شخصياً. عندما عرف الموجودون هنا بذلك انهالوا عليّ بالأسئلة، وكنت مسروراً جداً للحديث عنكم. وأنا لا أخشى الكتابة لكم عن هذا. فإن مأثرتكم المجيدة على كل لسان، ولا تعتبر كلمات الحديث عنكم تزلفاً إليكم. حامل رسالتي هذه يمكن أن يشهد على صدق مشاعري الخالصة تجاهكم. ومفهوم تماماً امتنان الروسي للذى وقف في ساعة المحنـة للدفاع المهيـب عن سـيـواـسـتـيـوـبـولـ مـسـطـرـاًـ الـأـمـجـادـ الـأـبـدـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـذـوـيـ.ـ وأـكـرـرـ هـنـاـ:ـ لـمـ يـخـطـرـ عـلـىـ بـالـيـ أـنـ أـهـيـكـ بـقـضـيـتـيـ.ـ وـلـكـنـنـيـ الـآنـ،ـ فـيـ الـلحـظـاتـ الـكـثـيـةـ،ـ وـلـأـنـيـ لـاـ أـعـرـفـ بـمـنـ أـسـتـعـينـ،ـ تـذـكـرـتـ كـمـ كـنـتـ تـرـحـبـونـ بـيـ دـوـمـاـ وـتـعـامـلـونـيـ بـلـطـفـ وـبـسـاطـةـ.ـ وـأـنـاـ أـتـذـكـرـ كـمـ عـلـىـ الدـوـامـ إـنـسـانـاـ باـسـلـاـ بـقـلـبـ كـبـيرـ نـزـيـهـ،ـ فـازـدـادـ إـيمـانـيـ بـالـأـمـلـ.ـ وـفـكـرـتـ:ـ مـنـ غـيرـ الـمـعـقـولـ أـنـ تـشـيـحـوـاـ عـنـ الـآنـ،ـ حـيـثـ اـرـتـقـيـتـ إـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ الـرـفـيـعـةـ السـامـيـةـ وـسـقطـتـ أـنـاـ إـلـىـ الـحـضـيـضـ.ـ أـسـتـيـحـكـمـ عـذـراـ عـلـىـ جـرـأـتـيـ،ـ وـأـرـجـوـ الـمـعـذـرـةـ بـخـاصـةـ عـلـىـ هـذـهـ الرـسـالـةـ الطـوـيـلـةـ الـمـسـهـيـةـ.ـ إـذـاـ كـنـتـ تـسـتـطـيـعـونـ أـنـ تـفـعـلـوـاـ شـيـئـاـ مـنـ أـجـلـيـ أـسـتـعـطـفـكـمـ أـنـ تـفـعـلـوـهـ.

كما لدى رجاء هام آخر أمل أن لا ترفضوه. ذكرـواـ أـخـاـكـمـ أـدولـفـ إـيفـانـوفـيـتشـ بـيـ عـنـدـمـاـ تـحـينـ الفـرـصـةـ وـبـلـغـوـهـ بـأـنـيـ لـاـ أـزالـ أـحـبـهـ كـالـسـابـقـ وـأـنـيـ رـأـيـتـهـ مـرـارـاـ فـيـ ذـكـرـيـاتـ طـوـالـ 4ـ سـنـوـاتـ مـنـ الـأشـغالـ الشـاقـةـ،ـ حـيـثـ كـنـتـ أـسـتـعـيدـ فـيـ الدـمـاغـ ذـكـرـيـاتـ حـيـاتـيـ السـابـقـ يـوـمـاـ فـيـوـمـاـ،ـ سـاعـةـ بـسـاعـةـ...ـ وـهـوـ يـعـرـفـ أـنـيـ أـحـبـهـ.ـ وـأـتـذـكـرـ أـنـهـ كـانـ مـرـيـضاـ جـداـ فـيـ الآـوـنـةـ الـأـخـيـرـةـ.ـ فـهـلـ هـوـ بـصـحةـ جـيـدةـ الـآنـ؟ـ هـلـ هـوـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ؟ـ

وأستميحكم عذرًا على هذا الرجاء أيضًا. فأنا لا أعرف من يستطيع أن يوصل له أخباري. ولذا توجهت بطلب إليكم.

أنا أعرف أنني قمت بمخالفة أخرى لقواعد الخدمة بالكتابة إليكم. (فمن الغريب) أن يكتب جندي عادي لجنرال مراقب. لكن سماحة أخلاقكم شجعني على ذلك.⁽²⁾

مع فائق الاحترام والتقدير وشعور الامتنان الخالص من روسي سيفي الخادم المطيع لكم يا صاحب المعالي.

فيودور دوستويفסקי

(1) دوستويفסקי يقصد خدمات توتليبيين في الدفاع عن سياستوبول عام 1854.

(2) توسط الجنرال توتليبيين، وكذلك الجنرال هاسفورت، لدوستويف斯基 عند السلطات العليا، فقدموا للكاتب مساعدة كبيرة في ترقية من جندي عادي إلى ملازم ثان، ولم يحاولا طبعاً رفع الرقابة الأمنية عنه.

50. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميالاتينسك، 13 أبريل 1856

أسارع، يا صديقي العزيز، في الجواب على رسالتك^(١) الطيبة الرقيقة التي كتبتها لي بتاريخ 12 مارس،وها هي تبعث السرور في نفسي لليوم الثالث. كنت أنتظر أخباراً منك بفارغ الصبر. إلا أنني في الآونة الأخيرة لم أعد آمل بوصول شيء منك قريباً، ذلك لأن ديمتشينسكي الذي وصل من روسيا قبل أسبوعين قال إنك تأخرت في فازان، ثم وصلت رسالة من موسكو إلى سبيريدونوف جاء فيها أنها وصلت إلى هناك قبل يوم أو يومين وتوجهت إلى بطرسبورغ في 9 مارس. وبناء على كل هذه الشائعات كنت أتوقع أن أستلم منك رسالة في عيد الفصح على أبعد تقدير،وها أنا أستلمها قبل ذلك. ربما لا تصدق مدى حاجتي إلى رسالتك وفرحتي بها. ولم يخطر في بالي أن أشك في استلامي لها وفي كونك لن تنساني وستحاول مساعدتي. أنا أعرفك وأعرف أن لديك أطيب قلب نبيل، وليس من قبيل الصدفة أنني أودك كثيراً. ولعلك لا تصدق في أي حال كنت كل الفترة الأخيرة... لكتني سأكتب عن ذلك فيما بعد. وبحسب الترتيب أبدأ

برسالتك يا أطيب الأصدقاء. أنت تستهل الرسالة بقولك إنك لم تستطع أن تنسى محنتك العاطفية رغم وسائل الترفيه الكثيرة. نعم، أصدقك يا عزيزي، فهذه الأمور لا تنسى بسهولة. وأنا الآن صرت أعرف ذلك جيداً. ثم إنني عرفت الكثير مما لم أكن أتصوره في السابق. إلا أنني أعترف لك برغبتي الشديدة في معرفة ما بينكما حالياً. لأنه ليست لدى فكرة عن هذه الأمور منذ وصول رسالتك من يالوتوروفسك. والآن لديك بالطبع رأي حاسم بهذا الخصوص أغلبظن، لأن هذه الفتاة، كما فهمت منك، قد وصلت إلى بطرسبورغ على الأرجح. على أية حال أنت الآن في أحضان العائلة، ويسريني جداً أنك تتواصل مع والدك بالتوافق. فأرجوك، لوجه المسيح، لا تخالف هذا التوافق. احسب حساب المستقبل وخذ بالاعتبار أن الوقت حان لك، في اعتقادي، لتقرير مستقبلك. أنا لا أريد طبعاً أن أقول بأن تتصرف بما يتعارض مع مشاعرك وأفكارك الفعلية. أنت مثلاً تقول إنهم يريدون تزويجك. لحسابات نفعية. فهل المال كل شيء في الحياة؟ هذا شيء معروف من زمان، ولا موجب للكلام عنه. كل شخص يتصرف بما يملئه عليه الضمير. والإنسان الكريم يتصرف ويحسب بما يملئه عليه الضمير. تقول، يا صديقي الطيب الغالي، إنك تتوقع المجيء إلى سيبيريا في يوليو وتمرة (بمدينة) سيمبیا-لاتینسک. يمكنك أن تصدق بمدى فرحتي لأنك لم تغير نواباك وتريد العودة إلى سيبيريا، وبحلول الشتاء تتوقع العمل في بارناول. سأنتظرك انتظاري للشمس. ولكن، يا صديقي، ما صحة الإشاعات التي تنتشر عنك هنا؟ يقال إن أمر الفيلق عينك في دائرة بمدينة أومسك، بصفة موظف للمهامات الخاصة، أي ما لم تكن راغباً فيه، وإنه استغرب كثيراً عدم مرورك بأومسك. ولذلك، ولكي تحاشي هذا

التعيين، وإذا لم يتغير هذا القرار، ستبقى في بطرسبورغ ولا تأتي إلى هنا. على فكرة، إنك الآن تعرف ذلك. فقد كتبوا لك من هنا أليس كذلك؟ بالله عليك، يا صديقي، لوجه المسيح بلغني بالتأكد إن أمكن. هل ستأتي أم لا؟ متى وإلى أين وبأي منصب تأتي إلى هنا؟ وكيف تنوی ترتيب أمورك في بطرسبورغ؟ ثم لماذا أنا أتلهف إلى رؤيتك؟ ذلك لأنني الآن أحوج ما أكون إليك، ك حاجتي إلى الهواء، وقد كنت دوماً بحاجة إليك، أنا أتذكر ذلك. أنت قد لا تصدق مدى فرحتي لأن أخي أعجبك وأنك ستتواصل معه على ما أظن. تواصل بالله عليك، ولن تأسف. وكم أنا مسرور لأنه لا يزال يحبني. لقد كتبت لك الكثير في رسالتي السابقة عن شوكوكي حتى بشأنه. ولكن ليتك تعلم بأي حال كنت من الحزن والفرز.وها أنا أعرب عن أسفي على سوء ظني بأخي. قل له إني أقبله، ولا أكتب له لأن الوقت لا يكاد يكفيه حتى للإجابة على رسائلك. سأبعث له قريباً رسالة رسمية أذكر فيها أنني حي أرزق وبصحة جيدة لا أكثر. فعماداً يمكن الكتابة في رسالة رسمية غير ذلك؟ ومع الرسالة القادمة إليك سأكتب له أيضاً. في الرسالة السابقة طلبت منه 100 روبل أخرى. ليس من أ洁لي، يا صديقي، بل لمن اعتبره أثمن وأعز ما في حياتي، والأهم تحوطاً للطوارئ. إذا كان يستطيع تلبية طلبي فليفعل، والله سيجزيه خيراً. وهو يمكن أن يسعدني بذلك ويخلصني من اليأس والقنوط. من يدري ماذا سيحصل؟ زد على ذلك أنهم إذا سمحوا لي بالنشر فستكون لدى نقودي وأبدأ حياة جديدة، ولن أزعج أخي، ولن أشعر بألم في القلب بسبب ذلك، لأن أخي نفسه يكسب لقمة العيش بجهوده. وقد كتبت لك، يا صديقي، أن تذهب إلى تولتيلين وتسلمه رسالتي. وقد فعلت ذلك أغلب الظن. أنت لا تتصور ولا تسمع

وجيب قلبي وأنا أنتظر بفارغ الصبر ردك بهذا الخصوص. أشكرك سلفاً على كل ما تفعله من أجلي. ولكن، بالله عليك، لا تؤملني عيناً من أجل تهدئة أعصابي. لا تكتب لي إلا الحقيقة، الحقيقة وحدها.

وقد طلبت منك ومن أخي أن تكتبا إلى ماريا دميتريفنا وبسرعة إن أمكن. وأكرر طلبي، راسلها لوجه الله. كتبتَ تقول إن هنالك نية لإصدار مرحمة لنا. ولكن ماذا على وجه التحديد؟ هذا سر من الأسرار. اعملْ معروفاً يا صديقي الغالي. ألا يمكن أن تعرف شيئاً بخصوصي سلفاً؟ فأنا بحاجة ماسة إلى ذلك. إذا عرفت بلغني في الحال. أنا لا أفكِّر في القوقاز، ولا في كتبية بارناول. كل ذلك لم تعد له أهمية الآن. كتبتَ تقول إن الجميع يحبون القيصر. أنا نفسي معجب به أشد الإعجاب. وأعترف لك أن ترقتي ذات أهمية كبيرة بالنسبة لي شخصياً. ولكن إذا كنت سأنتظر سلك الضباط فسيطول الانتظار. حبذا لو حصلت على شيء ما الآن في عيد الجلوس. ولعل أفضل إجراء سليم هو التشفع كي يسمحوا لي بالنشر. وأنا أفكِّر أن أزودك شخصياً في القريب العاجل بأشعار عن عيد الجلوس. كما سأرسلها بصورة رسمية أيضاً. ولعلك ستلتقي هاسفورت، فهو سيحضر احتفال الجلوس. ألا يمكنك أن تتكلم معه لكي يقدم قصيديتي بنفسه؟ هل يمكن القيام بذلك؟ أخبرني أيضاً لأي وقت يمكنني الكتابة إليك، لأنك إذا غادرت بطرسبورغ فليس من الحكمة أن تضيع الرسائل. لقد حدثتك عن مقالتي بخصوص روسيا. لقد باتت أشبه بيان سياسي. ولم أكن أرغب في حذف ولا مفردة واحدة منها. من المستبعد أن يسمحوا لي بهذه النشر بمقالة هجائية، على الرغم من وطنية الأفكار الواردة فيها. لقد جاءت المقالة كالمطلوب، وكانت راضياً عنها. وكنتُ أبديت اهتماماً كبيراً بهذه المقالة، إلا أنني

تركتها . فمن المحتمل أن يمنعوا نشرها . وما الداعي لتبييد جهودي؟ الوقت صار ثميناً بالنسبة لي ولا يجوز أن أضيعه جزافاً بأن أكتب لنفسي وأرتاح لما أكتب . ثم إن الملابسات السياسية تبدلت .⁽²⁾ ولذا شرعت بكتابة مقالة أخرى بعنوان «رسائل في الفن» . صاحبة السعادة ماريا نيكولايفنا رئيسة الأكاديمية . وأريد أن أطلب سماحة بتكريس مقالتي لها ونشرها مهملة من اسم الكاتب . مقالتي هذه ثمرة تأمل استغرق عشر سنوات . وقد فكرت في كتابتها منذ أن كنت في أومسك . ستتضمن الكثير من الأمور الأصيلة والساخنة . وأنا أتكلف بالصياغة الجيدة . ولربما لن يوافقني الكثيرون على بعض الأفكار . لكنني أثق بأفكاري . وهذا بحد ذاته يكفي . أريد أن أطلب من أبولون مايكوف أن يقرأ المقالة سلفاً . وستتضمن في بعض صفحاتها مقتطفات كاملة من المقالة الهجائية (الانتقادية المذكورة أعلاه) . وسيكون موضوعها رسالة المسيحية في الفن . لكن المشكلة أين ستنشر؟ إذا طبعت على انفراد لن يشتريها أكثر من 100 شخص . فهي ليست رواية . وفي مقابل نشرها في المجلات يدفعون نقوداً . إلا أن «المعاصر» كانت دوماً معادية لي . ومجلة «الموسковي» أيضاً . و«البشير» نشرت مقدمة لمقالة كاتكوف عن مؤلفات بوشكين تضمنت أفكاراً على طرفي نقىض مع أفكارى . ولا تبقى سوى «مذكرات الوطن» ، ولكنني الآن لا أعرف ما يحصل «المذكرات الوطن» . ولذا أرجو أن تستفسر من مايكوف ومن أخي هل يمكن نشر المقالة مقابل أجور؟ ولكن تحدث معهما عنها بصفة مشروع لا أكثر . ويلغى بحواريهما . والأهم أنني أعكف على كتابة رواية ، وهي مبعث ارتياحي .⁽³⁾ عن هذا الطريق فقط أستطيع أن أخلق لنفسي اسماً وأجلب الانتباه إليه . والأفضل بالطبع أن أبدأ بالمقالة الجدية عن الفن

وأطلب، بالاستناد إليها، سماحةً بالنشر، ذلك لأنهم لا يزالون يعتبرون الرواية شيئاً لا قيمة له. ويخيل إلىَّ أنه إذا توفرت الفرصة للتتوسط والتشفع بشأن نقلِي إلى الخدمة المدنية، في بارناول تحديداً، فخير على خير، انتهِ الفرصة وإذا أمكن الكلام بهذا الخصوص مع هاسفورت فيما ليتك تتكلّم. وإذا أمكن الفعل وليس القول فقط فلا تفوت الفرصة وتشفع لي بالانتقال إلى الخدمة المدنية في بارناول. هذه أقرب وأصح خطوة بالنسبة لي. على فكرة، أنا أتفق معك تماماً بشأن ضرورة انتظار عيد الجلوس. الله أعلم، فلربما تكون النتيجة أكبر مما نتوقع. الموعد قريب، لكن الله يعلمكم من الأحداث قد تجري خلال هذه الفترة. أنا أقصد ملابسات حياتي التي تعرفها أنت.

يا ملاكي، كنت مغتماً ومنفعلاً، كنت أعاني من الحمى، عندما كتبت لك ولاخي في المرة السابقة. إليك ما كان في واقع الأمر، بعد أن اتضحت المسألة في العديد من جوانبها. وأظن أنني كان يجب أن أكتب ذلك كله بعد ما كتبت في الرسالة السابقة. في عيد المرافع حضرتُ أمسيات وولائم، بل ورقصت فيها. وكان هناك سلوتسكي الذي لي معرفة به، وقد التقى به مراراً. وكتبت إلى ماريا ديميتريينا عن ذلك كله وعن رقصتي وعن بعض سيدات المنطقة. فتصورتُ أنني أخذت أنها وأهتم بالآخريات. وفيما بعد، بينما جاء وقت التوضيحات، كتبت لي أنها تعذّب لفكرة كون صديقها المخلص الأخير أخذ ينساها. كتبت تقول إنها تعذّب وتتألم، لكنها ما كانت تريد أن تبُوح لي بأحزانها وشكوكها «حتى الممات». وأنا أفهم ذلك. فهي بقلب نبيل أنوف. ولذا كتبت تقول: «لقد فترت لهجتي عفوياً في رسائي إليك. وصرت واثقة تقريباً بأنني أكتب ليس للشخص المطلوب الذي كان حتى الآونة الأخيرة يحبني وحدي». ولقد

لاحظت هذا البرود في رسائلها وتألمت كثيراً بسببه. وفجأة قيل لي إنها ستتزوج. يا ليتك تعلم ما جرى لي آنذاك. نهشني الألم. قرأت رسائلها الأخيرة وقدني ببرودها عفوياً إلى الشكوك، ثم إلى اليأس. وقبل أن يتسع لي كتابة شيء لها عن ذلك استلمت الرسالة التي كتبـت لك عنها في المرة السابقة، حيث تتحدث عن عجزها وعن وضعها المزري الغامض، وتطلب مني النصح بما ينبغي أن تفعله لو تقدم لطلب يدها شخص يتحلى بخصال حميدة. وبعد هذا التأكيد المباشر لجميع شكوكـي لم يبقـ لي أن أشكـ أكثر. كل شيء واضحـ والإشاعـات عن زواجـها صحيحةـ. فكانت تخفي الأمر علىـ كيلاـ أتعذبـ. بقيـت أسبوعـين في لجةـ الآلامـ، في جـحـيم اللـوعـةـ، فيـ اضطرابـ الأـفـكارـ وـسـخـونـةـ الدـمـ لـدـرـجـةـ يـصـعـبـ عـلـيـ حتىـ الـيـومـ أنـ أـنـذـرـ ذـلـكـ الكـابـوسـ. أـرـدتـ، وـالـلـهـ، أـنـ أـفـرـ إـلـىـ هـنـاكـ لـكـيـ أـلـقـيـهاـ وـلـوـ لـسـاعـةـ وـاحـدةـ، وـلـاـ قـيـمةـ لـمـصـيرـيـ بـعـدـ ذـلـكـ. إـلـاـ أـنـ ظـلـ الـأـمـلـ أـوـقـنـيـ. اـنـتـظـرـتـ رـدـهاـ. فـأـنـقـذـنـيـ هـذـاـ الـأـمـلـ. وـإـلـيـكـ مـاـ حـصـلـ فـيـماـ بـعـدـ. فـهـيـ، الـمـعـذـبةـ بـالـغـيـرـةـ وـالـأـحـزـانـ بـسـبـبـ الصـدـيقـ الـذـيـ (خـيـلـ إـلـيـهـاـ أـنـهـاـ) فـقـدـتـهـ، وـفـيـ جـوـ الـوـحدـةـ الـمـطـوـقةـ بـالـأـوـغـادـ وـالـحـقـراءـ، فـيـ جـوـ الـمـرـضـ وـالـوـساـوسـ وـالـبـعـدـ عنـ الـأـهـلـ دونـ أـمـلـ فـيـ أـيـةـ مـسـاعـدةـ، قـرـرتـ أـنـ تـيـقـنـ مـنـ مـوـقـيـ إـزـاءـهـاـ، هـلـ بـدـأـتـ أـنـسـاهـاـ، أـمـ بـقـيـتـ كـمـاـ كـنـتـ فـيـ الـمـاضـيـ؟ وـلـهـذـاـ الغـرـضـ كـتـبـتـ لـيـ مـتـسـائـلـةـ، بـالـاعـتمـادـ عـلـىـ بـعـضـ مـاـ حـصـلـ فـيـ الـوـاقـعـ، بـمـاـذـاـ يـنـبـغـيـ لـهـاـ أـنـ تـجـيـبـ إـذـاـ طـلـبـ يـدـهـاـ شـخـصـ مـاـ؟ وـلـوـ كـنـتـ قـدـ أـجـبـتـهـاـ بـلـامـبـالـاـةـ لـاتـخـذـتـ مـنـ ذـلـكـ دـلـيـلاـ عـلـىـ أـنـيـ نـسـيـتـهـاـ بـالـفـعـلـ. عـنـدـمـاـ اـسـتـلـمـتـ رـسـالـتـهـاـ حـرـرـتـ لـهـاـ رـسـالـةـ يـائـسـةـ رـهـيـةـ عـذـبـتـهـاـ أـشـدـ عـذـابـ، وـأـتـبـعـتـهـاـ بـرـسـالـةـ أـخـرـىـ فـيـ الـبـرـيدـ التـالـيـ. ⁽⁴⁾ كـانـتـ مـرـيـضـةـ طـولـ الـوقـتـ فـيـ الـآـوـنـةـ الـأـخـيـرـةـ، وـقـدـ زـادـتـ رـسـالـتـيـ فـيـ عـذـابـهـاـ.

ولكنها على ما يبدو، مسروقة لكتابتي مع أنها متألمة علىّ. والأهم أنها تيقنت من رسالتني بأنني لا أزال أحبها بلا حدود. بعد ذلك عزمت على توضيح الأمور لي، بما في ذلك شكوكها وغيرتها ووساوسها، وبينت في الأخير أنها اختلقت فكرة الزواج لتنثبت من عواطفني تجاهها. ورغم ذلك لم يكن موضوع الزواج بلا أساس. أحد الأشخاص في تومسك كان بحاجة إلى زوجة، وعندما عرف بوجود أرملة لا تزال شابة نسبياً ومليحة برأي البعض في كوزنيتسك طلب يدها بجهود معارف سفلة كانوا يسيطرون إليها طول الوقت. فقههـت وأجابت الخطابة من كوزنيتسك إنها لن تتزوج من أحد هنا ولا موجب لإزعاجها بعد الآن. إلا أن أولئك لم يتراجعوا. فبدأت الغيبة والنميمة والإشاعات والتلميحات والتساؤلات: من هذا الذي تراسل معه كثيراً؟ لديها هناك عائلة موظفين متواضعة وطيبة، وهي تحبهم. وقد قالت للموظفة إنها إذا أرادت أن تتزوج فلديها شخص تحترمه وقد طلب يدها تقريباً. كانت تقصدني لكنها لم تذكر اسمـي. أعلنت ذلك وهي تعلم أن هؤلاء الناس، رغم طيبتهم، لن يصبروا على كتمان الخبر، ولا بد أن يعلـونـهـ في كل مكان، وبالتالي عندما يعرف الآخرون بوجود خطيب يتركونها لحالها ويـكـفـونـ عن اقتراحـ غيرـهـ. ولا أدرـيـ هل هذه الحسابات صحيحةـ. فإنـ ابنـ بـيشـيخـونـوفـ الذيـ يـخـدمـ هناكـ كـتبـ لـوالـدـهـ علىـ أـيةـ حالـ أنـ مـارـيـاـ دـمـيـريـفـنـاـ سـتـزـوـجـ. فأـشـاعـ الـأـبـ الـخـبـرـ فيـ سـيـمـيـيـالـاتـينـسـكـ، ولـذـاـ كـنـتـ عـلـىـ يـقـيـنـ لـبعـضـ الـوقـتـ أـنـ كـلـ شـيـءـ اـنـتـهـىـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ. ولـكـنـ يـاـ صـدـيقـيـ الـعـزـيزـ، لـيـتـكـ تـعـرـفـ مـدـىـ حـزـنـيـ الـآنـ. أـولـأـ، هيـ مـرـيـضـةـ وـأـوـغـادـ كـوـزـنـيـتسـكـ يـعـذـبـونـهـاـ، وـهـيـ وـسـوـاسـيـةـ تـخـشـيـ كـلـ شـيـءـ. أـنـاـ أـغـارـ عـلـيـهـاـ مـنـ أـيـ اـسـمـ تـذـكـرـهـ فـيـ رـسـالـتـهـاـ، وـهـيـ تـخـشـيـ السـفـرـ إـلـىـ بـارـنـاـوـلـ، فـقـدـ يـعـتـبـرـونـهـاـ هـنـاكـ كـالـمـسـولـةـ وـلـاـ يـرـجـبـونـ بـهـاـ،

بل يتذمرون عليها. وقد حاولت إقناعها بالعكس. وهي تقول إن الرحلة مكلفة، وإنها بحاجة إلى أثاث جديد في بارناول. هذا صحيح. أنا أكتب لها أنني سأتقاسم كل النقود معها. وهي ترجوني بكل ما هو قدسي أن لا أفعل ذلك. وتنتظر جواباً من آстраخان حيث سيقرر والدها ماذا يجب عليها أن تفعل: هل تبقى في بارناول أو ترتحل إلى آстраخان. وتقول: إذا طلب أبوها أن تسفر إليه فستفعل. وتضيف في الحال: هل أكتب لوالدي أنك طلبت يدي وأخفى عليه ملابسك؟ بالنسبة لي تلك هي الكآبة القاتلة، الجحيم بعينها. يا ليت عيد الجلوس يحل بسرعة ويحصل شيء أكيد وعاجل في مصيري. فعند ذاك سيعود الهدوء إليها. هل تفهم والحال هذه موقفي وأوضاعي، يا صديقي الطيب. يا ليت هيرنغرروس يساهم في مساعدتي. الحقيقة أنا أظن أحياناً أنني ساجن.

(المخلص د.)

-
- (1) رسالة فرانغيل إلى دوستويفسكي هذه مفقودة.
 - (2) الحماسة المتفائلة في مقالة دوستويفسكي لم تعد تناسب وصلاح باريس المهيمن الذي وقته روسيا بعد حرب القرم.
 - (3) لعل دوستويفسكي يقصد «الرواية الفكاهية» المفترضة التي سبق أن كتب عنها إلى مايكوف.
 - (4) الرسائل المتبادلة بين دوستويفسكي وعيسايفا في عام 1856 مفقودة.

51. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميالاتينسك، 23 مايو 1856

صديقي الطيب الغالي ألكسندر يغورو فيتش. أنا مسرع، بكل معنى الكلمة، للرد على رسالتك.⁽¹⁾ ولذا لا تلمني إذا جاءت رسالتي مرتبكة ومشوشة. وسأوضح المسألة فيما بعد.

أولاً - أشكرك على كل ما فعلته من أجلني، على كل جهودك لصالحي. أنت أخي الثاني، العزيز المحبوب. توتليبين من أ Nigel الناس، وقد كنت واثقاً بذلك دوماً. إنه بروحية الفرسان النبيلة السامية. وأخوه مثله من حيث الطباع. لوجه المسيح بلغ إرنست⁽²⁾ أنني لم أستطع أن أقرأ رسالته دون أن تسيل دموعي، ولا أدرى هل هناك كلمات تصلح للتعبير عن مشاعري تجاهه. وقبل أدولف نيابة عنني. سيتحقق شيء ما. فالقضية، كما أفهمها، تسير في طريق جيد. فلينعم الله بالسعادة على القيسار الرحيم. وكل ما تحدث به الناس دوماً عن حب الجميع الخالص له صحيح. وهذا ما يفرحي كثيراً. مزيداً من الإيمان، مزيداً من الوحدة. وإذا توفر حب الإيمان والوحدة يتحقق كل شيء. فكيف ستكون حال من يختلف عن

الرَّبُّ؟ وَلَا يَنْخُرِطُ فِي صَفَوْفِ الْحَرْكَةِ الْعَامَّةِ وَلَا يَسْهُمُ بِقَسْطِهِ فِيهَا؟ آهَا! يَا لَيْتَ مَصِيرِي يَسْتَقِيمُ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . كَتَبَتْ تَقُولُ أَنْ أَبْعَثَ لَكَ شَيْئًا . هَا أَنَا أَرْسَلُ قَصِيدَةً لِمَنْاسِبَةِ عِيدِ الْجُلُوسِ وَتَوْقِيقِ الْصَّلْحِ . وَلَا أَدْرِي إِنْ كَانَتْ جَيْدَةً أَوْ رَدِيَّةً، إِلَّا أَنِّي وَزَعْتُهَا عَلَى الْإِدَارَةِ هُنَا مَعَ طَلْبِ السَّماحِ لِي بِنَشَرِ كِتَابَاتِي . بِمَعْنَى أَنْ بَيْوَتِرْ مِيخَائِيلُوفِيشُ⁽³⁾ رَفَعَ الْطَّلْبَ إِلَى هَاسْفُورَتْ تَوْأً . وَأَعْتَدَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَنَاسِبِ تَقْدِيمُ طَلْبِ رَسْمِيٍّ، عَرِيضَةً، مِنْ دُونِ دَعْمِهِ بِمَؤْلِفَاتِ فَعْلِيَّةٍ فِي الْوَقْتِ ذَاهِتِهِ . وَلَذَا بَدَأْتُ مِنَ الْقَصِيدَةِ . اقْرَأَهَا، وَاسْتَنْسَخَهَا وَحاوَلْتُ أَنْ تَعْمَلَ مِنْ أَجْلِ وَصْولِهَا إِلَى الْقِيَصِرِ . إِلَّا أَنَّ الْقَضِيَّةَ تَكْمِنُ فِي عَدَمِ جُوازِ تَخْطِيَّ هَاسْفُورَتْ (تَحْدِيَ مَرْجِعَ). فَلَرَبِّما سَأَضْطَرَّ إِلَى الْخَدْمَةِ هُنَا . هَاسْفُورَتْ يَسَافِرُ إِلَى بَطْرِسُورَغَ فِي 10 يُونِيو . وَسِيمَثُلُ أَمَامِ الْقِيَصِيرِ بِالْطَّبْعِ . وَسِيحَمِلُ قَصِيدَتِيِّ، وَلَا بَدْ مِنْ تَوْصِيَّتِهِ وَحْتَهُ عَلَى مَوْقِفِ أَفْضَلِ تَجَاهِيِّ . فَهَلْ سَتَكُونُ أَنْتَ فِي بَطْرِسُورَغَ أَنْتَاءً مُجَيِّءَ هَاسْفُورَتْ؟ هَلْ سَتَلْتَقِيهِ؟ إِذَا تَقَيَّتِهِ أَرْجُوكَ لَا تَحْدُثَهُ عَنْ تَوْتِلِيَّيِّينَ . فَسِيَتَحْمِسُ أَكْثَرُ إِذَا نَسَبَ نِجَاحَ الْقَضِيَّةِ لِهِ شَخْصِيًّا . وَالْأَرْوَعُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا النَّقَاهَ تَوْتِلِيَّيِّينَ فِي مَكَانِ مَا أَوْ قَامَ بِزِيَارَتِهِ، وَهُوَ أَمْرٌ يَعْثُرُ السُّرُورُ العَمِيقُ فِي نَفْسِهِ هَذَا الْآخِرُ، وَلَكِنِّي لَا آمِلُ بِمَثَلِ هَذِهِ الْالْتِفَاتَةِ مِنْ تَوْتِلِيَّيِّينَ . عَلَى أَيَّةِ حَالٍ يَمْكُنُ أَنْ نَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَقْدِمَ قَصِيدَتِيِّ إِلَى الْقِيَصِيرِ مَعَ طَلْبِ السَّماحِ بِالنَّشَرِ وَتَزْكِيَّتِيِّ، فَيَذْكُرُنِي بِكُلِّمَةٍ طَيِّبَةٍ إِذَا سَأَلَوْهُ عَنِّي، فَيَقُولُ إِنِّي أَسْتَحْقُ التَّرْقِيَّةَ . أَلْنَ تَسِيرُ الْقَضِيَّةُ عَنِّدَنِي بِشَكْلٍ جَيِّدٍ؟ وَهَكُذا يَا صَدِيقِيِّ، هَلْ سَتَكُونُ فِي بَطْرِسُورَغَ أَنْتَاءً وَصَوْلَ هَاسْفُورَتْ إِلَيْهَا أَمْ لَا؟ انْقُلْ هَذِهِ الْفَكْرَةَ إِلَى تَوْتِلِيَّيِّينَ بِحُذْرِ، فَأَنَا أَطْلُبُ الْكَثِيرَ، وَإِذَا رَأَيْتَ أَنَّهُ يَسْتَحْسِنُهَا أَوْضَعْ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ . أَنْتَ لَا تَتَصَوَّرُ مَدِي تَشْجِيعِكَ لِي بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ! أَنْتَظِرْ لِقَاءَكَ .

بفارغ الصبر. حبذا لو رأيتك بأسرع ما يمكن. فما أكثر ما أريد أن أقوله لك!

خ (ي). ⁽⁴⁾ غادرت بارناول في مطلع مايو، وأظن أنكما التقينا من زمان وتنعمان بالسعادة. فليمنحكما الله المزيد من السعادة، وليس الكوابيس التي يمكن أن تحصل أحياناً. أقول ذلك انطلاقاً من تجربتي الشخصية. ولكن لا تطل البقاء في بطرسبورغ. تعال، بالله عليك، تعال. وقل لأخي إني أعانقه وأعتذر منه على كل المصائب التي سببها له. إنني أركع أمامه معترضاً. أموري سيئة للغاية. وأنا في يأس مطبق تقريباً. من الصعب على الإنسان أن يتحمل قدر ما تحملت. على أية حال لن أنقل عليك، لا سيما وأنني لا أستطيع أن أنقل لك كل شيء، ولذا أجده نفسي وحيداً مع كاتبي القاتلة. آه، لو كنت هنا. لما حصل ذلك. المشكلة أنها ترفض رسمياً الآن الرحيل إلى بارناول. وليس في ذلك محظوظ. إلا أنها في جميع الرسائل الأخيرة التي تلوح فيها مع ذلك الرقة والحنان والتعلق، بل وأكثر من ذلك، تلمح لي أنها لن تبني سعادتي، وأننا كلانا تعيسان و(العل) الأفضل لنا لو... (افترقنا). وتطلب مني أن أساعد (ابنها) بافل في دخول السلك السiberiyi، وترجوك أنت أيضاً أن تتوسط له عند هاسفورت، لعله يقبله هذا العام ولو في قسم القاصرين. بافل الآن في عامه التاسع. ووعدتها ببذل الجهود قدر المستطاع، لهذا استعطفك أن تفعل ما تستطيع. كما أرجوك لوجه الله أن تقنع أخي بأن يستفسر بالتفصيل وبىدقه بما إذا كان بالإمكان قبول بافل في فيلق بافلوفسكي في العام القادم إن لم يكن الآن. وأن يكتب أخي في أقرب وقت، إن أمكن، إلى ماريا ديميتريفنا عن كل التفاصيل ويعرس الأمل الأكيد في نفسها. وأنت، يا ألكسندر يغوروفيتش، لوجه المسيح ومن أجله اغرس

الأمل فيها بأن الفرصة ربما تحيّن لإرسال بابل إلى بطرسبورغ وأنها لن تحتاج إلى التحرك من مكانها لتوصيله إلى هناك، فالآخرون سيوصلونه، وسيجد في بطرسبورغ أصدقاء. أقنعها، هدئ أعصابها. وأنا أرجو من أخي بخاصة أن يفعل ذلك⁽⁵⁾... أنا لم أخبر بيليخوف بأنني مسافر إلى كوزنيتسك. لكنني سأقضي هناك ولو بضع ساعات. لم أخبره لأنه كان متربداً في الآونة الأخيرة، لكنه موافق. سأسافر بالتأكيد تقريباً إذا لم يغير بيليخوف رأيه غداً. أسافر على حسابي. لا تتهمني بأنني أنفق النقود عبثاً. لكنني مستعد لعقوبة الجزاء (على المخالفه)، ولا أريد أكثر من رؤيتها. أنا في موقف حرج للغاية. فمن الضروري أن أتحدث معها ونقرر كل الأمور رأساً. لا تقلق علىَّ. فلن يحصل لي شيء في الطريق. ذلك لأنني حذر. سأعود بعد 10 أيام. لكنني سأراها. وأنا أتكتم على سفري إلى كوزنيتسك. وأنت أيضاً، بالله عليك، لا تخبر أحداً ما عدا أخي (ميغائيل). يا صديقي، أنا مضطرب جداً. كتبَتُ أنك تسعى لنقلني إلى كتبة بارناول. رجائي إليك، بحق كل ما هو مقدس لديك، لا تنقلوني قبل الترقية إلى سلك الضباط، إذا وهبني الله إياها. فذلك سيكون بمثابة الموت بالنسبة لي. أولاً - هي لن تكون هناك. ثانياً - ما أصعب التعود على أشخاص آخرين وعلى إدارة جديدة. هنا أنا في مأمن من الخفراء والحراس، وهناك لن أكون في مأمن. أميرية الكتبة سيئة. ثم لماذا؟ لأي غرض؟ لنعيش معاً؟ بينما هي ربما ستكون في أومسك. بالله عليك، اترك هذه الفكرة. فهي تولد اليأس في نفسي.

ديمتشنينسكي لا يميل تماماً إليك. وهو في علاقة ودية معِي. لا موت إنسان رائع. الجميع هنا مستغربون من كثرة ما عرض عليك، كما جاء في رسائلك، بينما ترتحل أنت إلى الأماكن التي كنت تمل

منها، فلاي غرض وبأي سبب؟ قلت للاموت بالسر إن ذلك بسبب علاقاتك العائلية مع أهلك، واختلقت حكاية مناسبة، فليعمل لاموت على نشرها (...). أنا مسافر لعشرة أيام تقريباً.

وداعاً يا صديقي. في أمان الله وحفظه. أنتظرك كملاك من السماء. أنت بالنسبة لي أكثر من صديق وأخ. الله أرسلك إلي.

(المخلص د.)

- (1) رسالة فرانغيل التي يرث إليها دوستويفسكي هنا مفقودة.
- (2) المقصود الجنرال توتليين، واسمه الأول إدوارد. يبدو أن الأمر اختلط على دوستويفسكي فسماه إرنست.
- (3) المقدم ب. م. سبيريدونوف القائم بأعمال الحاكم العسكري لمحافظة سيمبیلاتنسک.
- (4) يكاترينا هيرنغروس.
- (5) ميخائيل دوستويفسكي كتب إلى عيسايفا يهدّتها.

52. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميلاتينسك، 14 يوليو 1856

أبعث إليك الجواب، يا صديقي الطيب الغالي ألكسندر
يغوروفيتش، مع أول بريد. و كنتُ انتظرت طويلاً استلام ولو سطر
واحد منك. أنا لا ألومك. فقد كنتَ أخاً لي على الدوام. أنا أتلمس
ذلك وأعرفه. ولكن، يا ليتك تعلم مدى حاجتي إلى مشاطرتك
الأخوية وتذكرك إباهي طول هذه الفترة. ألف مرة هممت أن أكتب
لنك بفسي، لكنني كنت أخشى أن تشد الرجال إلينا في تلك الأثناء،
ولن تصلك رسالتي. على أية حال، ماذا كنت سأكتب لك؟ لن تتسع
الرسالة لما أريد أن أقول. والآن أيضاً، أشكرك مئة مرة أخرى على
كل الجهود التي تبذلها من أجلي. أرجو أن تنقل تشكراتي (للأخرين)
تونتيليين. ولعلك لا تتصور مدى الإعجاب الذي أتطلع به إلى نفوس
طيبة مثلك ومثلهما وإلى جهودكم من أجلي. فما الذي قدمته لك
ويستحق أن تحبني بهذا القدر؟ وما الذي قدمته لهذين النبيلين؟ بارك
الله فيكم جميعاً. وهكذا يمكنتني الآن أن أأمل بقوه، ولكن... بعد
فوات الأوان. لقد كنت هناك، يا صديقي الطيب، ورأيتها. ولا أفهم

حتى الآن كيف حصل ذلك؟ كان لدى ترخيص إلى بارناول، إلا أنني جازفت بالذهاب إلى كوزنيتسك. ولكن ماذا أكتب لك؟ وأكرر من جديد هل يمكن الكتابة عن شيء ما في قصاصة ورق؟ رأيتها. ما أكثر نبل هذه الروح الملائكية! بكت وقبّلت يديّ، لكنها تحب شخصاً آخر. أمضيت هناك يومين. تذكرت الماضي في هذين اليومين، فمال قلبها إلى من جديد. ولا أدرى هل أنا على حق أم لا عندما أقول هذا الكلام. وقالت لي: «لا تبك ولا تحزن، لم يتقرر كل شيء نهائياً بعد، أنا وأنت ولا أحد غيرنا». هذه الكلمة إيجابية منها. أمضيت يومين لا أدرى كيف. ملؤهما الغبطة والسعادة وعذاب لا يطاق. في نهاية اليوم الثاني غادرت بمنتهى الأمل. ولكن من المحتمل تماماً أن يقع الذنب دوماً على الغائب. (على أنا) وهكذا حصل. في رسائلها المتواترة لاحظت من جديد أنها مكتوبة تبكي، وتحبه مجدداً أكثر مني. لن أقول الله معها، فأنا لا أدرى ماذا سيحصل لي من دونها. لقد هلكت، وهي أيضاً هلكت. فهل تتصور، يا صديقي الأخير الغالي، ماذا تفعل وماذا تقرر بعقلها السليم الراجح بلا حدود؟ إنها في التاسعة والعشرين. مثقفة ذكية شاهدت المجتمع وتعرف الناس، وقد تألمت وتعذبت، وأصابها المرض بسبب السنوات الأخيرة من حياتها في سيبيريا، وتبثث عن السعادة، وهي قوية العزيمة حرة طليقة، وتنوي حالياً الزواج من شاب في الرابعة والعشرين من أبناء سيبيريا، لم ير شيئاً في حياته ولا يعرف شيئاً، متعلم قليلاً، بدأ يأخذ فكرته الأولى عن حياته، فيما تعيش هي، ربما فكرتها الأخيرة، (وهو يحيا) من دون معنى، من دون عمل، من دون أي شيء، معلماً في مدرسة هامشية ينتظر في القريب العاجل راتباً قدره 900 روبل ورقية. قل لي، يا ألكسندر

يغوروفيتش، ألا تُهلك نفسها مرة أخرى بذلك؟ فكيف يتم في الحياة المعيشية التقاء شخصين مثلهما مختلفي الطباع والأراء والمتطلبات؟ ألن يهجرها فيما بعد، بمرور بضع سنين، (...) ألن يتسبب في موتها؟ ماذا سيحصل لها في ظروف الفقر مع جمع من الأطفال في كوزنيتسك؟ من يدرى إلى ماذا ستقودها الخلافات التي أتوقعها في المستقبل؟ فحتى لو كان شاباً مثالياً جداً فهو لا يقف بعد على قدمين ثابتتين. الحال فهو ليس مثالياً، بل... كل شيء متوقع فيما بعد. ماذا لو أهانها بملامة ذئبة؟ (...) من يدرى؟ ألن يحدث ذلك؟ أكيد سيحدث شيء من هذا القبيل. وماذا عن كوزنيتسك. والغدر فيها؟ يا إلهي！ قلبي يتفتر. أنا أتوقع إلى سعادتها أكثر من سعادتي. تكلمت معها عن كل هذه الأمور. بل ليس كلها. ربما عشرها، فلا يمكن الكلام عن كل شيء. استمعت إلى مندهشة. إلا أن عواطف النساء تعلو حتى على العقل السليم، الواضح في منطقيته. المعقوليات تهاوت أمام فكرة كوني أتجنى عليه وأبحث عن نوافقه، الله يسامحها، فراحت تدافع عنه، مدعية أنه مستحيل أن يكون على الصورة التي أرسمها له. ولم أتمكن من إقناعها بشيء. لكنني تركت شكوكاً في نفسها، فكانت تبكي متالمة. وشعرت بالإشفاقة عليها. وعندما مالت إلى أشفقت عليها أكثر. يا ليتك تعلم، يا صديقي، أي ملوك هذا. أنت لم تكن تعرفها على حقيقتها. ففي كل لحظة تأنيك بشيء متميز معقول، ذكي، لكنه محير عجيب، في منتهى الطيبة والنبل. قلبها بشهامة الفرسان، وستقود نفسها إلى الهلاك. إنها لا تعرف ذاتها، أنا أعرفها. وبإيعاز منها قررت أن أكتب له كل شيء. مجمل نظرتي إلى الأشياء. ذلك لأنها عادت إلى بكمال فوادها أثناء انصradi. التقى، فبكى أمامي، وهو لا يعرف غير البكاء. وأنا

أعرف موقفي المهزوز. فحالما أنسجمهما بالعدول عما عزما عليه وأرسم لهما المستقبل يتصور أنني أفعل ذلك بدافع من مصلحتي الشخصية، فيهول الأمور عمداً. لا سيما وأنه متواجد معها، وأنا بعيد. نعم، هذا ما حصل. كتبْ لها معاً رسالة مطولة. صورت كل ما يمكن أن يحدث في الزواج غير المتكافئ. (...). وأجابته وهي تدافع عنه بحرارة وكانتني أتجنى عليه. بينما هو يعتبر نفسه بصدق، على الطريقة المتبعة في كوزنيتسك، وبغباء، شخصية (بارزة)، كما أنه اعتبر رجائي الودي الأخوي إهانة، رغم أنه نفسه طلب صداقتي وموذتي، حيث رجوته أن يفكر جيداً فيما ي يريد، وما إذا كان سيعمل امرأة من أجل سعادته، ذلك لأنه في الرابعة والعشرين وهي تكبره بخمس سنوات. وإلى ذلك هو لا يملك مالاً ولا مستقبلاً واضحاً، ما عدا البقاء في كوزنيتسك إلى الأبد. تصور كيف زعل مني بسبب ما قلت. وفضلاً عن ذلك ألبها ضدي بعد أن قرأ لها فكري بالقلب وأقنعها بأن تلك إهانة له. كتب لي جواباً وبيخني فيه. فقلبه مليء بالضيقنة على ما أعتقد. أما هي فقد أرادت بعد الانفجارات الأولى أن تتصالح معي. فكتبت لي برقة ولطف كالسابق، قبل أن أبرر تصرفي أمامها. ولا أدرى إلى ماذا سينتهي ذلك. لكنها تقود نفسها إلى التهلكة، فيتوقف قلبي عن الوجيب. قد تصدق، يا ألكسندر يغورو فيتش، أو لا تصدق أنا أتكلم معك، والله شاهد على ما أقول. سعادتها، بالنسبة لي، أغلى من سعادتي. أنا طوال هذه الفترة ممسوس بكل معنى الكلمة. كان عندنا استعراض وكانت أجوب المنطقة كظل شخص معذب نفسانياً وبدنياً. لا ولن تلتزم جراح روحي. ظنت أنني سأستسلم منك ولو سطراً واحداً، ولا أحد معني، فيما لزمت أنت الصمت. والآن لا يعلم إلا الله هل

سنلتقي أم لا. بالله عليك لا تتركني. هل يكلفك تحبير سطرين أو ثلاثة كثيرة؟ اكتب لي عن طريق البريد. أرجوك. ألسنت صديقى وأخي؟ لا أدرى إلى ماذا ستؤول الأمور. ليتني أنتزع قلبي وأدفعه، ومعه كل (الآلام). بالله عليك اكتب لي سريعاً عن نفسك: هل ستأتي أم لا؟ لا يمكننى أن أتصحّك بشيء، فأنت أعرّف. ولكن خبرني بسرعة، لوجه المسيح. كتبت عن المركيز (دي ترافيرسيه) وتطلب النصح. فماذا عساي أن أقول؟ لا أعرف. أنت تقول إن (يكاترينا هيرنفروس) تكرهه. ذلك مؤشر سيئ. الأفضل لو كانت لا أبداً تجاهه. سمعت من ديمتشينسكي أن أندريله روديونوفيش كأنما قال له إن «خ» (هيرنفروس) ت يريد أن ت ATF إلى الخارج في الشتاء.
هل هذا صحيح؟ وماذا ستفعل أنت عندئذ؟

اكتُب إلى ماريا ديميتريفنا ماذا تريد. يا ليتك تعلم مدى التعاطف والاحترام اللذين تتحدث بهما عنك. لكنك لم تقابلها أبداً. بخصوص بافل طلبت من سلوتسكي والأخرين أن يتوصّلوا له في أومسك. ولا ينسوا المعاش. والدها أيضاً يساعدها ولا ينساها. المعاش بات يحتل مرتبة أمامية. سلوتسكي إذا وعد فعل. وقد أجابني بتأدب منقطع النظير. وقام بكل ما يستطيع. لكنه كتب بخصوص بافل مؤكداً عدم وجود شاغر. ولا يقر القبول الإضافي أحد سوى القيصر. إلا أنهم سيسجلونه مرشحاً للقبول. توسيط لدى هاسفورت، بالله عليك، فلربما هناك أمل في قوله هذا العام. ولدي رجاء ملح آخر إليك. بالله عليك، من أجل نور السماوات، لا ترفض هذا الطلب. فهي لا ينبغي أن تعانى. إذا كانت ستتزوج منه لا محالة، فلتكن لديه نقود على الأقل. ولهذا الغرض لا بد من تعيينه في وظيفة أفضل. حالياً هو يستلم 400 روبل ورقي، ويسعى لأداء امتحان تعيين

المعلمين بمرتبة أعلى، في كوزنيتسك نفسها. عندذاك يستلم 900 روبل. (...) فأرجوك أن تتكلم مع هاسفورت بخصوصه كشاب رائع موهوب عن جدارة واستحقاق. وامدحه قدر ما تستطيع، وقل إنك تعرفه شخصياً، وحبدا لو حصل على ترقية. (...) واكتب إلى (الجنرال) هيرنغرروس عنه. (...) اسمه الثلاثي نيكولاي بوريسوفيش فيرغونوف. وهو من تومسك. أنا أرجوك من أجلها وحدها، كيلا تعيش في فاقة على الأقل. لا أدرى، والله، من نشر الإشاعات حولك في أومسك. الجميع هنا كانوا يتتكلمون عنك، إلا أن أحداً لا يعرف الأمر على وجه التحديد. قبل شهر سرت إشاعة تقول إنه تم تعينك مستشاراً في بارناول. والاحتمال وارد تماماً حسب الظاهر. فهل هذا صحيح؟ اكتب لي سريعاً بالله عليك. أنت تكتب للآخرين كثيراً أنك تتلقى عروضاً لوظائف معينة وأنك تعرف (على المسؤولين) وما إلى ذلك. الجميع هنا، على ما أعتقد، ينظرون بتهكم إلى هذه الأمور، ولذا أحذرك، لا تكتب لهم بهذا المعنى. الجميع مندهشون لأنك تسافر إلى سيبيريا، بينما لديك وعد بالكثير في بطرسبورغ، ويظلون، لعدم فهم أسبابك، أنك تتباهى. حتى أن لاموت يبتسم ساخراً عندما يتحدث عنك، فيما يقول ديمتشينسكي أن قراءة رسائلك تقتضي ارتداء البزة العسكرية. لا تعبأ بشيء. اكتب لهم، ولكن لا تُهن (كرامتهم) واعتزاهم بنفوسهم الصغيرة. (...). إذا وافقوا على ترقطي أفضل أن أنتقل إلى بارناول. وبخلاف ذلك أفضل روسيا، فلا تنسني لوجه المسيح.

ولديّ، يا صديقي، طلب عاجل آخر. إذا استطعتَ نفذه، وإلا فحسبي الله ونعم الوكيل. إذا حصلتُ على الترقية، وعموماً في شهر أغسطس، سأكون بحاجة إلى نقود. بحاجة ماسة لا فكاك منها. أنت

لا تصدق كم كلفتني رحلاتي. ومع ذلك أجازف برحالة أخرى. دينوني 100 روبل فضي. وأنا أعيش في بؤس، لكن المصروفات استثنائية. أشعر بأنني في حاجة ماسة جداً إلى النقود، فيما لو طرأ طارئ. وهي حالياً ضرورية لأقصى حد. استعطف أخي، وقبله بلا نهاية، أن يبعث نقوداً على جناح السرعة إذا استطاع. أما أنت فأرجوك، بالله عليك، أن تفترض لي حتى ينایر 300 روبل فضي، لعلمي بأنك لا تمتلك فائضاً. هذا في حال ما إذا كنت متيقناً وتأمل فعلاً بأنهم سيسمحون لي بالنشر. في هذه الحالة فقط أرجو أن تفترض لي. وإذا سمحوا لي بالنشر فسأستطيع أن أدفع مبلغاً أكثر من هذا بكثير في ينایر. ولن أسيء إلى سمعتك. افترض لي إذا كان لديك من تفترض منه. وإذا صعب عليك ذلك لا تحاول، لأن الاقتراض شيء بغرض. لا تفترض من «خ»، أرجوك، فتلك ستكون تضحيه كبيرة جداً من جانبكما لي. إذا افترضت أرسل المبلغ رأساً على عنوان لاموت. معذرة على مثل هذه الطلبات. فأنا لا أعرف ظروفك من هذه الناحية. هذا أولاً، وثانياً، أنا نفسي كالمحجون. بالله عليك لا تظن بي الظنو. وداعاً. سأكتب لك قريباً مرة أخرى. اكتب لي رجاءً عن كل شيء. ولا تنسني.

المخلص ف. دوستويفسكي

أعانك مع أخي وأقبلكما بلا حساب. تحياتي للباقين. لا تُخفِّ
عليّ شيئاً.

53. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 9 نوفمبر 1856

أخي الطيب وصديقي المخلص الغالي. هذه الرسالة تصلك بيد ألكسندر يغوروفيتش الذي له فضل كبير علي. استلمت رسالتك مع البريد الفائق. ويدهشني أنك عرفت متأخراً لهذا الحد بترفعي. أنا عرفت بذلك في 30 أكتوبر. قدم تشكراتي إلى ك. إيفانوف وأولغا إيفانوفا، فهما أرسلا لي مرسوم الترفع. وإلى ذلك وصل إلى الحاكم العسكري (سبيريدونوف) في 30 أكتوبر نفسه كتاب ترفعي. أكرر معك: السعادة والحكم المديد لملائكتنا القىصر. تعجز الكلمات عن التعبير عن امتناني له. أعانفك من صميم القلب وأشكرك على التهئة. انظرت رسالتك زماناً لا نهاية له. فاترك طريقتك هذه يا صديقي. وبلغني عن أحوالك ولو قليلاً، ولكن في فترات متقاربة. أحياناً ليس لديك ما ترسله إلي، أنا أعرف ذلك، ثم ماذا؟ اكتب لي على أية حال. أنت تعلمي، يا صديقي، بإرسال نقود مع البريد القادم وتأكد لأخواتنا الطيبات ولزوجة خالتنا بخصوص المساعدة. يا صديقي الطيب، ليتك تعلم مدى حاجتي إلى هذه النقود. ستأتي هذه المساعدة

في الوقت المناسب تماماً. وإنما لا أعرف كيف أشتري البزة الجديدة. الشاب هنا أغلى بكثير، بخمسين في المئة، مما في بطرسبورغ. اشتريت ما هو ضروري من الحوانين بالأجل. ولكن بقيت حاجيات كثيرة لا بد من شرائها. على فكرة، فأنا ليست لدى ملابس داخلية ولا بياضات. والآن أنا أستلم راتبـاً. إلا أنه قليل في بادئ الأمر بعد مختلف الاستقطاعات. زد على ذلك أنا مدینـ، وإنـ لأشخاص يصبرون علىـ بالطبع، لكن التسديد واجبـ. أكتب ذلك لكـ، يا صديقيـ، لا لأنـ لم أجـد ما هوـ أهمـ من الكلام عنـ النقود وطلبـ إرسالـهاـ. كـلاـ. ثم إنـكـ نفسـكـ، وأـناـ علىـ يقـيـنـ، لاـ تـعـتـبـرـنيـ منـ هذاـ النوعـ. فـلـمـاـذـاـ إذـنـ؟ـ لـكـيـ أـبـرـئـ نـفـسيـ قـلـيلـاـ أـمـاـكـ،ـ ذـلـكـ لـأـنـيـ مـذـنبـ كـثـيرـاـ بـحـقـكـ عـنـدـمـاـ عـولـتـ عـلـىـ نـقـودـكـ وـأـنـفـقـتـ أـكـثـرـ مـاـ يـجـوزـ لـيـ أـنـفـقـ.ـ وـلـكـنـ،ـ يـاـ أـخـيـ الـحـبـيـبـ،ـ إـذـاـ كـانـتـ هـنـاكـ نـفـقـاتـ طـارـئـةـ كـيـفـ أـنـفـادـهـاـ؟ـ تـلـكـ الـتـيـ أـحـبـيـتـهاـ لـأـرـالـ أـعـبـدـهـاـ حـتـىـ الـآنـ.ـ وـلـاـ أـدـرـيـ كـيـفـ سـيـتـهـيـ ذـلـكـ.ـ كـنـتـ سـأـصـابـ بـالـجـنـونـ أـوـ مـاـ هـوـ أـسـوـاـ مـنـ الجـنـونـ لـوـ أـنـيـ لـمـ أـرـهـاـ.ـ كـلـ ذـلـكـ شـوـشـ أـمـورـيـ.ـ لـاـ تـتـصـورـ أـنـيـ أـنـقـاسـمـ مـعـهـاـ النـقـودـ وـأـعـطـيـهـاـ،ـ فـهـيـ لـيـسـتـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ النـسـاءـ.ـ إـنـهـاـ تـفـضـلـ أـنـ تـعيـشـ عـلـىـ الـفـلـسـ الـواـحـدـ وـلـاـ تـقـبـلـ بـالـعـطاـيـاـ.ـ إـنـهـاـ وـاحـدـ مـنـ مـلـائـكـةـ السـمـوـاتـ التـقـانـيـ فـيـ الطـرـيقـ وـرـبـطـنـيـ بـوـثـاقـ الـآـلـامـ.ـ مـنـ دـوـنـهـاـ كـنـتـ مـنـ زـمـانـ سـأـقـدـ مـعـنـيـاتـيـ.ـ فـلـيـكـ مـاـ يـكـوـنـ.ـ أـنـتـ كـنـتـ قـلـقاـ كـثـيرـاـ مـنـ اـحـتمـالـ زـوـاجـنـاـ.ـ يـاـ صـدـيقـيـ العـزـيزـ،ـ يـخـيـلـ إـلـيـ أـنـ ذـلـكـ لـنـ يـحـصـلـ أـبـداـ مـعـ أـنـهـاـ تـحـبـنـيـ.ـ أـنـاـ أـعـرـفـ ذـلـكـ.ـ وـلـكـنـ فـلـيـكـ مـاـ يـكـوـنـ.ـ إـنـهـاـ تـرـجـوـكـ أـنـ تـسـامـحـهـاـ عـلـىـ دـعـمـ جـوـابـهـاـ لـكـ.ـ كـانـتـ آـنـذـاكـ فـيـ ظـرـوفـ رـدـيـةـ لـلـغاـيـةـ.ـ وـبـعـدـ الـتـبـاطـؤـ الـطـوـيـلـ خـيـلـ إـلـيـهـاـ أـنـ الـجـوـابـ سـيـكـونـ مـخـجاـلـاـ.ـ رـسـالـتـكـ أـعـجـبـهـاـ كـلـ الـإـعـجـابـ.ـ وـلـكـنـ يـكـفـيـ،ـ فـلـنـصـرـفـ النـظـرـ عـنـ ذـلـكـ.

من الآن أبدأ حياة جديدة! ألكسندر يغوروفيتش يسألني: عمَّ أطلب أيضاً، وماذا أريد؟ إنه مخلص لي كأخ لم تلده أمي. أنا نفسي لا أدرى ماذا أبتغي الآن. لأن العودة إلى روسيا ستم قريباً حتى من دون الترقية في الجيش. وإذا كنت أريد العودة إلى روسيا سريعاً فلأجل أن أعانقكم وأستشير الأطباء المختصين بشأن مرضي، الصرع. أكثر ما أتمناه هو التسريع العاجل، ولذا أرجو من ألكسندر يغوروفيتش أن يكتب لي بأسرع ما يمكن ويفيد هل أستطيع أن آمل بطلب التسريع نظراً لتدور صحتي؟ فهو من شأنه أن ينفعني (1) لتحسين صحتي، و(2) تأمين الحرية ويسير إمكانية ممارسة الأدب، وأخيراً يوفر لي نقوداً أكثر. ذلك لأنني حتى هنا تلقيت مرتين عرضاً بعمل يمكن أن يسد احتياجاتي بال تمام والكمال على آمل أن يطلقوا سراحـي بمرسوم العفو في القريب العاجل. إلا أنني أتوقع وآمل وأنظر السماح بالنشر الذي بالغت في انتظاره العاجل، فاستدنت من دون تفكير مؤملاً في «حكاية الأطفال» التي فكرتم في نشرها. فلماذا لم تنشروها؟ وهل حاولتم؟ إذا كانت هناك محاولة منكم فبمـ أجابوكـم؟ اكتب عن ذلك بالله عليك⁽¹⁾. لقد كنتُ، يا صديقي، في حالة من القلق خلال العام الأخير، ومن الكآبة والعذاب، لدرجة لم أتمكن فيها أن أعمل كثيراً. تركت كل ما بدأت بكتابته بين فترة وأخرى. إلا أن في ذلك فائدة. فقد اختهرت الأفكار على مهل، وكانت النتيجة أفضل. أجل، يا صديقي، أنا أعرف أنـي سأشق طريـقي، وأشغل مرتبة جيدة في الأدب. وإلى ذلك أظن أنـي، من خلال الأدب، وعندما يلتفت الجمهور إليـي، أتخلص من آخر الصعوبـات المتبقـية في مصيرـي التعـيس. تعذـبني كثيرـاً وفرـة المواد

للكتابة. كما تعذبني نتاجات من نوع آخر غير الروايات. أعتقد أنني أستطيع أن أقول شيئاً، بل وشيئاً رائعاً، عن الفن. مقالة كاملة في دماغي، وعلى الورق بشكل روؤس أقلام. إلا أن روايتي شغلتني عن غيرها. وهي رواية فكاهية ضخمة، بدأت من مزحة وتراءكت حتى صرت راضياً عنها. وستكون فيها أشياء (أو مشاهد) جيدة للغاية. بالله عليك لا تعتبرني متباهياً. فما من إنسان أكثر مني إنصافاً وتشدداً تجاه نفسه من هذه الناحية. يا ليت نقادي السابقين يعرفون ذلك. بودي أن أنشر الآن مقتطفات ومشاهد مكتملة من هذه الرواية الكبيرة. فهذا من شأنه أن يمنعني الشهرة والنقد. لوجه المسيح استفسر عن هذه الإمكانية وأخبرني هل هي متوفرة أم لا.

يا ملاكي، كنت أخشى عليك كثيراً. سيجارك الذي قرأت عنه في رسالتك، ثم في الصحف، أربعني. خفتُ عليك من المجازفة بكل ما تملك في هذا العمل غير المأمون. يعني أنت تلعب بالنار. مرة حالفك الحظ بالسجائر، إلا أن المجازفة بها مرة ثانية وتحدي المصير غير مأمونة العواقب. كنت أخشى عليك طول الصيف. عسى أن يوففك الله. على أية حال أنا أتكلم عن مسألة لا أعرف عنها الكثير.

صديقي العزيز، أنت تكتب عن أخواتنا. إنهن ملائكة. فما أروع عائلتنا. وما أفضل الناس فيها. أين أخي أندريه، وكيف حاله؟ لم أسمع أخباره من زمان. سأكتب له حتماً. أكتب لك هذه الرسالة على عجل، لمجرد أن أرد على رسالتك. لكنني سأحرر قريباً رسالة إلى ألكسندر يغوروفيتش، فأكتب لك من جديد بمزيد من التفصيل، لأنني حينئذ سأعرف عن نفسي أكثر. وقد جاء دور أخواتي وخالي لأكتب له ولهم. ولكنني سأنتظر رسائل من أخواتنا في البريد الأخير. باربارة

أرادت أن ترسل لي بياضات، وقد تهراًت ثيابي، ورغم الغلام الفاحش اضطررت إلى الاستدامة لأقتني بعض الملابس الداخلية. وهي تسأل على أي عنوان ترسلها. لكنني لم أفهم سؤالها حتى الآن. على العنوان نفسه الذي تبعث الرسائل عليه. إذا التقيتها قبلها بدلاً مني، وإنما فاكتُب لها أني أقبلهن جميعاً. باريارة الطيبة القلب بعثت لي 25 روبيلاً استلمتها من رسول في أغسطس، والله يشهد كيف ساعدتني تلك النقود!

استأجرت شقة مع خادم وتدفنة ووجبة طعام بـ 8 روبيلات في الشهر. باختصار أعيش مثل يهودي مفتر. بالله عليك، يا أخي، (حاول). هل يعقل أنك حتى الآن لا تستطيع أن تعنون رسائلك إلى مباشرة، ولا ترسلها عن طريق الإداراة؟ فأنا على يقين بأنك معفو من آخر رقابة حتى بالمرسوم (القيصري).. اكتب لي مباشرة، بالله عليك. فالقيصر هو الطيبة الملائكة بعينها! أنا مسرع لإنتهاء رسالتي إليك. صحتي كالمعتاد، لكنني مرضت بعض الشيء في الخريف. نوبات الصرع لا تفارقني على أية حال. إنها تلاحقني بين فترة وأخرى.⁽²⁾ كل مرة بعد تلك النوبات تنهار معنوياتي وأشعر أنني أفقد ذاكرتي وقابلية ذهنية (الذهنية) بسببها. نوبات الصرع تولد في نفسي الاكتئاب والمهانة المعنوية. هل أنت في صحة جيدة؟ وأفراد عائلتك هل هم بخير؟ كيف حال إميليا فيودوروفنا؟ تحبّاتي لها وقبلاتي للأطفال. قبلهم بدلاً عنّي. اكتب لي حالاً وبالتأكيد. وإذا لم يكن لديك ما ترسله ابعث رسالة فارغة. يا ملاكي، رسالتك بالنسبة لي أثمن من النقود. فأنا وحيد، في وحدة قاتلة، وأنت لا تعرف شيئاً عن أحواطي. ثم، ماذا يمكن أن أكتب في رسالة من أربع صفحات بينما

يحتاج كل ما ينبغي أن نقوله لأحدنا الآخر إلى سنوات؟ آه، يا ليتنا نلتقي. وداعاً يا ملاكي، لوقت قصير، فساكتب لك قريباً من جديد. ولكن اكتب أنت أيضاً بأكثر ما يمكن. أعانفك.

المخلص ف. دوست (ويفسكي)

ملحوظة: خذ بالك! اكتب!

- (1) «حكاية الأطفال» التي كتبها دوستويفسكي في سجن القلعة عام 1849 نشرها أخوه ميخائيل في «مذكرات الوطن» عام 1857 باسم مستعار ويعنوان «البطل الصغير».
- (2) كتب أحد الباحثين استناداً إلى ذكريات أشخاص من معارف دوستويفسكي في سيمباليتسك «أن ثوبات الصرع عند الكاتب متكررة كثيراً في العادة، وهي غالباً ما تحصل أثناء الليل ولا تستمر طويلاً».



54. إلى تشيكان ولی خانوف^(۱)

سيمياatinسك، 14 ديسمبر 1856

استلمت رسالتك، يا صديقي الطيب، من ألكسندر نيكولايفيتش (تسوريكوف)، وأنت تكتب بلهجة ترحيب ولطف وكأنني أراك أمامي من جديد. تقول إنك توّدّني، وأنا أعلن من دون رسميات أنني أودك وأحبك. لم أكن أبداً أشعر بمثل هذه العاطفة تجاه أي شخص سواك، حتى تجاه شقيقتي. والله وحده يعلم كيف حصل ذلك. يمكن قول الكثير في تفسير هذه الظاهرة، ولكن ما الداعي إلى الثناء على خصالك؟ فأنت أكيد واثق من صدقى بلا أدلة يا عزيزى ولی خان. وإذا حررنا في هذا الموضوع عشرة كتب لن فيه حقه. فالمنشاعر والعواطف أمر غير قابل للتفسير. عندما ودعناك من العربية انتابنا الحزن جمياً طول الوقت. وكنا نتذكرك على امتداد الطريق ونمتدحك أيمًا مدح. كانت الفرحة ستتم بأعجوبة لو استطعت أن ترحل معنا. ولكن لك في بارناول تأثير كبير. في كوزنيتسك التي زرتها وحدى خفية تحدثت عنك كثيراً مع سيدة ذكية مليحة بروح سمحاء وقلب كبير، وهي أفضل صديقة لي.^(۲) حدثتها كثيراً عنك حتى أنها أحببتك

من كلامي دون أن تراك أبداً، وقد أوضحت لي أنني صورتك بأبهى الألوان. ولعلك ترى يوماً هذه المرأة الرائعة وتكون من بين أصدقائها، الأمر الذي أتمناه لك. ولذا أكتب لك عنه. أنا لم أبق في بارناول وقتاً يستحق الذكر. إلا أنني حضرت هناك حفلة راقصة وتعرفت على الجميع تقريباً. وقد أمضيت في كوزنيتسك وقتاً أطول، 5 أيام. ثم كنت في (مدينة) زميف (على نهر) لوكنا. وكان ديمتشينسكي على عادته في المزاح والتذكرة طول الوقت. سيميونوف إنسان رائع. وقد سبرت أغواره بشكل أفضل هذه المرة. يمكن الحديث إليك عن الكثير مما لا تستوعبه هذه الرسالة. ولكنك ستعرف في زمن ما بعض الأمور. أما الآن، حيث تراكم في نفسي، فجأة، ما كنت أتوقعه ولا أتوقعه، من مصائب وهموم ومخاوف على من هي أعز كائن لدى في الدنيا، وحيث أنا وحيد تماماً في وقت يتعين فيه العمل، أعترف تائباً بأنني كان يجب أن أكشف لك عن أكبر همومي وأهدافي، وعن كل ما ينفل على فؤادي لحد الموت من عامين أو يزيد ! كنت سأبقي سعيداً، يا صديقي العزيز الغالي تشيكان تنغيزو فيتش. أنا أكتب لك الآن الغازاً لا تحاول أن تفك رموزها. وأرجو أن تتمنى لي النجاح. لعلك ستسمع قريباً عن كل شيء مني شخصياً. تعال إلينا سريعاً إنْ أمكن، وفي أبريل تعال حتماً. لا تغير نواياك. فما أشد رغبتي في رؤيتك، وأعتقد أنك لن تشعر بالملل عندنا. كتبت تقول إنك تشعر بالملل في أومسك. كيف لا؟ وتطلب النصح: كيف تتصرف وأنت في خدمتك، وفي ظروفك على العموم؟ أعتقد ينبغي أن لا تترك العمل. فلديك مواد كثيرة. اكتب مقالة عن السهوب (القرغيزية). وسيشرونها. هل تذكر؟ لقد تحدثنا عن ذلك. والأفضل لو تمكنت من كتابة شيء، على غرار «مذكرات»⁽³⁾ عن المعيشة في

السهوب، تتناول فيه ترعرعك وفتوك وما إلى ذلك. وسيكون ذلك ظاهرة يهتم بها الجميع. سيكون من المستجدات، لا سيما وأنك تعرف ما ينبغي أن يكتب، كما في مؤلف «جون تينير» بترجمة بوشكين، إذا تذكر. وسيجلب ذلك إليك الانتباه في أومسك وفي بطرسبورغ. كما أن المواد الموجودة لديك من شأنها أن تثير انتباه الجمعية الجغرافية. باختصار، الجمهور في أومسك، والحال هذه، سينظر إليك نظرة أخرى. وعندها ستثير حتى اهتمام أهلك بإمكان سلوك طريق جديد. وإذا أردت أن تقضي الصيف القادم في السهوب فإن انتظار ذلك العين لا يزال طويلاً. ولكنك تستطيع منذ الأول من سبتمبر العام القادم أن تطلب إجازة سنوية تقضيها في روسيا (الداخل) وإذا عشت عاماً واحداً هناك ستعرف ماذا عليك أن تفعل. ففي عام واحد يمكن أن يكون لديك مال. صدقني لا داعي للكثير من المال. المهم أن تحسب الحساب للعيش ولنظرتك إلى الأمور. كل شيء نسيبي واصطلاحي. خلال العام المذكور يمكنك أن تشد العزم على الخطوة التالية في حياتك. وسيكون باستطاعتك أن تستشف النتيجة بنفسك، أي تقرر ما ستفعله لاحقاً. فإذا عدت إلى سيبيريا يمكنك أن تتصور أية منافع أو اعتبارات، فما أكثر ما يستطيع المرء أن يتصوره ويصوّره، من شأنها أن تقنع أهلك حتى بالسماح لك بالسفر إلى الخارج، أي بالتجول سنتين، مثلاً، في أوروبا. وبعد 7-8 سنوات ستتمكن من تدبير مصيرك بحيث تكون نافعاً لوطنك أكبر النفع. أليس هدفاً عظيماً، على سبيل المثال، أليس أمراً مقدساً أن تكون من أوائل أبناء جلدتك الذي يوضح لروسيا ما هي السهوب ومدى أهميتها، وموقف شعبك تجاه روسيا، وتخدم وطنك في الوقت ذاته بالسعى المتنور لصالحه عند الروس. تذكر أنك أول قرغизي متعلم تماماً على

الطريقة الأوروبيّة. وفوق ذلك جعلك المصير إنساناً رائعاً. فمنحك روحأً سمحاء وقلباً كبيراً. لا يجوز التأخّر، لا يجوز التخلّف عن الركب. حاول بإصرار، بل وبتحايل إنْ أمكن. وكن على ثقة بأن كل شيء ممكّن. ولا تسرّ من تصوراتي الطوباوية وحدسي بشأن مستقبلك، يا عزيزيولي - خان. أنا أحبك لدرجة جعلتني أفكّر فيك وفي مصيرك أياماً بلياليها. بالطبع في الأمّنّيات بنيت مستقبلك ورعايته. إلا أن بين الأمّنّيات واحدة فعلية واقعية، هي أنك أول شخص من قبيلتك بلغ المستوى التعليمي الأوروبي. هذا الأمر وحده مثير للدهشة. وإدراكه يلقي عليك عفوياً واجبات معينة. ومن الصعب عليك أن تحدد الخطوة الأولى التي ينبغي القيام بها. وإليك نصيحة أخرى على العموم. حاول أن تقلل من الحدس والأمنيات، وتزيد من العمل والبدء، على الأقل، بأي شيء كان لتوسيع ما أنت فيه. البدء بشيء، مهما كان، أفضل، على أية حال، من لا شيء. فليمنحك الله السعادة.

وداعاً يا عزيزي، واسمح لي أن أعنفك وأقّبك 10 مرات. تذكّرني واكتب لي أكثر. تسوّري كوف يعجبني، فهو صريح، لكنني لا أزال قليل المعرفة به. هل ستتّسافر مع سيميونوف وهل ستكونان معاً في سيمبّيلاatinisk؟ عندذاك ستكتبر شلتنا. ولربما ستتغيّر آنذاك أمور كثيرة في مصيري. إن شاء الله. يا ليت. ديمتشينسكي يسلم عليك، أكتب لك من شقّته، من الطاولة نفسها التي كنا نتناول عليها فطورنا عادة أو نحتسي الشاي في انتظار اليتامى المساكين.⁽⁴⁾

قبالي يجلس تسوّري كوف ويكتب لك هو أيضاً. أما ديمتشينسكي فهو نائم يسخر. الساعة الآن العاشرة مساءً. ولا أعرف سبب تعبي الشديد. كان بودي أن أكتب لك شيئاً عن سيمبّيلاatinisk، فهناك أمور

مضحكة جداً. ولن أتمكن من كتابة عشر معشار ما ينبغي الكتابة عنه.. وداعاً يا صديقي الطيب. اكتب لي أكثر. وسأرد على رسائلك دوماً. ولربما سأجاذف في مرة أخرى بالكتابة عن أحوالى. بلغ تحياتي إلى د. (دوروف) وتننياتي له بكل خير. أكمل له أنتي أحبه وأنتي مخلص له من صميم القلب.
وداعاً!⁽⁵⁾

ملحوظة: س. ⁽⁶⁾ تبلغك تحياتها. أخبرتني كيف أغويتها لتسافر معك إلى أومسك. وهي تتذكرك وتبدى اهتماماً كبيراً بك.

(دوستويفسكي)

- (1) تلميذ قرغيزي في سلك الكاديت الروسي.
- (2) المقصود عيسايفا التي سافر دوستويفسكي آنذاك سراً لزيارتها في كوزنيتسك.
- (3) للكاتب الأميركي جون تينير عن حياة الهنود الحمر. ترجم الكتاب إلى الروسية عن الترجمة الفرنسية ألكسندر بوشكين عام 1836.
- (4) لا أحد يعرف من المقصود بالبيامي.
- (5) في الأصل بالإيطالية.
- (6) فتاة ولی خانوف.

55. إلى ألكسندر فرانغيل

سيميلاتينسك، 21 ديسمبر 1856

يا أطيب الأصدقاء ويا أخي الغالي ألكسندر يغوروفيتش. أنتظر من وقت طويل رسالة منك، ولم أستلم شيئاً. فهل استلمت رسالتي التي أبلغتك فيها أنني أريد أن أغادر سيميلاتينسك لأسبوعين تقريباً؟ وإذا كنت قد استلمتها فإن جوابك، بالطبع، ما كان ليصل بهذه السرعة. لكنني أقصد رسالتك التي وعدتني بكتابتها قبل أن يصلك جوابي. فقد أردت أن ترسل إلي حاجيات رسمية. وقد طلبت منك، يا صديقي الطيب، أن لا تنفق النقود عبثاً من أجلي، وأنني لست بحاجة إلى كل مستلزمات البزة، فإنها على أية حال ستصل متأخرة، وأن بعض الأشياء التي أنا حقاً بحاجة ماسة إليها هي، على سبيل المثال، قبعة عالية مزينة بريشة وكتافيات رسمية وأزرار مرقمة وما إلى ذلك، بسبب عدم توفرها هنا، ولا بد من تقديم حجز عليها. ولهذا السبب وحده أبلغتك بأنني سأقبل منك شاكراً هذه الحاجيات الطفيفة. وإذا كان إعداد وشراء هذه الحاجيات سبباً في تأخيرك عن الكتابة لي في انتظار إنجاز هذه المشتريات، فذلك شيء مؤسف، بالطبع.

يا صديقي العزيز الغالي، وأنا مدين لك بالكثير أصلاً، هل يعقل أن مثل هذه الحاجيات البسيطة يمكن أن تمنعك من الكتابة إلى؟ أم أن الزمن، وربما أنا مخطئ، أخذ يمحو ذكري في نفسك ولم تعد تحبني كما كنت سابقاً؟ من يدري. كلا. إنها لخطيئة مني أن أتكلم بهذه الصورة. فما أكثر ما فعلته من أجلي. والشكوك التي يمكن أن تدب في فؤادي لنكران فضلك إنما هي الجحود بعينه. أنا لا أريد هذه الشكوك. أنا أطردها، وأعانقك من صميم القلب، وأريد أن أتكلم معك كما في السابق، في سيمبلااتينسك، عندما كنت بالنسبة لي الصديق الصدوق والأخ الشقيق معاً، وعندما كنا نتقاسم همومنا... العاطفية.

أولاً- هل رأيت توتيبيين من زمان؟ هل هو في بطرسبورغ؟ إذا كان هناك هل نقلت إليه تشكراتي؟ قل له، يا صديقي، إبني لا أمتلك الكلمات للتعبير عن امتناني، وسابقني إلى الأبد شاكراً له، طول عمري، ولن أنسى أبداً ما قام به من أجلي. بالله عليك، يا صديقي، اكتب لي عن ذلك بأسرع ما يمكن. لقد وعدتك برسالة مطولة، لكنني أكتب لك في نصف صفحة. والسبب أنني لا أدرى هل ستصلك رسالتي في بطرسبورغ؟ فقد كتبت لي أنك تريد أن تساور إلى إربيت^(١)، ومن يدري ربما ستفكر في الوصول إلى بارناول. وفي هذه الحالة لا أدرى هل ستبقى رسالتي حتى عودتك. أم أنهم سيرسلونها لك من بطرسبورغ إلى المكان الذي ستتوارد فيه؟ ولذا أكتب إليك بإيجاز عما يمكن أن أكتب عنه بإسهاب. وثمة سبب آخر تفهمه من الكلمات التالية: «الله يعلم كم أريد الكلام معك وجهاً لوجه وليس عبر الرسائل». لو استطعت أن أراك لنقلت لك شيئاً لا أستطيع أن أخبرك به الآن. وأقتصر على ما يلي: سافرت إلى بارناول

وكوزنيتسك مع ديمتشينسكي وعضو الجمعية الجغرافية سيميونوف. وصلنا إلى بارناول في 24 ديسمبر، في عيد ميلاد «خ». ومن خلال سيميونوف دعانا (والدها) هيرنغروس، قبل أن يرانا، لحضور الحفلة الراقصة (بهذه المناسبة). وقد أعجبني كثيراً. ولا أدرى لماذا ظهرت لديه فجأة بعض التحفظات عليك. ذكرها لي صراحة. كما أنها هي أيضاً أعجبتني من جميع الجوانب، ولكنها عبثاً ابتعدت عني بشكل ملحوظ. كانت تتحدث معي برقّة ولباقة، وكان كل شيء على ما يرام حسب الظاهر، إلا أنها لم تكن تثق بي على ما يبدو. وحتى لو كانت تخمن أنني أعرف قصة غرامكما، فهل يعقل أنها تعتبرني إنساناً خسيساً؟ وأشار إلى أنها حاولت أن تتكلم عنك بأكبر قدر ممكن من البرود، بل وبتهكم خفيف. ولا أدرى لماذا أعجبني ذلك، أعني التكتيك وليس التهكم. إنها ذكية جداً. وأنا واثق بأنها فاتنة يمكنها أن تغوي من شاء. وتمنيت من صميم القلب أن تتناسب خصال فؤادها مع باقي خصالها. إلا أنها خبأته بعيداً عن أنظار المتطلفين. التقيتها في صالة الرقص وتحديثنا ربما أربع مرات. وأنا لم أرقص عمداً، لكي أنتهز الفرصة وأتحدث معها.

أنا لا أكتب لك عن أهالي بارناول. تعرفت على الكثرين منهم: المدينة مشغولة باللوشيات، وفيها الكثير من أمثال تاليران⁽²⁾ المحليين. أمضيت في بارناول يوماً بليلة، ثم توجهت إلى كوزنيتسك وحدي. وهناك بقىت خمسة أيام. وفي طريق العودة مكثت يوماً آخر في بارناول. تناولت طعام الغداء عند هيرنغروس وبقىت معه حتى المساء. وكانت معاملته لي على أحسن وجه. وقد بدر مني على المائدة تصرف غير لائق. ابنهم الصغير في الثامنة من العمر أعجبني كثيراً، وهو يشبه أمه كل الشبه. قلت لها ذلك، فاعتراضت مؤكدة عدم

وجود تشابه بينهما. فأخذت أخوض في تفاصيل هذا الشبه. تصور: أنهم يعتبرون الصبي، كما عرفت فيما بعد، بشعاً تقريباً! فما أغرب تورطي بثنائي عليه.

يا صديقي، يخيل إليَّ أنك كنت صريحاً جداً مع «خ» في بطرسبورغ. وعرضت عليها رسائلي. فهل هذا صحيح؟ على أية حال عندما سافرت إلى كوزنيتسك قالت لسيميونوف الذي تواصلت معه بأروع صورة إني ذهبت إلى هناك لأتزوج، وإن هناك امرأة أحبها، وإنها عرفت ذلك عن طريقك.

استلمت صورتك النصفية، فشكراً لك، يا صديقي، شكرأ. الحقيقة التي أهديتني إياها لم أستلمها. هيرنغروس لم يقل لي شيئاً عنها. ولم يكن مناسباً أن أسأله. لقد نسي بالطبع، ولكن لا فرق، لأن الحقيقة قد تكون عند أوسترمينير. وسألتها فيما بعد إذا كانت عنده. كتبك وأحجارك الطبيعية، على الأرجح، عند أوسترمينير في (مدينة) زميف. في الصناديق الأربع نفسمها التي أرسلت إليه في الصيف. في طريق العودة وصلنا إلى زميف ليلاً. وما كنت أستطيع زيارة الرجل. ولكن كن على ثقة بأنها ستبقى سليمة وترسل إليك. أنا لا أزال أفكر في السفر إلى زميف.

والآن، يا صديقي، أريد أن أخبرك بقضية هامة بالنسبة لي. ولا بد أن أكشفها لك باعتبارك صديقي. باختصار ووضوح: سأتزوج قبل عيد المرافع، إذا لم يمنعني سبب واحد⁽³⁾. وأنت تعرف من سأتزوج⁽⁴⁾. فلا أحد غير هذه المرأة يمكن أن يبني سعادتي. وهي تحبني لحد الآن. وأنا أنزل عند رغبتها. فقد قالت لي بنفسها: «نعم». وما كتبته لك عنها في الصيف لم يكن له تأثير يذكر عليها. فهي تحبني. أنا أعرف ذلك بكل تأكيد. وكنت أعرف ذلك حتى عندما

كتبت لك رسالتي تلك في الصيف. فسرعان ما فقدت ثقها بغرامها الجديد⁽⁵⁾. وكانت أعرف ذلك من رسائلها في الصيف. كل شيء كان مكشوفاً أمامي. فلم تكن تخفي سراً علي. ليتك تعرف حقيقة هذه المرأة!

أكتب لك أنني ربما أتزوج. إلا أن ثمة سبباً يطول الحديث عنه يمكن أن يرجئ زواجنا إلى أجل غير مسمى. وهذا السبب لا علاقة له بالموضوع إطلاقاً. إلا أن كل الدلائل تجعلني أتصور بأنه سينتهي. وإذا انتهى فسوف تستلم الرسالة التالية مني وقد تم كل شيء.

ليس لدى نقود، ولا فلس واحد. وأكثر الحسابات تواضعاً وتقرباً تفيد بأنني أحتج إلى 600 روبل فضي لتغطية المطلوب. أنا أنوي افتراضها من كوفريغين. وهو في أومسك وسيصل قريباً. ففي الآونة الأخيرة قامت بيننا علاقات جيدة جداً. وأمل أنه سيعطيني. وإذا لم يعطني فكل شيء سيتقوص لأجل غير مسمى في أقل تقدير. سأستدين من كوفريغين لفترة بعيدة، لسنة على الأقل. ولتكن سأكتب مع البريد القادم إلى خالي في موسكو، وهو ثري ساعد عائلتنا مراراً، وأطلب منه 600 روبل فضي. فإذا أعطاني المبلغ أسلمه رأساً إلى كوفريغين. وإذا لم يعطني يتعين عليَّ أن أهبي النقود بنفسِي، لأن هذا الدين مقدس ولا بد من تسديده بأسرع ما يمكن.

أنا لا أستطيع الأمل في أخي. فلو كانت لديه نقود لأعطيه إياها. لكنه يكتب أن أموره متربدة، حالياً على الأقل. ولذا كل الأمل في تسديد الدين وفي كسب المال لأجل حياتي المرتقبة. هذا إذا سمحوا لي بالنشر: فلا تدهش، يا صديقي، لأنني أفترض مبلغاً ضخماً بـ 600 روبل فضي دون أن أملك شيئاً. إلا أن لدى من أجل النشر ما قيمته 1000 روبل أو يزيد. وبالتالي سيكون لدى ما أسدد

به، إذا سمحوا لي بالنشر وإذا لم يرسل خالي المبلغ المطلوب. ولكنهم إذا لم يسمحوا لي بالنشر عاماً آخر فسأقع في دائمة. والموت أفضل حيئتي. أنا لم أشهد في حياتي أبداً لحظات حرجة كهذه. ولذا أرجو أن تفهم، يا صديقي الغالي، مدى أهمية أي خبر عن السماح بالنشر. ولهذا السبب أبتهل إليك، كما أبتهل إلى الله، أن تبلغني فوراً إذا استطعت أن تعرف شيئاً عن الموضوع. وقد طلبت منك ذلك في الرسالة السابقة. أنا أستعطفك (مرة أخرى) وإذا كانت باقية في نفسك مشاعرك السابقة تجاهي فستقبل رجائني وتفنده. فهل أنا على ضلال أم لا، يا صديقي؟ لماذا لم تنشر قصتي «حكاية الأطفال» التي كتبت لي عنها؟ هل رفضوها؟ من المهم جداً أن أعرف ذلك. بديهي أنني مستعد للنشر مدى الحياة من دون اسم أو باسم مستعار. وإذا أفترضتني كوفريغين فسأحاول السفر ما بين 20 و25 يناير وأعود بعد 20 يوماً إلى سيمبیلاتینسک مع زوجتي. البعض في بارناول يأملون، ولا أعرف السبب، بأنك ستكون هناك. ألن نلتقي فيها؟

هل ترى أخي؟ بالله عليك التق معه وتحدث وإياه في صالحه. أنا لا أطلب منه نقوداً، فهو لا يملكها. لكنني أرجوه أن يبعث لي بعض الحاجيات إذا كان ذلك بمقدوره. فأنا راغب جداً في حيازتها. وقل لأخي أيضاً أن يكتب لي عن كل ما يعرفه عن جميع أسرار كواليس الأدب المعاصر. فهذا مهم جداً بالنسبة لي.

و قبل أن أودعك في هذه الرسالة لدي رجاء بخصوصها أستعطفك أن تفندة. هل تتذكر أني كتبت لك في الصيف عن فيرغونوف وطلبت منك أن تتوسط له عند هاسفورت؟ الآن هو عندي أعز من أخي وشقيقتي. الحديث عن علاقاتي معه يطول. ولكن القضية أن أمله الأخير في بناء مستقبله هو أداء الامتحان في تومسك لكي يحق له

التعيين في وظيفة براتب 1000 روبل ورقي. سيعينونه إذا نجح في الامتحان. لكنه لن ينجح من دون (واسطة) أو تزكية. والمسألة كلها تتوقف على مدير ثانوية تومسك المستشار المدني فيودور سيميونوفيتش ميشيرين. حبذا لو كتب أحد المسؤولين المتنفذين إلى ميشيرين رسالة عن فيرغونوف يذكر فيها ضرورة الالتفات إليه عندما يؤدي الامتحان. وفي هذه الحالة يساعدك ميشيرين. وليس عيباً أن نطلب التوسط لفيرغونوف. فهو يستحق ذلك. ولذا أرجوك إذا كان لديك أحد في وظيفة هامة بوزارة التربية والتعليم من أقاربك أو معارفك أن تطلب منه الكتابة إلى ميشيرين عن فيرغونوف. هل تلتقي أبولون مايكوف؟ إنه على معرفة بفيازيمسكي. حبذا لو كتب فيازيمسكي الرسالة. بالله عليك، حاول أن تفعل شيئاً. فكر في الموضوع وأنت أخي العزيز. وداعاً يا صديقي الغالي. أعانقك. اكتب لي بسرعة وأطلعني على كل شيء، لوجه المسيح، وداعاً.

المخلص د (دوستويفسكي)

ملحوظة: لا تخبر «خ» بما كتبته لك عنها. لا تفضحني. من يدري؟ ربما لا يعجبها (ما قلت)...

-
- (1) بلدة في الأورال.
 - (2) وزير الخارجية الفرنسي المخضرم.
 - (3) لعل المقصود عدم توفر المال اللازم للزواج.
 - (4) تم عقد قران فيودور دوستويفسكي وماريا عيسايفا في 6 فبراير 1857.
 - (5) المقصود فيرغونوف

55. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 22 ديسمبر 1856

مرحباً، صديقي الطيب. ما أطول الفترة التي أنتظر فيها الرسالة الموعودة التي قلت إنك ستبعثها إليّ مع أول بريد في أعقاب رسالتك المؤرخة في 15 أكتوبر. لا أدرى ما الذي أثارك. أقسم لك، يا أخي العزيز، أنني لا أستطيع أن أتقبل أذارك التي تتحجج بها لتوضيح طول الفترة بين رسالة وأخرى. فمهما كان الشخص مشغولاً إنما يجد دوماً 5 دقائق لكتابة بضعة سطور لشقيقه. لكنني أفهم أن أهلنا في موسكو أخبروك بأنهم أرسلوا لي نقوداً من هناك. وأنت في رسالتك المذكورة أعلاه وعدتني بإرسال بعض النقود مع البريد التالي. وبيدو أنك فكرت: «استلم نقوداً، فهو بالتالي ليس في حاجة، ولا موجب لكتابة رسالة». طيب. ولكن ألم أقل لك، يا صديقي، ألم أكتب أن ما أريده منك ليس النقود، بل ذكرى الأخوة والاهتمام الأخوي. كتبت لي أن أحوالك متدهورة، وأنك لا تملك مالاً. هل يعقل أنني لا أستطيع أن أتفهم بأنك شخص معيل ومتقل بالالتزامات، ويمكن أن لا تتوفر عندك نقود لأجل؟ وبأي حق ألومنك على عدم إرسال

النقود في حين أنك الوحيد الذي ساعدني وأسندي حتى الآن؟ ألا أعرف ولا أفهم عبء همومك من خلال رسائلك؟ ولذا افهم أنني أقرّعك ليس لأنك وعدتني بإرسال النقود ولم ترسلها، فأنا أعرف أنها غير موجودة طالما لم ترسلها، كما أنتي لا أشك في طيبة قلبك. ولكن أعلم، يا صديقي، بأنه يؤلمني ويحز في نفسي أنك، على ما يبدو، لا ترى ضرورة لأية علاقات معي ما عدا إرسال النقود. ولعلك تقول إنه ليس لديك ما يستحق أن تكتب لي عنه. حكم عقلك من دون تحيز. في الرسالة السابقة كتبت لي أن أحوالك متدهورة. ووعدت بأنك ستبعث لي رسالة أخرى في القريب العاجل، وفجأة صمت مطبق، ولا سطر واحداً. فـأـيـ اـسـتـنـتـاجـ يـنـبـغـيـ أـنـ أـخـرـجـ بـهـ؟ـ أمـورـكـ تـدـهـورـتـ وـسـاءـتـ أـكـثـرـ حـتـىـ أـثـرـتـ عـلـىـ مـرـاسـلـاتـنـاـ،ـ وـأـنـكـ رـبـماـ مـرـضـتـ أـوـ فـيـ وـضـعـ مـحـرـجـ لـلـغاـيـةـ.ـ إـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ فـهـلـ يـعـقـلـ أـنـكـ تـظـنـ أـنـيـ لـأـبـالـيـ بـذـلـكـ أـبـدـاـ؟ـ كـلـاـ،ـ أـنـاـ تـعـذـبـتـ مـنـ الـقـلـقـ عـلـيـكـ،ـ وـأـخـذـتـ أـضـرـبـ أـخـمـاسـاـ فـيـ أـسـدـاسـ بـشـأنـ أـحـوالـكـ،ـ وـكـانـ مـنـ الصـعـبـ عـلـيـ أـنـ أـسـمـعـ بـأـنـكـ تـواـجـهـ الإـخـفـاقـ،ـ فـصـرـتـ أـتـشـوـقـ إـلـىـ الـحـصـولـ عـلـىـ خـبـرـ مـهـمـاـ كـانـ عـنـكـ.ـ إـنـكـ عـنـدـمـاـ تـفـتـرـضـ بـأـنـيـ لـأـبـالـيـ إـنـمـاـ تـهـيـنـيـ.ـ اـقـطـعـ حـبـلـ الصـمـتـ أـخـيرـاـ،ـ يـاـ صـدـيقـيـ،ـ وـأـجـبـيـ وـاـكـتـبـ،ـ أـجـبـيـ سـرـيعـاـ عـلـىـ هـذـهـ الرـسـالـةـ بـخـاصـةـ.ـ وـسـتـرـىـ بـنـفـسـكـ أـنـ هـذـهـ الرـسـالـةـ مـهـمـةـ،ـ بـالـنـسـبـةـ لـيـ عـلـىـ الـأـقـلـ.

ولعلك رأيت من رسائلي السابقة خلال العامين الأخيرين ومن تلميحاتي المتكررة أني أحب امرأة اسمها ماريا ديميتريفنا عيساييفا. كانت زوجة لأعز أصدقائي الذي أحبيته كأخ لي لم تلده أمري. وبالطبع كان حبي لها خفيّاً ومبسوطاً منه. كان زوجها عاطلاً بلا وظيفة، إلى أن عينوه أخيراً، وبعد انتظار طويل، في مدينة كوزنيتسك التابعة لمحافظة

تومسك. وعندما ارتحل إلى هناك توفي بعد شهرين. واستولى على الأیأس والقنوط حينما فارقتها. فتصور كم ازداد يأسی عندما علمت بوفاة زوجها. لقد بقيت وحيدة مع طفلها في أطراف سيبيريا بلا رعاية ولا عون. فقدت رشدي، فاقترضت نقوداً أرسلتها إليها. وكانت سعيداً جداً لأنها قبلت تلك النقود مني. ولم أكن أفكّر كيف كبرت نفسي بالديون. وأخيراً تراسلت مع أهلها، مع والدها في آстраخان. ومن ذلك الحين دأب على مساعدتها. فعاشت على أية حال. ودعاهما والدها إليهم، وكانت تريد أن ترتحل لولا أنها فكرت أولاً في تنسيب ابنها إلى سلك الكاديت السiberi. أما في آстраخان فما كان بالإمكان توفير التعليم له، لأن ذلك يكلف مالاً. وكانت تخشى أن تنقل على والدها وتتخلى ملامة أخواتها، حيث ستكون عالة عليهم. بينما يوفر سلك الكاديت السiberi تربية ممتازة، والخريجون ملزمون بالخدمة في سiberia ثلاثة سنوات لا غير. واستطالت المراسلات بيننا. كنت واثقاً بأنها، على الأقل، فهمت أنني أحبها. ولكتني كنت جندياً عاديًّا ولا أستطيع أن أطلب يدها. فبأي مال كنا سنعيش والحال هذه؟ وكيف تشاطرني مصيرًا كهذا؟ أما الآن وبعد ترقتي مباشرة سألتها: هل ترغب في الزواج مني؟ وأوضحت لها ظروفي بصرامة. فوافقت وأجابت: «نعم». ولذا سيعقد قراننا من كل بد. هناك سبب واحد يمكن أن يفسدته، أو يرجنه على الأقل إلى أجل غير مسمى. إلا أن هذا السبب سينتفي في احتمال 90 بالمئة، على الرغم من ضرورة التحوط لكل الاحتمالات. لن أكتب لك عن هذا السبب، لأن الحديث عنه يستغرق وقتاً. وستعرف كل شيء فيما بعد. أستطيع أن أقول الآن إنني سأتزوجها بالتأكيد تقريباً. وإذا كنت سأتزوج فالزفاف سيتم قبل منتصف فبراير. أي قبل عيد المرافع. هكذا قررنا إذا وفقنا

في تدبير الأمور. ولذا، يا صديقي الغالي، يا أخي الحبيب، أرجوك وأستعطفك أن لا تكتئب من أجلي، ولا تشک فيّ، والمهم أن لا تحاول إقناعي بالعدول عما نويت عليه. فستكون تلك المحاولة متأخرة. قراري لا رجعة فيه. ثم إن جوابك ربما يصل بعد فوات الأوان. إنني أعرف مغزى كل اعترافاتك وتصوراتك ونصائحك. كلها رائعة، وأنا واثق بطيبة قلبك وحبك. إلا أن كل نصائحك لن تجدي نفعاً رغم منطقها السليم. أنا واثق بأنك ستقول: البدن في الـ 36 عاماً يتوق إلى الهدوء، ويصعب أن تفرض عليه عبئاً ثقيلاً. لن أجيبك بشيء على ذلك. وستقول: «بأي مال سأعيش؟». سؤال معقول. لأن من المخجل طبعاً، بل ولا يجوز للمتزوج أن يعول، مثلاً، على مساعدتك في إعالتني مع زوجتي. ولكن، أعلم يا صديقي الغالي، أنني بحاجة إلى القليل، القليل جداً، لأعيش مع زوجتي. أنا لا أكتب لك عن ماريا ديميتريفنا. إنها امرأة لن تجد مثيلها بين 1000 من النساء من حيث الطباع والذكاء وطيبة القلب. وهي تعرف أن ما أستطيع أن أقدمه لها قليل، لكنها تعرف أيضاً أننا لن نعيش في فقر أبداً. وتعرف أنني إنسان نزيه وسأبني سعادتها. أنا بحاجة إلى 600 روبل فقط في العام. وللحصول على هذا المبلغ سنوياً آمل في شيء واحد، آمل في مرحمة القيصر، مرحمة الكائن المحبوب الذي يحكمنا. أنا آمل في السماح لي بالنشر. وأنا أداري في دخلية نفسي الثقة بأن أمني ليس وهماً باطلأ. وأأمل أن قيصرنا الحكيم ذا القلب الملائكي الكبير سيلتفت إليّ أنا أيضاً ويسمح لي بأن أكون نافعاً على قدر الإمكhan. وأنا واثق بطاقةتي فيما إذا استلمت السماح. يا أخي الغالي، لا تعتبر قولني تباهياً من جانبي، ولكن (...). كن واثقاً أن اسمي في الأدب لن يضيع. فخلال 7 سنوات جمعت مادة وفيرة،

وقد صفت أفكارِي واتضحت، والآن حيث يساهم كل فرد بقسطه في الصالح العام لن يرفضوا أن أكون أنا أيضاً نافعاً (للمجتمع). أنا أتفق وأأمل في قرار القيصر بكل تبجيل. وإذا سمحوا لي بالنشر فأنا واثق بأنني سأكسب 600 روبل في العام. ولا يزال الوقت مبكراً للتفكير في إنجاب الأطفال. وإذا ولدوا فسيتربون (كما ينبغي). كن واثقاً.

وقد تقول إن الهموم الطفيفة ربما ستثقل عليَّ. فهل أنا ذئبٌ حتى أتخلَّ عن سعادة العيش مع زوجة هي أعز ما عندي في الدنيا، وأرفض الأمل في بناء سعادتها، وأتجاهل مصائبها وألامها وهمومها وعجزها، وأتركها وأنسها، لمجرد أن أعيش في بطيء وكسلٍ من دون هموم، ولأن بعض المشاغل قد تشوش على وجودي الثمين في وقت ما؟ فلننتهِ من التبريرات. اعترف بالواقع واسكت عليه، يا صديقي. فلا رجعة فيه إن شاء الله، وأكثر الحجج عقلانية (بهذا الخصوص لن يكون لها معنى...). يا صديقي الغالي وأخي الحبيب، لا تعترض عليَّ، بل ساعدني، وستكون أكثر معزة عندي كصديق وشقيق مما في أي وقت مضى. ولذا أرى من الضروري إبلاغك بالتدابير التي أنتوي اتخاذها لأبلغ هدفي، وإطلاعك على بعض ملابسات القضية. ليس عندي ولا فلس واحد. بينما تحتل النقود المرتبة الأولى في هذه المسألة. ولذلك قررت أن أفترض. أنا أعرف هنا شخصاً ثرياً وطيباً يميل إليَّ. وسأستدين منه. أنا بحاجة إلى مبلغ غير قليل. فلا بد من بعض الاستعدادات واستئجار شقة من ثلاثة غرف على الأقل وشراء الأثاث الأكثر ضرورة. ولا بد لي من ثياب، كما ينبغي مساعدتها هي أيضاً. لا بد من 100 حاجة من الضروريات، لكنها تكلف مالاً. ولا بد من إرسال عربة مسقوفة لجلبها، تجرها ثلاثة أحصنة لمسافة 1500 كيلومتر ذهاباً وإياباً. (...). ولا بد من دفع تكاليف الزفاف. أنا

نفسي لم أستطيع حتى الآن أن أستكمل مستلزمات بزة الضباط. راتبي يكفي للمعيشة. ولكن شراء كل ما هو مطلوب دفعه واحدة أمر صعب. استلمت 200 روبل أنفقت بعضها على تسديد الديون، والبعض الآخر على شراء البياضات الالزمة، لأن أخي أرسلت لي قمحاناً فقط، وعلى الكثير من الحاجيات البسيطة الضرورية جداً، والمكلفة أيضاً. وأخيراً ما دمُت ضابطاً ميدانياً فلا بد أن تكون عندي الآن، وفي الحال، بزتان في أقل تقدير، إدحاهما للخدمة والتدريبات والخفارة، والأخرى للاستعراضات. وأنا بحاجة إلى معطف عسكري ومستلزمات أخرى للضباط كالخوذة والسيف والإشارب وإنشوط مقبض السيف وهلمجراً. وأنا بحاجة إلى جزمة. كل ذلك مكلف، ولم تكن الـ 200 روبل كافية لتلك الحاجيات وللمصروفات التالية الضرورية الأخرى.

وأخيراً لا بد من النقود لكي نعيش بعد الزواج إلى أن تتضح آخر مسألة في مصيري، ألا وهي إمكانية النشر. ولذا أنوي أن أفترض 600 روبل فضي. وهذا المبلغ قد يكفي. أنا أستطيع أن أفترض هذا المبلغ (الكبير) لأن لدي مخطوطات جاهزة للطبع بـ 1000 روبل فضي أو يزيد. أنا لا أخادع عندما أفترض، لا سيما وأنني أفترض لمدة طويلة، وأوضح ظروفي بصرامة لهذا الشخص دون أن أخفي عليه شيئاً. مع البريد الحالي سأكتب لأنشيء بربارة وأبلغها بكل شيء على قدر الإمكان. وسأخبرها في الرسالة بأنني سأكتب إلى خالي مع البريد القادم. وسأطلب منه 600 روبل فضي. كن واثقاً بأن رسالتي إلى خالي ستكون عقلانية تماماً. وسأطلب من بربارة أن لا تدهش ولا تتأوه، ولا تتصحن بالعدول عما نويت عليه، بل تقنع زوجة خالي أن تسلمه رسالتي في وقت مناسب، عندما تأتي بربارة إليه. أنا لن أخفي

شيئاً عن خالي. وإذا أعطاني أسد الدين هنا في الحال. وإذا لم يعطني، لا يبقى لي سوى الأمل في إمكانياتي الخاصة وفي الخالق وملاكه قيسراً. أما أنت، يا ميشا الطيب، فأرجوك حالما تفرغ من قراءة هذه الرسالة أن تكتب إلى اختنا في موسكو وتصحها بأن تسلم مع زوجة خالي رسالتى إليه بكل تأكيد. لأنهما يمكن أن لا يسلما الرسالة خوفاً منه. وسأكتب لخالي بالبريد أيضاً، بالبريد التالي. بالله عليك يا أخي قم بذلك من أجلي. والآن أعرض عليك طلباً آخر، لك شخصياً. يا أخي وملaki، ساعدني لآخر مرة. أنا أعرف أنه ليس لديك نقود. ولكني بحاجة إلى بعض الأشياء من أجلها تحديداً. أريد أن أهديها لها. شراؤها هنا غير ممكن. سعرها مضاعف. لو كانت عندي نقود لبعثتها إليك، لكنها ليست متوفرة لدى. ولذا أرجوك لا ترفض معونتي للمرة الأخيرة. كما أرجوك، لوجه المسيح، أن لا تعذب نفسك ولا تبعث شيئاً إذا كان الأمر صعباً عليك. بمعنى أنك لا تملك نقوداً. وأنا واثق برغبتك في إقراضي. لا تبعث وسأفهمك. فأنا أخوك، وقد كان لدى الكثير من الدلاليل على تعلقك بي لدرجة لا تسمح لي بالشك فيك.

إليك الحاجيات التي أرغب في اقتناها. وهي ضرورية تقريباً.

1) قبعة (نسائية) لمناسبة عيد الفصح. عندنا لا توجد قبعات أصلاً. وبالطبع ربيعية.

2) قطعة قماش لفستان من الحرير غير الصقيل بلون شائع. وهي شقراء، بقامة أطول من المتوسط، وخصر رائع، تشبه (زوجتك) إميليا من حيث القوام، على ما أتذكر.

طرحة مخملية أو غيرها حسب ذوقك.

نصف ذينية من المناديل النسائية الهولندية الخفيفة.

قلنسوتان خفيفتان مؤطرتان بشريط، أزرق إنْ أمكن، جيدتان
ورخيستان في الوقت ذاته.
خمار صوفي مخرم، إذا كان رخيصاً.

ملاحظة: إذا رأيت أن هذه الطلبات قسرية، وإذا أردت أن
تضحك وأنت تقرأ هذه القائمة لأنني أطلب حاجيات تكاد قيمتها تبلغ
100 روبل فضي فاضحك وارفض. وإذا فهمت رغبتي في تقديم هذه
الهدية لها وكوني لم أتحمل فكتبت إليك عنها فلن تضحك عليّ، بل
تسامحني. على كل حال، وداعاً. أقبلك من صميم القلب. تمّنّ لي
السعادة يا صديقي الطيب. أعانقك، وتحياتي إلى إميليا، وقبل
الأطفال، ولو جه المسيح أجب على هذه الرسالة فوراً.

أخوك ف. دوستويفسكي

أهتثك بحلول العام الجديد متمنياً لك المزيد من التوفيق.

57. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 9 مارس 1857

منذ أسبوعين، يا صديقي العزيز الغالي، عدت مع زوجتي من كوزنيتسك، ولم أجد إلا الآن وقتاً للكتابة إليك. يا عزيزي ويا حبيبي، بالله عليك لا تزعل مني لأنني لم أكتب لك مع أول بريد حالما وصلنا. فأنت دوماً في ذهني وفي فؤادي. أنا أحبك بكل قابلية الإنسان على الحب. وأنت لمعرفتك بالحياة ستصدقني طبعاً عندما أقول إن نظام الأشياء الجديد ولد لي مشاغل وهموماً لا أدرى كيف يتحملها دماغي دون أن ينفجر. إلا أنه تيسر لي مع ذلك أن أكتب إلى خالي، وإلى اختي فوراً وبناءً على طلبها. خالي ساعدنـي، فلم أعد في حاجة حالياً. وفيما عدا ذلك أعقد آمالـي على المشيئة الإلهية. لكنـني لن أتهاون، بل سأعمل بحماس أشد. إلا أنـك، على الأرجـع، ستطالبني بشرح أكثر تفصيلاً عن سير أموري المـوفق. لن أدخل في تفاصـيل كثيرة، وأكتـفي عموماً بالقول إن كل شيء انتهى على ما يرام. صاحـبي الطـيب الذي عقدـت عليه آمالـي في انتـظار وصول النـجدة من خالي ساعـدنـي وأعطـاني 600 روبل فضـي لمـدة عام أو حتى أكثر.



زوجة دوستويفسكي (ماريا عيسايفا)

وأقول لك، على العموم، يا صديقي، إن هذا الشخص لم يكن الوحيد الذي ساعدني، فالكثيرون غيره شاطروني متابعي بإخلاص. شخصان آخران، على سبيل المثال، أصرَا على أن آخذ منها نقوداً من دون تحديد أي مدة زمنية. وأرادا أن يتخاصما معِي إن أنا رفضت مساعدتهما الأخوية. واضطُررت إلى استدانة 200 روبل فضي، فضلاً عن الـ 600. وبعد العودة إلى سيمبیا-لتینسک أنفقت كل الـ 800 روبل تقريباً، حيث صرفت 700 روبل بال تمام والكمال في نهاية الأمر. ولربما ستدهش، يا أخي، على ماذا صرفت هذا المبلغ الكبير. أنا نفسي ما كنت أتوقع أن أصرف بهذا القدر. ولم تكن هناك أية إمكانية للتغيير. احتياجات الطريق، وطقم الشياب لي ولها، فلم يكن لديها الكثير من الضروريات، الشياب الالزمة متواضعة، بل ويمكن القول بائسته. والرحلة لمسافة 1500 كيلومتر في العربة المسقوفة، فإن صحتها المتدهورة والصقيع ومطبات الطرق لا تحتمل عربة مكشوفة،

هذه الرحلة كلفتني مبلغاً كبيراً كأجر مقابل أربعة جياد، ثم الزفاف في كوزنيتسك رغم تواضعه المطلق، واستئجار الشقة وفرشها بائنات ما، وتوفير الأواني في المطبخ - كل ذلك كلف نفقات يصعب فهم مقاديرها. وأنا لا أعرف أحداً تقريباً في كوزنيتسك. إلا أنها عرّفتني على أفضل الناس ممن كانوا يحترمونها. وكان القائم مقام والدي (أثناء الزفاف) هو مدير الشرطة المحلي مع زوجته. كما أن الإشبينين الأول والثاني رجلان بسيطان طبيان، وإذا أضفنا إلى هؤلاء القسيس وعائلتين من المعارف يكون ذلك هو مجموعة ضيوف حفلة الزفاف. وفي طريق العودة توقفت في بارناول عند أحد معارفي الطيبين. وهنا حدثت المصيبة. فقد داهمني الصرع بصورة مفاجئة تماماً. ارتعبت زوجتي إلى أقصى حد، واستولت على الكآبة والأحزان. وقال لي الطبيب، وهو عالم ممارس، خلافاً لباقي الأطباء السابقين، إنني مصاب بصرع حقيقي، وإنني قد أموت في إحدى هذه النوبات مختنقًا بتشنج الحنجرة. وكنت طلبت بنفسى من الطبيب الصراحة المفصلة مشيراً إلى نزاهته كإنسان. وقد نصحني عموماً أن أحذر أوقات استدارة البدر. الاستدارة تقترب، وأنا أتوقع نوبة من الصرع.⁽¹⁾ عليك أن تفهم الآن، يا صديقي، أية أفكار يائسة تجول في دماغي. وما فائدة الكلام عن ذلك؟ ثم ربما من غير الصحيح أنني مصاب بالصرع الحقيقي. فعندما تزوجت كنت أثق تماماً بالأطباء الذين أكدوا أن تلك مجرد نوبات عصبية يمكن أن تزول مع تغير نمط الحياة. ولو كنت أعلم علم اليقين بأنني مصاب بالصرع الحقيقي لما تزوجت. ومن أجل استقراري وتهذئة أعصابي واستشارة الأطباء الحقيقيين واتخاذ التدابير اللازمة يجب أن أستقيل بأسرع ما يمكن وأرحل إلى روسيا. ولكن كيف أقوم بذلك؟ الأمل الوحيد هو احتمال السماح لي بالنشر،

فأحصل على نقود وأرحل عندي. وإلى ذلك يخيفني أن تحدث نوبة الصرع أثناء الخدمة. فأثناء الخفارة، مثلاً، وأنما مشدود في البزة الضيقة، ساختنق حتماً، كما يقول الذين شاهدوا نوبات الصرع. فماذا سيحصل لصدمي وجهاري التفصي؟ الله رحيم، لكنني أكرر لك للمرة العاشرة: هل تفهم مدى أهمية إمكانية النشر بالنسبة لي؟ جئت بزوجتي إلى سيمبالينسك مريضة. ومع أنني أعددت كل شيء عندما ارحلنا، إلا أن نصف ما كان ضرورياً لم ينجز بسبب قلة خبرتي، فواجهنا أسبوعين من المشاغل والإشكالات المتواصلة. في هذه المرة وصل أمر اللواء لتفتيش الاستعراض والخدمة، باختصار، لقد انشغلت كثيراً، فاعذرني لأنني لم أكتب لك فور وصولنا. زوجتي تتعافي الآن. وهي ترجوك أن تسامحها لأنها لا تكتب إليك حالياً. ستكتب لك في القريب العاجل. وتأكد لي أنها لم تكن مستعدة. إنها تحبكم جميعاً جماً. وقد كانت تحبكم جميعاً في السابق أيضاً، عندما كنت أنا في عام 54 أقرأ عليها كل رسالة تصل منكم، وهي تعرف عنكم كل التفاصيل. وبناء على أحاديثي تكون لك أعمق الاحترام وكل مرة تدعوني إلى الاقتداء بك. إنها امرأة رقيقة طيبة القلب، وهي متسرعة بعض الشيء وشديدة التأثر، فالحياة السابقة تركت في نفسها آثاراً أليمة. التحولات في مشاعرها سريعة للغاية، لكنها لا تتخلى عن طيبتها ونبتها لحظة. أنا أحبها، وهي تحبني، والأمور لحد الآن تسير على ما يرام. عندما استلمت النقود من خالي، وأنا شاكر له من صميم القلب، سددت قسماً من الدين، ولدي الآن في صيوان الثياب 250 روبلأً فضياً. فلا بد أن نعيش على الأقل إلى أن أسلم السماح بالنشر، ولذا أنا مسرور لأن لدى شيئاً من المال لهذه الفترة في أقل تقدير. وأنا أصدق المستقبل كالأعمى. ولا أريد من الله سوى

الصحة. والمدهش أنني خرجت من المصيبة العصيرة ومن التجربة بقدرة غير معتادة وثقة بالنفس. ربما في ذلك ضرر. فيما ليت الله يمنعني التعقل والتفكير السليم كيلاً أبالغ في الاعتداد بالنفس. ولكن لا تقلق ولا تحزن بشأني. كل شيء سيكون على مايرام. إلا أنني أحن إليك كثيراً، يا صديقي العزيز الغالي وأخي الطيب الشهم. استلمت رسالتك، وأشكرك على الطرود، لم تصلكني بعد، ولكن، يا صديقي، كان صعباً عليّ أن أقرأ عن إشكالات وضعك، كونك أنفقت علينا الكثير.⁽²⁾

أشكرك ألف مرة، وزوجتي تعوزها الكلمات للتعبير عن امتنانها لك. ولكن يا ملاكي أمورك لم تستقم حتى الآن. وهذا ما يخيفني جداً. أنت تعقد الآمال على السيجار، ماذا لو أنها لم تحصل على رواج؟ وهذا أمر قد يكون متوقعاً. وبسهولة. يخيل إليّ أن الشيء غير المريح هو ارتفاع أسعار سيجارك. إلا أنني لا أفقه في هذه الأمور. فليكن الله في عونك، وليوافقك. تجاوز هذه الأزمة، وأرجوك، لوجه المسيح، لا تجازف مرة أخرى. لا تطمع في الكثير، فالقليل أمن وأقوى. وكيف حال شقيقتنا ساشا؟⁽³⁾ لماذا تجعلنا جميعاً نشعر بالخجل؟ لحد احتقان الوجنتين. الجميع في أسرتنا بأخلاق نبيلة سمحاء. فما الذي يجعلها فظة غليبة لهذا الحد؟ أنا من زمان أدھش لأنها، وهي الأخ الصغرى، لا تريد أن تكتب لي ولا سطراً واحداً. هل يمكن السبب في كونها عقيدةً عسكرية؟ تلك حماقة ومدعاة للضحك. اكتب لي عنها بتفصيل أكثر، بالله عليك. يؤسفني أنني مستعجل، وإنما لكتبت لك أكثر وبكل التفاصيل. والآن أطرح عليك سؤالاً. كنتُ، يا عزيزي، قد سألتَك عن مصير «حكاية الأطفال». قل لي بصرامة، أرجوك، هل يريدون حقاً نشرها؟ إذا

كانوا يريدون هل حاولوا أم لا؟ وإذا لم يكونوا قد حاولوا فما السبب تحديداً؟ اكتب عن ذلك تفصيلاً، بالله عليك. وسيكون طلبي هذا رداً على افتراضك بأنهم لم يمنعوا النشر عليّ. ألا توافقني بأن مصير «حكاية الأطفال» يتسم بأهمية بالنسبة لي من عدة وجوه؟ يا صديقي، كم أنا متالم (للكاتب) بوتکوف المسكين. كيف يموت هذه الميّة؟ كيف حصل وفاتكم أنه توفي (منسياً) في المستشفى؟ ما أشد حزني عليه. وداعاً، يا ملاكي. بلغ تحياتي لكل من يتذكرني. أنا أتذكر الجميع، ومن كنت أحبه لا أزال أحبه كالسابق. أنا مذنب بحق فيرا وزوجها، لم أكتب لهما من زمان. سأكتب قريباً للجميع. قبل الأطفال، وذكر إميليا بي خصوصاً. فليمنحها الله كل السعادة!

زوجتي لم تكتب لك سطراً في رسالتي. وعندما طلبت منها ذلك أجبتني بأنها ستكتب لك رسالة خصيصاً، وكذلك لبربارة. لكنها طلبت أن أبلغك وإميليا خالص تحياتها وتمنياتها بكل خير. وأنا شاهد على أن ذلك من صميم القلب. وداعاً.

أخوك ف. دوست (ويفسكي)

-
- (1) يشير دوستويف斯基 في «دفاتر اليوميات» إلى أن نوبات الصرع عنده غالباً ما تتوافق مع بزوغ الهلال واتمام القمر.
- (2) ميخائيل بعث هدايا إلى عيسايفا بناءً على طلب أخيه.
- (3) تصغير ألكساندرا للتخييب.

58. إلى يفغيني ياكوشكين

سيميا لاتينسك، 1 يونيو 1857

حضره السيد الكريم يفغيني إيفانوفيتش!

نقل لي ألكسندر بافلوفيتش⁽¹⁾ كل ما كلفته بأن ينقله لي. ولا أدرى كيف وبماذا استحققت ميلك إلى، وبماذا يمكنني أن أرد الجميل في وقت ما. بودي أن أراك وأتشرف بمعرفتك عن قرب. وبهدف الإيحاز لن أكتب لك شيئاً عنني وعن ظروفي وأمنياتي. فسيفضل ألكسندر بافلوفيتش وينقل إليك كل ما أطمح إلى تحقيقه في وقت غير بعيد، وكذلك أملني في التواجد في موسكو. إلا أنها ندخل الآن مباشرة في صلب الموضوع الذي يهمني أكثر من أي شيء آخر تقريرياً، وتكون فيه كل آمالي المستقبلية في الحياة، وأعني دخول محارب الأدب من جديد.

ألكسندر بافلوفيتش بعث لي باسمك 100 روبل فضي. خبرني، يا يفغيني إيفانوفيتش الطيب، بأسرع ما تتمكن: ما هذه الـ 100 روبل ومن أين هي ولأي غرض؟ الأرجح أنها نقودك، أي أنك ترسلها لي، مدفوعاً بشعور المشاطرة الأخوية، على أمل أن تحفزني لممارسة

النشاط الأدبي، وذلك رغبة منك في مساعدتي بضعفين. كتب لي ألكسندر بافلوفيتش أنك ستسعى لطبع مؤلفاتي وتأمل في بيعها والحصول على عائدات كبيرة من أجلني. بالطبع سأكون أذناً صاغية لندائك، ولكنني لا أعرف كيفأشكرك على اهتمامك بي. لحد الآن كنت أمتنع عن الطباعة رغم رغبتي فيها. فقد كان يخيل إلي طول الوقت أنه لا يحق لي (أن أنشر). إلا أن مخاوفي، على ما أعتقد، لا أساس لها من الصحة. الكثيرون استعجلوني في الطباعة والنشر. وكنت من زمان قررت أن أبدأ، لكنني ما كنت أعرف كيف أدبر الأمور. أولاً- لم أكن أعرف لمن أبعث (المخطوطات). فهيايات تحرير المجلات بمعظمها غير معروفة لدى. وكنت، ولا أزال، أريد النشر حتماً ليس باسمي. وفي الآونة الأخيرة فكرت في «البشير الروسي». وقد أبلغني صديقي بليشيف، وهو الآن في أورينبورغ، أنه كتب بشأنى إلى كاتكوف. ولذا حبذا لو بدأت من «البشير الروسي». والمشكلة ماذا أعرض على «البشير»؟ أقول لك بلا تردد ولا مواربة إنني قررت من زمان من أين أبدأ. ولن أبدأ من غير ما قررت، رغم وجود عروض أخرى. كما أني لن أبدأ النشر إلا برواية أو قصة طويلة.

في الآونة الأخيرة، أي قبل عام ونصف عكفت على كتابة رواية، إلا أنها من سوء الحظ كبيرة جداً. أقول من سوء الحظ، بمعنى هل سترغب «البشير» في نشر رواية بحجم روايات ديكتنز؟ هذا هو الأهم. وثانياً- ما أريد أن أعرفه هل أنك تقصد ناشرين بعينهم أم تقصد مجلة ترغب في نشر نتاجي فيها؟ وثالثاً- أين الوسيلة الأفضل والأفعى للنشر، بمعنى أي مجلة في الحال الحاضر يمكن تفضيلها من هذه الناحية؟ أوضح لك ما أكتبه الآن تحديداً، ولكن من دون عرض

المضمون طبعاً. أكتب رواية مطولة عن مغامرات أحد الأشخاص. وهي مغامرات متكاملة متتابعة، إلا أنها تتكون من مشاهد مستقلة مكتملة ومنفصلة بعضها عن بعض تماماً. كل مشهد يشكل جزءاً من الرواية. ولذا أستطيع تماماً أن أنشرها، مثلاً، بشكل مشاهد على حدة. ويمثل المشهد الواحد مغامرة مستقلة أو قصة منفردة. بديهي أن بوّي أن أنشر كل المشاهد بالتسليسل. وأذكر لك أيضاً أن الرواية تتكون من 3 كتب في كل منها قرابة 20 ملزمة (320 صفحة) ومن عدة أجزاء. فرغت من تأليف الكتاب الأول بخمسة أجزاء. أما الكتابان المتبقيان فسانجزهما ليس الآن، وإنما في وقت آخر. ذلك، أولاً، لأنهما استمرار لمغامرات الشخص نفسه، ولكن بشكل آخر وطبعاً أخرى بعد مضي عدة سنوات. أما الكتاب الأول فهو بحد ذاته رواية منفصلة ناجزة تماماً بخمسة أجزاء. فرغت من كتابتها عموماً وبقي التتفصي فقط. ولذا سأنقحها بالتعاقب جزءاً جزءاً وأسلّمها لك بالطريقة نفسها. حالما أستلم جوابك أرسل لك الجزء الأول من الكتاب الأول، وهو يمثل قصة طويلة مكتملة ومستقلة تماماً.⁽²⁾ وأرجوك كل الرجاء أن ترد على تساؤلاتي المذكورة أعلاه. تكلم مع رؤساء التحرير، إذا كانت لك معرفة بهم، واعرض عليهم (الكتاب). فماذا سيقولون وكم يدفعون على الملزمة؟ وما عدا هذه الرواية أنا لا أقوم الآن بأي عمل أدبي، ذلك لأنني معجب بها كثيراً.

لا مؤاخذة، يا يفغيني إيفانوفيتش على هذه التفاصيل، لكنني راغب تماماً في الاستفادة من اقتراحك الوجيه. أشكرك على كل شيء مجدداً، وأشد على يدك. إنك تأخذ بيدي إلى الطريق القوي وتساعدني في أهم عمل بالنسبة لي. وداعاً، وأملّي كله في اللقاء!
المخلص ف. دوستويفسكي

-
- (1) ألكسندر بافلوفيتش إيفانوف، صهر دوستويفسكي، كان موظفاً عند ياكوشكين.
 - (2) دوستويفسكي لم ينجز هذا المشروع.. يبدو أنه صرف النظر عنه بعد الجزء الأول من الكتاب الأول الذي شكل فيما بعد، على الأرجح، مضمون قصته «قرية ستيبانتشيكوفو وسكانها».



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

59. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 3 نوفمبر 1857

صديقي وأخي الحبيب. استلمت رسالتك الموجزة التي أبلغتني فيها بسفرتك إلى الخارج، أو على الأصح قفزتك إلى أوروبا، ولم أرّد عليك رأساً في انتظار وصول السيجار التي وعدتني بها مع البريد التالي حتى أجيبك على الرسائلتين دفعة واحدة. ولكنني لم أستلم لا السيجار ولا الرسالة، ولذا أكتب لك دون أن أنتظر، وذلك، أولاً، لأتحدث إليك بأسرع ما يمكن، وثانياً، لأعرض عليك بعضًا من ملابسات حياتي الحالية. في البداية: عن حياتي الشخصية. نعيش بين بين، لا في فقر ولا في غنى. أنا أواصل الخدمة مع أني سأطلب الاستقالة في القريب العاجل، لأنني اعتبر إهمال مرضي من دون علاج خطيئة. ثم إن ضميري يقول لي: هل هذه خدمة؟ إذا كنت أشعر وأدرك أنني لمرضي لا أكاد أستطيع أداء أبسط الواجبات؟ الأفضل الابتعاد وفسح المجال لشخص آخر. وأنا في حال الاستقالة والمرض سأجد السبيل لأكون مفيداً من خلال النشاط الأدبي. فكل وضع شاذ وغير طبيعي يثار لنفسه في آخر المطاف. وأكرر أن العيش بإصرار في

سيمبالاتينسك وإهمال المرض حتى يتفاقم ويشتد إثُم وخطيئة في اعتقادي.

أنا أعقد الآمال على المرحمة السامية من قيصرنا الرائع الذي منحني الكثير. إنه سيرعاني أنا المريض التعيس، وربما يسمح لي بالعودة إلى موسكو لاستشارة الأطباء وعلاج مرضي. ثم أين أستطيع أن أكسب قوت يومي إن لم يكن في موسكو التي فيها الآن الكثير من المجالات حيث سيقبلونني موظفاً بالتأكيد. هل تفهم، يا أخي، معنى التواصل والمحادثة عن الشؤون الأدبية على الأقل، والكتابة الغيابية دون توفر حتى الكتب والمجلات الضرورية؟ بودي أن أبدأ في ركن «رسائل من الأرياف» بنشر عدة دراسات عن الأدب المعاصر. ولدي الكثير من المواد المختمرة والمكتوبة بهذا الخصوص. أنا أعرف أنني سأجلب الأنظار بذلك. وماذا بعد؟ بسبب قلة المجالات في السنوات العشر الأخيرة توقفت. بهذه الصورة يهلك كل شيء: أفكاري الأدبية ومتلقي في مضمار الأدب.

كانت لي، يا صديقي، عن روائي وتطلب مني أن أرسلها إليك مباشرة، فماذا أجييك على ذلك؟ تلقيت من زمان دعوة من «البشير الروسي» التي هي بلا جدال المجلة الأولى في روسيا حالياً. وقد بدأت بالمراسلة مع موسكو من خلال معارفي الرائعين، من خلال بليسييف الذي هو الآن في أورينبورغ ويعمل من عام لمجلة «البشير».

أما بخصوص روائي فقد حصل لي ولها حادث مزعج. والسبب هو الآتي: لقد أقسمت أنني لن أنشر شيئاً فجأاً هزيلأً غير متوازن ومشروطاً بمواعيد محددة كما في السابق من أجل النقود. فلا يجوز المراهنة على الناج الأدبي، ولا بد من العمل بنزاهة وإخلاص، وإذا كنت قد كتبت شيئاً رديناً، وهذا ما حدث ربما عدة مرات، فذلك

لغياب الموهبة وليس بسبب الاستهانة أو التهاون. ولذا أخذت أتأمل عندما رأيت روايتي تتخذ أحجاماً هائلة، وأنها مبنية بشكل رائع، ولا بد من الإسراع في إكمالها من أجل النقود. وليس ما هو أكثر كآبة من هذا التأمل أثناء العمل. فالرغبة والإرادة والطاقات كلها تحفت عندذاك. ورأيت نفسي أمام لزوم إتلاف الفكرة التي حكتها طوال ثلاثة أعوام، وجمعت لها الكثير من المواد التي لن أستوعبها لكثرتها، الفكرة التي نفذتها جزئياً عندما كتبت الكثير من المشاهد والفصوص. أكثر من نصف العمل جاهز كمسودة. ولكتنني رأيت أنني لن أتمكن من إنجاز نصف الرواية في الموعد الذي أكون فيه بحاجة ماسة إلى النقود. شرعت أفكر، وأقنع نفسي، أن بالإمكان الكتابة والنشر على وجبات، جزءاً جزءاً. ذلك لأن كل جزء كان مستقلاً. إلا أن الشكوك عذبتني، وأمعنت في تعذيبني. لقد اتخذت من زمان قاعدة أن أترك العمل إذا دبت في نفسي شكوك بشأنه، لأن النتاج بعد الشكوك لا خير فيه. ولكن تركه يؤسفني. رسالتك التي تقول فيها إن أحداً من الناشرين لن يوافق على نشر الرواية جزءاً جزءاً جعلتني أترك العمل فيها نهائياً. وسبب ذلك اثنان من الاعتبارات. فقد فكرت: «ما الذي سيحصل؟ إما أن أكتب جيداً وعندها لن أستلم النقود حتى بعد عام، ولذا لا فائدة من عملي، وإما أن أسرع على نحو ما وأفسد كل شيء، أي أتصرف بلا نزاهة، بل إنني لم أكن أقوى على مثل هذا التصرف». ولذا وضعت الرواية كلها والمواد المتعلقة بها في صندوق واحد. وشرعت بكتابة قصة طويلة، متوسطة الحجم، في حوالي 6 ملازم طباعية.⁽¹⁾ وعندما أنهي منها سأكتب روایة⁽²⁾ عن الحياة المعيشية في بطرسبورغ على غرار «الفقراء»، وفكرتها أفضل من فكرة «الفقراء». وكانت قد بدأت من زمان بكتابه هذين المؤلفين، وقسم منها جاهز،

وليست هناك صعوبات. العمل يجري بأروع صورة. وفي 15 ديسمبر سأرسل قصتي الأولى⁽³⁾ إلى «البشير». وسيدفعون مقدماً، والمبلغ ليس بقليل. إذن، ستكون لدى نقود. إلا أن المشكلة أنني سأبقى من دون نقود قبيل الأول من يناير. وطالما قررت عندما بدأت بكتابة هذه الرسالة أن أوضح لك كل ظروفي وأطلب منك شيئاً ما، فإني أشرع بهذا التوضيح.

في فبراير، عندما تزوجت، افترضت هنا 650 روبلأً فضياً. افترضت من سيد عفيف للغاية، لكنه غريب الأطوار. وكنت في علاقاتوثيقة معه. وهو ثري في حوالي الخمسين من العمر. عندما أعطاني النقود قال: «ليس لسنة، بل حتى سنتين، لا تضيق على نفسك، لدى ما لدى، ويسري أن أساعدك». ولم يطلب مني إيصالاً بالقرض. ثم، عندما عدت من كوزنيتسك، استلمت من خالي في موسكو 600 روبل فضي، وبعدها مئة روبل أخرى. ولم يكن عندي من «الممتلكات» سوى الحشية والوسادة، بالإضافة إلى البزة العسكرية. كان من اللازم شراء كل الحاجيات، حتى أصغرها. وإلى ذلك سافرت خلال العام أربع مرات إلى كوزنيتسك ذهاباً وإياباً، وأنفقت الكثير على أمور زوجتي، خطيبتي آنذاك، وسددت الديون المستحقة خلال ثلاثة أعوام إلى خومينوفسكي وغيره بما مقداره 300 روبل فضي، حيث كنت بحاجة إلى النقود عندما توفي زوجها، وهلمجرا. سيمبلاatinسك أغلى مدينة في العالم. فهي كالجزيرة غير المأهولة التي عشر فيها روبنسون (كرزو) على عرق ذهبي ولم يستطع أن يشتري أية حاجة. ارتفعت كل الأسعار هنا بفتح أبواب المحافظة. أنا، على سبيل المثال، أدفع 8 روبلات فضية في الشهر كأجر للشقة من دون حطب ولا إسالة مياه. بحثت عن شقة أصغر وأرخص فلم

أجد. لأن كل الشقق مشغولة. قبل ثلاثة أعوام وصل إلى هنا قرابة 100 موظف لم يبن أحد منهم بيتاً حتى الآن. وحسب العادات المحلية لا بد من تقديم الطعام لكل من يأتي إليك، علماً بأن أوقيةأسوأ أنواع الجبن الروسي تكلف روبلًـا فضيًـا. ويوجد هنا 150 تاجراً. إلا أن التجارة آسيوية. أما البضائع الأوروبية، البولندية، فلا يتداولها سوى ثلاثة أو أربعة تجار. ويأتون بالسلع التالفة من معامل موسكو ويعونها بأسعار خيالية، بأسعار لا يطالب بها إلا من هو في هياج الهذيان أو الجنون. وإذا حاولت أن تخيط بزة أو بنطالاً فهم يأخذون على الجوخ البالغ سعره في موسكو روبلين فضيين قرابة 5 روبلات. باختصار. هذه أغلى مدينة في العالم. ولذا لا يشير الاستغراب أن تلتهم كلَّ نقودنا تكاليفُ السفر والزفاف وتسديد الديون وشراء ما هو ضروري لتدبير أمور المعيشة في المرحلة الأولى. وحتى مطلع ديسمبر لم يبق عندي ولا روبل واحد. فيما أخذ السيد الذي أقرضني يذكّري بتسديد الدين بعد ثلاثة أشهر فقط من الزفاف. وقد أدهشني هذا التصرف. كنت قلت له: «إذا تستطيع أن تصبر عليّ عاماً أعطني النقود، وإلا فلا تكلف نفسك». ورد عليّ قائلاً: «ولو عامين». فتسرعت وأعطيته إيصال القرض لموعد أقصاه الأول من يناير العام الجديد. كنت آمل في الحصول على نقود مقابل الرواية. أما الآن فقد تهاوت كل الآمال. تهاوت في أقل تقدير لموعد الأول من يناير. وبالمناسبة هذا السيد تزوج ولا أدرى لماذا هو زعلان مني. ثم بدأ ما جعلني غير سعيد للتورط معه. كل شيء يجري بلياقة وأدب، لكنني متيقن أنه سيشتكي عليّ في الأول من يناير... أنا لا أكتب لك كل شيء، إلا أن موقفني عصيب جداً. باختصار، عليّ أن أسدد في الأول من يناير مهما كلف الأمر. وبالمناسبة وصلتني مساعدة غير

متوقعة سيكون لها تأثير على مصيري أيضاً. المساعدة متمثلة في بليسييف.⁽⁴⁾ أنا أتراسل معه من زمان. وقد بقي على أريحيته النبيلة وشهادته ورقة السابقة. وهو الآن في الخدمة المدنية في أورينبورغ. ولا يرحل إلى روسيا لأنّه أحب ويريد أن يتزوج من فتاة في السادسة عشرة من العمر فقيرة، لكنها متعلمة. ولعله تزوج الآن. أنا أنتظر منه رسالة، ونحن نتراسل كثيراً. قبل شهرين تقريباً أبلغني بأنّ تركة جاءته من قريب توفي في موسكو لم يكن يفكر فيه. الورثة كثيرون، إلا أن حصته بموجب الوصية 50000 روبل فضي. وقد كتب لي بليسييف في الحال إذا كنت محتاجاً إلى نقود فهو مستعد لإنطعامي قدر ما أريد، لحد خمسة آلاف روبل فضي. لكنه لن يستلم الترفة قبل أبريل من العام القادم، 1858. ويقول إذا تسنى لنا أن نلتقي في موسكو فلن نفترق، ويؤكد أنه مستعد لتوظيف رأس المال في مؤسسة ثقافية سليمة، ويضيف أنني أنا سأكون الشخص الأول في هذه المؤسسة. وأجبه بأنني سأخذ منه 1000 روبل فضي، وهذا المبلغ مع ما سأستلمه مقابل قصتين لي سيساعدني في تسديد ديوني وإحالة نفسي على التقاعد والعودة إلى روسيا في يونيو من عام 58. عائد القصة الأولى الذي سيبلغ 500 روبل فضي إذا حسبنا الملزمة بـ 75 روبراً سأستلمه في حدود فبراير. ولكنني سأطلب مقدماً حوالي 300 روبل، وبذلك أحصل على ما يقارب 800 روبل فضي. وسيبلغ إبراد القصتين ما يقارب 1000 روبل. وهكذا سأستلم نقوداً في فبراير على الأرجح، كما أتوقع أن أستلم من بليسييف في أبريل، ولكن ماذا سأفعل في الأول من يناير 58؟ والأدهى من ذلك ماذا سأفعل في ديسمبر من العام الحالي؟ في الأول من ديسمبر لن يبقى عندي آخر روبل، فكيف نعيش؟ ولا أحد أستطيع أن أفترض منه. لم يعد هناك

من أتجرأ على الافتراض منه. وليس عندي ما يمكن أن أبيعه. ولا أستطيع استلام الراتب مقدماً. فلدينا أمر جديد، ثم إن استلام المبلغ قبل الأوان من الصعوبة بمكان. وأخيراً هذا الدين الذي ينهشني ويعذبني. ولذا أتوجه إليك، يا صديقي الكريم، للمرة الأخيرة: ساعدني للمرة الأخيرة! ابعث لي 650 روبلأً فضياً إنْ استطعت، لمدة ثلاثة أشهر لا أكثر. ولنك مني ضمانتان بأن أسدد حتماً. وإذا كنت لا تصدق بأنني سأستلم في فبراير نقوداً مقابل عملي، ففي أبريل سأستلم من بليسييف بالتأكيد. في فبراير سأبعث لك المبلغ رأساً، وستستلمه في مارس. أقسم لك بالله. وبالتالي إذا كنت تستطيع أن تضحي بـ 650 روبلأً لمدة ثلاثة أشهر فأنقذني لآخر مرة، كما أنقذتني ألف مرة. تفضل عليّ مرة أخرى، وصدقني، يا صديقي، بأنني لن أتجرأ مقابل أي شيء في العالم أن أستخدم ثقتك لأغراض شريرة. ففي مارس تستلم، أقسم لك بقدس الأقداس. ساعدني يا أخي وصديقك. فهذا الدين يعذبني معنوياً لدرجة لم أكن فيها يوماً بمثل هذا الموقف المحير العصيب. لن أتمكن من كتابة كل شيء إليك. إلا أن مشهدأ من الرواية عن أموري الشخصية هذه سيكون رائعأ. وداعاً يا أخي العزيز، واعلم بأن كل أملٍ معقود عليك. كان يمكن أن أطلب من بليسييف، ولكن ليس لديه الآن نقود، وإلى ذلك هو قادم على الزواج. أرجوك واستعطفك لا تؤخر الرد، أجنبني فوراً، حال استلامك رسالتي، لأنني أنتظره بفارغ الصبر والاكتتاب.

زوجتي تبلغك تحياتها، وقد كتبت لبربارة وفيرا ولم يردا عليها. وهي تشعر بالمرارة لذلك. وتقول إنكم جميعاً زعلانون منها، ولا تريدون انضمماها إلى أسرتكم. وأنا أحاول عيناً إقناعها بالعكس. إنها لا تعرف أحداً منكم شخصياً، وهي حزينة جداً. رببي بافل قُيل في

فيلق الكاديت في أومسك بناءً على الالتماس الذي قدمته أمه قبل عام ونصف. وقد أرسلناه إلى هناك. الفيلق ممتاز، والمفتش إنسان بكل معنى الكلمة. أنا أعرفه شخصياً. ولكنني أشفق على الصبي الصغير. فهو لا يزال في العاشرة من العمر، وقد أحببته حباً جماً. قبلوه، ولم يكن بالإمكان الرفض، بل من الحماقة الرفض.

بالله عليك، يا أخي، أجبني فوراً، ولا تؤخر الرد. وافهمْ مدى أهمية ذلك بالنسبة لـ .

(أُخوٰك ف. دوستویفسکی)

- (1) «قرية ستيبانتشيكوفو وسكانها»
 - (2) يبدو أن تلك إشارة إلى رواية «مذلون مهانون»
 - (3) «قرية ستيبانتشيكوفو»، وقد استطال العمل فيها إلى أبعد من الموعد المذكور أعلاه.
 - (4) ألكسي بليشيف (1825-1893) شاعر متعدد المواهب من جماعة بتراشيفسكي.

60. إلى ميخائيل كاتكوف

سيميا لاتينسك، 11 يناير 1858

حضره السيد الكريم!

في شهر أغسطس استلمت من ألكسي بليشيف، الموظف عندكم، إشعاراً بأنكم لا تمانعون من نشر شيء ما من نتاجي في «البشير الروسي». وكنت من زمان أرحب في أن أقترح عليكم نشر الرواية التي أعكف على تأليفها حالياً. ولكن طالما أنها غير منتهية، فلم يكن هناك ما أعرضه عليكم. وقد كنت أريد تحديداً أن تقرأوا روايتي في البداية وبعد ذلك يتتوفر الوقت للدخول في محادثات بشأنها. فقد حصل وكتبت قبل تسع سنوات الكثير من التناجم الغثة، ولا أريد العمل الآن مكرهاً وبصورة غيابية. إلا أن ظروفي تبدلت، وأنا مضطط للعمل ليس كما توقعت في البداية. فاسمحوا لي بالتوسيع.

فكرت في مخطط روائي أثناء الاستراحة خلال تواجدي بمدينة أومسك. عندما غادرت المدينة قبل ثلاث سنوات استطعت أن أحصل على ورق وريشة، وبدأت العمل. لكنني لم أستعجل، فكان يسرني أن أفكر في كل شيء، حتى آخر التفاصيل، وأن أخطط وأقيس الأجزاء



ميخائيل كاتنکوف

وأسجل مشاهد منفصلة بكاملها، والأهم أن أجمع المواد. وعلى مدار ثلاثة سنوات في هذا العمل لم أتعرض للفتور والتهاون، بل على العكس انهمكت فيه. إلا أن الظروف لم تسمح لي بالمواظبة على العمل المنتظم. وفي مايو من العام الفائت شرعت بعمل على بياض. وكانت جاهزة مسودة الكتاب الأول وجزء من الكتاب الثاني. ومع ذلك لم يتسع لي حتى الآن أن أنهي الكتاب الأول رغم أن العمل فيه مستمر بلا انقطاع. روایتی مقسمة إلى ثلاثة كتب، وكل كتاب منها مستقل بذاته تماماً رغم أنه يمكن أن ينقسم إلى أجزاء، لكنني أشير إلى الفصول فقط. ولذا أردت أن أعرض عليكم في البداية كتاباً واحداً. ولا أستطيع أن أقدم الكتاب الثاني، بل ولا أريد نشر الكتاب الثالث في السنة نفسها. ولكن الكتب الثلاثة يمكن أن تنشر جميعها في ثلاثة سنوات.^(١) عندما ستقرأون الكتاب الأول سترون أن هذا التقسيم وارد تماماً. ظروف في هذا العام جعلتني بحاجة ماسة إلى النقود بعد تبدل نمط حياتي. وأنا، إذ أقدم لكم مخطوطة الكتاب الأول من روایتی، أطمح أن أطلب منكم نقوداً قبل النشر، ولعلكم تحترمون رجائي هذا. ولذا

أسرعت في إنجازه. إلا أن العمل من أجل المال والعمل من أجل الفن شيئاً لا يلتقيان بالنسبة لي. طوال الأعوام الثلاثة من نشاطي الأدبي القديم في بطرسبورغ كنت أعاني لهذا السبب. أنا لم أكن أريد الابتعاد لأفضل أفكاري وأفضل مخططاتي للقصص والروايات من خلال التسرع في العمل والتسليم في الموعد. فأنا أحبها وأرغب في تأليفها بجد وليس بهذه العجلة لدرجة يخيل إليّ فيها أن الموت أفضل من التصرف غير النزيه مع أفضل أفكاري. ولكن طالما كنت على الدوام مدیناً إلى كرايفسكي الذي لم يكن، بالمناسبة، ينتزع مني مؤلفاتي بل يعطيوني دوماً الوقت الكافي، فقد كنت أنا نفسي مقيداً من جميع الوجوه. وعندما أعلم أنه ليس لديه ما يسد به فراغ المجلة أرغم نفسي أحياناً، في 26 من الشهر، أي قبل صدورها بـ 4 أيام، على ابتداع قصة ما، ولا يندر أن كنت أبتدعها وأكتبها في 4 أيام⁽²⁾. أحياناً تأتي الرواية غثة، وأحياناً بسمنة لا بأس بها، إذا حكمنا عليها من تعليقات المجلات الأخرى على كل حال. بديهي أنه كثيراً ما توفرت لدى عدة أشهر لكي أعد شيئاً ما أفضل. إلا أن المشكلة هي أنني نفسي ما كنت أدرى أبداً أن تلك الأشهر أمامي، لأنني كنت دوماً أضع نصب عيني موعداً لا يتجاوز الشهر الواحد لعلمي بضرورة مساعدة السيد كرايفسكي للشهر القادم. إلا أن الشهر ينقضي، وتنقضي خمسة شهور وأنا أتعذب في ابتداع قصة أفضل، لأنني لم أكن أرغب في نشر شيء رديء. ثم إن ذلك كان سيبعدني عن النزاهة بحق السيد كرايفسكي. وإلى ذلك كنت آنذاك مصاباً بالسوداوية، في أشد درجاتها أحياناً. الفتوة وحدها أنقذتني من التفكك، وحالت دون بروز الحماس في نفسي وحب الأدب. وبالإضافة إلى الفتوة كان هناك حب الأفكار الصافية والصادقة في الروايات التي انتظرت الوقت لكي أبدأها

وأنهياها. تلك السنوات تركت في نفسي انطباعاً ثقيلاً لدرجة أني لم أعد تقريباً أتحمل فكرة الاستعجال في إنهاء الكتاب الأول من روايتي لأستلم النقود بأسرع وقت. ولذا لم أستعجل. زد على ذلك أن مختلف المشاغل والهموم والمرض آخرتني لحد ما. ورغم ذلك أردت أن أبعث لكم في ينابير، أي الآن، نصف الكتاب الأول، على أن أبعث النصف الثاني في وقت لا يتجاوز الشهر بحيث تكون الرواية كلها، أقصد الكتاب الأول كاملاً، بين يديكم في مارس. إلا أن ملابسات غير متوقعة أعاقتني هذه المرة أيضاً. على فكرة، ربما ستدھشون أو تبتسمون لدى قراءة رسالتي هذه وتساءلون: «المماذا لجأ إلى هذه التفاصيل؟». ولكن اعملوا معروفاً واقرأوا ما كتبت حتى النهاية. ذلك لأن لدى رجاءً كبيراً عندكم يبرر ذكر كل هذه التفاصيل. الملابسات التي أوقفت روايتي في الحال الحاضر هي كالتالي: في العام الفائت كنت في أمس الحاجة إلى النقود، ولذا تكبدت بالديون. ولغرض تسديدها والصرف على حياتي المعيشية كنت بحاجة ماسة إلى 1000 روبل فضي في مطلع شهر ينابير الحالي. وقد كتبت عن هذا المبلغ إلى شقيقتي في بطرسبورغ. وقبل أسبوعين استلمت منه رسالة أكد فيها أنه استحصل لي 500 روبل فقط، بعد أن أخذ على نفسه، نيابة عنني، بعض الالتزامات الأدبية، حيث إن الكونت كوشيليف ينوي إصدار مجلة بعنوان «الكلمة الروسية» اعتباراً من العام المقبل، وقد جاء وكيله المخول، المدعو مولر، إلى أخي طالباً من خلاله التعاون معه. ولعلم أخي بأنني محتاج إلى المال وأنني أكتب رواية⁽³⁾ فقد باع تلك الرواية إلى مجلة «الكلمة الروسية» المرتقبة دون أن يعلم بنوایا الفعلية في شأنها. وتسلم مقدماً سلفة بمبلغ 500 روبل فضي بعد تحرير الشروط وتوقيعها من قبل الطرفين. فماذا علي أن أفعل الآن؟

سأسلم المبلغ مع البريد القادم. وأرى أن من الضروري إسناد شقيقتي الذي وقع الشروط. كانت لدى رواية واحدة خططت لها من زمان وأنا أحبها كثيراً، بل وشرعت بكتابتها. حالياً أخرجتها من الصندوق وقررت أن أواصل كتابتها وإكمالها حتى أرسلها فوراً إلى أخي. الرواية ليست طويلة، وبعد شهرين، أو على الأكثـر شهرـين ونصف، سأفرغ من كتابتها، وأرسلها، وعندذاك أعود إلى عملي السابق. ولكن، ما دمتُ حصلت على 500 روبل فقط، وليس 1000، ولا أستطيع بهذا المبلغ أن أسدـد الديـون نهائـاً وأصرف على معيـشيـتي فقد عزمـت على آخر إجراء، هو أن أترجمـمـ واعرضـمـ عليـكمـ روـايـتيـ إذا كانـ منـ مـصـلـحـتـكـمـ أنـ تـشـرـوـهـ هـذـاـ العـامـ، أـفـلاـ تـسـتـطـيـعونـ أنـ تـبـعـثـواـ لـيـ الآـنـ سـلـفـةـ عـلـىـ الرـوـايـةـ بـمـبـلـغـ الـ500ـ روـبـلـ الفـضـيـ الذـيـ أـنـاـ بـأـمـسـ الحاجـةـ إـلـيـهـ. أـنـاـ أـعـرـفـ أـنـ طـلـبـيـ غـيرـ مـعـتـادـ تـمـاماـ. إـلـاـ أـنـ القـضـيـةـ تـوـقـفـ عـلـىـ كـيـفـيـةـ تـقـبـلـكـمـ لـهـ. الشـيـءـ الـوـحـيدـ الذـيـ لـاـ أـرـغـبـ فـيـهـ هـوـ أـنـ تـظـنـواـ أـنـيـ أـقـدـرـ مـوهـبـتـيـ بـهـذـاـ التـقـدـيرـ العـالـيـ وـأـنـ مـنـ السـهـلـ عـلـيـ أـنـ أـتـقـدـمـ بـعـرـوضـ مـنـ هـذـاـ النـوـعـ. صـدـقـوـنيـ أـنـ الحاجـةـ القـصـوـيـ هـيـ التـيـ دـفـعـتـيـ إـلـىـ ذـلـكـ. وـفـيـ مـقـابـلـ هـذـهـ الـ500ـ روـبـلـ، إـذـاـ أـرـسـلـتـمـوـهـاـ إـلـيـ، أـتـعـهـدـ بـأـنـ أـبـعـثـ إـلـيـكـمـ الـكـتـابـ الـأـوـلـ مـنـ روـايـتـيـ كـامـلـاـ فـيـ غـضـونـ الصـيفـ. وـلـذـاـ يـمـكـنـكـمـ أـنـ تـنـشـرـوـهـ فـيـ سـبـتمـبرـ إـذـاـ شـئـتـمـ. حـجمـهـ فـيـ حدـودـ أـرـبـعـ عـشـرـةـ أـوـ خـمـسـ عـشـرـةـ مـلـزـمـةـ، وـبـذـاـ سـتـكـونـ قـيمـتـهـ أـغـلـىـ مـنـ 500ـ روـبـلـ فـضـيـ، وـحـالـمـاـ تـسـتـلـمـونـ الـمـخـطـوـطـةـ تـسـتـعـيـدـونـ دـفـعـةـ وـاحـدةـ الـجـزـءـ الذـيـ سـتـبـعـثـنـهـ لـيـ الـآنـ مـنـ الـأـجـرـ. أـنـاـ أـتـعـهـدـ بـإـرـسـالـ الرـوـايـةـ فـيـ المـوـعـدـ المـقـرـرـ، وـقـدـ أـخـذـتـ عـدـمـاـ مـوـعـدـاـ أـبـعـدـ. وـفـوـقـ ذـلـكـ، مـاـ دـمـتـ تـخـصـصـونـ لـيـ الـنـقـودـ سـلـفـاـ، إـذـاـ فـعـلـتـمـ، وـقـبـلـ أـنـ تـلـقـواـ نـظـرـةـ عـلـىـ الـمـخـطـوـطـةـ فـأـنـاـ مـنـ جـهـتـيـ أـتـعـهـدـ بـسـجـبـهـاـ إـذـاـ لـمـ تـعـجـبـكـمـ، وـبـكـتـابـةـ روـايـةـ

أخرى بأسرع ما يمكن. فقد حصل في وقت ما أن ألغت أشياء مقبولة بين الكتابات الغثة. وقد أوفق هذه المرة أيضاً. وستتفق على سعر الملزمة عندما تقرأون المخطوطة. على فكرة، هذا السعر تحددونه أنتم، وأنا أتعول على قراركم. وما عدا هذه التأكيدات، أي ما عدا كلمة الشرف، لا أستطيع أن أقدم لكم آية ضمانات، حالياً على الأقل. على فكرة، إذا كنتم ترغبون في ضمانات أخرى فأنا مستعد. وأخيراً أقول، لمزيد من التأكيد، إن الرواية التي أعدكم بها هي من زمان الرواية الأكثر صفاء.⁽⁴⁾ وأنا، بالمناسبة، أنفهم أن هذه ضمانة ليست كبيرة، ويحصل أن يكون النتاج المفضل عند الكاتب رديئاً أحياناً لأسباب معينة. على آية حال أعاهدكم بأن أكتب أفضل على قدر المستطاع.

أمل أن طيبتكم ستشرفي، على آية حال، ولو بإرسال تبليغ ما. أنا الآن أسعى لتقديم استقالتي، وأمل أن أحصل في نهاية الصيف على ترخيص بالإقامة في موسكو⁽⁵⁾. وعندها سيكون من دواعي سروري أن آتي إليكم شخصياً. والآن هذا عنوانني: مدينة سيمبیلاتینسک في سیبریا الغربية، فيودور میخائیلوفیتش دوستویفسکی.

لا مؤاخذة على الإهمال الظاهري في رسالتى وعلى الطوابع وغيرها، وأرجو أن لا تعتبروا ذلك من قلة الاحترام. فأنا، والله العظيم، لا أجيد الكتابة أفضل. ولغرض التيقن أسجل على الرسالة عنوانين إلى هيئة تحرير «البشير الروسي» وإلى مطبعكم. تقبلوا، يا سيدي، آيات التقدير والاحترام.

خادمكم المطبع
ف. دوستويفسكي

ملحوظة: لعلكم تتساءلون لماذا لا أسلم إلى «الكلمة الروسية» الرواية التي أكتبها لأجل «البشير الروسي»؟ أولاً، أنا لا أعرف كيف ستكون «الكلمة الروسية»، لا أعرف هيئة تحريرها ولا توجهاتها، لا أعرف شيئاً عنها. ثانياً، في مقابل النقود التي بعنوانها، 500 روبل، ينبغي أن أبعث لهم مقالة بأسرع ما يمكن. أما الرواية غير المطولة التي سأخصصها لهم فستنتهي طبعاً بأسرع من الرواية المطولة التي أعدها «للبشير الروسي». يبدو أن مصيري هو العمل من أجل النقود بالمعنى المخجل جداً للكلمة.

د (دوستويفسكي)

- (1) كل هذا مجرد أفكار أراد دوستويفسكي أن يشير بها اهتمام كاتكوف ويحصل منه على سلفة. فقد توقف عن كتابة تلك «الرواية» الضخمة واستخدم بعض حباتها في قصته «قرية ستيبانتشيكوفو» و«حلم العم» اللتين صدرتا فيما بعد.
- (2) أبلغ دوستويفسكي أخيه ميخائيل في نوفمبر 1845 أنه كتب «رواية في تسعة رسائل» بليلة واحدة.
- (3) «حلم العم».
- (4) دوستويفسكي يقصد «قرية ستيبانتشيكوفو» التي عرضها للنشر في مجلة كاتكوف «البشير الروسي»
- (5) تم تسریح دوستويفسکی في 18 مارس 1859، ولم يسمح له بالإقامة في موسکو ولا في بطرسبورغ.

61. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 18 يناير 1858

استلمت منك، يا صديقي العزيز، ثلاث رسائل، إحداها مؤرخة في 25 نوفمبر والأخرىان في 17 و 19 ديسمبر. أردت أن أجيبك رأساً على الرسالة الأولى ولكنني لم أتمكن. كتبت عن الاتصالات مع «الكلمة الروسية»، وقلت إنك سترسل النقود. ما كنت أعرف هل سترسلها، ولذا لم أستطع أن أكتب لك بالإيجاب. ولذا انتظرت حتى استلام النقود. والآن أجيبك على كل شيء. ولكن اسمح لي، بدايةً، أنأشكرك من صميم القلب على إرسال المبلغ. فقد أنقذتني، وأنا الآن في قدر من الاكتفاء. ومن دون تلك النقود كنت سأهلك، ولم تكن هناك أية وسيلة للتملص.

أبدأ بالإجابة على رسائلك حسب الدور. بالترتيب الذي كتبت

فيه.

استلمت علبة السجائر، ولا أتذكر هل كتبت لك عن ذلك أم لا؟ إلا أن السيد الذي طلبتها من أجله امتنع عن اقتناها لسبب وجيه تماماً بالنسبة له. فهي خفيفة جداً. وقد أعطاني من سيجاره. (شركة تبوغ)

تين غيت تخدعه، لكنها تزوده بسيجار قوية جداً، وهذا ما يريده. سيجارك دخنتها أنا نفسي. وأبقى مدیناً لك بالمقابل. ستحاسب. وأقول أيضاً إن سيجارك رائعة، إلا أنها دعكت كثيراً في البريد. على أية حال يدهشني أنها لم تحظ برواج عندكم. ثم إنك تكتب عن «الكلمة الروسية». لنفترض أن فكرة السيد جيدة وأن الرأسمال الاحتياطي يتراكم. ولكن هل يعقل أن بإمكان النقد أن تبني هيئة تحرير؟ في حين أن المجلة من دون هيئة تحرير ومن دون أصالة هدر. ولا أدرى إلى من سيعهد (الكونت) بمهمة المحررين؟ أنا لا أثق كثيراً بنجاح «الكلمة الروسية». وهي كمجلة دورية قد تكون جيدة لبعض الوقت.

على فكرة، ما شأني وهذه المجلة الآن؟ الله يوفقهم.

أشكرك يا صديقي ميشا، يا صديقي الصدوق، على العلاقة التي أقمتها مع «الكلمة الروسية» ورتبت الأمور بكل مهارة. أما الآن فاستمع إلى ما أقوله عن ظروفي أنا. الرواية الكبيرة صرفت النظر عنها لبعض الوقت. لا أستطيع إنجازها مقيداً بالموعد. ففي هذه الحالة ستعذبني لا أكثر. أتركها إلى حين استقرار حياتي وانتظامها. الرواية عزيزة على لدرجة أنها التحتمت بياني، ولن أتركها أبداً دون أن تكتمل. بالعكس أنا أنوي أن أجعل منها تحفة مؤلفاتي. فال فكرة رائعة وقد كلفتني كثيراً، ولا يجوز تركها نهايائياً. بهذا الصدد نشأت لدى قبل ثمانية سنوات فكرة رواية غير مطولة بحجم «الفقراء». وفي الآونة الأخيرة تذكرتها، وكأنني أعلم، ووضعت مخططفها من جديد. فباتت نافعاً الآن. وسأعكف على كتابة هذه الرواية. أمل أن أنهيها في قرابة شهرين. وإلى ذلك تتضمن روايتي الكبيرة مشهداً مكتملأ تماماً وهو بحد ذاته جيد، لكنه يشوش على المجموع. أريد أن أقتطعه من

الرواية. وهو أيضاً بحجم «الفقراء»، إلا أن مضمونه فكاهي. وفيه شخصوص مستحدثة. في «الكلمة الروسية» يحددون موعد التسليم بسنة واحدة. وإليك طلبي: أرجوك أن تكتب لي فوراً إذا أرسلت لك الرواية، مثلاً، في أبريل لأجل «الكلمة الروسية» وفيها أكثر من خمس ملازم طباعية، بالمقارنة مع ملازم المجلات الأخرى، فهل يرسلون لي من «الكلمة الروسية» نقوداً مقابل الملازم المتبقية على الفور، أم يتظرون حتى العام القادم، أي حتى النشر؟ إذا كانوا سيرسلون أبعث إليك الرواية لأجلهم حالما أستلم إشعاراً بذلك منك. وإذا كانوا لن يرسلوا فأقرر أن تنتظر «الكلمة الروسية» حتى الخريف. وفي الخريف أرسل إليهم نتاجاً مكتملاً، وأعني مشهداً من الرواية الكبيرة بعد تحويره تماماً على انفراد. أما الرواية التي ستكون جاهزة في أواخر مارس فسأرسلها إلى كاتكوف في «البشير الروسي». حساباتي واضحة: لنتأخر على «الكلمة الروسية». المقالة تكون جاهزة في موعد صدور المجلة، حتى ولو أرسلتها في الخريف. والآن ينبغي لي أن أنقد نفسي. كاتكوف قدم لي عرضاً عن طريق بليشيف. عندما استلمت منك 500 روبل بدلاً من الـ 1000 لم أعد أعرف ماذا أفعل. فقد وزعت كل الـ 500 روبل التي أرسلتها إلى تقريراً على الدائنين... وبقيت بلا نقود، وبالرغم من ذلك بقيت مديناً بـ 350 روبراً فضياً. ولذا قمت بهذه الفذلكرة، حيث كتبت مع البريد الماضي إلى كاتكوف بتفصيل وإسهاب مشيراً إلى أنني أرغب في المشاركة بمجلته، وعرضت عليه روايتي المطولة التي صرفت النظر عنها الآن مؤقتاً، وأبلغته بأنني سأسلمها له في أغسطس وليس قبله، وأطلب منه مقدماً، لأسباب تتعلق بظروفي الصعبة، 500 روبل فضي وأرجوه أن يرسلها فور استلام رسالتي. عندما كتبت ذلك فكرت في أن صاحب «الكلمة

الروسية» يعطي سلفة دون أن يرى المخطوطة، فلماذا لا تفعل «البشير الروسي» الشيء ذاته؟ وهكذا يمكن في منتصف مارس أن يرسلوا لي 500 روبل فضي أخرى. وأظن أنني لن أفقد شيئاً. فطوال ثمانية أعوام لم أنشر أي نتاج، ولذا قد يُقبل عليّ الجمهور بصفتي كاتباً جديداً.

رؤساء التحرير يعرفون ذلك بالتأكيد. ولهذا يمكن أن يدفعوا مقدماً. فلماذا أفقد مستحقاتي، لا سيما وأنا في وضع صعب؟ إذا أرسل كاتكوف نقوداً فيمكنني أن أبعث إليه في الحال رواية ليست مطولة أعكف على كتابتها الآن، غير الرواية المطولة التي صرفت النظر عنها، على الرغم من أنني كتبت له عن هذه الرواية ولم أكن أعرف أنني سأتركها. بالنسبة لكاتكوف الأمر سواء بشرط أن يكون النتاج جيداً. وإذا أرسلت الرواية إلى كاتكوف يمكنني طبعاً أن آخذ منه 500 روبل أخرى في الحال، ذلك لأن الرواية ستكون بحجم ثماني ملازم تقريباً، وبالتالي أبقى مديناً بالقليل إذا أخذت الـ 500 روبل الأخرى. وعندما يرى كاتكوف جديتي والرواية الجيدة، أتصور أنها ستكون جيدة، سيبعث الـ 500 روبل بالتأكيد. وهذا خير على خير. وبالطبع ستنسلم «الكلمة الروسية» مني عندئذ في مطلع سبتمبر المشهد الزائد من الرواية المطولة. وسأتعامل مع هذه المجلة بنزاهة: أقدم لها النتاج في الموعد، وإلى ذلك أحاول تحسينه على قدر المستطاع، لأن هذا المشهد يعجبني أنا نفسي من حيث الفكرة. ثم إنه سيكون مكملاً تماماً. تلك هي كل متطلباتي. فما رأيك فيها؟ اكتب لي.

وثمة مسألة أخرى. كتبت في الرسالة الأولى أنك تريد استلام قصة طويلة مني في مطلع العام القادم. ثم تذكر في الرسائلتين

الآخرين أن لديك طلباً عندي، ربما هو ذاته. ألمك كثيراً، لم لا تكتب بالتفصيل؟ ماذا تريد أن تنشر؟ مع من؟ وكيف؟⁽¹⁾ بخصوص القصة الطويلة كن على يقين بأنك ستستلمها. أعادهك. وبعد أن أرجأت الرواية المطولة صرت أشعر بأن لدى من جديد جناحين. سأفرغ من تعهداتي «لل بشير» ثم «للكلمة» ويبقى لدى وقت كثير. ولكن اكتب لي عن هذه الأمور بمزيد من التفصيل.

واعلم، يا أخي، أنني قدمت قبل أيام طلب الاستقالة لأسباب مرضية. وأنت تعرف خططي. فإذا لم يسمحوا لي بالإقامة في موسكو، بناءً على طلبي في عريضة الاستقالة، فسأكتب رسالة إلى القيسير، وهو رؤوف رحيم، وربما سيسمح لي، أنا المريض، لأنني أطلب ذلك «من أجل استشارة أطباء العاصمة». وإذا لم يسمحوا حتى في هذه الحالة، كيف يقيم تول وبالم في بطرسبورغ إذا كانت ممنوعة على الآخرين؟، فلربما وجدوا بالفعل ضرورة لمنع البعض، وليس الجميع على الأرجح، من دخول (العاصمتين)، عندذاك سأرحل إلى أوديسا حيث المعيشة جيدة ورخيصة، ولكن ليس إلى الأبد. القيسير رؤوف رحيم، وبمر الزمن سيسمح بدخول العاصمتين. تلك هي خططي، وبالتالي سأسافر ليس قبل الصيف، إذا تم تدبير الأمور. وأفكر أن آخذ من بليسييف حتماً 1000 روبل وسأتحاسب معه، وأنا أعرف كيف أتحاسب. فمن دون نقوده لن أتمكن من التحرك.

ولذا ظهر لدى طلب كبير ملح جداً إليك. أتوسل إليك من جديد وأأمل في طيبة قلبك المعهودة.

أوضح بصراحة: لقد كتبت لك عن بدلة، ولكنني أشعر الآن بالخجل وتأنيب الضمير. كلا يا أخي! أنا أشغل بالك وأزعجك بلا حياء. ولذا أقول: اكتب بصراحة. إذا اضطررت إلى الدفع نقداً لا

ترسل شيئاً، فسأدبّر حالي. وإذا استطعت كتاجر أن تشتري بدلة جاهزة بالأجل فافعل، ولكن اكتب لي السعر في هذه الحالة أيضاً. وهناك، على ما أعتقد، ثياب أرخص. ولا فسيقى ضميري يعذبني. وبشأن الدفع بالأجل فأنا أيضاً سأستطيع إرسال الثمن. في الصيف ستكون عندى نقود معتبرة.

بليشيف تزوج. وهو غالباً ما يتذكرك ويعث إليك حياته.
ملاحظة (أولى): لا تهتم بالمقاس عموماً. اشتري بدلة على
مقاسك. فأنا أستطيع أن أرتدى ثيابك. على أي حال أطلب أن تكون
البدلة أعرض وأطول قليلاً.

ملاحظة (ثانية): إذا طلبوها دفع ولو كوييك واحد نقداً فلا تشتري. أنت تكتب عن صور العائلة كلها، أنا في غاية السرور. وزوجتي تتكلم عنها ليلاً نهاراً. أرسلها عاجلاً، بالله عليك. زوجتي تبلغك وإميليا تحياتها. وأنا أيضاً أقبل يد إميليا وأعانقك بشدة. احتراماتي لك كل من تعرفه. قبل أخي كوليا (نيكولاي) إذا كان موجوداً في بطرسبورغ.

المخلص ف. دوستويف(سکی)

قبل أطفالك جمِيعاً، الواحد بعد الآخر. هل يتذكرونني؟ عندما ترسل الصور اكتب جنبها أسماءهم كي أتعرف على كل واحد منهم.

(١) لعل ميخائيل دوستويفسكي كان من ذلك الحين ينوي إصدار مجلة أدبية خاصة به.

62. إلى الكسندر الثاني

سيميا لاتينسك، أوائل مارس 1858

حضره صاحب الجلالة المعظم
الكسندر نيكولايفيتش
إمبراطور عموم روسيا

من الكتبة السiberية الميدانية رقم 7
الملازم ثان فيودور ميخائيلوف
ابن دوستويفسكي

أنا من نبلاء محافظة سانت بطرسبورغ، التحقت بخدمة جلالتكم الإمبراطورية في 16 يناير عام 1838 بصفة تلميذ في سرية مدرسة الهندسة العسكرية الرئيسية بإمرة معالي الجنرال مفتش وحدة الهندسة. وتقديراً لحسن السلوك والتضلع في الخدمة الميدانية تم ترقيعي إلى ملازم ثان عام 1840 (...). وفصلي من قائمة الفرقه الهندسية في بطرسبورغ بسبب المرض في عام 1844 بهذه الرتبة. وفي 19 ديسمبر

حالياً، وبسبب تدهور صحتي كلياً في الخدمة،أشعر بضعف عام في الجسم، مع نحو بدني، وأعاني كثيراً من ألم عصبي في الوجه نتيجة ألم عضوي في الدماغ، ولذا لا أستطيع مواصلة خدمة جلالتكم الإمبراطورية. وأرفق طيباً تقريراً طبياً تحت رقم 26 موقعاً من قبل

الطيب يرماكوف المنسب إلى الكتبة الميدانية السiberية رقم 7 والذي أجرى الفحوص على بحضور ضابط أركان الكتبة باخريف. ولذا أستعطفكم بإخلاص أن تأمروا بقبول هذه العريضة ويتسرىحي من الخدمة العسكرية مع ترقية في الرتبة للأسباب المرضية المذكورة في التقرير الطبي رقم 26، وذلك وفقاً للمادة 469 من الجزء الثاني من مجموعة القرارات العسكرية، ولن أطلب بعد التسريح أي راتب حكومي إضافي . (....).

مقدم هذه العريضة ملازم ثان الكتبة الميدانية السiberية رقم 7 فيودور ميخائيلوف ابن دوستويفסקי .
وستكون إقامتي في العاصمة موسكو. (1)

(1) الرد بالإيجاب على هذه العريضة جاء بعد استيضاحات إضافية في 18 مارس 1859، حيث صدر الأمر بتسريع دوستويفסקי لأسباب صحية مع ترقية في الرتبة. وسمح له بالإقامة في مدينة تفير ومنع من دخول محافظتي بطرسبورغ وموسكو ووضع تحت الرقابة السرية.

63. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 31 مايو 1858

أسارع في الرد عليك، يا صديقي العزيز، مع البريد الأول. وقد أثار دهشتني بطء وصول رسائلي إليك، في حين أنني لم أتوانَ في الكتابة. وإذا كنتَ قلقاً علىي فأنا أيضاً قلق عليك. وخصوصاً في الآونة الأخيرة. ولذا تصورت أن شيئاً حصل لك أو أنك مريض. خبر فقدانك 3000 روبل آلمني كثيراً. وأنت تقول إن ما يؤلمك ليس ضياع النقود، بل حراجة الموقف والتلف. كلا، يا أخي. خسارة المال أيضاً شيء مؤسف. أولادك يكبرون ولن تحصل في القريب العاجل على الـ 3000. لا يوجد أدنى أمل في استعادتها؟ كما يحزنني، يا صديقي، أنني كأنما عمداً أنقل عليك بطلباتي واحتياجاتي. فما العمل؟ كتبتَ تقول إنك سترسل قريباً. أشكرك يا أخي. أمل أن يكون ذلك آخر مرة أزعجك فيها. أردت أن أنتظر الحاجيات لأجيب عندئذٍ. إلا أنها يمكن أن تتأخر. تقول إنك سترسل بدلة سهرة وبنطالاً واحداً. وأظن الأفضل ستة طويلة. فهي أكثر نفعاً. وسأحاول تدبير الأمر هنا، على الرغم من حاجتي الماسة

إلى النقود. كتبت، يا صديقي، تطلب مني أن أرسل إليك ما هو ناجز من النتاج. لا أتذكر، وقد ضعفت ذاكرتي كثيراً، هل كتبت لك أني جددت العلاقات مع كاتكوف في «البشير الروسي» وبعثت له رسالة افترحت فيها أن أشارك في مجلته ووعده بقصة طويلة هذا العام، إذا بعث لي الآن 500 روبل فضي؟ وقد استلمت منه هذه الـ 500 روبل قبل شهر أو خمسة أسابيع مع رسالة مجاملة ذكية جداً. كتب يقول إنه مسرور جداً لمشاركتي وسيتنفيذ طلبي فوراً بشأن الـ 500 روبل، ويرجوني أن لا أضيق على نفسي وأن أعمل بلا استعجال، أي ليس بموعد معين. رائع. وأنا أعكف الآن على تأليف قصة طويلة «للبشير الروسي».⁽¹⁾ إلا أن المصيبة أتتني لم أتفق مع كاتكوف بأن يدفع على الملزمة، مؤملاً، والحال هذه، على ما يمليه ضميره. وأأمل أن أبعث إلى «الكلمة الروسية» هذا العام أيضاً قصة طويلة⁽²⁾ وليس رواية. أما الرواية فقد أرجأت كتابتها حتى العودة إلى روسيا. فعلت ذلك بمقتضى الضرورة. فكرة الرواية سعيدة نسبياً، وطبع الشخصوص جديدة غير مسبوقة (في الأدب) حتى الآن. ولما كان نموذج هذه الطياع شائعاً جداً في روسيا اليوم، في الحياة المعاشرة، وخصوصاً الآن إذا حكمنا على ذلك من الحركة والأفكار التي يتبنّاها الجميع، فأنا على يقين بأنني سأشحن روايتي بانطباعات جديدة عندما أعود إلى روسيا. لا موجب للاستعجال يا صديقي العزيز. بل يجب إتقان العمل ليأتي جيداً. أنت تقول، يا عزيزي، إنني ربما مغدور وأرغب بالظهور الآن في نتاج جيد جداً، وأاحتضن هذا النتاج الجيد جداً كبيوض (الدجاجة). فلنفترض أنك على حق. ولكن طالما أني أرجأت الظهور بالرواية، وأعكف على كتابة قصتين طويلتين ستكونان كبيضتين طازجتين، إن شاء الله، فليس عندي الآن رغبة في

الاحتضان الطويل. من أين جئت، يا صديقي، بالنظرية القائلة إن اللوحة يجب أن ترسم رأساً، دفعة واحدة، وما إلى ذلك؟ متى اقتنعت بذلك؟ صدقني أن المجهود لازم في كل شيء. وهو مجهود كبير. صدقني أن مقطوعة بوشكين الخفيفة الرشيقه في بضعة أبيات تبدو لهذا السبب وكأنها نظمت رأساً، إلا أنها أخذت من بوشكين وقتاً طويلاً للصقل والتنقيح. تلك حقيقة لا جدال فيها. غوغول كتب «النفوس الميتة» في ثمانية أعوام.⁽³⁾ كل ما كتب دفعة واحدة لم يكن ناضجاً. يقال إن مخطوطات شكسبير تخلو من التصحيحات. وهذا هو سبب وجود الفظائع والفضائح وقلة الذوق. ولو كان الرجل قد أجهد نفسه لجاءت النتاجات أجود.⁽⁴⁾ يبدو أنك تخلط بين العمل والإلهام، أي اللحظة الأولى لرسم اللوحة أو تحرك الروح الذي يحدث دوماً على هذا النحو. أنا، مثلاً، أسجل المشهد رأساً لأنه خطر في بالي لأول مرة، وأنا مسرور له، ثم أعمل شهوراً كاملة أو سنة في معالجته، وهو يحفزني وبلهمني مراراً، وليس مرة واحدة، لأنني أحب هذا المشهد، وأضيف إليه شيئاً أو أشطب منه، كما حصل معي فعلاً. صدقني جاء النتاج بعد ذلك أفضل بكثير. المهم أن يكون هناك إلهام. فلن يتحقق شيء من دون الإلهام.

صحيح أن الأجر بات كبيراً عندكم. بيسيمسكي استلم مقابل «النفوس الـ 1000» 200 أو 250 روبلأً للملزمة. وبينما على ذلك يمكن العيش والعمل بلا تسرع. ولكن هل تعتبر أنت رواية بيسيمسكي رائعة؟ إنها من مستوى وسط. أجل من مستوى وسط مع أنها بوزن الذهب. فهل فيها شخص أو طباع جديدة لم تكن موجودة على الساحة؟ كل ما فيها كان موجوداً لدى كتابنا المجددين، وخصوصاً عند غوغول. تلك مواضيع قديمة في حالة جديدة.⁽⁵⁾ إنها توليفة رائعة

من ملصوقات نماذج الغير، مثل محاكاة (الصائغ الروسي) سازيكوف لنقوش (النحات الإيطالي) بفينيتو سيليني. صحيح أنني لم أقرأ سوى جزءين من الرواية، فالمجلات تصلنا متأخرة. إلا أن خاتمة الجزء الثاني بعيدة عن الواقع كلّياً ومشوهة بالمطلق (...)

يا صديقي، أنا أنتظر التسریح، وقد نفذ صبري. أنا لم أطلب صراحة الإقامة في موسکو. لكنني كتبت في العريضة ما يتطلبه أسلوب الصياغة الرسمي: «وستكون إقامتي في العاصمة موسکو». وإذا لم يعترضوا على ذلك فسأسافر إلى هناك. سأسافر، ولكن بأي حال؟ لن تكون عندي نقود قبل إتمام القصة. فكيف سأعيش بعد شهرین؟ لا أدری. ذلك لأن النقود لن تأتي بعد شهرین أيضاً. وقد سددت ديناً بـ 400 روبل فضي حالما استلمت الـ 500 روبل من كاتكوف. أنا أصرف شهریاً 40 روبلأً فضیاً، إلا أن النفقات الطارئة لا تزال تلاحقني. ومنذ عام ونصف تستمر النفقات غير المتوقعة بلا انقطاع. الأمل الوحيد معقود على بليشيف. فقد وعدني بـ 1000 روبل. إلا أنه نفسه يحتمل أن لا يستلم، أو يستلم بعد عامين. فماذا سيحصل لي حتى نهاية السنة، حيث سأستلم أجرة عملي. ولن أستلمها قبل ذلك التاريخ؟ لا أدری، دماغي يكاد ينفجر. ولم يعد هناك من أقرض منه. ولكن لا تقلق عليّ كثيراً، لا بد من تدبير الأمور على نحو ما.

بليشيف سيذهب إلى موسکو وبطرسبورغ. في مايو. استقبله بحفاوة وتعرف على زوجته. استلمت الآن طرداً من ميلوكوف يحتوي على كتابه. جلبه أحد الضباط، لكنني لم ألتقي الضابط. ولربما يرجع عليّ. بلغ تحياتي إلى ميلوكوف والجميع.

كيف حال أهلنا؟ كيف حال بربارة وفيرا؟ لم أستلم منهمما ولا كلمة لحد الآن. أين أخي أندريه، أين كوليا (نيكولاي)؟

وداعاً. أعنفك. تحياتي إلى إميليا، وقبل الأطفال. زوجتي
تبلغكم جميعاً تحياتها. وداعاً.

المخلص ف. دوستويفسكي

سأكتب مرة أخرى عندما أستلم الحاجيات ويتم التسريح.
وسأخبرك بأوضاعي. ولكن أرجوك اكتب لي بنفسك، لا تتأخر، بالله
عليك!

-
- (1) «قرية ستيبانتشيكوفو وسكانها»
 - (2) «حلم العم»
 - (3) بدأ نيكولاي غوغول كتابة «النفوس الميتة» عام 1835 ونشر الجزء الأول منها عام 1842.
 - (4) بخصوص موقف دوستويفسكي من شكسبير راجع، مثلاً، كتاب يو. د. ليفين «دوستويفسكي وشكسبير» المجلد 1، ص ص 108-134 (بالروسية).
 - (5) نشرت «النفوس الـ 1000» في 6 أعداد من «مذكرات الوطن» عام 1858. وفكرتها مناوئة لنظام القنانة الذي ظل سائداً في ريف روسيا حتى ذلك الحين. حظيت الرواية بتقرير واسع في باقي المجلات.

64. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 11 أبريل 1859

أخي العزيز ميشا ، أكتب لك كلمتين لا غير . ليس عندي وقت .
أبعث مع هذا البريد ثلاثة أرباع روايتي ⁽¹⁾ إلى كاتكوف . فلم يتسعَ لي
أن أنهي الرواية حتى الآن . عملت طول الليل تقريباً ، واستيقظت
متاخراً ، ولا وقت لي ، فالبريد ينصرف . منذ أسبوعين استلمت 1000
روبل من كوشيليف مع رسالة إطراء . ولم أخبرك بها حتى الآن لأنني
كنت طول الوقت أنتظر منك رسالة لأجيبيك على كل شيء دفعه
واحدة . أريحتك تتجلى في سرورك لإعجاب الكثرين بقصتي ⁽²⁾ .
لكنك كتبت بتاريخ 6 مارس دون أن تذكر أن قصتي نشرت . أفلأ
تصدر « الكلمة الروسية » في الأول من كل شهر ؟ أرجوك ابعث لي
« الكلمة الروسية » أو على الأقل مستلأً منها يتضمن قصتي . (...)
أشكرك على وعدك بإرسال بياضات وصدريات . كنت أمل أنك
سترسلها من ألف كوشيليف ، أما الآن فسوف نتحاسب عندما أصل
إلى تفير . يا صديقي ، بقي عندي من هذه الألف 600 روبل فقط .
بهذا المبلغ ينبغي الرحيل والعيش حتى موعد السفر . وهذا شيء

متعذر. فالملبغ لن يكفي. كتبت إلى كاتكوف أن يبعث لي 200 روبل أخرى. وسابقى أنتظراها حتى 15 يونيو. وبعد ذلك لا يبقى مجال للانتظار، حيث يحين الرحيل. كما كتبت له عنأجرة الـ 100 روبل للملزمة. فكيف سيكون رده؟ إنه زعلان مني ولم يجبنى على رسالتي الأخيرة. فما أصعب العلاقات الغيابية، يا أخي!

الرواية التي أبعثها إلى كاتكوف، أرقى بكثير من «حلم العم» على ما أظن. ففيها اثنان من الشخصوص الجادة، بل والجديدة غير المسبوقة. ولكن كيف أنهى الرواية؟ مللت منها، وقد عذبني بالمعنى الحرفي للكلمة. وأأمل أن تظهر في «البشير الروسي» في أغسطس أو سبتمبر.⁽³⁾ أنتظر منك رسالة على جناح السرعة. وأنا واثق بأنك ستكتب لي عن كل شيء، أي عن آراء الأدباء بشأن «حلم العم». أرجوك، اكتب بمزيد من التفصيل. أستعطفك!

أنت لا تكتب شيئاً عن بليشيف. هل سافر إلى موسكو؟ زافيلوف كان يتردد علينا كثيراً. وهو شاب طيب القلب ليس حقوداً. أنا أحبه كثيراً. ثم أنت تكتب عن (مدينة) تفير وتقول إن من اللازم العيش فيها عامين. فما أفظع ذلك، يا صديقي. بالعكس، أنا آمل بان أطلب رأساً سماحاً بالإقامة في موسكو. وبالطبع سأقدم الطلب حالماً أصل إلى تفير. فقد منعوني ليس بمشيئة القيسير، بل لأن مفتشية (وزير الحرية) كتبت بكل وضوح أنها لا تأخذ على عاتقها البت في هذه المسألة، دون أن تعرف هل سمحوا لي بالإقامة في موسكو أم لا، وتنصح بطلب السماح من جلالة الإمبراطور عن طريق القسم الثالث (للديوان الإمبراطوري). وهناك بقية أمل، ففي 8 سبتمبر سيحل سن الرشد لولي العهد (الأمير نيكولاي، نجل الإمبراطور). ففي سن رشد الإمبراطور الحالى صدر عفو عام عن السجناء السياسيين. وأنا واثق

بأن القيصر في هذا العيد سيتذكرنا نحن التعباء، ويسامحنا على كل ما تبقى. وأتصور أن من الضروري حتى ذلك الحين، أي الثامن من سبتمبر، أن أقدم طلب السماح بالإقامة في موسكو، على أن أكون في ذلك الوقت في تفير.

وداعاً، يا أخي الطيب ميشا. أعانفك بكل حرارة، أنت وأفراد عائلتك. زوجتي تبلغك تحياتها. غداً عيد الفصح. قام المسيح. حقاً قام. صحتي كالعادة.

المخلص ف. دوستويفסקי

اعتنِ بربيبي بافل.

-
- (1) «قرية ستيبانتشيكوفو وسكانها».
 - (2) «حلم العم»
 - (3) لم تنشر «البشير» رواية «القرية...» وانقطعت العلاقات مع كاتكوف بعد أن رفض زيادة أجراً المؤلف.

65. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

سيميا لاتينسك، 9 مايو 1859

صديقي العزيز ميشا. استلمتُ أخيراً رسالتك المؤرخة في 8 أبريل مع البريد الفائق، وقد تألمت وارتعبت كثيراً لمرضك. ولم تتبدد مخاوفي حتى الآن. فأنا أفهم تماماً أن مثل هذه التهابات يمكن أن تسفر عن أخطر العواقب. وإذا لم أستلم منك رسائل جديدة عن شفائك التام فلن يقرار كل هذه الفترة. سأغادر، إن شاء الله، في 15 يونيو، وليس قبل هذا التاريخ، بل ويتحمل بعده. وقد كتبت لك أن استقالتي قبلت في بطرسбурغ، بالمرسوم السامي المؤرخ في 18 مارس. ولكن (الكتاب الرسمي) وصل الآن فقط إلى هنا، ولا بد من الانتظار حتى بداية يونيو على الأقل إلى أن تنتهي كل الإجراءات الرسمية المتعلقة بالموضوع، فيتم نسريحي نهائياً. ولكنني إذا غادرت في 15 يونيو فمن المستبعد أن أستلم منك جواباً على رسالتي هذه، لا سيما وأن البريد الآن أبطأ بكثير نتيجة لفيوض الربيع. ولكن إذا كنت تحبني أجب على هذه الرسالة في الحال، واكتتب لي عن صحتك بمزيد من التفصيل، وأرسلها على العنوان في سيميا لاتينسك مباشرة.

يتعين علىَّ أن أقيم في أومسك أسبوعين أو ثلاثة بخصوص استدعاء بافل من الفيلق. وسيبعثون لي رسالتك من سيمبلاatinسك، فلا تكتب إلى أومسك، بل عنون الرسالة إلى سيمبلاatinسك. خيل إلىَّ تماماً، يا صديقي ميشا، أنك ستموت فجأة، ولن أراك أبداً. ولا يزال الربع يعتصر فؤادي حتى الآن. آه، يا ليتني أستلم منك رسالة أخرى ولو بأربعة سطور!

أشكرك جزيل الشكر، يا صديقي، على إرسال القمصان والصدريات وغيرها. لكنني لم أستلمها حتى الآن. لاحظت من رسالتك أنك بعثت كل هذه الحاجيات في منتصف مارس. رسالتك المؤرخة في 9 أبريل وصلت منذ أسبوع، أما طرد الحاجيات الذي بعثته في منتصف مارس فهو متلكئ في مكان ما في الطريق. هذا شيء غير مفهوم بالنسبة لي.

كنت أخبرتك أنتي استلمت النقود من كوشيليف. لكنني لم أستلم المجلة منه. ولربما سأستلمها. وقد أخبرني أنه سيرسل إلى الحسابات. ولعله يرسل المجلة معها.

يا صديقي ميشا، أرجوك أن تنفذ طلبي. اكتب لي كل ما تسمعه عن روايتي دون أن تخفي شيئاً. ماذا قالوا عنها، فيما لو قالوا. ولعلك تفهم أن ذلك في متنها الأهمية بالنسبة لي.

كتبت إلى كوشيليف مع البريد الفائق. كان من اللازم أن أخبره باستلام النقود. وقد طلبت منه المجلة بنفسه. وبخصوص المشاركة في مجلته كتب لي في رسالته أنه ينتظر بفارغ الصبر قصتي المرتقبة، فكتبت له أني أرغب قبل كل شيء في لقائه والتحدث معه شخصياً. وأبلغته أني أخطط لرواية ضخمة في قرابة 25 ملزمة، وأننا شديد الرغبة في الشروع بكتابتها وحدها، إلا أن بعض الملابسات تحول

دون التفرغ لهذا العمل. وبودي أن أتحدث معه عن هذه الملابسات بالذات. بذلك ختمت رسالتي إلى كوشيليف من دون الدخول في توضيحات. أما أنت فأوضح لك هذه الملابسات. 1) أنا بحاجة إلى سنة ونصف لكي أتفرغ للرواية وأباشر في تأليفها. 2) لكي أعكف على كتابتها سنة ونصفاً ينبغي أن أؤمن حالياً مالياً، بينما أنا لا أملك شيئاً على الإطلاق. 3) أنت تكتب لي دوماً أخباراً منها، على سبيل المثال، أن غونتشاروف استلم على روايته (أوبلوموف) البشعة باعتقاده 7000 روبل وأن تورغينيف استلم من كاتكوف الذي طلب منه 100 روبل على الملزمه لا أكثر 4000 روبل، أي 200 روبل للملزمه، مقابل روايته «عش النباء» التي قرأتها أخيراً، وهي فاخرة جداً. يا صديقي ! أنا أعلم علم اليقين أنني أكتب أسوأ من تورغينيف، ولكن ليس أسوأ منه بكثير. ثم إنني آمل أن أكتب لا أسوأ منه إطلاقاً. فلماذا أتقاضى أنا المحتاج 100 روبل فقط، فيما يتتقاضى تورغينيف الذي يمتلك 2000 من الأقنان 400 روبل؟ بسبب العوز أنا مضطرب إلى التسرع، في حين أن الكتابة من أجل النقود تفسد النتاج حتماً. ولذا أنا أنوي، أثناء اللقاء مع كوشيليف، أن أقول له صراحة أن يعطيني مهلة سنة ونصف و300 روبل على الملزمه، وفوق ذلك 3000 روبل فضي مقدماً لتغطية تكاليف المعيشة في فترة التأليف. وإذا وافق أتعهد إلى ذلك بأن أسلمه في بداية العام القادم قصة قصيرة بملزمه طباعية ونصف. لدى الكثير من حبات القصص الطويلة، أما القصيرة فلا. لكنني آمل أن يزورني الإلهام قبل رأس السنة وأحبر قصة قصيرة (المجلة) كوشيليف. وقد يبدو لك أن شروطي المتهاودة انتقلت فجأة إلى شروط متعلالية جداً. إلا أن ذلك كله، يا صديقي، يعود لسبب أنت لا تعرفه. ولما كان هذا السبب، بدوره، مرتبطاً ارتباطاً

وثيقاً بسؤالك لي عن «القراء» والذي نطالبني بإجابة عاجلة عنه فإنني أنتقل هنا إلى «القراء» رأساً.

أنت، يا صديقي، ت يريد أن تبيعها إلى كوشيليف. هذا شيء مستحسن. لكنني أرجوك أن لا تفعل ذلك، لأن في ذهني فكرة أخرى. وها هي: أنا أنهي الآن روايتي المخصصة (المجلة) كاتكوف، وقد باتت طويلة بـ 14 أو 15 ملزمة، ثلاثة أرباعها أرسلتها إليه، وراسل الباقى في الأيام الأولى من يونيو. اسمع، يا ميشا. هذه الرواية تعانى، طبعاً، من نواقص كبيرة جداً، لعل في مقدمها الإسهاب. إلا أننى واثق وثوقي بالبديهيات بأنها تتسم في الوقت ذاته بمزايا عظيمة، وأنها أفضل نتاج كتبته. اشتغلت فيها سنتين، مع فترة توقف في منتصف «حلم العم». البداية والوسط منقحان، والخاتمة مكتوبة باستعجال. لكنني وضعت فيها روحي وكتابي لحمماً ودمماً. أنا لا أريد أن أقول إننى عبرت عن نفسي فيها بالكامل. فسيكون مثل هذا القول مجرد هذر. إذ لا يزال هناك الكثير مما سأعبر عنه. زد على ذلك أن الرواية تحتوى على القليل من العواطف، بمعنى ثورة المشاعر، كما في «عش النبلاء». إلا أن فيها شخصين نموذجين بارزين صرفت في خلقهما وتسجيلهما خمس سنوات، وهما مرسومان بصورة لا شائبة فيها، باعتقادى. إنهم نموذجان روسيان تماماً، ولم يركز الأدب الروسي عليهما بالقدر الكافى حتى الآن. ولا أدري هل سيقدرها كوشيليف حق قدرها. أعرف بأننى يمكن أن أ تعرض للإيأس إذا استقبل الجمهور روايتي ببرود. فأنا أعقد عليها أفضل آمالى العريضة، والأهم عليها يقوم ترسيخ اسمي الأدبى. فتصور: الرواية ستظهر في العام الحالى، ربما في سبتمبر. وأعتقد أنه إذا تكلم عنها النقاد وأثنوا عليها، يمكننى أن أقترح على كوشيليف أن يدفع 300

روبل على الملزمة. فالذى يتعامل معه ليس ذلك الكاتب الذى ألف «حلم العم» فقط. بالطبع أنا يمكن أن أخطئ بخصوص رواياتي ومزاياها، إلا أن آمالى كلها معقودة على ذلك. ثم إذا نجحت الرواية في «البشير الروسي»، على أن يكون نجاحاً كبيراً، فعند ذاك تبادر إلى ذهني فكرة جديدة بدلاً من إصدار «القراء» في طبعة مستقلة. عندئذ يمكن بعد وصولي إلى تفير، وبمساعدةك يا عزيزى ومساعدى الدائم، أن نصدر في ينایير أو فبراير العام القادم مؤلفاتي في مجلدين حسب الترتيب التالي: المجلد الأول - «القراء»، «حكاية الأطفال»، «شجرة الميلاد والزفاف»، المجموع قرابة 18 ملزمة طباعية. المجلد الثاني - الرواية المخصصة لكاتكوف «قرية ستيبانتشيكوفو»، و«حلم العم». المجموع 24 ملزمة. وفيما بعد يمكن إصدار «الشبيه» منقحة، أو على الأصح مكتوبة من جديد تماماً. وستمثل المجلد الثالث. سيكون ذلك فيما بعد. أما الآن فمجلدان. ولن تتجاوز كلفة طبع 2000 نسخة 1500 روبل. ويمكن بيعها بسعر 3 روبلات للنسخة. ولذا فإذا عكفت على كتابة الرواية الضخمة سنة ونصفاً فإن تسويق المجلدين بالتدريج يمكن أن يسد احتياجاتي وتكون لدى نقود. كما يمكن بيع الطبعة من دون إصدار منا إلى كوشيليف مقابل ثلاثة آلاف أو حتى ألفين وخمسين روبل. ولكن بالطبع لا يجوز الدخول في مفاوضات معه الآن. ينبغي أن نتظر نجاح الرواية التي عند كاتكوف. كل الآمال معلقة عليها. ونجاحها يسهل جميع المفاوضات.

ملاحظة: سأبعث إلى كاتكوف إجمالاً 15 ملزمة بـ 100 روبل للملزمة الواحدة، الحاصل 1500 روبل، وقد استلمت منه 500 وطلبت منه 200 روبل أخرى لتكاليف السفر، بعد أن أرسلت له ثلاثة أرباع الرواية، المجموع إذن 700 روبل. سأصل إلى تفير وليس معى

نقود. ولكنني سأستلم من كاتكوف في وقت غير بعيد 700 أو 800 روبل. وذلك مبلغ لا يأس به، يمكن أن يسد بعض الاحتياجات.

تحيفني إشاعات تقول إنه إذا أخذنا بافل نهائياً من الفيلق ينبغي أن ندفع مقابل رعايته 200 روبل في السنة، أي 400 روبل. فمن أين لي بها؟ تلك بالنسبة لي صاعقة. كل ما لدى الآن 600 روبل زائد 200 من كاتكوف. ولكن ينبغي شراء ثياب وما إلى ذلك، ينبغي قطع طريق بـ 4000 كيلومتر في فصل الصيف حيث السفر باهظ الثمن. ينبغي تجهيز 4 أفراس، وأحياناً 5. ولذا فكل ما عندي من نقود هو للسفر فقط. فمن أين لي أن أسد نفقات بافل الدراسية؟

وداعاً يا عزيزي وحبيبي الطيب ميشا. رافقتك السعادة وموفور الصحة. يا ليتني أقبلك بأسرع ما يمكن. تحياتي لزوجتك وقبلاً على الأولاد. ربما أني لم أكتب الكثير في رسالتي هذه، لكنني مستعجل إلى أقصى حد. فهناك عمل ينتظري. وداعاً يا عزيزي، تحيية إلى بليسييف، لماذا لا يكتب لي؟ فهل زعل لأنني طلبت منه نقوداً؟ غير معقول. زوجتي تبلغك تحياتها. بلغ تحياتي لكل من يتذكرني. إلى اللقاء يا صديقي.

(المخلص دوستويفسكي)

٦٦. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

تفير، 19 سبتمبر 1859

استلمتُ أمس رسالتك، يا عزيزي ميشا. لكن الوقت متاخر، ولم
أستطيع أن أرد عليها رأساً. رسالتك أفرحتني إلى أقصى حد. أولاً،
لأنني وحيد تماماً. وثانياً، لأنها وصلت قبل ما توقعت. كنت أظن
أنها ستصل يوم السبت. أنا مسرور لأنك راض من جديد لوجودك بين
أهلك. ولكن متى سنلتقي؟ فرغم مكوثي في تفير أنا أواصل الترحال
على أية حال. وسيجمع المصير بیننا من جديد في وقت ما.

ذهبت إلى بارانوف (محافظ تفير) ومعي رسالة معنونة إلى
دولغوروكي (مدير القسم الثالث). ووعدني بأن يبذل قصارى الجهد،
بمعنى إرسال رسالتي لا أكثر، وقال أن لا جدوى من تقديم طلب
الآن، فالامير دولغوروكي غير موجود حالياً في بطرسبورغ، وهو لا
يستطيع أن يرفع الطلب إليه خلال رحلته. ولذا نصحني أن أؤجل
المسألة إلى متصرف أكتوبر، حيث يعود الأمير إلى بطرسبورغ. وطلب
مني أن آتي إليه بالرسالة عندذاك. وأعتقد أنه محق. لا سيما وأن
الأمير إذا عاد إلى بطرسبورغ بعد شهر فقد يدفع القضية بسرعة، خاصة

وأن هنالك تزكية وتوصيات من أشخاص مثل إدوارد إيفانوفيتش (تونتيلين). وهكذا آمل أن أكون عندكم (في بطرسبورغ) في الأول من أكتوبر. فلننتظر إذن.

قرأت بمنتهى الارتياح ما جاء في رسالتك عن فرانغيل. فرحت له كثيراً. بلغه تحياتي وقل له إنني أتحرق شوقاً لرؤيته. وإذا كان يستطيع أن يأتي إلى تفير ولو ليوم واحد فسيكون ذلك في منتهى الروعة. وسأكتب له هذه الأيام. كما سأكتب إلى إدوارد إيفانوفيتش بعد فترة قصيرة.

بلغ تحياتي إلى مايكوف وقل له إنني أتذكره دوماً وإن حبي له ليس أقل من حبه لي، وإذا جاء إلينا فسيكون ذلك عملاً رائعاً. ولو ليوم واحد. قل له إنني أنتظره بفارغ الصبر. وقد كتبت لأخواتي.⁽¹⁾

أنت تقول إنك لم تجد نكراسوف في بيته. ولكن، يا صديقي، إذا كنت لم تجده في السادس عشر من الشهر لأن تتأخر في تسليم المخطوطة؟ سنفوت الوقت فينشرون شيئاً آخر في عدد أكتوبر. لا سيما وأن قراءة المخطوطة ضرورية، وأنت لا تكتب هل تركتها له في بيته؟ وهل سلمته الرسالة؟ لقد وعدتني أن تكتب في 17 من الشهر إذا التقى نكراسوف. ستراه بالطبع. ولذا أنتظراه اليوم رسالتك بفارغ الصبر. ملاحظة: في العلاقة مع نكراسوف لاحظ جميع التفاصيل وكل ما يقوله. وأرجوك، بالله عليك، اكتب لي عن كل شيء بالتفصيل. فهذا مهم جداً بالنسبة لي.

قبل كوليا الكذاب، وكذلك قططك.⁽²⁾ تحياتي الحارة إلى إميليا. زوجتي أيضاً تبلغكم جمياً تحياتها الحالمة. بخصوصي شخصياً ليس لدى ما أضيفه. سوى أنني أفكر في المستقبل، وكيف أعكف على الرواية، وأتشकى من لزوم كتابة رسائل كثيرة، وقد تعذبت كثيراً في

تحرير الرسالة إلى الأمير (دولغوروكي . . .). الطقس رديء في تفير. والمملل فظيع. أنا أفكر فيك يا عزيزي. لقد غادرت وأنا أعرف أننا لم نتعرف بعد ببعضنا على بعض كما ينبغي، ولم نعبر أو نكشف لأحدنا الآخر عن كل شيء. كلا، يا أخي، لا بد أن نعيش معاً حياة غير متسرعة، بل عادية، وعندما سنتعايش تماماً. أنت عندي الوحيد، عشر سنوات لم تفرق بيننا. لم تكتب لي عن صحتك. والأهم ماذا قال لك (الدكتور) روزينبيرغ؟ رجاءً استفد من مشورته. وداعاً يا عزيزي. أعانفك. اكتب بالله عليك.

المخلص د (دوستويفسكي)

ملاحظة: (...) أنا أخطط للرواية التي ذكرت لك مضمونها، ولكنني آسف لإرجاء الرواية المطولة. فكرت في كتابتها. لو لا ضرورة النقد للصرف على المعيشة.
لا تهمل التزيف. راجع روزينبيرغ.

- (1) رسائل دوستويفسكي لأخواته في تلك الفترة مفقودة.
- (2) «الكذاب» كوليا هو شقيق دوستويفسكي نيكولاي، و«القطط» هم أولاد ميخائيل.

67. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

تفيير، 1 أكتوبر 1859

عزيزي ميشا! استلمت رسالتك أمس بعد أن بعثت إليك رسالتي التي تضمنت لوماً لك. والحقيقة، يا صديقي، كنت منهار المعنيات تماماً، لأنني لم أستلم منك شيئاً. ولذلك أرجوك الآن أيضاً، وحتى لو لم تجد شيئاً تكتب لي عنه، اكتب لي ببساطة وقل: لا شيء لديك يستحق الكتابة. لا تتركني في قلق شديد يزيد اليأس والتعاسة في أوضاعي. وأأمل أن لا تزعل مني بسبب رسالتي. لا تزعل، يا حبيبي، واكتب لي أكثر.

أعترف أن رسالتك أدهشتني. لماذا يتصرف نكراسوف هكذا؟ هل هو مغرور بنفسه؟ أم أنه لم يقرأ (رواية القرية...)؟ بعد؟ سمعت أن نكراسوف مولع كثيراً بلعب القمار. ثم إن باناييف في شغل شاغل عن المجلة. ولو لا تشيرنيشيفسكي ودوبرولوبيوف لتقوض كل شيء عندهم. تقول إن من اللازم الانتظار، وهو أكثر لياقة. ولكننا، يا صديقي، انتظرنا بما فيه الكفاية. ولذا، اذهب، رجاءً، وأنا أرجوك بقوة، اذهب بنفسك إلى نكراسوف وحاول أن تجده في البيت، وهذا

هو الأهم. تكلم معه عن المصير الذي يقررونه للرواية. المهم أن تعرف هل سيطعونها في عددين أو ثلاثة وما هي ملاحظاتهم عليها؟ وعندما تفرغ من الكلام عن ذلك يمكنك في الأخير أن تتطرق إلى النقود. قم بذلك، لوجه المسيح. وانتزع منهم الكلمة الأخيرة. فإذا لم تذهب بنفسك قد لا يأتي إليك أبداً. خصوصاً إذا كان يلعب القمار. أعقد كل أملبي عليك.

والآن، يا عزيزي، أريد أن أكتب لك عما عزمت عليه لاعتبارات ناضجة. قررت أن أكتب الرواية، المطولة طبعاً، عاماً كاملاً. فلا أرغب في الاستعجال. تركيبتها جيدة تحول دون التطاول عليها، من خلال التسرع في تأليفها لموعد معين. أريد أن أكتب بحرية وطلقة. هذه الرواية تتضمن فكرة، وهي ستشق الطريق أمامي. ولكن كتابتها تتطلب تطمئن الاحتياجات المعيشية. بيعها سلفاً والعيش على ثمنها انتحار. ذلك يعني القبول بـ 100 أو 120 (رويلاً للملزمة)، بينما أستطيع أن أتعامل وأحصل ربما على 150 أو 200. أنا نفسي سأكون بمثابة القاضي وأحكم لصالحي. إذا نجحت الرواية أنا أحدد السعر. ولذا لا يجوز البيع مقدماً، ويجب التأليف في ظل تطمئن الاحتياجات. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: من أين أستحصل النقود لتغطية مصاريفي لعام واحد على الأقل؟ لقد فكرت في الموضوع جدياً وقررت أن أطبع بنفسي مؤلفاتي السابقة دون أن أبيعها إلى الغير. فالبيع لن يوفر الكثير، لن يعطوني (مقابل حقوق النشر) مالاً كثيراً. اسمع، إذن: لنفترض أن التوزيع سيجري ببطء. إلا أن ذلك لا يهم بالنسبة لي. فأنا بحاجة إلى 120 أو 150 رويلاً في الشهر. إذا حصلت على هذا المبلغ (من التسويق) فإنه سيطعني. ولعلك تسأل: من أين نأتي بالنقود لتغطية تكاليف الطبع؟ إليك ما

أفكر فيه: 1) الإصدار ليس دفعة واحدة، بل كتاباً كتاباً. العدد الإجمالي ثلاثة كتب. يضم الكتاب الأول «القراء» و«نيتوتشكا نيزفانوفا» و«الليالي البيضاء» و«حكاية الأطفال» و«شجرة الميلاد والزفاف» و«اللص الشريف»، بعد التعديل، و«الزوج الغيور». المجموع قرابة 23 ملزمة بطباعة متحاشكة. ويضم الكتاب الثاني «الشبيه»⁽¹⁾ بعد التجديد الشامل، و«حلم العم». فيما يضم الكتاب الثالث «قرية ستيبانتشيكوفو». الكتاب الأول، باعتقادي، سباع بسرعة. ولكن ينبغي تنقیح «القراء»، فهي لم تغير منذ الطبعة الثانية. وكل ما تبقى في الكتاب الأول ينبغي أن يصحح قليلاً. بعض مؤلفات الكتاب الأول، مثل «نيتوتشكا نيزفانوفا»، ربما موجودة عندك، وبعضها الآخر يجب أن تبحث عنه بسرعة وعلى الفور عند ما يكوف وميلوكوف وسواهما. بلغهم تحياتي، واطلب منهم أن يسمحوا بأن نستلم هذه القصص من (مجلاتهم). فإذا سمحوا أرسلها إليّ وأنا أصححها على النسخ المستلة وأعيدها إليك من دون تأخير. وإذا تمكنا من إنجاز ذلك في نهاية اكتوبر وتكون كل القصص مصححة عندك يمكن تسليمها إلى الرقابة في الأول من ديسمبر. وعندذاك نبدأ بطبع المجلد الأول اعتباراً من مطلع ديسمبر. من أين لنا بالمال؟ هكذا: أرجوك من جديد أن تأخذ الكمية الالزامـة من الورق للمجلد الأول من التاجر وسلمه باسمك ككميـالة لمدة 6 أشهر، أو حتى أقل. المطلوب 300 روبل أو يزيد قليلاً. أقسم لك يا عزيزي ميشا أنني سأسدّد الكميـالة التي ستقعـها الآن بدلاً عنـي. وإذا لم يحظ الكتاب بالرواج ولا يعوض حتى عن ثمن الورق فسأحصل على النقود مهما كلف الأمر وأسدّد الكميـالة في الموعد. ولن تتضرر أنت. أما المطبعة، إذا تعذر التعامل معها بكميـالة، فإني أقدم نصف تكلفة

الطباعة، وأفترض النصف الثاني. (...). وهكذا، يمكن أن تنتهي الطباعة في متصف ينابير، ويمكن عرض الكتاب للبيع. أنا واثق بأن المجلد الأول سيترك تأثيراً معيناً. ذلك، أولاً، لأنه يجمع بين أفضل التbagات، وثانياً، إبني أذّكر القراء بشخصي، وثالثاً، اسمي بحد ذاته مثير للفضول. ورابعاً، إذا نجحت الرواية في «المعاصر» فإن هذا المجلد سينجح أيضاً. والحال ففي متصف ديسمبر سأرسل لك، أو أجلب بنفسي، «الشبيه» مصححة. صدقني، يا أخي، إعداد هذه النسخة المصححة والمزودة بمقدمة يعادل رواية جديدة. وسيرون أخيراً ما هي «الشبيه». أمل أن أثير انتباهم بقدر كبير جداً. باختصار، أنا أتحدى الجميع. وأخيراً إذا لم أصبح «الشبيه» الآن فمته سأصححها؟ ولماذا أضيع الفكرة الرائعة وأفقد نموذجاً عظيماً من حيث أهميته الاجتماعية وأنا أول من اكتشفه وبشر به؟

في ديسمبر ذاته أسلم «الشبيه» و«حلم العُم» إلى الرقابة. وفي ينابير نطبع، وفي نهاية فبراير يصدر المجلد الثاني. وبعد، معاً تقريباً، المجلد الثالث - «قرية ستيبانتشيكوفو». النقود إما أن أفترضها، وإما أن المجلد الأول يوفرها. ثم إن المجلدين الثاني والثالث يمكن عند الضرورة بيع حقوق نشرهما في حال نجاح المجلد الأول. سأعرض عن نفقات الطبعة، وحتى ذلك الحين أعيش على نقود «المعاصر»، وبعد ذلك على عائد بيع الطبعة، على الرغم من أنه سيكون بطيناً. لا فرق بالنسبة لي. ذلك لأن البيع البطيء يكفي لاطعامي، فيما أعكف بجد من ديسمبر نفسه على تأليف الرواية الكبيرة التي إذا حققت النجاح بعد عام يمكن أن ينسحب نجاحها على باقي نسخ «المؤلفات». ولذا تتلخص الخطوة الأولى الآن في إطلاعي حالاً على رأيك وإرسال نسخ قصص المجلد الأول فوراً، وعلى قدر المستطاع،

لتصححها. إذا تباطأت في الجواب، يا صديقي، أعلم أن وقتني سيضيع جزافاً. فأنا لن أفعل شيئاً ولا أستطيع أن أفعل قبل الحل النهائي، أي هل ستتوافق (على المشروع) وتساعدني أم لا؟ بالله عليك أجبني بسرعة.

مايكوف لم يزرني (في تغير).. استلمت رسالة من فرانغيل غولوفينسكي موجود هنا، وقد عرّفني دفعه واحدة على مجتمع المدينة كله. أنا لا أنوي إقامة علاقات حميمة مع الجميع، إلا أن الأصدقاء موضوع آخر. في المدن الهامشية لن يستطيع المرء أن يعتزل. وهذا أمر يثقل عليّ من ناحية. ثمة اثنان أو ثلاثة من الناس الطيبين. تعرفت جيداً على (المحافظ) بارانوف والكونتيسة (زوجته). وقد دعوني مراراً وباللحاج أن أحل ضيقاً على منزلهم في الأمسيات. وكان من المتعذر تجاهل هذه الدعوات. واتضح لي أنني كنت أعرفها. فقبل 12 عاماً عرّفني (الكونت) سولوغوب عليها، وهي (قربتي)، وكانت فتاة يافعة لقبها فاسيلتشيكوفا.

ماريا ديميرييفنا تبعث تحياتها. وأنا أعانفك من صميم القلب، وسأكون في فرحة عارمة للتملص من تغير. ففي تغير سيعيقني البعض عن الكتابة. أجبني، يا عزيزي، بالله عليك. وداعاً، أقبلك بحرارة. احتراماتي للجميع. حافظ على صحتك الشديدة. وتحياتي إلى إميليا وكولا وساشا. أكتب أكثر. حبذا لو استلمت النقود من نكراسوف. فهي ضرورية لك أولاً، ولني ثانياً.

(أخوك)

(1) رواية «المثل» في ترجمة سامي الدروبي.

68. إلى ألكسندر الثاني

تفيير، 18-10 أكتوبر 1859

حضرة صاحب الجلالة الإمبراطور المعظم!

أنا المجرم السابق المذنب بحق الدولة أتجرأ على عرض طلبي المستكين أمام عرشكم العظيم. وأنا أعرف أنني لا أستحق مبرة جلالتكم السامية، وأنني آخر من يمكن أن يأمل في مرحمة جلالتكم. إلا أنني إنسان تعيس، وأنتم، يا قبصتنا، رؤوف رحيم بلا حدود. أستمتعي جلالتكم عنراً على رسالتي، فلا تسلطوا سيف غضبكم على تعيس ينشد رحمتكم.

كنت محكوماً بجريمة ضد الدولة عام 1849 في بطرسبورغ وخفضت رتبتي وحرمت من كل حقوق الملكية ونفيت إلى سيبيريا لأداء الأشغال الشاقة من الدرجة الثانية في الحصون لمدة أربع سنوات، مع التنسيب بعد انتهاء هذه المدة إلى الجيش بصفة جندي. وفي عام 1854، وبعد الخروج من قلعة أومسك، نسبت جندياً إلى الكتبة السiberية الميدانية السابعة. وفي عام 1855 تم ترفيعي إلى ملازم ثان، وفي العام التالي، 1856، أسعدت بمبرة سامية من جانب

جلالتكم الإمبراطورية بتنسيبي إلى سلك الضباط. وفي العام 1858 وجه جلالتكم بمنحي حق كرامة النبلاء الوراثية، وفي العام ذاته قدمت استقالتي لاصابتي بالصرع الذي لاحت نذرها منذ العام الأول من الأشغال الشاقة. والآن، بعد قبول استقالتي وتسريحي، انتقلت للإقامة في مدينة تفير. مرضي يشد أكثر فأكثر. وبعد كل نوبة صرع أفقد، على ما يبدو، الذاكرة والتصور والقوى الروحية والبدنية. والنتيجة التي يؤول إليها مرضي هي إما الهرزل أو الموت أو الجنون. ولدي زوجة وربيب يجب عليّ أن أرعاهما. ولم ينفع عندي أية أملاك، وأكسب القوت من العمل الأدبي وحده. وهو عمل عسير ومرهق في حالي المرضية. والحال فإن الأطباء يؤملوني بالشفاء استناداً إلى أن مرضي مكتسب وليس وراثياً. إلا أنني لا أستطيع الحصول على الإسعاف الطبي الجدي الحاسم إلا في بطرسبورغ حيث يوجد أطباء متخصصون بدراسة الأمراض العصبية. يا صاحب الجلالة الإمبراطورية، على مشيئتكم يتوقف مصيري وصحتي وحياتي. فتكرموا عليّ بسماح الانتقال إلى بطرسبورغ للاستفادة من مشورة أطباء العاصمة. تكرموا بإحيائي ومنحي فرصة خدمة عائلتي بعد تحسن صحتي، بل وربما خدمة وطني بشيء. في بطرسبورغ يقيم دائماً اثنان من إخوتي استمر فرافي معهما عشر سنوات. وقد تخفف عنائهما الأخوية بي من وضع العصيب. وعلى الرغم من كل آمالى فإن المال السيئ لمرضى أو وفاتي يمكن أن يتركا زوجتي ورببي من دون أي عون. وسأعمل لتأمين معيشتهما ما دامت في بدني قطرة من الصحة والقدرة. إلا أن الأعمار بيد الله. والأمنيات البشرية لا مصداقية فيها. أيها القيصر الرؤوف الرحيم. اعذروني على رجاء آخر وتكرموا بمبرة استثنائية لقبول رببي بأفل عيسايف البالغ من العمر 12

عاماً في إحدى ثانويات بطرسبورغ على حساب الدولة. وهو من أبناء البلاط الأقحاح، نجل سكرتير المحافظة ألكسندر عيسايف الذي توفي في سiberيا أثناء خدمة جلالتكم بمدينة كوزنيتسك محافظة تومسك، وقد قضى نحبه لعدم توفر الخدمات الطبية في البقاع النائية التي كان يخدم فيها، وترك زوجته وأبنه من دون أية ثروة. وإذا تعذر قبول بافل عيسايف في الثانوية فلهموا يا صاحب الجلالة بتوجيه قبوله في أحد فيالق الكاديت في بطرسبورغ. وبذلك تسعذون والدته المسكونة التي تعلم ابنها يومياً على الابتهاج من أجل سعادة جلالتكم وسعادة أسرتكم المبجلة. إنكم، يا صاحب الجلالة، شمس تنير الصالحين وغير الصالحين. وقد أسعذتم الملائين من أبناء شعبكم، فلهموا بإسعاد يتيم مسكين وأمه ومريض تعيس لا يزال طريداً حتى الآن، وهو مستعد للتضحية ب حياته في الحال من أجل القيصر الذي شمل شعبه بأفضاله.

بشعور من التمجيد والوفاء الخالص بلا حدود أتجرا على توصيف نفسي بأصدق شخص شاكر أمين من رعايا جلالتكم الإمبراطورية.

فيودور دوستويفسكي

69. إلى ميخائيل م. دوستوفسكي

تفيير، 20 أكتوبر 1859

عزيزي الغالي ميشا. أكتب لك هذه المرة كلمتين لا أكثر. استلمت رسالتك المؤرخة في 17 أكتوبر، ولكنني لم أستلم بعد الطرد الذي بعثته لي، بل ولم يصلني إشعار من دائرة البريد. هذه الدائرة تعمل دوماً بغير انتظام. على أية حال أنا لا أعرف متى انطلق الطرد من بطرسبورغ. فهناك يمكن أن يتأخر.

أشكرك، يا صديقي، على جهودك وأتعابك في جمع مؤلفاتي. أنا أفهم وأتلمس كم تجهد نفسك من أجلني. وسأرد الجميل في زمن ما. هل إستلمت رسالتي الأخيرة التي طلبت منك فيها أن تذهب إلى نكراسوف وكالينوفסקי⁽¹⁾? عموماً، يا صديقي، أستعطفك مرة أخرى أن تبلغني في كل رسالة من رسائلك أنك إستلمت رسالتي الفلانية، وهلمجرا. هذا شيء مهم. أرجو أن تفهمه. ثم إنني أستعطفك، يا صديقي الغالي، أن تصرف كما كتبت لك في رسالتي الأخيرة، أي أن تذهب إلى نكراسوف وإلى كالينوف斯基. وبالطبع أترك كل شيء

لك ولتصوراتك، فقد تستجد ملابسات لا علم لي بها. ولعلك توافقني أن نصيحتي لها قيمتها، وأن الذهاب إلى هذين الرجلين أمر مستحسن.

كريافسكي كان قد وعدك يوم الخميس بإبلاغك النتيجة بعد أيام. وقد مرت تلك الأيام، حالياً نحن في يوم الثلاثاء. ومن الواضح أنهم يماطلون.

بخصوص كوشيليف أنا موافق بالطبع، وأشكركما كلبكما، أنت ومايكوف. إلى 2000 مبلغ لا بأس به. ولكن الطبعة ستكون بثلاثة أجزاء. «قرية ستيبانشيكوفو» تشكل الجزء الثالث. ولكن في حال ما إذا نشرها كريافسكي هذا العام. حاول، يا عزيزي، أن تصر على هذا العام.

ملاحظة: ثمة نقطة أخرى. هل تذكر المحاججات الأدبية للعقيد روستانيف⁽²⁾ بشأن الأدب والمجلات و«مذكرات الوطن» وغيرها. الشرط اللازم أن لا يشطب كريافسكي ولا سطراً واحداً من تلك المحاججات. رأي روستانيف لا يهين ولا يؤذى كريافسكي بأي حال. أرجوك، ركز على هذا الشرط خصيصاً. استلمت النقود التي بعثتها لي وأشكرك، وأنت عارف بمدى شكري.

عريضتي أرسلت إلى بطرسبورغ، وأنا أنتظر. ولربما سيمر وقت طويل قبل أن أراك. فهم سوف يستفسرون وينقبون. هكذا أتوقع. ربما بعد شهرين.

وداعاً، يا عزيزي الغالي. أعنفك وأقبلك. أخوك المخلص لك

دوست (ويفسكي)

تحياتي لجميع أفراد عائلتك. فرانغيل لم يكتب لي. ماذا دهاء؟
بعثت رسالة من خلاله إلى توتليبيين. لم أستلم الجواب وقد مر
أسبوعان.

-
- (1) رئيس تحرير مجلة «المشغل».
(2) بطل «قرية ستيانتشيكوفو».



70. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

تفيير، 12 نوفمبر 1859

استلمتُ أمس رسالتك المؤرخة في 9 من الشهر، يا صديقي ميشا. وأريد أن أكتب لك ولو سطرين. أنت لن تصدق مدى امتعاضي من المكوث في تفيير دون أن أعرف أي شيء عن سير قضيتي في واقع الحال. حبذا لو استطعت أن أخطط، ولكني لا أستطيع لعدم معرفتي بأي شيء مما يجري بخصوصي في بطرسبورغ. كتبُ للجميع وطلبت من الجميع ولا جواب. أوقفك على أنني اخترت في هذه القضية الطريق الأصعب. ألوم نفسي كل يوم وأنظر. لعل أحداً يذكر أدلة يرغبه قضيتي. ماذا لو أنهم لم يرفعوا رسالتي إلى المقام السامي؟ حبذا لو ذهبت أنت في لحظات الفراغ، إنْ وجدت، إلى فرانغيل ل تستفسر منه، هل يتولى توتليين مفاتحة أدلة يرغبه بشأنني أو يطلب من دولغوروكي أن يحدث أدلة يرغبه عني أو يقدم طلبي بنفسه إلى صاحب الجلالـة الإمبراطور؟ يا ليت شيئاً يحصل بسرعة. القيصر رؤوف رحيم، نحن جميعاً نعرف ذلك. إلا أن الرسميات والشكليات تؤخر النتيجة. المهم أن أقيم في بطرسبورغ لأربع مؤلفاتي. على فكرة، لدى

خطة في ذهني هي أن لا نيعها مقابل نقود، بل نطبعها بـ 2000 نسخة عند شيبكين وسولداتينكوف في موسكو. وهم لا يدفعان نقوداً، بل يطبعان ويسترجعان رأس المالهما بعد التسويق مع فائدة مئوية معقولة. هذا، باعتقادي، أفضل لعدة أسباب يطول الحديث عنها. ولعلي أفعل هكذا لو تمكنت من الحصول على نقود فور وصولي إلى بطرسبورغ لتفطية تكاليف المعيشة، إضافة إلى ما سأستلمه من كرايفسكي. أنت تفهم أن ذلك كله يهمني كثيراً. فيه الحياة والمستقبل. على أية حال لا تفهم كلامي هذا حرفيأً. فإذا توفرت الفرصة يمكنك أن تبيع مؤلفاتي مقابل نقود وابحث عن تلك الفرصة من دون انتظار مجبيّ إلى بطرسبورغ. فالوقت يمضي. حبذا لو أصدرنا المؤلفات. الوقت يمضي ومعه فقد فرص الحصول على المال...

ولكن فليذهب المال إلى الشيطان. بوّدي أن أعانقك. وهذا هو الأهم. بوّدي أن أقيم قربكم، وفي محيطكم، على جناح السرعة. العيش هنا صعب علىّ. الوقت يمضي وأنا لا أستطيع أن أباشر بشيء بسبب مختلف الانفعالات الأخلاقية... قد لا تصدق، يا عزيزي ميشا، مدى تأثير الانتظار. بعد شهر، وهل ستحل المسألة بعد شهر؟ ربما ستمر ثلاثة أو أربعة شهور. أنت تكتب عن فكرة تحتاج للبداية 15 أو 20 ألفاً. ذلك يشغل بالي أنا أيضاً، يا أخي، وكان لعنة نزلت علينا. إذا نظرت إلى الآخرين تجد الواحد منهم يبني نفسه ويجمع الرأسمال من دون مواهب ولا قابليات. بينما نكبح نحن ونكد جزافاً. أنا على يقين، مثلاً، بأن لدينا وإياك شطاره وقابليات ومعرفة بالأمور، نعم، أكثر مما عند كرايفسكي ونكراسوف. فمثلهما في الأدب كمثل الفلاحين الجهلة. في حين أنهما يعت bian، بينما جيوبنا خالية. أنت، مثلاً، شرعت بممارسة التجارة، فما أكثر الجهود وما

أقل المردود. ماذا كسبت؟ الحمد لله أنك دبرت معيشتك وريبت الأولاد. فيما بلغت تجارتكم نقطة معينة وتوقفت. هذا شيء محزن بالنسبة لإنسان لديه قابليات. كلا، يا أخي، يجب أن نفكر، وبشكل جدي، يجب أن نجاذف وننولى أمر مؤسسة أدبية، إصدار مجلة، على سبيل المثال... بالمناسبة، ستفكر في ذلك ونتحدث عنه معاً. لا يزال في الوقت متسع. نتيجة الرواية⁽¹⁾ ليست كبيرة حقاً: 13 - 14 ملزمة. وهذا قليل. وسأستلم أقل مما كنت أتوقع. لعنة الله على الفقر. أرسل لي رجاءً نسخة مستقلة قبل صدور عدد المجلة. فهذا يهمني جداً، كما تعلم. (...) أرجوك أن تبعث لي رأساً (ما يتبقى من أجرة الرواية بعد الاستقطاعات) على سبيل الاحتياط. من يدرى ربما سيتقرر مصيري. وعندها سأحتاج إلى تلك النقود لمغادرة هذا المكان. ولذا أرسلها بأسرع ما يمكن. وداعاً، أعانقك، اكتب لي عاجلاً.

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: حالما تصدر الرواية أطلعني، بمتنه التفاصيل، على كل ما تسمعه عنها. وما ستكون الأقاويل إن وجدت.

(1) «قرية ستيانتشيكوف» نشرت في «مذكرات الوطن» عام 1859.

71. إلى ألكساندرا شوبرت

بطرسбурغ، 3 مايو 1860

الفاضلة ألكساندرا إيفانوفنا الموقرة. أنا في بطرسبورغ من ثلاثة أيام، وقد عدت إلى أعمالني. الرحلة كلها إلى موسكو تبدو لي وكأنها حلم في المنام. وقد عدت من جديد إلى رطوبة الجو والأحوال، إلى جليد (بحيرة) لادoga، إلى ملل ما بعده ملل. ذهبت إلى ستيبان دميتريفيتش، وهو في شقته السابقة، في بناية بيكييف، واستقبلني بفرح وترحاب وسأل عنك كثيراً. أخبرته بكل ما أعرف، وبلغته، بالمناسبة، أنك راغبة جداً في استبدال الشقة، وأنك لا تملkin نقوداً، بل تتظررينها منه. فقال إن شقتك الحالية جيدة، وليس إيجارها باهظاً كما يبدو للوهلة الأولى، ولكن بالطبع الأفضل لك أن تنتقل إلى شقة أخرى وأنه تحدث معك عن الانتقال، ولهذا الغرض سافر إلى موسكو ليقول لك ذلك، ويرتب إقامتك عموماً، إلا أنه استنجد أن ذلك يتطلب مبلغاً كبيراً، لاستئجار قصر، والمبلغ غير متوفّر حالياً، وأنه بالطبع سيرسل لك ربما 300 روبل يوم الأربعاء، وأن ذلك قليل. وأضاف عرضاً: أن لديك نقوداً، ولكن ينبغي صرف التذكرة، وهو أمر لا

ترغبين فيه. وأذكر أنك تحدثت عن هذه التذكرة في بطرسبورغ وعن رغبة ستيبان ديميتريفيتش في صرفها. وأنا لم أقل له شيئاً بهذا الشأن واقتصرت في حديثي على الصعوبة التي تواجهينها في تناول طعام الغداء أحياناً في الساعة الخامسة. كما حدثه عن نجاحاتك على خشبة المسرح وعن بليسييف وعن مدام إيلوفايسكايا. وهو أيضاً يرى أن التعرف على علية المجتمع ضروري حتى في ثبيت موقعك المسرحي. جلست معه قرابة ساعة. كان ذلك يوم الأحد. وفي المساء من ستيبان ديميتريفيتش على أخيه وكان في أحسن مزاج. وفي يوم الأربعاء، أي غداً، سيكتب لك. هكذا قال على أية حال. تلك هي كل تفاصيل جلستي معه.

عدت إلى هنا وأجد نفسي في وضع محموم تماماً. والسبب في ذلك روائيتي. أريد أن أكتبها جيداً، وأحس أن فيها شاعرية، وأن مستقبلي الأدبي يتوقف على نجاحها. ولذا يتعين علىي أن أعكف على تأليفها قرابة ثلاثة أشهر. فما أعظم المكافأة حينما أنتهي. تتجسد تلك المكافأة في الهدوء النفسي والنظرية الصافية إلى المحيط والاطمئنان إلى أنني فعلت ما أردت أن أفعله وبقيت مصرأً على موقفني. ولربما سأكافئ نفسي بسفرة إلى الخارج لمدة شهرين تقريباً. لكنني سأخرج على موسكو حتماً قبل ذلك. كيف أنتwick عندئذ؟ آنذاك تتعاشين مع موسكو وترتدين أوضاعك تماماً. فليوقفك الله. ولك مني أخلص التمنيات. أنا أيضاً أريد أن أستحق صداقتك. أنت طيبة القلب للغاية، وذكية جداً، وروحك أليفة بديعة، ولا أفضل من الصداقة معك. ثم إن طباعك أخاذة. فأنت ممثلة. وأحياناً تسخررين برقة من كل ما هو مبتذر ملحاح وغبي يثير الضحك حتى يغدو الإنصات إليك بديعاً ممتعاً. الاعتزاز بالنفس شيء جيد، ولكن، باعتقادي، ضروري

فقط للأهداف الرئيسية، لكي يضع المرء هدفاً لنفسه ورسالة لحياته. وكل ما عدا ذلك تافه لا أهمية له. الحياة اليتيرية هي الأهم. بشرط التعاطف مع الناس، بالإضافة إلى استحقاق تعاطفهم. وهذا وحده، حتى من دون أهداف متميزة، يشكل هدفاً كافياً في الحياة.

لكنني تماضيت في التفلسف. الأخبار التي سمعتها قليلة. لم أسمع شيئاً تقريباً. بيسيمسكي مريض بالروماتيزم الشديد. مررت على أبولون مايكوف، فقال لي إن بيسيمسكي متقلب المزاج في زعل ونزوات وما إلى ذلك. ولا غرابة في ذلك، فالمرض موجع أليم. على فكرة، هل تعرفين المدعو ستيتكين. كان ينظم أشعاراً فكاهية باسم آموس شيشكين. تصوري، مرض وقضى نحبه في ستة أيام. الصندوق الأدبي قدم معونة لعائلته. أمر محزن. ولعلك لا تعرفينه. رأيت كريستوفسكي. وأنا أوده كثيراً. نظم قصيدة وتلاها علينا باعتزاز. وقلنا له جميراً إن هذه القصيدة رديئة للغاية، ذلك لأننا اعتذراً على قول الحقيقة. فكيف كان رد فعله؟ لم يزعل مطلقاً. إنه فتى شهم لطيف. وأنا أزداد إعجاباً به حتى يطيب لي أن أزيل الكلفة وأجلس معه في الاستراحة. أحياناً تأتي الانطباعات عجيبة غريبة. يخيل إليّ طول الوقت أن كريستوفسكي سيموت قريباً. ولا أدرى ما سبب هذا الانطباع.

بودنا أن نقوم بمشروع مرموق في الأدب، كمؤسسة فكرية. ونحن مشغولون جداً بهذا الموضوع. ولربما سنوفق. على أية حال، كل هذه المهمات نشاط وإنْ كان في خطوطه الأولى^(١). أنا أفهم الخطوة الأولى، وأحبها، فهي أفضل من الطفرات.

حدثني ستيبان ديميتريفيتش قليلاً عن مارتينوف وعن طرف من موقفك تجاهه. وإذا كان ذلك صحيحاً فنكم كنت تحتاجين من الحذر

والحذاقة ومعرفة الناس والمشاكل؟ في مثل هذه الحال يعتكر المزاج عفوياً. وما يعجبني فيك تحديداً هو أنك تؤمنين بالحياة وبرسالتك فيها رغم المنغصات وتحبين الفن من صميم القلب ولا تشعرين بخيالية أمل فيه. فليكن الله في عونك. تلك هي أمنية من يتجرأ ويعتبر نفسه صديقاً لك.

وداعاً، لا تزعلني من لجاجتي في طلب الصدقة. على فكرة، طباعي متترفة مقيمة، في بعض الأحيان، وليس على الدوام. وهذا ما يخفف عليّ. شدّي، بالنيابة عنّي، على يد ابنك ميخائيل ميخائيلوفيتش. فما أروعه من فتى. أشد على يدك وأقبلها، مع فائق التقدير والاحترام.

المخلص ف. دوستويفسكي

(1) المقصود إصدار مجلة «الوقت» الشهرية.

72. إلى يعقوب بولونسكي

بطرسبورغ، 31 يوليو 1861

عزيزي الغالي يعقوب بتروفيتش. أرجو المغذرة لأنني لم أكتب لك من زمان. والله العظيم كنت مشغولاً على الدوام. فقد سافرت إلى موسكو للتجول ولو لـ 10 أيام فقط. لكنني أهملت عملي خلالها، ولذا انكبت عليه من اليوم الأول لشهر يوليو وحتى نهايته^(١). وأنا عندما أعمل، تلك هي طبيعتي، لا أعبأ بالأمور الأخرى أو كتابة الرسائل حتى إنْ وجد قليل من أوقات الفراغ.

ولذا لم أكتب لك حتى الآن. فهل تسامحني؟

كيف حالك عموماً؟ والأهم كيف صحتك؟ ماذا تفعل؟ هل تكتب؟ أنا أقرأ جميع رسائلك، ولكنك لا تكتب فيها عن نفسك إلا القليل. بالمناسبة، متى تعود؟ وهل ستقضي كل الأوقات في النمسا؟ إيطاليا جنبك على ما يبدو، ألن تغويك فتسافر إليها؟ لقد حالفك الحظ. كم مرة حلمتُ، منذ الطفولة، بالسفر إلى إيطاليا؟ من روايات رادكليف التي قرأتها وأنا في الثامنة من العمر. مختلف الشخصوص مثل ألفونس وكاثرين ولوتشيا انغرزوا في دماغي. أما الدون بيدرو والدونا

كلا را وأمثالهما فلا يزالون يجولون في ذهني حتى اليوم. ثم جاء دور شكسبير- فيرونا، روميو، جولييت. يا لها من مسميات جذابة (تدعونني): شد الرحال إلى إيطاليا، من كل بد. وبدلاً من إيطاليا وجدت نفسي (منفيًا) في سيمبالياتينسك، قبلها في منزل الأموات. هل يعقل أنني لا أستطيع الآن أن أسافر إلى أوروبا حيث بقي شيء من الطاقة والحماسة والشاعرية؟ هل يعقل أنني سأسافر إلى هناك بعد عشر سنوات أوزيد لأدفع العظام الشائخة من الرومانتيزم وأسخن صلعتي الجراء في شمس الضحى؟ هل يعقل أنني سأقضي دون أن أرى شيئاً؟ ولكن ذلك لا يتوقف عليك. فلننتقل إذن إلى مواضيع أخرى. في البداية عنك. فهل تكتب شيئاً يا عزيزي الغالي؟ فصولك الثلاثة نشرناها⁽²⁾ في يونيور، وتركت أصداه متباينة جداً. أولاً- الأصداه عموماً غير مكتملة، وهذا مفهوم. فالرواية عندما تنشر كاملاً تترك انطباعات أقوى بكثير. تعليقات القراء، كما سمعت، مختلفة، لكن الشيء الجيد هو أن أصحاب التقرير ينقسمون إلى فترين على طرفي نقىض: مستحسن ومستهجن. وهذا أفضل ما في الأمر. فهو يعني عدم وجود الوسطية الذهبية لعنها الله. البعض معجبون جداً يشنون على النتاج كثيراً ويذمرون كثيراً أيضاً لغياب البقية. وقد أعلن أحد الأشخاص ممن يتحلون بالذكاء أن الرواية لا تعجبه إطلاقاً «كونها لا تحتوي على تطوير، وبالتالي فهي غير موجودة». وأجابه شقيقه أن تطور الرواية لا يزال في بدايته. فدهش الرجل لهذا الكلام، وفغر فاه استغراياً. كان يتصور أن الفصول الثلاثة هي الرواية بكمالها. ولم يكن قد لاحظ الإشارة إلى أن البقية ستنشر لاحقاً. الصديق ستراخوف حفظ فصولك الثلاثة عن ظهر قلب. وهو يحب الاستشهاد بها دائمًا. ونحن أيضاً عندما نجتمع معاً في بعض الأحيان نزج أشعارك في

الحوار بمناسبة وبغير مناسبة. في المضمار الأدبي لم تظهر بعد، كما هو واضح لك، تعليقات على الرواية، ما عدا الذين لا يصبرون طويلاً دون أن يسلطوا سيف النقد والملامة. جاء الانتقاد من شلة مينايف وكوروتشكين وأمثالهما الذين يتصورون أنهم يشكلون حزباً. ن. كوروتشكين، شقيق فاسيلي، تسلم رئاسة تحرير «المصور». الرجل المناسب في المكان المناسب. إنهم ينتقدون الشعر في الرواية. ويُسخر مينايف من قوله «برغوث الحياة لسعه» ويقارن بينك وبين كوسكوف الذي يكتب عن البعض والذباب فقط. بديهي أن بذاءات هؤلاء الأدعية وتوصيفاتهم الناية لا أهمية لها ولا معنى. في موسكو رأيت أوستروف斯基. وكان نكراسوف الذي مر بموسكو قبلى قد زاره. قال لي أوستروف斯基 إن نكراسوف معجب جداً بروايتك. وقد أعلن شقيقـي (في مجلة «الوقت») أن بقية الرواية ستنشر في سبتمبر. حسناً فعل أم لا؟ صحيح أن من الضروري مواصلة النشر حتماً وبسرعة، فذلك يصب في مصلحتك ومصلحتنا طبعاً. ولذا لا جدوى من التأجيل. وستترك الرواية صدى عند الجمهور. أنا أعرف كيف تتطور الأحداث عندك في الرواية. وسيتأثر الجمهور بشدة إذا قدمت له روایتك باستقلالية وحزم. أنا، مثلاً، أأسأ لنفسي كثيراً عندما مططـت «مذلون مهانون» حتى شهر يوليو وأضعفـت تأثيرـها. والآن أنهيتها والحمد للهـ. بحلول الشـتاء تصدر على حـدةـ. بعـتها لأـحدـ النـاـشـرـينـ بـ1000 روـبـلـ، وماـ كانـ بـالـإـمـكـانـ أـكـثـرـ. المـجـلـةـ تـتـوـاـصـلـ،ـ وـالـاـكـتـابـ عـلـيـهـاـ مـسـتـمـرـ حتـىـ الآـنـ،ـ وإنـ كانـ طـفـيـلـاـ.ـ فـيـ عـالـمـ الأـدـبـ كـثـيرـ مـنـ الـمـجـادـلـاتـ؛ـ وـلـكـنـ لـيـسـ حـولـ الأـدـبـ،ـ بلـ بـمـعـنـىـ الـكـتـابـاتـ الصـحـافـيـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ.ـ تـشـيرـنـيـشـيـفـسـكـيـ بدـأـ سـلـسلـةـ مـقـالـاتـ عـنـ الصـحـافـةـ الـمـعاـصـرـةـ،ـ يـرـدـ فـيـهاـ بـالـأـسـاسـ عـلـىـ خـصـومـهـ.ـ وـهـوـ يـكـتـبـ بـحـمـاسـ كـبـيرـ

يحفز الجمهور، وهذا مهم. عرض آرائه بأصالة ووضوح. وفي تلك الأصالة تكمن نواقصه، طبعاً. ولربما يكون لنا رأي بخصوص مجادلاته سنعرضه (في «الوقت») بكل حيادية. معركتنا مع «البشير الروسي» مستمرة. يمكن الكلام عن ذلك كثيراً، ولكن الأفضل أن تقرأ بنفسك. (...) نعيش الآن في (ضاحية) كوتلوفسكايا، حياتنا ليست مرحة وليس مملة. فالعمل كثير. أعتقد أن المجلة تكسب المزيد من تعاطف القراء. فهم يهتمون حتى اليوم بكل عدد منها.

إذا نشرت هذا العام ثلاثة فصول أخرى من روايتك فستقدمها للجمهور بشكل بارز ومكتمل. وسيعرف القراء مع من يتعاملون وسيظلون يتظرون الكثير من الرواية. حتى المنتقدون الأكثر تهجماً يعرفون ماذا عليهم أن يقيّموا الآن، كما يعرفون أن الرواية جيدة. نحن لم نخطئ عموماً، فقد كتب لهذه الرواية أن يكون لها تأثير وأهمية.

وداعاً، يا صديقي الغالي، أعانفك بحرارة.

المخلص ف دوستويفسكي

ملاحظة: عد إلينا بسرعة.

- (1) كان دوستويفسكي آنذاك يعمل على خاتمة «مذلون مهانون» لمجلة «الوقت»، وكذلك الفصول الختامية للجزء الأول من «ذكريات من منزل الأموات»، بالإضافة إلى مقالات عن الأدب الروسي.
- (2) من رواية شعرية بعنوان «قالوا أخيراً» نشرتها مجلة «الوقت» عام 1961.

ثالثاً:

ما قبل «الجريمة والعقاب»

(1866)



73. إلى ألكسندر أوستروفسكي

بطرسبرغ، 24 أغسطس 1861

السيد الكريم ألكسندر نيكولايفيتش!

يطيب لي أن أحطكم بأنني استلمت منكم كتاب بالزامينوف⁽¹⁾ الفريد قبل ثلاثة أيام، وشرعنا بقراءته أنا وأخي. وكان هناك عدة مستمعين آخرين، ليسوا أدباء، ولكنهم من ذوي الذوق السليم. ور هنا نقهقه لحد الألم في الخاصرة. ماذا عساي أن أقول لكم عن «مسرحياتكم»؟ فأنتم تريدون مني رأياً صادقاً تماماً ومن دون مجاملات. يمكنني أن أجيب بكلمة واحدة: روعة. ذلك الركن من موسكو الذي استرعى انتباهم مجسد بصورة نموذجية حتى خيل إليَّ أنني جالس أتحدث بنفسي مع بيلوتيلوفا. عموماً بيلوتيلوفا هذه والفتيات والخطابة والأم، وأخيراً البطل نفسه (بالزامينوف) كلهم يشعون حيوية في لوحة متكاملة لدرجة يخيل إليَّ فيها أنها لن تخبو في ذهني أبداً. الكابتن عندك فقط يبدو متعدد الوجوه. متمسك بالواقع ولا شيء آخر. ولربما أنني لم أنتبه إلى ذلك تماماً من القراءة الأولى. بدبيهي أنني سأقرأ مسرحيتكم الكوميدية خمس مرات أخرى. إلا أن



الكسندر أوستروف斯基

كراسافينا ينبغي أن تتحل المرتبة الأولى بين الخطابات في مسرحياتكم. وقد رأيتها آلاف المرات، وكانت أعرفها، ، كانت تتردد على بيتنا، عندما عشت في موسكو وأنا في العاشرة من العمر. أنا أتذكّرها .

على فكرة، بعض المستمعين والمستمعات إلى مسرحيتكم استخدموها بيلوتيلوفا كاسم علم. وراحوا يشيرون إليها ويبحثون في الذاكرة عن الفتيات (شخوص المسرحية) من عائلة بيجينوف.

إنني وأخي شاكران وممتنان لكم كل الامتنان. وقد طلب مني أخي أن أحيطكم علمًا بأنه سيبعث لكم النقود في آخر الأسبوع الحالي ، أي بعد ثلاثة أيام من كتابة هذه الرسالة.

تقولون إنكم فكرتم بكتابة المزيد لمجلتنا. نرجوكم ، لوجه المسيح ، لا تخلوا عن هذه الفكرة الطيبة. نحن لن نستعجلكم ، إلا

أنتا ستنتظر بفارغ الصبر. المصحح لدينا جيد جداً، وهو طالب متمكن من عمله، وإذا رجوناه يبذل قصارى جهده ويبدي اهتماماً خصوصياً بما يصححه. سأكلمه بنفسي في هذا الشأن. قبل قليل قرأت رسالة بولونسكي من تبليته. لا يزال مريضاً، ويشعر بضجر شديد. في الخريف سيعود إلينا. روايته لم تعجب الكثيرين في بطرسبورغ. إلا أننا سمعنا إطراة كبيرة من البعض. قلة الإعجاب من المرة الأولى أفضل. فهي مؤشر جيد في مفهومنا.

ونفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير.

المخلص ف. دوستوفسكي

(1) مسرحية أوستروفسكي «زواج بالزاميروف» نشرت في «الوقت» عام 1861.

74. إلى نيكولاي ستراخوف

باريس، 26 يونيو 1862

عزيزي نيكولاي نيكولايفيتش⁽¹⁾. في مطلع يوليو تسفر إلى الخارج. في أمان الله وحفظه. في ذلك الحين سيكون الطقس رائعاً، وهذا وحده كافٍ، ما دام الطقس معتكراً الآن في كل مكان من أوروبا. ولكتني أشعر بالذعر عندما أتذكر أنك ستترك (أخي) ميخائيل ميخائيلوفيتش وحيداً. يا عزيزي نيكولاي نيكولايفيتش! الوقت حالياً رديء، وقت الانتظار المملا الكثيف، على حد تعبيرك⁽²⁾. إلا أن المجلة شيء عظيم، تمثل نشاطاً لا تجوز المجازفة فيه، لأن المجالات يجب أن تبقى مهما كلف الأمر وسيلة للتغيير عن مختلف تلاوين الآراء المعاصرة. وهذا النشاط، بمعنى الفعل والكلام والكتابة، متوفّر دوماً. يا إلهي، كلما أفكّر فيما لا يزال يحتاج إلى عمل وكتابة أتوق إلى الرحيل من هنا، من هذا «البعيد السعيد»⁽³⁾، بالروح إن لم يكن بالبدن، إليكم في روسيا. كل فرد يجب أن يعمل الآن، والأهم أن يجد السبيل إلى العقل السليم. فقد احتلّت المفاهيم عندنا في المجتمع كثيراً. وحصل سوء فهم. أنت تقول،

يا عزيزي نيكولا يفيتشن، إنك ت يريد أن تصافر أولاً إلى موسكو. حذار أن يلتئم عليك أساطين الصحافة هناك. وقد يغريك كاتكوف في ساعة مشؤومة بنظرية مسيطرة على ميدان تجريدي لا حدود له... كلا، أنا أمزح. آه يا عزيزي الحبيب، ما أشد رغبتي في لقائك هنا. على أية حال أظن أن ذلك أمر ممكناً ولازم تماماً. بشرط أن لا تختلط العناوين. المهم أن تذكر تاريخ 15 يوليو، من توقيتنا، وليس قبل هذا التاريخ أنا أغادر باريس إلى كولونيا. وسأقضى يوماً في دوسلدورف، ثم أستقل الباخرة إلى أعلى الراين حتى ماينتس، ومن هناك إلى أورلاند، أي ربما إلى بازل وهكذا. يعني أنني سأكون في بازل يوم 18 أو 19 من الشهر حسب توقيتنا، وفي 20، 21 أو 22 سأكون في جنيف. وبالتالي فإن أي رسالة منك، من أي مكان، إذا وصلت إلى باريس ليس بعد الـ 15 من يوليو سأستلمها وسأعرف أين أجده. وحتى إذا كتبت لي، مثلاً، من برلين أو درزدن أنك ستكون في التاريخ الفلاسي في المكان الفلاسي، ويمكنك حساب ذلك دوماً قبل عشرة أيام، فسأبحث عنك هناك. وإذا اقتنيت دليل ريهارد سترنر الفنادق وأسعارها في كل مدينة. ويمكنك، على سبيل المثال، أن تكتب لي وأنت في برلين بأنك ستتوقف في جنيف في التاريخ الفلاسي وفي الفندق الفلاسي. وسأستفسر عنك في ذلك الفندق. ويمكن أن تصل إلى جنيف ولا تنزل في ذلك الفندق إذا اعتبرته غير مريح وتأخذ فندقاً آخر فإن ذلك لا يمنعك إطلاقاً من ترك عنوانك في الفندق المتفق عليه سابقاً ليقدموه لمن يسأل عنك، أي لي. وبالمقابل تعطني لبواب الفندق إكرامية، فرنكاً واحداً. وبهذه الصورة سأجده حتماً. الفضول يدفعني أيضاً إلى معرفة تفاصيل رحلتك. أقول لك، يا نيكولا يفيتشن، إن باريس مدينة مملة

جداً. ولو لم يكن فيها الكثير من الأشياء الرائعة حقاً، لقتلنا الملل في الحقيقة والواقع. والفرنسيون، والله، شعب يبعث الغثيان. تحدث عن وجوه وقحة متعالية ومقرفة تصول وتتجول في حماماتنا المعدنية⁽⁴⁾. ولكنني أقسم لك أن الموجود هنا لا أقل من ذلك. عندنا مجرد أندال من (أكلة لحوم البشر) يقومون بتلك التصرفات عمداً في الغالب. أما هنا فهم وانقون تماماً بأن ذلك هو المطلوب. الفرنسي هادئ نزيه مهذب، لكنه مزيف، المال بالنسبة له كل شيء. وليس لديه أي مثال أعلى. ولن تجد عنده حتى التأملات، ناهيك عن المعتقدات. مستوى التعليم العام واطئ، في حده الأدنى. أنا لا أقصد العلماء النحارير. إلا أن عدد هؤلاء قليل. ثم هل الدرجة العلمية هي التعليم بالمعنى الذي تعودنا عليه لهذه الكلمة؟ ولعلك تضحك من أحکامي هذه ولم يمض علىّ في باريس سوى عشرة أيام. أوافقك. ولكن، أولاًـ ما رأيته في هذه الأيام العشرة يثبت صحة فكريتي لحد الآن. ثانياًـ ثمة وقائع تكفي نصف ساعة للاحظتها وفهمها، لكنها تجسد جوانب كاملة من الوعي الاجتماعي كونها ممكنة موجودة.

هل ستعرج على باريس؟ لاحظ: لا قيمة لزيارة باريس لمدة ثلاثة أيام. وإذا خصصت لها، كسائح، أسبوعين، فستشعر بالملل. أما المجيء إلى هنا لغرض الأعمال فهو مبرر. هناك الكثير مما يستحق الرؤية والدراسة. يتعمين علىّ أن أبقى بعض الوقت في باريس، ولذا أريد أن أراها وأدرسها من دون تكاسل ودون أن أضيع الوقت، بالقدر الممكن لسائح بسيط مثلّي. ولا أدرى هل سأكتب شيئاً ما؟ إذا رغبت جداً ما المانع من الكتابة عن باريس؟ إلا أن المشكلة: لا وقت لدى هنا أيضاً. الرسالة الجيدة من الخارج

تتطلب، على أية حال، جهداً لثلاثة أيام. فمن أين لي هنا بهذه الأيام الثلاثة؟ لا أدرى⁽⁵⁾.

ثم، يا عزيزي نيكولا يفتش، أنت لا تصدق كيف تأخذ الوحشة والوحدة هنا بخناق الروح. ذلك إحساس ثقيل كثيف. لنفترض أن الشخص وحيد وليس هناك من يشفق عليه. إلا أنه يشعر، على أية حال، بأنه انتزع قدميه من التربة المعهودة وابتعد عن الأعمال الملحة البطيئة وعن المسائل العائلية الجارية. صحيح أن الطقس المعتكر لا يزال يشوش على في الخارج وأنني لا أزال أتواجد في شمال أوروبا ولم أر من عجائب الطبيعة سوى الراين وشواطئه. هذه أujeوبة بالفعل، يا نيكولا يفتش. وسأرى المزيد عندما أهبط من الألب إلى سهول إيطاليا. يا ليتنا نرى نابولي معاً، ونتجول في روما ولربما نداعب شابة من فينيسيا في الجندول. ها..؟ ما رأيك يا نيكولا يفتش؟⁽⁶⁾ ولكن... «السكتوت أفضل» في موقف مثل هذا، كما يقول بوبريشين⁽⁷⁾.

وداعاً يا نيكولا يفتش. أنا لم أكتب لك أية تفاصيل عن انطباعاتي في الخارج، ذلك لأن الرسالة لا تتسع لكل شيء دفعه واحدة، في حين أنني لا أستطيع الكتابة على أجزاء. ثم إن انطباعاتي لحد الآن لا تستحق الذكر. فقد مضى على 19 يوماً فقط في الخارج. أعانقك من صميم القلب. بلغ تحبّاتي إلى العزيز الطيب تبيلين الذي صرت أحبه مؤخراً ولا أدرى على أية أفضال، وكذلك إلى يغفينا كارلوفنا العزيزة العوقة. كيف صحتها؟ على فكرة: إذا سافرت إلى موسكو فإن رسالتي على الأرجح لن تصلك في بطرسبورغ. على أية حال سأكتب عليها أيضاً عنوان هيئة تحرير «الوقت».

وداعاً. والأفضل إلى اللقاء. فلا محيسن من لقائنا في الخارج.

أنا لن أسامع نفسي إذا لم نلتقي. أشد على يدك بحرارة. تحياتي إلى جميع معارفنا. كيف سلوك قطك غير المؤدب؟
وداعاً. (8)

المخلص ف. دوستويفسكي

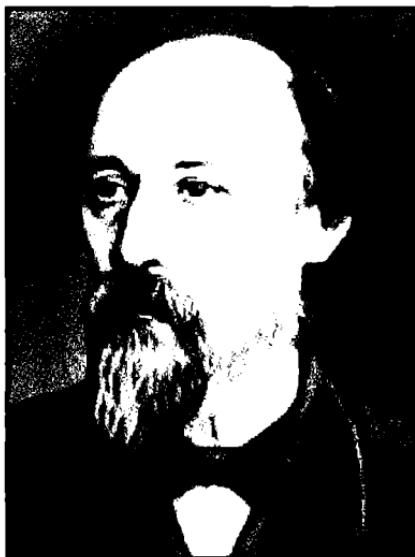
- (1) محرر في مجلة «الوقت».
- (2) إشارة إلى صعوبات مجلة «الوقت» بعد تعقد الموقف السياسي في روسيا.
- (3) ورد هذا التعبير لأول مرة عند نيكولاي غوغول، «النفوس الميتة»، المجلد الأول، الفصل الحادي عشر.
- (4) وهي حفلات ترفهية متهدكة كانت تقام في ضواحي بطرسبورغ تحت مسمى «المياه المعدنية».
- (5) انطباعات دوستويفسكي عن رحلته إلى الخارج تجسدت فيما كتبه بعد العودة بعنوان «ذكريات شتاء عن مشاعر صيف».
- (6) التقى دوستويفسكي مع ستراخوف آنذاك في جنيف، ثم قاما معاً بجولة في إيطاليا، وأمضيا قرابة أسبوع في فلورنسة.
- (7) في «مذكرات مجنون» لنيكولاي غوغول (1835).
- (8) في الأصل بالإيطالية.

75. إلى نيكولاي نكراسوف

بطرسبرغ، 3 نوفمبر 1862

بوسعك، يا نيكولاي ألكسييفيتش الطيب الموقر، أن تحكم بنفسك على شدة ألمنا لحرماننا من أشعارك. ولكن ما العمل إذا كانت تلك مشيتك؟ على الأقل يمكنك أن تفي بوعدك بعد استئناف صدور «المعاصر»⁽¹⁾ آنذاك ستفي بالوعد طبعاً. ولن يتهمك أحد. الأفضل أن تلومنا في عدد ينابير القادم من «المعاصر»، وأعطانا الأشعار لعدد مجلتنا في فبراير.

ولا يسعني، بالمناسبة، إلا أن أعترف لك بأمررين أو على الأصح بشكوكى مرتين: 1) كيف لشخص شهير في الأدب مثلك، وشاعر فضلاً عن ذلك، أن يرتعش أمام رأي⁽²⁾ عابر وغير وجيه ولا مؤكد بطبيعته؟ 2) لماذا تتصور أن مشاركتك في مجلتنا «الوقت» تحط من سمعتك وتسوق الدليل على الإشاعات القائلة بأنك خنت تشيرنيشيفسكي؟ فهل مجلتنا رجعية؟ أعتقد كلا، حتى في رأي خصومنا. يمكن قول كل شيء عنها ما عدا الرجعية. أنا أنسّب هذا الرأي ليس إليك. أنا أرد فقط على شكوكك في أن الجمهور سيتهمك



نيكولاي نكراسوف

بالرجعية والردة إذا نشرت قصائده في مجلتنا. علماً بأنني واثق بأن الجمهور لا يعتبرنا رجعيين.

وثمة نقطة أخرى: في العام الفائت أيضاً نشرنا قصائد لك. في حين أن مجلتنا ظلت على حالها⁽³⁾، ولم يذنبك أحد بسبب المشاركة فيها.

على أية حال سنتنطر، سنتنظر بفارغ الصبر الإيفاء بوعدك. والآن لا حيلة في الأمر. إلى اللقاء.

المخلص من صميم القلب
فيودور دوستويفسكي

ملاحظة: أخي غير موجود في البيت، سأبلغه، وسيأسف أشد الأسف.

-
- (1) مجلة نكراسوف احتجبت آنذاك لمدة ستة أشهر بعد اعتقال تشيرنيشيفסקי واستأنفت الصدور في يناير 1863.
 - (2) يقصد دوستويفسكي الإشاعة التي سرت في الأوساط الأدبية من أن نكراسوف «خان» مجلة «المعاصر» وغير اتجاهها.
 - (3) فيما بعد عاد نكراسوف لنشر قصائده في «الوقت».



76. إلى إيفان تورغينيف

بطرسبرغ، 19 يونيو 1863

العزيز الموقر إيفان سرغيفتش. أرجو أن تعذرني، بالله عليك، لأنني لم أرد على رسالتك الأخيرة من بادن. وفوق ذلك أنا مذنب جداً بحقك لعد تأنيب الضمير بشدة وجدية لأنني لم أرد على رسالتك اللتين سبقتا رسالة بادن. والحال فإن رسالتك الأخيرة وصلت في وقت عصيب للغاية، خلال منع مجلتنا^(١). كانت هنالك هموم ومشاغل وأحزان وغيرها من السينمات والمنغصات لدرجة لم أتجرا فيها طوال شهر على التقاط ريشة الكتابة. فهل تصدق ما أقول؟ أما بخصوص الرسالتين الأقدم فإن إصابة زوجتي بالسل ومفارقتها لها، حيث تركت بطرسبرغ لفصل الصيف أو لوقت أطول، بعد أن قضت الربيع فيها دون أن تموت، علماً بأنني رافقتها من بطرسبرغ التي لم تعد تحمل طقساها، ثم مرضي الخطير والطويل نسبياً بعد العودة من (موسكو) كل ذلك أعاقي هذه المرة أيضاً عن الكتابة لك حتى الآن. بمعنى أنه لو كان المطلوب مجرد الجواب تمسكاً بأصول اللياقة لوجدت وقتاً لهذا. ولكنني، على ما أتذكر، أردت أن أنكلم



إيفان تورغينيف

معك، أو على الأصح أردت أن أصف لك بالتفصيل ما كان يجري آنذاك في أدبنا. ولهذا الغرض بقىت أبحث عن الفرصة المناسبة حتى ضيعت الوقت.

إذن، مجلتنا ممنوعة، ولعلك تعرف بذلك على افتراض وجود صحافة روسية في بادن. جاء المنع مباغتناً بالنسبة لنا على أية حال. ففي شهر أبريل نشرنا مقالة بعنوان «المسألة المصيرية». وأنت تعرف اتجاه مجلتنا، وهو في الغالب روسي، بل ومناوئ للغرب. فهل يعقل أننا ندافع عن البولنديين؟ ورغم ذلك اتهمونا بمعتقدات غير وطنية وبالتعاطف مع البولنديين ومنعوا المجلة بسبب مقالة هي باعتقادنا في منتهى الوطنية. صحيح أن في المقالة بعض الحرارة وبعض التحفظات في التعبير، ما أعطى حجة لتأويلها بشكل خاطئ. وكانت هذه التحفظات، كما نرى الآن، خطيرة بالفعل، ونحن المذنبون في ذلك. ولكننا كنا نعقد الآمال على الاتجاه السابق لمجلتنا والمعلوم

في الأوساط الأدبية، وتصورنا أن المقالة ستتحظى بالفهم ولن تفهم التحفظات فيها بشكل معكوس. تلك كانت غلطتنا. فكرة المقالة، وهي بقلم ستراخوف، أن البولنديين يحتقروننا كبرايرة ويتباهون أمامنا بأنهم أرقى منا بحضارتهم الأوروبية وبأننا أوطأ منهم لدرجة لا يبقى معها أي مجال تقريرياً للتحصالح الأخلاقي الأمتن والأوثق بيننا وبينهم. وطالما أساء القراء فهم نص المقالة فقد أولوها على نحو يقول إننا أنفسنا نؤكد أن البولنديين أرقى منا حضارياً، وأنهم بالطبع على حق ونحن مذنبون. وأخذت بعض المجلات، ومنها مجلة «اللّيوم»، تدلل جدياً على أن الحضارة البولندية سطحية فقط، وهي أرستقراطية جزويتية، وبالتالي فهي ليست أرقى من حضارتنا. تصور أن تلك المجلات ثبتت ذلك لنا، بينما نحن كنا نقصد الشيء ذاته في مقالتنا. والأكثر من أنها تدلل على ذلك في الوقت الذي نقول فيه نحن أن هذه الحضارة البولندية التي يمتدحونها إنما كانت ولا تزال تحمل الموت في صلبها، في قلبها. هذا ما جاء في مقالتنا بالحرف الواحد. واللافت للنظر أن أشخاصاً كثيرين جداً غير رسميين ممن أعلنوا الحرب الشعواء علينا لم يقرأوا مقالتنا، حسب اعترافهم. ولكن فلنكتف بهذا القدر. فما فات فات، ولن نعيده إلى الحياة.

تقول إنك تنوی الإقامة في بادن - بادن طول الصيف. تصور أنني يمكن أن أتحقق في بادن⁽²⁾. سأطلب ترخيصاً بالسفر إلى الخارج وأأمل أن أسافر. أنا مريض جداً بالصرع الذي يستد طول الوقت ويقودني إلى اليأس والقنوط. ليتك تعلم مدى الكآبة التي تنتابني أحياناً بعد نوبة الصرع، وتلازمني عدة أسابيع. أنا أسافر إلى برلين وباريس، لفترة قصيرة إن أمكن، لغرض واحد هو استشارة الأطباء المتخصصين بالصرع، مثل بروسو في باريس ورامبر في برلين. فليس

عندنا اختصاصيون، وأنا أتلقي توصيات متباعدة ومتناقضة من أطبائنا المحليين جعلتني أفقد الثقة بهم تماماً. إذا كنت سأصل إلى مكان غير بعيد عنكم فسأتعمد زيارتك لأراك.

فيما يخص طلبك بشأن التقاد لم يتمكن أخي من تلبيه، يا إيفان سيرغيفيتش المحترم. أولاً لأن المجلة لم تعد موجودة، وثانياً لأنه، وأنا أعترف صادقاً، في إفلاس تام بسبب منع المجلة وأسرته تكاد تضطر إلى التسول. فلا تطالعنا بشيء.

إلى اللقاء، يا إيفان سيرغيفيتش العزيز، لربما سنلتقي في القريب العاجل. لا أكتب لك الآن أكثر من ذلك. ولا أدرى هل ستتشب الحرب⁽³⁾، إلا أن روسيا كلها والقوات والمجتمع، بل وحتى الشعب، في أمزجة الوطنية كما في عام 12.⁽⁴⁾ أقول ذلك من دون مبالغة. فقد انطلقت حركة عظيمة. ومهما يكن من أمر، أوروبا لا تعرفنا جيداً. إنها حركة عارمة شاملة.

إلى اللقاء.

المخلص ف. دوستويفسكي

19 يونيو

يطيب لي جداً أنني تباطأت في إرسال الرسالة إليك ليوم واحد. بالأمس علمت برسالتك إلى فالنتين كورش⁽⁵⁾. يا إلهي! أي حق لنا الآن، وحتى في السابق، بما تكتبه ولم ننشره في مجلتنا؟ لا سيما وأنك كنت بالطبع تستطيع في السابق وفي فترة وجود «الوقت» أن تنشر مقالاتك عن بوشكين خيشما تشاء، ذلك لأنك وعدتنا برواية، وهو أمر عزيز علينا وخاصة كناشرين للمجلة، لأن المنافسة الأشد لدى الصحفيين تدور على الدوام تقريباً، والآن خصوصاً، حول الروايات

والقصص الطويلة. كما أنك تكتب إلى فالنتين فيودورو فيتش متسائلاً: «هل يسمح لي الأخوان دوستويفسكي أن أنشر مقالاتي في مجلات أخرى؟». فبأي حق نحول دونك ودون النشر، لا سيما وأن أخي لم يلب حتى الآن طلبك بخصوص النقود؟ أريد أن أقول لك، يا إيفان سرغيفيتش الطيب، إذا كنت تستطيع، بمعنى إذا وجدت أدنى إمكانية لإرجاء طبع «الأشباح»⁽⁶⁾ حتى الخريف فأرجئها بالله عليك. قبل ثلاثة أيام لم أكن أفكر أن أكتب لك عن ذلك لبعض الأسباب. ولكتني الآن أقول إن لدينا بعض الأمل في كون مجلتنا قد منعت من الصدور مؤقتاً فقط. نحن لا نعرف ذلك بالتأكيد، إلا أن ثمة دافع وجيهة للتفكير على هذا النحو. سيتضاع ذلك إيجابياً في سبتمبر. وأكيد أنك، يا إيفان سرغيفيتش، تدرك أن هذا مجرد رجاء صرف إليك، فنحن لم ولا نستطيع أن نفرض حقوقاً على أي كان. لقد وعدتنا طوعاً ولم تربط نفسك معنا بأية روابط فيما يخص النقود، على سبيل المثال، أو أي شروط أخرى. فأية حقوق يمكن أن تكون لدينا؟ أنا نفسي أديب، وأعتبر أي مطالبة من جانبنا وقاحة. وبالتالي هذا مجرد رجاء أخوي لا أكثر.

والحال فإن مجلتنا واصلت الصدور حوالى عامين ونصف من دون دعم كبير من أدبائنا المشهورين. وأنت لم تعطنا شيئاً، في حين أن مجلتنا نزيهة، هذا أولاً - ثانياً - كانت تفهم الأدب ومغزاه ورسالته وحقوقه بأفضل من «المعاصر» و«البشير الروسي». وكان من شأن دعمك أن يمنحك «الوقت» مزيداً من القوة. فلو كنا قد صدرنا في ينایر ناشرين قصة طويلة لك لكان عدد مشتركتينا 55000 بدلاً من 4500. هذا أكيد. أنا الآن أكرر هذا الكلام، وقد سبق وقلته في ينایر. ول يكن مفهوماً، يا إيفان سرغيفيتش، إذا عادت المجلة إلى

الصدور، ربما ابتداءً من الخريف، فكم ستكون كبيرة أهمية دعمك لها؟ وإذا انفتحت «الوقت» منك في هذا الوقت العصيب بالنسبة لها فلربما يكون الفوز وارداً تماماً. ولذا أجلُّ، إن أمكن، تسليم «الأشباح» إلى مجلة أخرى حتى الخريف. إذا كنت تستطيع بالطبع. ونحن لا نمتلك الحق مطلقاً في التضييق عليك بأي شكل من الأشكال. وحتى طلبي هذا يمكنك أن ترفضه بلا تردد إذا كان لا يروق لك قيد أمنلة. الشيء الوحيد الذي أعرضه عليك هو أنك يمكن أن تشارك جوهرياً في (إنفاذ) المجلة، وذلك، باعتقادي، من أجلك أيضاً. هذا كل ما أستطيع أن أقوله لإقناعك. وداعاً وإلى اللقاء.

المخلص ف. دوستويفسكي

-
- (1) منعت مجلة «الوقت» لأن السلطات اعتبرتها مزعجة للحكومة.
 - (2) أثناء مكوثه في بادن- بادن في 4-8 سبتمبر 1863 التقى دوستويفسكي تورغينيف عدة مرات.
 - (3) المقصود احتمال اندلاع حرب بين روسيا وأوروبا بالارتباط بالانتفاضة البولندية عام 1863.
 - (4) حرب نابليون على روسيا عام 1812.
 - (5) صاحب جريدة «واقع سان بطرسبورغ»
 - (6) نشرت «الأشباح» في العام التالي بمجلة الأخرين دوستويفسكي «العصر».

77. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

تورينو، 8 سبتمبر 1863

كتبت، يا عزيزي الطيب ميشا، عن الصعوبة التي لا يعرف مداها إلا الله في قراءة رسالتي وتلبية طلبي بشأن التقادم⁽¹⁾. ولكن، لو علمت، يا صديقي، بمدى ألمي من فكرة أنك ستواجه من كل بد وضعاً عصياً بسبب رسالتي لقلت بنفسك إنني عوقبت بما فيه الكفاية على فشلي. عموماً أنا تعذبت في قضاء الوقت في تورينو المضجرة هذه بانتظار رسالتك، والأهم أنني تعذبت من الحنين إليك وإلى الأهل جميعاً. فمنذ أن خادرت بطرسبورغ لم أستلم وأنا في بلاد الغربة حتى الآن أيّ خبر من أيّ منكم. الله يعلم ماذا ظنت بك، وكم استغربت لحد جعلني أكاد أموت من القهر. ولا موجب للكلام عن آلامنا البدنية، فهي غير موجودة. ولكننا كنا نرتعد هلعاً في كل لحظة متوقعين أن يقدموا لنا فاتورة الحساب من الفندق ونحن لا نمتلك كوبيكاً واحداً. تلك فضيحة يرافقها استدعاء البوليس. هذا هو الحال هنا. من دون أي تساهل إنْ لم يكن هناك وكيل متعدد أو حاجيات ذات ثمن)، وأنا لست وحدي⁽²⁾. لقد رأينا أمثلة على ذلك.

يا للحقاره. في جنيف رهنت ساعتي لدى رجل كريم حقاً، لم يأخذ فائدة مئوية على إقراض شخص أجنبي. لكنه أعطاني مبلغاً زهيداً. ولن أستعيد الساعة حالياً، فأنا محتاج إلى النقود، وهي رهنت خاتتها. ولدينا عقد مكتوب ينص على الاستعادة في أواخر أكتوبر، حسب التقويم المحلي. ولكن تلك حاجيات لا تستحق الذكر.

المهم، ماذا يجري لك؟ هذا هو المهم بالنسبة لي. أكرر، الشيطان وحده يعرف ما ظنته من ظنون. تصورت أنك ستخبرني شيئاً ولو قليلاً عن المجلة. لكنك تكتب باختصار كبير ولم تنشر إلى المسألة ولو بكلمة. فكيف يجوز ذلك؟ أخبرني بالله عليك. المهم يجب أن نعمل، ونحاول. فإن لم يكن استثناف «الوقت» يجب التفكير في مجلة أخرى يمكن إصدارها. وإلا سنهلك. أنا أشعر أنني بحاجة إلى الكثير من المال لتعطية احتياجاتي لثلاثة أشهر على الأقل لأعكف على كتابة الرواية⁽³⁾. وإلا فلن تكون هناك رواية. ولكن من أين لي بالنقود؟ أنا ربما سأدبّر حالي بشكل ما. وأنت؟ ماذا ستفعل والعائلة على كاهلك؟ باختصار، أنا أرغب في العودة عاجلاً. أنت تسأل لماذا تركت باريس بهذه السرعة؟ أولاً - باريس بعثت في نفسي الاشتماز. ثانياً - راعت وضع المرأة التي ترافقني في الرحلة. قرأت ما كتبته عن نيكولاي باكتناب. وأنا لا أثق (بالدكتور) بيسير. فهو محثال وليس طيباً. إنه ليس (بمنزلة) بوتكين. تحبّاتي إلى نيكولاي. قم بزيارةه. وابعث إليه أحداً من العائلة. فالامر صعب عليه وهو المسكين المحتضر. بلّغه بأنني أقبّله وأفكر فيه كثيراً، كل يوم.

عن تفاصيل رحلتي سأحدثك وجهاً لوجه. المغامرات كثيرة. ولكن الملل قاتل رغم وجود أ. ب. (سوسلوفا) معه. حتى السعادة ثقيلة هنا، لأنني انفصلت عن جميع من كنت أحبهم حتى الآن

وعانيت مراراً من أجل حبهم. البحث عن السعادة بترك كل شيء (...) إنما هو الأنانية بعينها. هذه الفكرة تسمم سعادتي حالياً، إن وجدت في واقع الحال⁽⁴⁾. كتبتَ تقول: كيف يمكن المقامرة حتى الثمالة إذا كان معك في الرحلة الشخص الذي تحب؟ صديقي ميشا، في فيسبادن وضعت طريقة للقمار وطبقتها عملياً وربحت 10000 فرنك. وفي الصباح خالفت هذه الطريقة متھمساً فخسرت في الحال. وفي المساء عدت إلى طريقتي متقيداً بكل قواعدها فربحت بسهولة من جديد 3000 فرنك. قل لي كيف يمكن بعد ذلك ألا يشتد الولع ولا أصدق بأن السعادة ستكون بين يدي إذا تقيدت بطريقتي بحذافيرها؟ كنت بحاجة إلى المال، لأجلني ولأجلك ولأجل زوجتي ولكتابة الرواية. هنا يربع البعض عشرات الآلاف وكأنهم يمزحون. لقد سافرت لكي أخلصكم جميعاً من المحنّة وأحمي نفسي منها. وإلى ذلك أضيف الإيمان بالطريقة. فوق ذلك وصلت إلى بادن واقتربت من الطاولة وربحـت 600 فرنك في ربع ساعة. وشجعني ذلك على المضي. وفجأة بدأت أخسر ولم أتمالك نفسي فخسرت كل ما أملك. وبعد أن أرسلت لك رسالة من بادن أخذت البقية الباقيـة من النقود وذهبت لأنـعـب. وفي نصف ساعة ربحـت، بأربع قطعـة من عملة نابليون الذهبـية، 35 قطعـة. وغمـرـتـي سعادـة غير مسبوـقة، فجـازـفتـ بهـذـهـ الـ35ـ قـطـعـةـ، وـخـسـرـتـهاـ جـمـيعـاًـ. وبـعـدـ أنـ سـدـدـناـ لـصـاحـبـةـ الـبـيـتـ بـقـيـتـ لـدـيـنـاـ 6ـ قـطـعـةـ نـقـدـيـةـ لـلـطـرـيقـ. وـفـيـ جـنـيفـ رـهـنـتـ سـاعـتـيـ.

رأيت تورغينيف في بادن. زرته مرتين، وزارني هو أيضاً. ولم ير عندي (سوسلوفا)، فقد خبأتها عنه. لا يزال معتكر المزاج مع أنه تعافي في بادن. وهو يقيم مع ابنته (بولينا). حدثني عن كل آلامه وشكوكه الأخلاقية. شكوكه الفلسفية تحولت إلى واقع معاش، بما فيه

التأنق الشديد في الملبس. ولم أخف عنه أنني ألعب (القمار). أعطاني (مخاططة) «الأشباح» لأقرأها، لكنني لم أقرأها بسبب انشغالـي بالقمار، فأعادتها إليه. يقول إنه كتبها لمجلتنا، وإذا كتبت له من روما فسوف يرسلها لي إلى هناك. فماذا أعرف أنا عن المجلة؟ ينبغي أن أكتب مقالة. أعرف ذلك. لأنـه 1450 فرنك التي أرسلـها لا تكفي لشيء، بمعنى أنها تكفي لأمور كثيرة ما عدا تكاليف العودة إلى الـديار. ولكنـي أجد صعوبة كبيرة جداً في الكتابة. كلـ ما كتبـته في تورينو مزفـته. مللتـ من الكتابـة حسبـ الطلبـ. لكنـي لا أ Yas من إرسـال شيءـ من رومـا علىـ الأقلـ. لأنـ ذلكـ ضروريـ. رحمـ اللهـ خاليـ. أعتقدـ أنـ زوجـتهـ ستتحملـ الكـثيرـ منـ المـتـاعـبـ والـمـنـفـصـاتـ. ولاـ أـمـلـ لـنـاـ فـيـ التـرـكـةـ. ولكنـ إـذـاـ حـصـلـ شـيءـ فـسـاخـبرـكـ رـأـساـ.

بـالـلـهـ عـلـيـكـ أـخـبـرـنـيـ بـكـلـ شـيءـ. أـعـانـقـكـ، وـأشـكـرـكـ وـأـقـبـلـكـ.

المخلص ف. دوستويفسكي

ملاحظة: لا تحدث أحدـاً عنـ أوضـاعـيـ. فـهـذـاـ سـرـ بـيـنـنـاـ. أـقـصـدـ الخـسـارـةـ. إـلـىـ اللـقاءـ، اـكـتـبـ لـيـ بـالـلـهـ عـلـيـكـ. وـلـكـنـ إـلـىـ نـابـولـيـ هـذـهـ المـرـةـ (علىـ عنـوانـ البرـيدـ المـركـزيـ).

اـكـتـبـ لـيـ عـاجـلاـ. أـرجـوكـ اـكـتـبـ عنـ أـحـوالـكـ. فـيـ رـومـاـ سـأـجـدـ جـمـيعـ رسـائـلـكـ السـابـقـةـ. وـلـربـماـ أـرـسـلـ مـقـالـةـ قـصـيـرـةـ منـ هـنـاكـ. سـأـعـودـ فـيـ المـوـعـدـ. ثـمـ إـنـ النـقـودـ قـلـيلـةـ.

فـبـلـ جـمـيعـ الـأـطـفالـ معـ فـيـودـورـ. وـبـلـغـ تـحـبـاتـيـ إـلـىـ سـتـراـخـوفـ خـصـيـصـاـ، وـإـلـىـ جـمـيعـ مـنـ تـعـرـفـهـمـ. وـقـلـ لـسـتـراـخـوفـ إـنـيـ أـقـرـأـ كـتـابـاتـ

دعاة السلافية بجد واجتهاد، وقد قرأت (عندهم) شيئاً جديداً. كيف حال أبولون غريغوريف؟ والباقين؟ اكتب لي عن الجميع.

ألم تسمع شيئاً عن روديفيتش وعن (ريبي) بافل؟

أكتب لك بأكبر قدر ممكن من الإيجاز. أسارع لمعاشرة توريينو البغيضة. وأمامي كتابة الكثير: إلى ماريا دميتريفنا وبربارة دميتريفنا.

انقل تشكراتي إلى بربارة دميتريفنا عندما تراها. ما أروع نفسها الطيبة. أخشى أن تكتب لك ماريا دميتريفنا ما لا يعجبك. إلا أنني لا أعتقد أنها ستفعل. طبعي أنها قد لا تحتاج إلى نقود حتى متصرف أكتوبر. ولكن من يدري؟ أنا ربما وضعتها في موقف خاطئ. كانت تريد أن تنفق مئة روبل، لكنها بقيت متعددة. وعندما أبلغتها في رساله أنني أبعث إليها نقوداً أنفقت ذلك المبلغ. ولعلها الآن بلا نقود. وأنا أفكر في ذلك بفزع. حبذا لو أبلغني أحد عن صحتها.

- (1) دوستويفسكي استلم النقود من أخيه.
- (2) كان دوستويفسكي يتوجول برفقة محبوبته أبوليناريا سولوففا التي اتخذها نموذجاً للشخصوص النسائية في عدد من رواياته، مثل «المقامر» و«الأبله» وغيرهما.
- (3) المقصود رواية كان يفكـر فيها دوستويفسكي بعنوان «الاعتراف» تمهد حبكتها لروايتها «مذكرات من تحت الأرض» («في قبو» حسب ترجمة سامي الدروبي).
- (4) إشارة إلى تعقد العلاقة مع سولوففا، وإلى القلق على صحة عيسايها.

78. إلى نيكولاي ستراخوف

روما، 18 سبتمبر 1863

عزيزي نيكولا يفيفتش المكرم. أبلغني أخي في رسالته الأخيرة التي استلمتها في تورينو قبل 9 أيام بأنك تنوی الكتابة إليّ. أنا في روما منذ يومين ولم أجد رسالة منك. سأنتظر وصولها بفارغ الصبر. والآن أنا أكتب لك بنفسي. ليس لعرض مشاعر الرحلة ولا لطرح أفكار ما خطرت في البال خلال هذه الفترة الزمنية. كل ذلك سيتم عندما أعود بنفسي ونجد الوقت لتحدث فيما بيننا كما كنا نفعل غالباً. كلا، إني الآن أتوجه إليك برجاء كبير وأقول سلفاً إني محتاج إلى موقفك المبالي إلّي مع كل المشاعر الودية، إذا سمحت بهذا التعبير، والتي يخيل إليّ أنك تكنها لي وتعرب عنها.

والحال فإنك إذا نفذت طلبي تنقدني بكل معنى الكلمة من الكثير من الأذى والمنففات.

القضية كالآتي:

سأسافر من روما إلى نابولي، وبعد 12 يوماً أعود من نابولي إلى

تورينو، أي أني سأكون هناك بعد خمسة عشر يوماً تقريباً. وفي تورينو تنفذ كل نقودي، حيث سأصلها حالياً الوفاض.

أنا لا أعتقد بأن السماح بتصور «الوقت» سيتم في هذه اللحظة. وفي كل الأحوال لدى ما يبرر الاعتقاد بأن أخي عاجز الآن عن مساعدتي بشيء. في حين يتذرع التواجد في تورينو بلا نقود. ولذا لا بد أن أجده فيها مبلغاً في البريد. وإلا، أكرر، سأهلك. وبالإضافة إلى عدم وجود تكاليف العودة إلى الديار لدى مقتضيات أخرى للإنفاق، أي مصاريف لا يمكنني الاستغناء عنها أبداً. ولذا أرجوك، بالله عليك، لوجه المسيح، أن تقوم من أجلني بما قمت به مرة قبيل سفري. آنذاك ذهبت إلى بوبيوريكين في «مكتبة المطالعة». بوبيوريكين نفسه دعاني تحريرياً للعمل عنده عندما احتجبت «الوقت». وبالتالي يمكن التوجه إليه. ولكنك في يوليو طلبت منه 1500 روبل، ولم يعطك. لأن يوليو وقت عصيب بالنسبة للناشرين. وأنذرك أنه تكلم عن الخريف. ونحن الآن في نهاية سبتمبر. وهو وقت الاشتراكات، والنقود متوفرة وبالتالي. ثم إنني أطلب ليس 1500 روبل، بل 300، ثلاثة لا غير.

ملحوظة: فليعرف بوبيوريكين، كما تعرف «المعاصر» و«المذكرات الوطن» أني، طول حياتي، لم أبع مؤلفاتي، ما عدا «الفقراء» ولم أستلم النقود سلفاً. أنا أديب بروليتاري (معدم)، وإذا أراد أحد أن أؤلف له فعليه أن يؤمن احتياجاتي مقدماً. أنا نفسي أستهجن هذا الأسلوب وألعنه. إلا أن العادة جرت على ذلك، ويبدو أنها لن تتغير أبداً. أواصل إذن. ليس عندي شيء جاهز الآن. ولكنني وضعـت خطة قصة قصيرة موقفـة، حسب تقدیراتي. معظم النص مكتوب ببرؤوس أقلام على قصاصات. حتى أني هممـت بالكتابة، لكنها

متعددة هنا، بسبب الحر، هذا أولاً، ثانياً طالما جئت إلى مكان مثل روما لمدة أسبوع فهل يمكن في هذا الأسبوع، وفي روما، ممارسة الكتابة؟ ثم إنني أشعر بالتعب الشديد من كثرة التمشي.

حبكة القصة كالتالي: نموذج الروسي المغترب، والمجلات أثارت في الصيف نقاشاً واسعاً حول مسألة المغتربين الروس، ينعكس في القصة، وعموماً تتعكس فيها اللحظة الراهنة لحياتنا الداخلية بمجملها، على قدر الإمكان طبعاً. أنا أتناول شخصية رجل عادي، لكنه متتطور كثيراً من دون إكمال في أي جانب من جوانب ذلك التطور، شخصاً فقد إيمانه، لكنه لا يجرؤ على عدم الإيمان، وقد انتفض على المرجعيات من ذوي الجاه والسمعة وبات يخشاهم. وهو يهدى نفسه بكونه لا يستطيع القيام بشيء في روسيا، ولذا يسلط نقداً لاذعاً على الذين يناشدون الروس المغتربين العودة إلى روسيا. من الصعب عرض كل شيء في هذه العجلة. محياه حيوي متفتح وكأنه الآن أمامي. ولا بد من قراءة ملامحه عندما يتم توصيفها (في القصة). والمشكلة الرئيسية أن نسفة الحيوي وطاقاته وهياجته ووسائله ترکزت على الروليت. إنه مقامر، ليس من المقامرين العاديين، مثلاً الفارس البخيل عند بوشكين ليس من البخلاء العاديين. أنا لا أشبه نفسي هنا ببوشكين. كل ما في الأمر أنني أقول ذلك للتوضيح. (هذا المقامر) شاعر على طريقته الخاصة. لكنه نفسه يخجل من هذه الشاعرية، لأنه يتلمس وضاعتها بعمق على الرغم من أن الحاجة إلى المخاطرة تصوره لنفسه إنساناً نبيلاً. القصة كلها عن الفترة التي قضتها، للعام الثالث، يلعب الروليت في مدن القمار.⁽¹⁾

إذا كانت «منزل الأموات» قد لفتت أنظار الجمهور بتصوير المحكومين بالأشغال الشاقة الذين لم يصورهم أحد بوضوح قبل هذه

الرواية فإن هذه القصة ستجلب الانتباه حتماً بصفتها تصويراً تجسيدياً وتفصيلياً للعبة الروليت. (...).

ثم إنني آمل بأن أصور هذه الأمور المثيرة جداً بشعور وفهم ومن دون تعديلات كبيرة.

حجم القصة سيكون في أقل تقدير ملزمة ونصفاً، أو ربما ملزمتين، ويحتمل تماماً أن يكون الحجم أكبر.

موعد التسليم إلى المجلة 10 نوفمبر في أبعد تقدير، وربما قبل ذلك التاريخ. على أية حال لا أبعد من العاشر من الشهر، ولذا بوسع المجلة أن تنشرها في عدد نوفمبر. تلك الكلمة شرف، وأنا واثق بأن أحداً لم يجد بعد ما يبرر الشك في وعودي.

الأجر 200 روبل للملزمة، أو 150 في حال الضرورة. فأنا لا أريد تخفيض الأجر أبداً. ولذا أفضل الإصرار على المثبتين. فالقصة ستكون مقبولة تماماً. كانت «متزل الأموات» مثيرة، أليس كذلك؟ فيما لدينا الآن توصيف لما يشبه الجحيم أو «حمام» الأشغال الشاقة⁽²⁾. أريد وسأحاول أن أرسم لوحة (بكل معنى الكلمة).

والآن إلى النقطة التالية:

معذرة، يا عزيزي المؤقر نيكولاي نيكولايفيتش، لأنني أزعجك مباشرة ومن دون لياقة. أنا أعرف أن ذلك شيء مزعج تماماً. ولكن ماذا علىي أن أفعل؟ فإذا وصلت إلى تورينو بعد 15 أو 17 يوماً في أبعد تقدير ولم أجد نقوداً هناك فإلنني سأقع في دائمة بكل معنى الكلمة. أنت لا تعرف كل ظروفني، وشرحها الآن يتطلب وقتاً طويلاً. وإلى ذلك كنت ذات مرة في منتهى الطيبة تجاهي، فأنقذني مرة أخرى.

إليك ما هو مطلوب:

أرجوك في آخر أمل، حالما تستلم هذه الرسالة، أن تذهب إلى بوبوريكين وتقول له إنني خولتك، واعرض عليه جزءاً من رسالتي، إذا اقتضى الأمر، وقدم اقتراحاً بحيث لا يشكل بالطبع إهانة كبيرة بالنسبة لي. (...) وحالما تستلم النقود أرسلها إليّ، أي سلمها أخي. وهو يعرف كيف يوصلها⁽³⁾.

وإذا أخفقت المحاولة مع بوبوريكين يمكن أن تراجع الجرائد، ولو «المرساة»، قبل أبولون غريغوريف بالنهاية عنِّي، أو أية مجلة ما عدا «البشير الروسي» طبعاً، وتحاش «مذكرات الوطن» إن أمكن. حاول أن تتحاشاها، بالله عليك. فلا حاجة إلى النقود في هذه الحال. (...) ويمكن مراجعة نكراسوف مباشرة (...) لحل المشكلة. وسيكون ذلك أمراً جيداً، بل حتى أفضل من بوبوريكين. نكراسوف ربما لا يزعلي كثيراً. وهو، على الأكثر، رجل عملي. بديهي، يا عزيزي نيكولاي نيكولايفيتش، أن هذه القضية ينبغي أن تنتهي في يومين، أو ثلاثة في أكبر تقدير. فسألهم بالمعنى الحرفي للكلمة إن لم أجد نقوداً في تورينو. لا تكتب لي إلى نابولي. اكتب لي الآن إلى تورينو مباشرة. أرجوك اكتب على أية حال. إذا استلمت النقود سلمها إلى أخي. أنا في الحقيقة بحاجة إلى 200 روبل، وليس أقل، والمئة الباقيه يبعثها أخي إلى (زوجتي) ماريا ديميتريفنا. ولذا ينبغي استحصال 300 روبل. إذن فقد كتبت لك كل ما يلزم. أضع نفسي في عهديك ومصيري بين يديك تقريباً. وقد أحذثك فيما بعد عن مدى أهمية ذلك بالنسبة لي. والآن أستعطفك من جديد ثم أعانقك من صميم القلب.

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: الغريب أنني أكتب من روما ولا كلمة عنها. فماذا
أستطيع أن أكتب لك؟ يا إلهي، هل يمكن توصيف ذلك في الرسائل؟
وصلت قبل ثلاثة أيام ليلاً. صباح أمس زرت (كاتدرائية) القديس
بطرس. الانطباعات شديدة، برجفة وقشعريرة في الظهر. واليوم زرت
أنقاض الفوروم ثم الكوليزيه. فماذا عساي أن أقول لك...؟

بلغ تحياتي للجميع، وإلى غريغورييف مع الجميع. ولأخيك
بخاصة. ثم إنني أرجوك أن تبلغ حتماً تحياتي وتمنياتي من صميم
القلب إلى بوليا بتروفنا، حالما تراها في أول لقاء. (...)

دعاة السلافية قالوا بالطبع كلمتهم الجديدة التي لا يستطيع أن
يستوعبها تماماً حتى الراسخون في العلم. يلوح فيها بطر أرستقراطي
مدھش لدى معالجة المسائل الاجتماعية.

(1) هذه الحبكة غدت فيما بعد أساساً لرواية «المقامر» التي صدرت عام
1866.

(2) تورغينيف قارن بين مشهد الحمام في «منزل الأموات» ومشاهد جحيم
دانتي.

(3) مهمة ستراخوف مع بوبيوريكين نجحت واستلم منه التقدّم.

79. إلى إيفان تورغينيف

تورينو، 6 أكتوبر 1863

العزيز المحترم إيفان سرغييفيتش. جبُت كل الأماكن، وكانت في نابولي، وغداً أغادر تورينو إلى روسيا مباشرة. ورغم جميع حساباتي لم أتمكن من إرسال عنوان محدد إليك لكي ترسل «الأشباح» لي. فقد كنت أتوقف في كل الأماكن لفترات قصيرة، ويصادف أنني عندما أتحرك اليوم من مكان لا أعرف غداً في العادة إلى أي جهة سأتجه. كل هذه السفرات تسير حسب ظروف لا تتوقف على إرادتي، بل أنا متوقف عليها⁽¹⁾. ولذا لم أتمكن من حساب كيفية تزويدي بالعنوان المناسب لإرسال «الأشباح»⁽²⁾. استلمت من أخي رسالة منذ أن كنت في نابولي، كتب فيها أن لديه أملاً كبيراً في السماح باستئناف صدور «الوقت»، وأن المسألة ستحل بعد أيام. ولعلها قد حلّت الآن. أنا نفسي أظن، بناءً على بعض المعطيات والتعليقات، أن «الوقت» ستعود إلى الصدور. ولما كان القرار سيأتي في أكتوبر⁽³⁾ فإن أخي يريد من كل بد أن يصدر عدد نوفمبر. وسنسلم ستة أعداد مجاناً للذين لم يستلموا المجلة ستة أشهر.

أكتب لك بصراحة: قصتك «الأشباح» تنسم بأهمية بالغة بالنسبة لنا في عدد نوفمبر تحديداً. وبالتالي، إذا كنت ت تريد أن يكون لك فضل عظيم علينا أرسل المخطوطة إلى بطرسبورغ بأسرع ما يمكن. أنا سأكون هناك يومها. وطالما ليست لدى شقة في بطرسبورغ فعنون القصة على عنوان أخي وهو:

ركن شارع مالايا ميشانسكايا وزفاف ستولارني، دار يفرينتوف،
إلى ميخائيل ميخائيلوفيتش دوستويفسكي

اعملْ معروفاً واكتبْ لي ولو سطرين بهذا الخصوص. يؤسفني أشد الأسف لأنني منذ أن كنت في بطرسبورغ قررت المكوث في بادن لا من أجل ما حصل فعلاً، بل من أجل رؤياك والتحدث إليك. والحقيقة كان لدى الكثير مما أريد أن أقوله لك وأسمع رأيك فيه. إلا أن ذلك لم يحدث على أية حال. وفوق ذلك حصل «تمرد العواطف» المنحوس⁽⁴⁾ ولو لم أكن آمل أن أنجز شيئاً أكثر ذكاءً لشعرت بخجل كبير الآن. ولكن ما العمل؟ هل يجدر بي أن أطلب المسامحة من نفسي لنفسي؟

في بطرسبورغ ينتظرنـي عمل مرهق. ومع أن صحتي تحسـنت كثيراً، إلا أنـي أعرف أنها ستتدـهـور بعد شهـرين أو ثـلـاثـة. ولكن لا حـيـلةـ فيـ الـأـمـرـ. أنا لا أـعـرـفـ بعدـ كـيـفـ سـتـسـيرـ الـأـمـرـ. والمـجـلـةـ يـجـبـ بـنـاؤـهـاـ منـ جـدـيدـ تـقـرـيـباـ. يـجـبـ تـحـديـثـهـاـ وـجـعـلـهـاـ مـمـتـعـةـ أـكـثـرـ مـعـ إـيـلـاءـ الـأـدـبـ فيـ الـوقـتـ ذـاتـهـ الـاـهـتـمـامـ الـلـازـمـ. وتـلـكـ مـهـمـاتـ لـاـ يـجـمـعـهـاـ جـامـعـ فيـ رـأـيـ الـكـثـيرـينـ مـنـ مـفـكـرـيـ بـطـرـسـبـورـغـ. إلاـ أـنـاـ نـوـيـ التـصـدـيـ بـحـزـمـ لـبـوـادـرـ الـاستـهـانـةـ بـالـأـدـبـ. ولـنـ نـتـرـاجـعـ. فـسـانـدـنـاـ رـجـاءـ، وـكـنـ معـناـ. إـنـيـ أـقـدـمـ صـحـتـيـ قـرـبـاـنـاـ لـلـمـجـلـةـ. وـأـتـقـاضـىـ الـقـلـيلـ مـنـ الـقـوـدـ. وـأـعـرـفـ أـنـ الـمـجـهـودـ الـأـدـبـيـ لـاـ يـكـادـ يـغـطـيـ الـكـلـفـةـ. وـالـمـجـلـةـ مـكـبـلـةـ

بالديون. ومع ذلك أبقي في بطرسبرغ حيث يمعنى الأطباء من العيش فيها، وحيث أرى بنفسي أنه لا يجوز لي أن أعيش فيها بعد الآن. وثمة مسألة أخرى. رجاءً فلتراسل بين فترة وأخرى. أقول لك ذلك من صميم القلب.

إلى اللقاء، أشد على يدك بحرارة.

المخلص ف. دوستويفسكي

لم أكتب لك شيئاً عن الرحلة. روما ونابولي أدهشتاني كثيراً. فأنا لأول مرة هناك. والحقيقة أن من الصعوبة البقاء وحيداً لفترة أطول. ولذا أنا شديد الرغبة في العودة إلى بطرسبرغ.

اكتُبْ لي، أرجوك، كم ت يريد أن نرسل إليك مقابل «الأشباح»؟ سأخبر أخي بذلك. بدعيه أننا سندفع أي مبلغ تطلبه.

-
- (1) دوستويفسكي يقصد جولاته برقة سولوفا.
 - (2) تورغينيف أوصى مخطوطة «الأشباح» بنفسه إلى بطرسبرغ.
 - (3) صدر قرار استئناف «الوقت» في يناير 1864.
 - (4) المقصود الولع بلعب القمار.

80. إلى ميخائيل م. دوستويفסקי

موسكو، 19 نوفمبر 1863

أعرف جيداً، يا أخي الكريم، أنك غارق الآن في المشاغل والهموم. وماذا علىي أن أفعل، أنا أيضاً تراكمت علىي المشاغل فلا أرى لها نهاية ولا حدّاً. تقول إنك ستأتي إلى موسكو بعد الـ 20 من الشهر. متى تحديداً؟ بعد الـ 25 طبعاً. فإذا وصلت قبل هذا التاريخ يتحمل أن لا نلتقي. فأنا آمل أن أكون في بطرسبرغ حتى الـ 25 من الشهر. فيما يتّبع علينا أن نتداول في الكثير من الأمور وبأقرب وقت ممكن. المهم أن لا يخدعونا بالوعود بل يسمحوا بإصدار «الحقيقة» بأسرع ما يمكن. وأعترف لك بأنني لست متألماً جداً لعدم السماح باستئناف «الوقت». «فالحقيقة» يمكن أن تؤمن المفعول نفسه، إن لم يكن أكثر، في ظروف معينة طبعاً. وهذا هو المهم. أما بخصوص تسمية المجلة «الحقيقة» فأعتقد أنها تسمية رائعة ومدهشة. والشرف لمن اقترحها. فهي تصيب عين الحقيقة. وتنطوي على الفكرة الأكثر صلاحاً وتتناسب مع الظروف، والأهم أن فيها بعض السذاجة والإيمان الذي يناسب روحيتنا وتوجهاتنا، ذلك لأن مجلتنا «الوقت»

كانت على الدوام ساذجة جداً، ولربما كانت، والشيطان وحده علیم، تجذب القراء بسذاجتها وإيمانها. باختصار، التسمية رائعة. والغلاف بنفس تصميم «الوقت» ليذكرنا بها. وفي المجلة قسم واحد (...). وفي السطر الأول من الإعلان عنها عبارة من قبيل «الوقت يقتضي الحقيقة». في إشارة إلى أن مجلة «الحقيقة» هي نفسها مجلة «الوقت». الشيء الوحيد الذي يقلقني هو الإعلان نفسه. يا صديقي، المطلوب هنا ليس الفن، وليس الذكاء، بل الإلهام. أهم شيء هو تفادي الروتين الملازم في مثل هذه الأحوال لجميع العقلاة والموهوبين. فهم يكتبون بذكاء لا شابة فيه والتقطة أقوال فاترة باشنة، شبيهة بسائر الإعلانات المعتادة. في المرتبة الأولى، بالنسبة لنا الآن، الأصالة والإثارة المرمودة غير المفعولة. أنت تقول إنك تعكف على كتابة الإعلان. هل تعلم ما هي فكريتي بهذاخصوص؟ ينبغي الكتابة بإيجاز ومن دون إسفاف وبنوع من الاعتزاز والثقة التامة بالنفس، من دون أية تلميحات. الإعلان نفسه عن هوية المجلة وتوجهاتها من 4 أو 5 سطور. ومخاطبة المشتركين موجزة أيضاً. ولا بد من إثارة دهشتهم بالعزّة الرفيعة (للقائمين على المجلة). تسمية «الحقيقة» لم تعجب ألكسندر بافلوفيتش. إلا أنه من المتقيدين جداً بالروتين. وأنا أعتبر عدم إعجابه مؤشراً جيداً. هؤلاء السادة يجأرون في البداية معترضين زاعمين أن كل شيء سيء، وفيما بعد يمدون ألسنتهم فجأة مهملين مادحين. هؤلاء كهان الماجريات العابرة. أما أن التسمية أعجبت ستراخوف ورازين فهذا أمر أفهمه. فهما من الذين يتحلون بالفهم وبشيء من الحدس، وهذا هو الأهم. أما الباقيون، ومنهم ربما ميلوكوف، فلا بد أن يسفهوا التسمية. بالمناسبة، أنت لا تكتب شيئاً عن ميلوكوف، هذه المرة كالمرات السابقة. عفراً عليك. مما أغرب هؤلاء الناس.

تكلمت مع ألكسندر بافلوفيتش عن النقود. فقال إنه لا يعرف كيفية القيام بذلك، وإن هذا غير ممكن قبل تقسيم التركة. أنا نفسي أعتقد أن هذا غير ممكن. ساشا (الكساندرا) ليست في الحسبان. حصل ذلك بالصدفة. ولعلك لا تعلم أن الجدة وصلت قبل أسبوع إلى بطرسبورغ وجلبت لساشا المتبقى من حصتها وهو 8 آلاف روبل. وأعتقد أنهم لم يبلغوك. أنا أرى أن الأفضل أن تؤجل سفرك إلى موسكو لأطول فترة ممكنة في أواخر نوفمبر، لعلك تصل إليها أثناء التقسيم مباشرة. ولا تتأخر في موسكو. نحن استأجرنا شقة هنا. وحالما أنتقل إليها وندير أمورنا أتوجه إلى بطرسبورغ. المشاغل لا توفر لي ولا دقة للكتابة. حصلت لي هنا نوبتان من الصرع، إحداهما، النوبة الأخيرة، شديدة.

الشركة الأخرى للمجلة، أقصد «الحقيقة»، لن تتدخل في المقالة الافتتاحية. ثم إن مقالتين في تحليل روايتي تشيرنيشيفסקי («ما العمل») وبيسيمسكي («البحر الهائج») من شأنهما أن تثيرا اهتماماً كبيراً، والأهم أن التحليل سيكون مناسباً للموقف. فهناك فكرتان على طرفي نقيض، وكلتاها تتعرضان للانتقاد. تلك هي الحقيقة. وأعتقد أنني سأكتب هذه المقالات الثلاث إذا توفرت لي فرصة العمل بهذه.^(١) أنا لم أتق أحداً هنا، ما عدا بيسيمسكي الذي صادفته أمس في الشارع ورحب بي كثيراً. وفي مساء أمس ذاته كان العرض الأول «للمصير المريض». ولم أحضره. ولا أعرف مستقبل المسرحية. قال إن النادي الإنجليزي وحزب الاقطاعيين يجيشان الجيوش ضده. لعله يتباهى.

وداعاً، أعانقك. سنلتقي قريباً على أية حال.

المخلص (دوستويفسكي)

بلغ تحياتي للجميع. لا أحد يعرف شيئاً هنا عن تقسيم الترکة، سوى أنه سيتم في نهاية نوفمبر. أما ألكسي كومانين (ابن خالنا) فقد بدأ لغبائه دعوى رسمية للطعن بوصية أبيه بحجة أنه كان فاقد الأهلية العقلية تقريراً عندما حررها. وقد أعادوا ألكسي إلى رشده والدعوى الآن بلا جدوى. على أية حال تصرف ألكسي هذا طي الكتمان الشديد هنا.. والناس تشنى على منفذ الوصية قسطنطين قسطنطينوفيتش.

(1) لم يتسعَ لدوستويفسكي أن يكتب المقالات المذكورة.



81. إلى إيفان تورغينيف

بطرسبرغ، 23 ديسمبر 1863

الفاضل الموقر إيفان سيرغييفتش. قال آينكوف لأنني إنك كأنما لا تريد نشر «الأشباح» لأن في القصة الكثير من الخيال. وقد أربكنا هذا الأمر كثيراً. بدايةً أقول بصراحة إننا، أنا وأخي، نعول على قصتك. فهي ستساعدنا كثيراً في العدد الأول من مجلتنا التي تبدأ من جديد لتشق طريقها ثانية. وأنا أشير إلى ذلك خصيصاً كيلا تشک في دوافع هذه الرسالة ولا تظن أنني أتكلّم بدافع من المصالح الشخصية وحدها. وأضيف إلى ذلك سبيباً آخر أعطيك كلمة شرف بشأن صحته: قصتك بالنسبة لنا أهم بكثير من التباهي باسمك على غلاف المجلة.

والآن أذكر كلمة عن قصتك بناءً على انتباعاتي. لماذا تظن، يا إيفان سيرغييفتش، أن قصتك «الأشباح» ليست في وقتها، إذا كنت تظن هكذا بالفعل؟ وأن القارئ لن يفهمها؟ بالعكس، البلادة وست سنوات متواصلة من تقليل الأساطين قادت الإيجابيات إلى سفاسف، مما يجعل الناس يرتاحون لنتائج شاعري صرف، أو أكثر شاعرية. البعض سيستقبلون القصة بشيء من الحيرة، لكنها حيرة مريحة. ذلك

سيكون موقف جميع الذين يفهمون من أبناء الجيلين القديم والجديد. أما الذين لا يفهمون شيئاً فهل ينبغي لنا أن نلتفت إليهم؟ قد لا تصدق كيف ينظر هؤلاء إلى الأدب. كل ما يطلبوه هو النفعية المحدودة. اكتب لهم التاج الأكثر شاعرية وستراهم يزريحونه ويقبلون على المهزيل المعلوك وعلى المشاغبات. ويعتبرون الحقيقة الشاعرية وحشية. إنهم لا يريدون سوى استنساخ الواقع. النثر عندنا فظيع (أشبه بارتاجاف الكواكرز على طريق الرب). فلا يجوز الالتفات إليهم والحال هذه. إن الجزء السليم من المجتمع الذي استيقظ إنما يتغطّش إلى عمل جريء من الفن. في حين أن «أشباحك» عمل جريء جداً. وسيكون قدوة رائعة، بالنسبة لنا جميعاً، فيما لو كنت أول من يقدم على هذا العمل. الشكل الإطاري «للأشباح» سيعجب الجميع، أما جانب المضمون الواقعي فسيكون منفذًا ومتنفساً لذلك الإعجاب. ما عدا إعجاب الحمقى والذين لا يرغبون في فهم شيء سوى هذينهما الكواكري. أنا، بالمناسبة، أعرف إحدى التفقيمات العدميات المستاءات من قصتك لكنها قالت: «مطالعتها استولت على دون فراك وتركت في نفسي انطباعاً عميقاً». ومعروف أن لدينا الكثير من العدميين المتصنعين. إلا أن المهم في هذا المضموم هو فهم هذا الجانب الواقعي. وأعتقد أن في «الأشباح» كثيراً من الواقع. وهذا الواقع هو حين الكائن الواقع المتتطور الذي يعيش في زماننا. هذا الحنين الكثيب الذي تسجله القصة يملأ ثناياها. إنه «وتر يصلاح في الضباب»⁽¹⁾، وحسناً يفعل عندما يصلاح. «الأشباح» شبيهة بالموسيقى. على فكرة، ما رأيك في الموسيقى؟ هل هي متعة أم ضرورة للشحنة الإيجابية؟ باعتقادي أنها اللغة ذاتها، ولكنها تعبر عما لم يتمكن الوعي من تذليله بعد، أعني الوعي بمجمله وليس الأحكام

العقلية. وبالتالي فهي تعود بالمنفعة الإيجابية. أصحابنا النفعيون لا يفهمون ذلك، إلا أن الذين يحبون الموسيقى من بينهم لم يتركوها، ولا يزالون يمارسونها كالسابق. شكل قصتك «الأشباح» رائع. وإذا كان هناك ما يستوجب الشك فهو بالطبع الشكل. كل القضية تتلخص فيما إذا كان يحق للخيالي أن يتواجد في الفن أم لا؟ ولكن من يرد على مثل هذه الأسئلة؟ وإذا كان في «الأشباح» ما يمكن أن يُنتقد فهو كونها ليست خيالية تماماً. ربما المزيد من الخيال ضروري، حتى يتتوفر المزيد من الجرأة. الكائن الذي يظهر في قصتك يفسر على أنه مصاص الدماء. باعتقادي لا موجب لهذا التفسير. آنينكوف لم يوافقني وقدم حججاً بأن هناك تلميحات إلى فقدان الدم، أي هدر القوى الإيجابية وما إلى ذلك. وأنا لا أوفقه على ذلك إطلاقاً. يكفيني أنني فهمت الكآبة حسياً وكذلك الشكل الرائع الذي اتخذته، أعني غليان الواقع من دون أية تهدئة. ثم إن الأسلوب جيد، أسلوب تسوده نأمة الحزن الخفيف من دون غضب أو احتقان. المناظر الطبيعية كالجبل وغيره تلميع إلى الفكرة العفووية غير المحلولة بعد، أي الفكرة نفسها الموجودة في الطبيعة، ولا أحد يعرف هل تحل المسائل البشرية في وقت ما، وهي الآن تجعل القلب يحزن ويرتعب أكثر، بالرغم من عدم الرغبة في الانفصال عنها. كلا، يا سيدى، هذه الفكرة بالذات جاءت في الوقت المناسب، والنتائج الخيالية من هذا النوع تحمل شحنة إيجابية كبيرة.

(المخلص ف. دوستوفسكي)

(1) من «مذكرات مجنون» لنيكولاي غوغول.

82. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

موسكو، 29 فبراير 1864

أخي العزيز ميشا. وصلت إلى موسكو أمس بسلام. ومع أنني لم أتعب كثيراً في الطريق إلا أنني عانيت هنا أمس من الألام نفسها كما في بطرسبورغ في أحلك فترات المرض. ولكنني آمل أن ينتهي ذلك قريباً، وبالتالي لا موجب لمزيد من الكلام عن هذه المسألة. كيف حالكم في البيت الآن؟ طول الطريق كنت أتصور ما حدث وأتعذب كثيراً. أنا متآلم جداً (لوفاة) فاريا⁽¹⁾. الجميع هنا تألموا حالما سمعوا بالنبأ. ماريا ديميريفنا بكت بدموع حرى، وأرادت أن تكتب إلى إميليا لكنها عدلت عن الفكرة. وكانت تشعر بالأسى العميق وبكل صدق. فليهمكم الله (الصبر والسلوان لتسير أموركم بشكلها الطبيعي). المهم هو الصحة، وثانياً - العمل. حافظ على صحتك. ولا تستعجل كثيراً. لا ترتحل إذا شعرت بأن صحتك ليست على ما يرام. أما بخصوص عدد المجلة⁽²⁾ فختى لو صدر في نهاية مارس لا مشكلة. سيكون ذلك جيداً. بالأمس تصفحت العدد الأول من «المعاصر» (لهذا العام). النقد فيه كثير، وكذلك المقالات التي تعبّر عن وجهة نظر المجلة. أما

الأدب فلم يحالقه الحظ. وقد تبادر إلى ذهني أن نفتح في «العصر» القسم القديم الذي احتوته المجالات أيام زمان، وأعني قسم «المدونة الأدبية». وهو لا يتطلب نشر مقالات، بل يكتفي ببعض جمـيع الكتب والترجمـات الصادرة في الشهر الماضي، جميعها بلا استثناء. ويسـبـب الاعتقـاد الذي ترسـخ آنذاك وكـأنـ الأدب كـله يـترـكـزـ فيـ المـجـلـاتـ جـرـى إـهمـالـ ماـ يـصـدرـ منـ كـتـبـ. كانـ ذـلـكـ فيـ السـابـقـ مـبـرـراـ، لكنـ الـأـمـرـ تـبـدـلـ الآـنـ، لأنـ كـتـبـاـ كـثـيرـةـ تـصـدـرـ وـالـجـمـهـورـ يـنـبـغـيـ أنـ يـتـابـعـهاـ حـسـبـ إـعلـانـاتـ الجـرـائـدـ لـكـيـ يـعـرـفـ عـنـاـوـنـهاـ، وـمعـ مـعـرـفـتـهـ بـالـعـنـاـوـنـ يـبـقـيـ جـاهـلاـ بـالـمـضـامـينـ. ولـذـاـ يـنـبـغـيـ أنـ نـشـرـ سـتـةـ أـسـطـرـ، أوـ عـشـرـةـ فـيـ أـكـبـرـ تـقـدـيرـ، وـأـحـيـاـنـاـ سـطـرـيـنـ، عـنـ كـلـ مـضـامـونـ كـتـابـ. وـيمـكـنـ بـالـطـبـعـ كـتـابـ صـفـحةـ أـوـ صـفـحتـيـنـ إـذـاـ كـانـ كـتـابـ مـهـماـ وـمـشـيرـاـ. وـيمـكـنـ أـنـ يـعـدـ هـذـاـ القـسـمـ مـنـ دـوـنـ جـهـدـ يـذـكـرـ أـحـدـ الشـبـابـ مـثـلـ بـيـيكـوفـ، وـبـوـسـعـهـ أـنـ لـاـ يـفـعـلـ شـيـئـاـ سـوـىـ مـتـابـعـةـ الإـصـدـارـاتـ. وـبـالـتـالـيـ سـيـكـونـ فـيـ مـجـلـتـنـاـ وـحـدـهـ كـاتـالـوـجـ كـامـلـ مـعـ أـهـمـ التـوـضـيـحـاتـ عـنـ كـتـبـ الصـادـرـةـ. فـيـ «ـالـمـعـاصـرـ»ـ كـأـنـمـاـ بـدـأـواـ بـنـشـرـ مـاـ يـمـائـلـ هـذـاـ القـسـمـ. كـمـاـ يـمـكـنـ مـرـةـ كـلـ شـهـرـيـنـ أـنـ نـشـرـ المـجـلـةـ عـرـضاـ لـمـحـتـوـيـاتـ المـجـلـاتـ الـأـخـرـىـ، لـيـسـ كـالـعـرـضـ الـمـعـتـادـ حـيـثـ تـحـلـلـ المـجـلـاتـ إـحـدـاـهـاـ الـأـخـرـىـ، بلـ يـكـونـ بـمـثـابـةـ قـائـمـةـ شـبـيهـ «ـبـالـمـدـونـةـ الـأـدـبـيـةـ»ـ لـجـمـيعـ المـقـالـاتـ الـمـنشـورـةـ فـيـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ خـلـالـ الشـهـرـيـنـ الـمـاضـيـنـ، مـعـ إـشـارـةـ مـوجـزـةـ أـمـامـ كـلـ مـقـالـةـ إـلـىـ مـزاـيـاـهـاـ. وـإـذـاـ تـمـ التـقـيـدـ بـالـدـقـةـ وـالـشـمـولـ تـعـنـدـ المـجـلـةـ شـكـلـاـ عـمـلـيـاـ، شـكـلـ طـبـعـةـ مـهـتمـةـ جـديـاـ بـالـأـدـبـ. حـبـذاـ لـوـ بـدـأـنـاـ مـدـونـةـ الـكـتـبـ وـالـمـجـلـاتـ اـعـتـبارـاـ مـنـ 1ـ يـانـيـرـ. فـماـ رـأـيـكـ؟ـ

وـقـدـ فـكـرـتـ أـيـضـاـ فـيـ كـتـابـةـ مـقـالـةـ جـيـدةـ عـنـ التـنـظـيـرـ وـخـيـالـ النـظـريـنـ، أـقـصـدـ مـنـظـريـ «ـالـمـعـاصـرـ». فـلـنـ يـتـخلـصـوـاـ مـنـيـ، وـخـصـوصـاـ إـذـاـ حـاـولـوـاـ

أن يمسونا. وسيكون ذلك عملاً جاداً وليس ممحاكمات جدلية. اعتباراً من يوم غد سأواظف على كتابة مقالة عن (المؤرخ) كوستوماروف. وبعد أسبوع سأخبرك بسير العمل. أجبني بالله عليك، أخبرني عن أحوالك. اكتب لي ولو قليلاً.

تحياتي إلى إميليا، وقبلاتي للأولاد. وخصوصاً ميشا وكاتيا.
وبلغ تحياتي إلى كوليا حتماً. تسخن الجو عندنا، وذاب الثلج عن آخره. والرطوبة شديدة.
إلى اللقاء يا عزيزي.

المخلص ف. د.

احتراماتي إلى نيكولاي نيكولايفيتش والآخرين. ماريا دميتريفنا
ضعيفة جداً.

(1) ابنة ميخائيل دوستويفسكي.

(2) المقصود العدد الأول من مجلة «العصر»، وقد صدر في 24 مارس 1864.

83. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

موسكو، 20 مارس 1864

صديقي العزيز ميشا. لم أرد على رسالتك المؤرخة في 14 من الشهر بانتظار وصول النقود. ولم أستلمها إلا يوم أمس التاسع عشر.أشكرك كثيراً على إرسالها. فقد احتجت إليها. تقول إنك سترسل بعد أسبوع المبلغ نفسه، أي 100، تكريم وأرسلها. هذه المائة روبل صرفت على سد الثغرات. الحاجة ماسة جداً. وتضيف إلى ذلك أنك سترسل مائة روبل أخرى بعد المئتين إذا دعت الحاجة. الحاجة قائمة يا عزيزي. قائمة وقاسية. ولذا أرجوك كل الرجاء أرسل الوجبة، المائة روبل، الثالثة. أنا أعرف أنك نفسك كالسمكة في المقلة. يا ليت الاشتراكات تساعدنا. أنا صامت ظاهرياً، لكنني أتحمل لا أقل منك، ليس بسبب النقود وحدها. أنا الآن والحمد لله تعافت تماماً على ما يبدو. لا أزال متقيداً بالحمية الصارمة والحذر الشديد، إلا أن المرض انتهى على أية حال، وهذا بحد ذاته أمر جيد. بقي أن أعصابي مضطربة للغاية. وأخشى نوبة الصرع. فمتي تأتي إن لم يكن في مثل هذه الظروف؟

ماريا دميتريفنا ضعيفة جداً. ومن المستبعد أن تعيش حتى عيد الفصح. قال لي الكسندر باللوفيتشر صراحة إنه لا يضمن لها ولا يوماً واحداً. تقيم عندنا بربارة دميتريفنا، ولو لاها لا أدرى ماذا كان سيحصل لنا. فهي تساعدنا جميعاً بوجودها وسهرها على ماريا دميتريفنا. هذا كل ما أستطيع ذكره عن نفسي. أنا لم أزر أحداً بسبب مرضي. يوم أمس صادفت بليشيف في الشارع. فرح لللقاء كثيراً، متتصوراً أنني في بطرسبورغ. حدثني عن الموسقوفيين وعن (أمسيات إيفان) أكساكوف ولقائهم يوم أمس عنده معززين بوفاة أخته، وما إلى ذلك.

أواصل كتابة قصة طويلة^(١) وأسعى لإنهايتها بأسرع ما يمكن، محاولاً في الوقت ذاته أن تكون أفضل. كتابتها أصعب بكثير مما كنت أتصور. في حين أنها يجب أن تكون جيدة. أنا نفسي بحاجة إلى ذلك. وهي من حيث أجواؤها غريبة جداً، ولهجتها حادة مت渥حة، ربما لن تحظى بالإعجاب، وبالتالي لا بد للشاعرية أن تخف تلك اللهجة. وأعتقد أنني سأوفق.

أهم ما يشغل بالي، إضافة إلى هذه القصة، أن أتمكن من كتابة مقالة نقدية لعدد مارس. إلا أن كل المقالات التي في ذهني الآن والتي تناسب المجلة وتوجهاتها إنما هي مقالات طويلة. فماذا علي أن أفعل؟ أفضل شيء هو المواظبة على الكتابة من دون التفات إلى ما إذا كان الوقت يتسع أم لا. هكذا أريد أن أفعل. إلا أن عدم تواجدي شخصياً معكم يقلقني كثيراً. ففي كل يوم تبادر إلى الذهن فكرة تقتضي الكلام والتبليغ. وأنا قابع هنا وحدي. لا أستطيع لحد الآن أن أذهب إليكم، بل أنا نفسي لن أذهب بأي حال.

أنت تعرف بالطبع كتاب «مذكرات الممثل شيبكين» الذي صدر

خبر سفر (المحرر) رازين وقع على كضربة فأس على العجين. فما العمل؟ لا يجوز أن نعهد بالقسم إلى أي شخص كان.

رأي أن الأفضل الاكتفاء ببعض الأحداث وربطها برسالة سياسية ما ترسل إلى هيئة تحرير المجلة بشأن مسألة جزئية في أمور السياسة. وإذا لم تكن متضايقاً من الأشغال فلم لا تستحدث قسماً سياسياً لشهر مارس على الأقل؟ يمكن أن لا تتناول فيه كل شيء، بل تكتفي بمسألة جزئية تخضعها للتحليل. وأخشى أن تدفعك الضرورة فتكلف بذلك أحد السادة المتسكعين. الأفضل أن لا تفعل شيئاً من أن تكلف سيداً من هؤلاء. (...)

هناك شخص يدعى تشافيف يعترض على آراء دعوة السلفية، لكنه يحبهم كثيراً. وهو من أكثر الناس تقيداً باللبياقة والأصول. التقيته عند

أكساكوف ولا موفسكي. وهو مولع بدراسة تاريخ روسيا. شعرت بالارتياح عندما لاحظت أننا متفقان في نظرتنا إلى التاريخ الروسي. وكنت سمعت سابقاً أنه نظم دراما شعرية مستقاة من هذا التاريخ بعنوان «الأمير ألكسندر تفيرسكي». بل يشيف امتدح هذه الأشعار. وفي العدد 11 من «اليوم» نشر إعلان عن تلاوة عامة لقصائد تشايف وإطراه عليها. وقد كلفت بل يشيف أن يقترح عليه نشر كتاباته في «العصر». فهل فعلت حسناً؟

(المخلص دوستويف斯基)

(1) المقصود رواية «مذكرات من تحت الأرض» («في قبو»).



84. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

موسكو، 26 مارس 1864

أخي العزيز. قبل ثلاثة أيام أخذت من تشيرينين «العصر» التي استلمها بسرعة، ولا أدرى كيف. فقرأتها في يوم ونصف وأعدت قراءتها. وإليك انطباعاتي: كان ينبغي أن تكون حلة الطبعة أجمل، والأخطاء لا تعد ولا تحصى. والترتيب غائب تماماً، ولا مقالة واحدة مدخلية ريادية تتضمن، على الأقل، تلميحاً إلى اتجاهنا، ما عدا مقالة كوسينسا التي هي مقالة جيدة جداً، ولكنها غير كافية للعدد الأول من المجلة الجديدة. أنا أعرف أن سبب ذلك كله هو منع (الرقابة) «لمسلسل المقالات»، ما يجعلني أكثر انفعالاً، ذلك لأن هذين العددين يرتديان لبوس مجموعة مكتملة. وثمة أيضاً خشونة يمكن السكوت عليها عندما يصدر عددان دفعة واحدة وبعجاله (...). والآن عن الجانب الجيد من المسألة. كل المقالات التي قرأتها تثير الاهتمام، (...) والغلاف مبرقش، وعنوانين المقالات تجلب الانتباه. بعض المقالات معتبرة تماماً. إلا أن في «الأشباح» باعتقادي كثيراً من القاذورات، فيها شيء مقين، مريض شائخ لا يؤمن بشيء

لعجزه، باختصار، فيها تورغينيف بقشه وقضيشه، ومعتقداته. غير أن الشاعرية تعيش عن الكثير. قرأت القصة مرة أخرى. كما أعجبتني كثيراً (مقالات عديدة منها مقالات) ستراخوف وغريغوريف وأفيركيف (وغيرها...) ولكن بريق كل هذه الكتابات يخبو بسبب منع «مسلسل المقالات» المعهود. رجاءً أسائل من ستراخوف هل سيعدل مقالته للعدد القادم تماشياً مع الرقابة أم ينبغي كتابة مسلسل جديد من المقالات غير المسلسل السابق. حبذا لو أسرع في كتابة الافتتاحية. كما أني أتشكى بخصوص مقالتي. وفيها الكثير جداً من الأخطاء المطبعية. وكان الأفضل عدم نشر الفقرة ما قبل الأخيرة، التي تتضمن الفكرة الرئيسية، من أن تنشر بهذا الشكل المتناقض. فما العمل؟ خنازير الرقابة سمحوا بالعبارات التي سخرت فيها من الجميع وتظاهرت بالكفر، ومنعوا تبريري للحاجة إلى الإيمان وإلى المسيح. ماذا؟ هل أن مسؤولي الرقابة متآمرون على الحكومة؟

لعل عدد المجلة (المزدوج) يشير حب الاستطلاع إن لم أقل التأثير في القراء. وهذا شيء جيد. عموماً العدد يعتبر تماماً إذا نظرنا إلى سرعة التنفيذ. أما بخصوص التنوع فلم أكن أتوقع أن يتم بهذه الصورة. الشيء الوحيد المؤسف أن من المتعذر فهم الاتجاه الذي نقيده به وماذا نريد أن نقول تحديداً. أرجوك، يا عزيزي ميشا، أن ترد علىي بأسرع ما يمكن وتحديثي تفصيلاً عما قيل عن المجلة. الجمهور هنا لم يستلمها بعد، ولذا لم أسمع أي رأي عنها.

ماريا دميتريفنا ضعيفة لدرجة جعلت ألكسندر بافلوفيتش لا يتوقع لها أن تعيش يومها. لن تعيش أكثر من أسبوعين. أحارول أن أنهى قضتي بسرعة، ولكن حكم بنفسك هل الوقت مناسب للكتابية؟ هل تعرف شيئاً عن بافل؟ فما عدا رسالة واحدة لم يكتب شيئاً مع

أني أمرته أن يراسلني أسبوعياً. فماذا حصل له؟ وكيف يعيش؟ رجاء
حاول أن تتحدث معه على نحو ما، أو أرسل له أحداً إلى الشقة ليり
ماذا يحدث هناك؟ إنه اين عاق.

ثم إنه، يا أخي، ربما سيلومني فيما بعد لأنني لم أطلب له ترخيصاً بالمجيء إلى موسكو لتوسيع والدته. إلا أن ماريا دميتريفنا لا تريده رؤيته قطعاً، وقد طرده بنفسها من موسكو آنذاك. ولم تغير رأيها حتى الآن. لا تريده أن تراه. وهي المريضة بالسل معدورة على هذا المزاج. قالت إنها ستدعوه لتباركه إذا شعرت بأنها على شفا الموت. لكنها يمكن أن تموت مساء اليوم. بينما قالت في الصباح إنها ستعيش في الصيف في المنزل الريفي وإنها بعد ثلاثة أعوام ستنتقل إلى تاغانروغ أو آستراخان. وليس بالإمكان تذكيرها ببافل. فهي وسواسية جداً وستقول: «يعني أنني ضعيفة جداً وسأموت». فما الموجب لتعذيبها في الساعات الأخيرة، ربما، من حياتها؟ ولذا لا أستطيع أن أذكرها بابنها. أريد له أن يعرف ذلك. بلغه إن كنت تستطيع، ولكن لا ترعبه كثيراً، مع أنه لن يرتب على ما يبدو.

ولي رجاء هام آخر: حالما يأتي أجل ماريا دميتريفنا أبعث لك
برقية لكي ترسل بابل إلى موسكو حالاً، في اليوم نفسه. فلا بد له أن
يحضر الدفن. ثيابه كلها باللون فاتحة، ولذا يجب أن تشتري له (ثياب
الحداد...). أرجوك أن تفعل ذلك وأستعطفك لأنك صديقي
الوحيد، فتكرّم على بهذه الخدمة العظيمة وساعدني في وضع
العصيب حالما تستلم البرقية. وهي ربما ستصلك قريباً.

ملاحظة: عندما ستبعث باتفاق في الازدحام والتسريع قد يتتجه
ويؤجل السفر إلى الغد. فاجعل شخصاً ما يراقبه في ذلك اليوم نفسه.
بِاللَّهِ عَلَيْكُ.

تقول إنك أرسلت التقدّم يوم الاثنين. لم أستلمها بعد.
أنا لست في صحة تامة. لا أقصد العرض السابق، بل مخلفاته،
وأهمها ضعف البدن. أشعر بالتعب سريعاً، فما السبب يا ترى؟
وداعاً عزيزي، الرسالة ليست بهيجة. يعطيك العافية. أعانفك
وجميع أفراد عائلتك.

المخلص ف. دوستويفسكي

(1) صدر عدد ينایر وعدد فبراير 1864 من مجلة «العصر» مزدوجاً في مجلد واحد.



85. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

موسكو، 5 أبريل 1964

صديقي ميشا!

أكتب لك كلمتين.

قصتي الطويلة⁽¹⁾ يمكن إنجازها في هذا الشهر لو توفرت القوى والراحة والعمل بلا انقطاع. ولكن ليس في النصف الأول من الشهر. أقول ذلك على أية حال. والآن حكم عقلك: عدد مارس يجب أن يصدر حتماً في أبريل. فليس من اللائق بالمجلة البدائية أن يصدر عددها لشهر مارس في مايو. فهل أستطيع أن أنهي القصة في الموعد المذكور. كل الدلائل تشير إلى أنني لن أستطيع. والأهم هو الانقطاع الذي لا يتوقف علىَّ ولا أتمكن من التدخل فيه.⁽²⁾ ولذا أتوجه إليك يا عزيزي أن تكتب لي بأسع ما يمكن متى تريد أن تستلم القصة في آخر موعد؟ وسأحكم بناء على جوابك هل سأنتهي أم لا؟ على أية حال خذ بنظر الاعتبار تلکؤ العمل والملابسات التي يمكن أن تحصل ولا تتوقف علىَّ.

اكتُب لي أيضاً هل لديك في القسم من القصص شيء لشهر مارس، ما عدا قصتي، وماذا تحديد؟
في تصوري أن بالإمكان الظهور في هذا القسم من دون أسماء شهيرة.

ويمكن الإعلان عن قصتي، وأظن أن ذلك غير ضروري إطلاقاً، بأنها ستنشر في عدد أبريل. فأنا، في الحقيقة، أريد لها أن تكون جيدة وأن لا تكتب كيما اتفق. والأهم أنني ربما يمكن أن أنهيها، ولكنني لا أمتلك القوى البدنية الكافية ولا الظروف الملائمة.

ولذا قررت الآتي:

أواصل العمل بإصرار وبشكل مكثف في كتابة القصة، وليكن ما يكون، إلى أن أستلم الجواب منك. فإذا كتبت لي أن بالإمكان، وبحكم الحاجة، الاستغناء عن قصتي فإني أرجئها في الحال ويبقى لي وقت لكتابية شيء ما لهذا العدد في النقد، ليس عن كوستوماروف، فالمقالة عنه طويلة، إذا أجبتني بسرعة.

وإذا كتبت أنه ليس بالإمكان الاستغناء عن القصة فسأواصل كتابتها. على فكرة أنا نفسي سأقرر ما هو الممكن أو غير الممكن استناداً إلى الموعد الذي حددته أنت لاستلام المادة. ولن أترك القصة إلا في حال الضرورة الفصوى.

أنا أدرك، يا أخي، أنني الآن عضيد سيئ لك. وسأعرض فيما بعد. فأوضاعي الآن عصيبة لدرجة لم أر مثلها في السابق أبداً. الحياة كثيبة، والصحة لا تزال ضعيفة، وزوجتي تختضر. وفي الليالي تتورّ أعصابي بسبب ما يجري طول النهار. الحاجة تقتضي التزهه في الهواء الطلق، ولكن لا وقت للتمشي ولا مجال بسبب الأحوال.

معطف في الدافئ المبطن بالقطن بات ثقيلاً علي. درجة الحرارة أمس كانت 17 مئوية في الظل. كيف أصف لك الحال؟ الأمر صعب جداً. والأهم ضعف البدن واضطراب الأعصاب.

بينما لا أمل إلا بالاعتماد على النفس. يا أخي، النقود تتبخر عندي كما في الغلابة، والنفقات هائلة. أنا لا أنفق على نفسي ولا كوبيكاً واحداً، أتعلّم البسطال الشتوي ولا أنوي شراء آخر صيفي. لا يمكنني أن أعيش بلا نقود. اسندني الآن في أوضاعي الشاذة جداً، وكن على ثقة بأنني سأكسب قريباً.

قرأت (من نتاجي) في (أمسيات) التلاوة العامة. كما قرأ أوستروفسكي. وقال لي بلهجة ترحيب اختلط بالزعل إنك كنت ترسل له «الوقت» سابقاً، ولم ترسل «العصر» حالياً. ووعدته بأن أبلغك (...)

رأيت تشاييف وسألني عن رذك بخصوص مسرحية «الكسندر تفيرسكي». اكتب عنها رجاءً. شعرها جيد، وأنا لم أقرأ المسرحية نفسها بعد. وقد كتبت لك عن ترزيتها في (صحيفة) «اليوم».

وداعاً، أعانقك. أصابني ضعف شديد، وأشعر حتى بشغل ريشة الكتابة. الآن الساعة الثانية عشرة. وفي الليل يزداد ضعفي، فلا أعمل. وهذا شيء سيئ للغاية. في السابق كانت أفضل أعمالي تم في الليل. وداعاً يا عزيزي.

المخلص ف. دوستوفسكي

قرأت نصف «الطبع الغامضة». باعتقادي ليس فيها شيء غير عادي. وهي طباع اعتيادية وليس غامضة إطلاقاً. وفيما يتعلق بالأفكار العصرية تلاحظ عليها الفتورة وبعض الوقاحة. فيها الكثير من

الشاعرية الصادقة، والكثير أيضاً من السطحية. والشيء الجيد أنها ليست مملة.

لربما تريدني أن أرسل إليك قصتي على وجبات. لكن المهم بالنسبة لي أن أعرف الموعد الأخير للتسليم كيلا يفسد التتاج بسبب التسرع.

رجاءً، ارفع الكلفة ولا تشفع علىي. المهم بالنسبة لي هو أن أنهي، ولا فرق عندي ماذا أكتب. لكنني أريد أن أنهي القصة بشكل أفضل.

(1) «مذكرات من تحت الأرض» («في قبو»)

(2) نظراً لاحضار زوجة الكاتب.



86. إلى ميخائيل م. دوستويفسكي

موسكو، 13 - 14 أبريل 1864

صديقي العزيز ميشا.

استلمتُ اليوم رسالتيك. إحداهما مع مبلغ 100 روبل وإضافة في سطرين. أشكرك من صميم القلب على الرسالة وعلى الإضافة، والثانية مؤرخة في 10 أبريل، وأسارع هنا للإجابة عليها. سبق أن كتبتك عن قصتي الطويلة في رسالتين وأبلغتك أنها ليست جاهزة وأنني تركتك من دون القصة ومن دون المقالتين في آخر وقت، هو فترة الأعداد الأولى من المجلة. وأنا، يا صديقي العزيز، أعرف وأتعذب كثيراً. فما العمل؟ كل تلك عوامل خارجية لا توقف عليّ. مستعد أن أضحي بسنة من حياتي مقابل كل عدد من المجلة، على أن لا يحصل ما يحصل الآن. أنا في حالة عصبية فظيعة، مريض أخلاقياً لأنني أسحب منك النقود كون نفقاتي لا تتقلص، بل تزداد. كل ذلك يعذبني ويؤذيني، ولا أدرى بماذا سأنتهي. ولكن فلتتناول العمل. ما كتبته (لنك) عن القصة أكرره هنا: إنها تمدد. ومن المحتمل تماماً أن تكون مؤثرة، وأنا أبذل قصارى جهدي، لكنني أتقدم ببطء، لأن كل

أوقاتي مشغولة بغيرها من دون إرادة مني. القصة موزعة على ثلاثة فصول كل فصل بما لا يقل عن ملزمة طباعية ونصف. الفصل الثاني مرتبك، والثالث لم أبدأه بعد. بينما الفصل الأول تحت التنقيح. ويمكن أن يأتي في ملزمة ونصف. سأفرغ من تنقيحه بعد خمسة أيام. فهل يصح أن نشره على انفراد؟ سيكون الحال هذه مثاراً للسخرية. خاصة وأنه يفقد نسقه الحيوي من دون الفصلين الآخرين. أنت تعرف مفهوم النقلة في الموسيقى. وهو نفسه في هذا المجال. في الفصل الأول ثرثرة، على ما يبدو. وفجأة يظهر في الفصلين الأخيرين حل لها بشكل كارثة. إذا طلبت أن أرسل إليك الفصل الأول وحده فسأرسله. فاكتب لي من كل بد. أنا لا أزال قادرًا على التضحية بهذه الصغار، فأرسل لك الفصل. لكنك كتبت لي أنك تريد إصدار العدد مع مقدم العيد⁽¹⁾. فمتى أبعه؟ ألن يصدر العدد بعد العيد؟ هذا يؤدي إلى إرجاء الاشتراكات. فلنتحدث عنها. أنا واثق، يا أخي، بأن خبرتك الشخصية ينبغي أن تعلمك أنت أيضاً بأن الاشتراكات تکاد تنتهي الآن، وأننا لو نشرنا في كل عدد نتاجاً لتورغينيف لما رفعنا الاشتراكات كثيراً. لديك رواية زاروبين المطولة. انشرها. فهي لا بأس بها. وخذ من ميلوكوف قصة قصيرة أو ما أشبه. اهتم بالنقد. النقد هو الأهم. اتجاه مجلتنا لا شك فيه بالنسبة للجمهور. إلا أن المقالات التي تحلل اتجاهنا خصيصاً قليلة. طبعي أن من الضروري أن يكون عدد مارس أفضل حتى من العدددين الأوليين. ولكن ما العمل؟ ثم إن الأمل في اشتراكات العام الحالي غير وارد. وبالمقابل سنواصل في الأعداد القادمة، على مدار عام، العمل على تأمين اشتراكات رائعة في النهاية للعام التالي. أنا مسؤول عن كلامي هذا. افترض المبلغ اللازم لهذا العام من أرمدة خالنا. ولعلك استلمت ردّي

على هذا السؤال. فمن العحمة عدم الاستفادة من هذا القرض مع وجود احتمال كبير بالنجاح. أصدر العدد بأسرع وقت. قبل عبد الفصح، وتعال إلينا في أسبوع البصخة المقدس.

على فكرة، حاول أن تحصل من غور斯基، إن أمكن، على مقالة بعنوان جذاب. الجمهور يُقبل على قراءة مثل هذه المقالات. وقد شاهدت في موسكو كيف يقرأ الناس صغاراً وكباراً مقالة له ويناقشونها. هذا شيء واضح ومفهوم. أما مقالة تورغينيف فما يسمى بالجمهور لا يمتنعها (...). أعط وعداً للقراء بأن المجلة ستنشر في عددها القادم بقية قصة «مذكرات من تحت الأرض»، وأعلنْ أنني كنت مريضاً. قرأت في الصحف إعلاناً عن صدور عدد مارس من «مذكرات الوطن». هذا الإعلان أمرٌ من العلقم.

(...).

وداعاً يا أخي. أعانقك. وأتمنى لك موفور الصحة والهمة والنشاط.

المخلص ف. دوستويفسكي

الثلاثاء، 14 أبريل. في الساعة الثانية بعد منتصف ليل أمس أنهيت هذه الرسالة، وبعدها تدهورت أحوال ماريا دميتريفنا لدرجة خطيرة. فطلبت استدعاء القسيس. ذهبت إلى ألكسندر بافلوفيتش ويعثت في طلب القسيس. بقينا ساهرين طول الليل. وفي الساعة الرابعة تم تناول القربان المقدس. وفي الثامنة صباحاً رقدت وأيقظوني في العاشرة. وكانت حالة ماريا دميتريفنا في تلك اللحظة أهون.

من المئة روبل التي أرسلتها لي لم يبق ولا كوبيك واحد في اليوم الثاني من العيد. تلك هي حياتي.

(...) إنني أمتلك منك النقود في هذا الوقت العصيب، ولم
أشهد في حياتي فترة أكثر مرارة وأشد ألماً من الوقت الحاضر.
أبعث إليك قصة أبوليناري على حدة. فانتبه إليها. أعتقد أنه يمكن
نشرها.

(1) عيد الفصح (أسبوع البصخة المقدسة).



جدارية في محطة «دوستويفسكي» في مترو موسكو

87. إلى أندريه دوستويفسكي

بطرسبرغ، 29 يوليو 1864

أخي العزيز أندريه ميخائيلوفيتش.

أنا مسرع للكتابة إليك تلبية لطلبك رغم أنني لا أملك ذرة من الوقت. فكل أشغال أخينا (المرحوم ميخائيل في إدارة المجلة) وقعت على كاهلي. ومنذ ثلاثة أسابيع تقريباً لاأشعر حتى بوجود قدمي. توفي المرحوم ميشا بسبب تقيح في الكبد أدى إلى تسرب عصارة المرارة إلى الدم. هذا هو المرض. وقد كان مريضاً من زمان الأطباء يقولون من عامين تقريباً. فالإصابة بداء الكبد يمكن أن يعيش طويلاً دون أن يلتفت إليه، وخاصة إذا كان مشغولاً جداً. بينما كان هو على الدوام مشغولاً إلى بعد الحدود. في العام الماضي منعوا المجلة («الوقت»). فوقع النبا عليه آنذاك وقع الصاعقة وأربك جميع أشغاله وجعله يتوقع كارثة لا تبقي ولا تذر، فكان طوال العام الأخير قلقاً منفعلاً متوجساً. يصعب أن أشرح لك كل تلك الأمور بالتفصيل. فأوجزها بعدة كلمات: أموره ساءت من زمان نتيجة لحرب (القرم) وما تبعها من أزمة مالية وتدني الائتمان عموماً. وترامت (علينا)

ديون كبيرة. بدأنا نصدر مجلة أنفقنا عليها المال ولم نستغن عن الاقتراض. وبال مقابل كان لدينا من العام الثاني 4000 مشترك، وبالتالي 60000 روبل في التداول. واستمر الحال على هذا المنوال طول الوقت. وهو كذلك الآن أيضاً بالنسبة «للعصر». ومع ذلك لم نتمكن من تسديد الديون. كان مجموع الديون القديمة والجديدة، حينما احتجبت «الوقت»، 20 ألفاً. وتمكن أخونا من إنفاق عائدات الاشتراك على تسديد الديون. وبعد التسديد المنتظم ظل هناك ائتمان للتداول اللازم، وشرحه يطول، لإصدار المجلة سنوياً بنزاهة وشرف وبلا صعوبة تذكر. إلا أن كل شيء تقوض بمنع المجلة من الصدور، كما تقوض الائتمان أيضاً. وكان العام الفائت صعباً فتضررت صحة أخيانا كثيراً. وفي الأخير تمكنا من الحصول على ترخيص لإصدار «العصر». لكنه اضطر إلى إصدارها بخسارة. لأنه كان من اللازم تسليم العدد للمشترين الـ 4000 بستة روبلات وليس بقيمة الاشتراك الكامل 15 روبراً. إلا أن المرحوم تصرف بحكمة، حيث اقتني مطبعة بقرض يشكل ثلثي قيمتها، وتمكن بذلك من توصيل المجلة جيداً حتى موعد الاشتراكات الجديدة. وبموجب حساباته لن تبقى أية ديون عالية بعد عام ونصف. إلا أن مشيئة الله أرادت غير ما أراد. قبل ثلاثة أسابيع أو يزيد من وفاته توعكت صحته، بالتقيؤ واضطراب المعدة. وبعد ذلك انفجر الكبد فجأة. وللحقيقة أنه تجااهل وصايا الأطباء بالكف عن العمل وملازمة المنزل، على الرغم من أنه كان يستشيرهم ويتناول الأدوية. وكان لديه بيت صيفي في (ضاحية) بافلوفسك. وكان غالباً ما يتتردد على المدينة لأشغال المجلة والمطبعة وغيرها من الأعمال. وأردت أنا أن أسافر إلى الخارج لغرض العلاج واستلمت جواز السفر وارتحلت إلى موسكو لمدة أسبوع. وعندما عدت من

موسكو أواخر يونيو أفزعني أن المرض الذي وصفه بالبسيط عندما ودعني إلى موسكو قد اشتد. وأخيراً خوفه الدكتور بيسير الشهير هنا وقال له إن هذا المرض خطير جداً، وينبغي علاجه. واستقر المرحوم في البيت الصيفي، ولم أسافر أنا إلى الخارج، بل أخذت أتردد على بافلوفسك يومياً، فيما كان هو يهم بالسفر إلى المدينة في كل لحظة متوقعاً الشفاء. وأخيراً داهمه الضعف والنحول. وفي يوم الأحد، الخامس من يوليو، خف عليه المرض فجأة. ولم يفقد بيسير الأمل مع أنه أعلن أن التقيع في الكبد. ولم يكن أحد من يتوقع سوء المآل. لا أحد، حتى الطبيب. وفجأة أخذ يعمل في الأمسيات فرحاً لتحسين أحواله. وفي مساء الاثنين جاؤوه بخبر منع الرقابة إحدى المقالات. فقال لي في اليوم التالي إنه يشعر بسوء الحال ولم يغمض له جفن في الليل. ما كان ينبغي له أن يمارس أية أعمال في مثل حالته الصحية. فأدنى إخفاق أو أي خبر غير سار إنما هو بمثابة السم بالنسبة له. ويمكنه أن يقلق ويتحول الحبة إلى قبة ولا ينام الليل. استدعينا بيسير، فاختلى بي وأعلن أن لا أمل في الشفاء، لأن الغدة الصفراء انفجرت هذه الليلة وتسربت المراارة إلى الدم وسمّنته. وقال بيسير إن أخي يشعر بالنعاس، وسيغفو في المساء ولن يستيقظ أبداً. وهذا ما حصل. غداً، ونام بهدوء تقريباً. وفي يوم الجمعة، العاشر من الشهر، توفي في المنام. في السابعة صباحاً. كانت هناك ثلاثة اجتماعات تشاورية للأطباء، واستخدمت كل الوسائل، واستدعي أطباء من بطرسبورغ، ولكن من دون جدوى.

لن أقول لك كم فقدت أنا برحيله. هذا الإنسان كان يحبني أكثر من أي شيء في الدنيا، أكثر حتى من زوجته وأطفاله الذين كان متيمماً بهم. ولعلك تعرف أن زوجتي توفيت بالسل في موسكو في أبريل من

هذا العام. وفي عام واحد التوت حياتي وتحطمت. فهذا الكائنان كانا لأمد طويل يشكلان كل ما في حياتي. فمن أين أجد الآن أناساً مثلهما؟ بل ولا أريد أن أبحث عن أولئك الناس. فمن المستحيل العثور عليهم. أماي وحدة الشيخوخة الباردة والصرع الذي يلاحقني. كل أمور عائلة أخيها مرتبكة لدرجة كبيرة. أعمال هيئة التحرير الهائلة والمعقدة أتولاها أنا. الديون كبيرة. وليس لدى العائلة كوبيك واحد، وكل أفرادها قاصرون. الجميع يبكون حزاني، وخصوصاً إميليا فيودوروفنا التي تخشى المستقبل إضافة إلى كل النوايب. بديهي أنني الآن خادمهم. أقدم رأسي وصحتي قرباناً لمثل هذا الشقيق.

عموماً الأمور كالآتي: لدى المجلة 4000 مشترك. وفي العام القادم ربما سيزداد عددهم. وبالتالي ذلك يعني وجود تداول سنوي بـ 60000. وفي غضون عامين تستطيع العائلة أن تسدد كل الديون المستحقة، إضافة إلى إمكانية العيش في بحبوحة. وأنا في الواقع أبقى رئيساً لتحرير المجلة. كما عُين رئيس تحرير آخر هو أ. بوريسكي من جهة الحكومة. وفي العام الثالث تستطيع العائلة أن تدخل عشرة آلاف سنوياً على وجه التقريب. وهو الهدف الذي كان يتواخاه شقيقنا، لأنه هدف سليم أرجأ بلوغه غلق المجلة في العام الماضي. إلا أن المجلة ستتصدر طوال العام الحالي بخسارة، لأنها تسلم إلى معظم المشتركين بـ 6 روبلات بدلاً من الـ 14 روبراً وخمسين كوبيكاً، وذلك تعويضاً لهم عن الأعداد الثمانية من «الوقت» التي لم تصدر بسبب المنع. كان هذا العام صعباً على أخيها. ففي بداية السنة اقترض في موسكو 9000 روبل من زوجة خالنا لمدة عامين و6000 من ألكسندر بالفوفيتشر بسندات رهتها أنا هنا بمبلغ 5000. وأنفق تلك الأموال على شراء مطبعة له كان ينوي أن يرهنها هي أيضاً بخمسة آلاف، وقيمتها عشرة

آلاف. هكذا كان يأمل في الوصول بالعمل إلى المبتغى، أي إلى الاشتراك المرتقب الذي كان سيعود على المجلة بـ 60000 كحد أدنى. وهذا هو المطلوب. ثم إن الديون هنا تبلغ 8000. لكنه توفي. ورغم أن إميليا فيودوروفنا تسلمت الوصاية وباتت المجلة ملكاً للعائلة، إلا أن ائتمان المرحوم اختفى لدرجة كبيرة برحيله. باختصار: كان مجموع ما لدينا نقداً 5000 روبل يتضرر استلامها مقابل السنداط المرهونة، وما يقارب الـ 3 آلاف ينتظر أن تستلمها هذا العام، بالإضافة إلى المطبعة التي دفعنا جزءاً من ثمنها. لدينا صعوبة فيما يخص النقود. إلا أننا، بإذن الله، سنصل بسلام. والآن أقول لك، يا أخي الكريم، إن العائلة لم تكن يوماً في مثل هذه الضائقة. وأمل أن نفلح في تحسين الأوضاع. ولو كنت تستطيع أن تفرض العائلة لتمشية أمور المجلة ولو 3000 روبل، مما وقع من نصيبك بعد وفاة خالنا ولعلك لم تنفقه، لموعد أقصاه 1 مارس بفائدة 10 بالمئة، لفعلت خيراً وتكررت بالمساعدة وواسيت كثيراً المسكينة (أرملا أخيك) إميليا فيودوروفنا. التسديد في الأول من مارس لا ريب فيه. وأنا أيضاً مستعد لكفالتها. والآن القرار لك. حكم عقلك: سيكون الأمر صعباً جداً علينا، رغم ثقتي التامة بأنني سأتحمل إصدار المجلة حتى يناير. والـ 3000 الإضافية من شأنها أن تعسفننا بالتأكد. والرأي رأيك^(١). (...). إ Emilya فيودوروفنا تبلغك تحياتها. وهي لا تستطيع أن تكتب لأحد حتى الآن. وداعاً، فكر فيما كتبت لك عنه. فهذا العمل من الفضائل الطيبة. ولا يطال الشك مصداقته أبداً. احترامي وتحياتي الأخوية الصادقة لزوجتك. وقبلاتي لأولادك (الأربعة).

إلى اللقاء يا عزيزي.

أخوك ف. دوستويفسكي

على فكرة، أنت كنت دوماً تلومنا جميعاً لأننا لا نكتب لك شيئاً. المرحوم كان طوال العامين الأخيرين قلقاً جداً. وأنا في العام الأخير كنت جنباً زوجتي ماريا المسكينة المريضة بالتدبر الرئوي. في الصيف الحالي كنت أنوي السفر إلى الخارج، إلى إيطاليا ثم إلى القسطنطينية في طريق العودة عبر أوديسا. وفكرت في زيارتك ثلاثة أيام في يكاترينسلاف رغم الدورة الطويلة في الطريق.

(1) أندريه لم يبرر آمال أخيه فيدور، لأن الـ 3000 المذكورة من تركة خالهما كانت مودعة لدى إحدى الشركات بستانات لم يحن وقت استرجاعها.



88. إلى إيفان تورغينيف

بطرسبرغ، 20 سبتمبر 1864

العزيز المحترم إيفان سيرغييفيش.

قال لي يغور بيتروفيتش إن لك، أولاً، موقفاً جيداً ميالاً إلى مجلتنا، وثانياً، إنك وهو في بادن شعرتما بنوع من الحيرة لسماع اسم بوريسكي الذي يعتبر رئيس التحرير الرسمي للمجلة. وفهمتُ من كلام كوفاليفسكي، إن لم أكن مخطئاً، أن اسم بوريسكي غير المعروف يمكن أن يحول جزئياً دون نيتك ربما في تزويد «العصر» بقصة طويلة أو رواية في المستقبل حينما تكتبها. وأرى من المفيد أن أوضح جوهر المسألة. بوريسكي من معارفنا، أنا والمرحوم أخي، من خلال عائلة مايكوف منذ 17 عاماً تقريباً. وكان في وقت ما يكتب «الاستعراض الداخلي» في «مذكريات الوطن». وتولى كتابة هذا الركن في مجلة «الوقت» عام 61، ثم حل رازين محله. وقد أبلغوني بأنه لا يحق لي رسمياً أن أكون رئيساً للتحرير، وعلىي أن أبحث عن شخص آخر لهذه المهمة. بوريسكي إنسان هادئ، ودبيع، مثقف بما فيه الكفاية، ومن دون شهرة أدبية. وإذا لم يكن بالإمكان تمنع الرجل بشهرة واسعة مثل

بيسيمسكي فالأنفع للمجلة أن يكون بدون شهرة على العموم. والمهم أنه مستشار مدنى. وأنا قدمته بمثابة محرر، ووافقوا عليه لأنه يناسب الشروط المطلوبة تماماً. وهو يساعدني في التحرير، بل وأخذ يعد «الاستعراض الداخلى»، لكن مهمة الإصدار تتولاها نحن الموظفين السابقين وأنا في مقدمتهم. والأمور تسير، على ما أظن، بشكل لا يأس به، ولدينا المال اللازم حالياً.

لكن كل هذه التبدلات تؤثر كثيراً على الجمهور أيضاً. وينبغي لنا الآن، الآن تحديداً، أن نبين أن العاملين الأساسيين السابقين لا يستهينون بنا، وإذا شاركت أنت في المجلة فسيفهم الجمهورأخيراً أن المجلة سائرة في طريق بلا مطبات. ولذا لا أخفي عليك مدى قيمة مشاركتك بالنسبة لنا. أرجوك، يا إيفان سيرغيفيتش، اكتب لي عن ذلك، هل تستطيع أن تعدنا بأول قصة طويلة أو رواية تكتبها؟^(١) عدد المشترkin لدينا كبير. وستكون مجلتنا في المقدمة من حيث النزاهة ومصداقية الأدب، بلا خيانة للضمير، ومن حيث (الموقف) في القسم الانتقادي. «المعاصر» تتدنى بشكل فظيع، و«ال بشير الروسي» اتخذت شكل حولية دورية. أنا لا أتابه في الحقيقة. باختصار، ستجري الأمور على ما تجري عليه، ونحن من جهتنا سنبذل جهداً.

لقد تأخرنا بعض الشيء. وفاة أخي أوقفت إصدار المجلة شهرين. ومع أن الجميع تأخروا، إلا أنها أكثرهم. وسنلحق بالركب. نقلتُ الأشغال إلى مطبعة أخرى، ونعمل فيها بمثابة كبيرة، وفي نيتنا أن نصدر عدد يناير 65 قبل الجميع. لحد الآن لم أتمكن شخصياً أن أكتب ولا سطراً واحداً. أعمل ليل نهار، وحصلت لي نوبتان من الصرع. كل الأعمال على كاهلي. وخصوصاً الجزء الطباعي منها.

فأنا الوحيد الآن في العائلة. ومع ذلك تم، والحمد لله، تنظيم بعض الأمور. وأنا لا أفقد الأمل.

أكرر هنا من جديد أن مساهمتك ذات قيمة بالغة بالنسبة لنا. ولن تأسف على مؤازرتنا. بالطبع كل شخص يمدح نفسه، لكن هذا أفضل مما لو نظرت إلى عملي الحالي بتساؤم. ما أشد رغبتي في توصيل مجلتنا إليك⁽²⁾.

اوستروف斯基 بعث لي تواً رسالة حميّة. وقد وعد بتزويدنا حتّماً بمسرحيتين في غضون هذه السنة.ولي في هذا العدد مقالة عن اوستروف斯基 أمدحه فيها، ولكن بأكبر ما يمكن من الحيادية. وهو لم يطلع عليها بعد. لكنني لا أريد أن يكون لها تأثير عدائي عليه في العلاقة مع المجلة.

إلى اللقاء. أشد على يدك بحرارة.

المخلص ف. دوستوفسكي

(1) وعد تورغينيف دوستوفسكي بتلبية طلبه، لكنه لم يستطع أن يحدد موعد البدء بكتابه نتاج جديد.

(2) كان إرسال المجلة إلى تورغينيف في باريس مكلفاً.

89. إلى آنا كورفين - كروكوفسكايا

بطرسبرغ، 14 ديسمبر، 1864

الفضيلة السيدة آنا سيرغييفنا
معذرة إذا كنت أخطأت في كتابة الاسم الكريم، أرجو التكرم
بالتصحيح.

أبعث إليك 181، مئة وواحداً وثمانين روبلًا، مقابل قصتك «الراهب» المنشورة في عدد سبتمبر، التاسع، من «العصر» تحت عنوان «ميغائيل». عنوان «الراهب» لم يكن ممتنعاً على أية حال، لكن الرقابة الكنسية اعترضت عليه. في البداية منعت الرقابة الكنسية هذه القصة، ولذا اضطررت للموافقة على الكثير من الشطب والتصحيحات فيما بعد. بعض تلك التصحيحات في اعتقادي الشخصي مبرر. على سبيل المثال كل مشاعر ميخائيل بخصوص الدير والرهبان عندما عاد إلى موسكو وقبل مغادرتها مشطوبة، وأعتقد أن الشطب هنا شيء جيد، لأن التذكير بتلك المشاعر غير ضروري. فمن لا يفهمها من دون اجتزار؟ وبسبب هذا التقليص غدت القصة أقصر، وأكثر كثافة وبلا قتامة أو غموض. كل شيء واضح. وأضيف إلى

ذلك أن من أعظم مواهب الكاتب قدرته على الشطب والاختصار. فمن يجيد ويستطيع أن يشطب ما كتب يذهب بعيداً. كل الكتاب العظام ألقوا بمنتهى الكثافة والاختصار. والأهم أنهم لم يكرروا ما قيل، ولم يكتبوا ما هو مفهوم أصلاً. لا مؤاخذه على هذا الاسترسال. فلربما أنا ساذج جداً لأمضي في تقديم النصائح لك. كان يتعين عليَّ أن لا أحمل الجد والفهم الحرفي لرسالتك الأولى التي طلبت فيها النصح. أليس كذلك؟

قصتك «ميخائيل» أعجبت كثيراً جميع المقربين إلى هيئة التحرير وموظفينا الدائمين. أحدهم، وهو ستراخوف الذي يكتب «ملاحظات المدون» والذي أحترم رأيه أكثر من الآخرين، يرى فيك مهارة طبيعية وتنوعاً كبيرين. التنوع، مثلاً، في مشهد «المنام» و«معيشة الرهبان». عموماً «ميخائيل» أعجبت الكثيرين. «المنام» أعجبت البعض، وليس الجميع. أمارأيي فيها فأنت تعرفينه. يمكنك وينبغي لك أن تنظر إلى مواهبك بجدية. أنت شاعرة. وهذا وحده يكفي. وإذا إضفنا إلى ذلك الموهبة والنظرة (المميزة) فلا يجوز الاستهانة بالذات. المهم أن تعلمي وتقرأي. اقرأي الكتب الجادة. والباقي تجلبه الحياة.

إلى ذلك ينبغي الإيمان، فمن دونه لن يحصل شيء. مثالك الأعلى يلوح بشكل لا يأس به، وإن كان سلبياً. ميخائيل الذي لا يستطيع بطبيعته، أي بصورة لاوية، أن يتسامح مع ما هو أوطاً من المثال الأعلى إنما يجسد فكرة عميقة وقوية.

أنت لم تردي على الرسالة الأخيرة، وهي ببضعة سطور لدى إرسال التقدُّم لك أجرأً لقصة «المنام». وأنا لا أعرف لحد الآن هل استلمتها أم لا؟

ولذا تكرّمي واكتبي ولو كلمتين بأنك استلمت أجر «ميخائيل»
الذي أبعثه إليك بحساب 50 روبلًا للملزمة.

المخلص خادمك ف. دوستويفسكي

أرجو المعذرة على تأخير أجر «ميخائيل» أسبوعين.



٩٠. إلى إيفان تورغينيف

بطرسبرغ، 13 فبراير 1865

إيفان سيرغييفيش الموقر.

أبلغني بـ آتينكوف قبل أسبوع أن أبعث إليك ثلاثة روبل المتبقية في ذمة أخي لقاء (روايتك) «الأشباح». أنا لا علم لي بهذا الدين مطلقاً. ولعل أخي حدثني عنه في حينه، ولكن لما كانت ذاكرتي ضعيفة جداً فقد نسيت طبعاً، ثم إن ذلك لم يكن يخصني مباشرة آنذاك. ويوسفني جداً أنني لم أكن أعرف بهذا الدين في الصيف عندما كانت لدى بعض النقود، وكنت سأبعثها لك في الحال من دون أي تذكرة من جانبك.

وأخشى أن أكون الآن قد تأخرت كثيراً. ولكن في هذه الأيام الثمانية صدر عدد ينابير، وإلى ذلك ما كانت قدماي تحملانني وأنا مريض. ولما كنت أنا وحدي تقريباً أتولى التنفيذ في المجلة فقد عملت ليل نهار رغم المرض. ولا أخفى عليك أيضاً أن النقود كانت شحيحة، فقد تأخرت اشتراكانا ولم ترتفع إلا بصدور العدد الأول (الجديد).

في الآونة الأخيرة، من 28 نوفمبر، حين صدر عدد سبتمبر (متاخرًا) وحتى 12 يناير، موعد صدور العدد الأول الجديد، استطاعت في 75 يوماً أن تصدر 5 أعداد في كل منها بمعدل 35 ملزمة. فهل تتصور مدى التعب الذي سببه لي ذلك؟ هذا وحده يجعلك تتفهم إلى أي شيء تحولت؟ أنا نفسي لا أدرى؟ لقد صرت آلة من الآلات.

أما الآن فلدي شهر، وليس أسبوعان، لإصدار العدد الواحد. وأأمل أن أجعل المجلة ممتعة على قدر الإمكان. الديون كثيرة: وسيكون الأمر صعباً جداً. سأتحمل عاماً، وفي العام التالي نقف بثبات على أقدامنا.

كتبت لي أنك دهشت لبسالي في البدء بإصدار مجلة في زماننا هذا. ويمكن توصيف هذا الزمان بأنه يخلو تماماً من الآراء، وخصوصاً في الأدب، كل الآراء جائزة، والكل يعيشون جنباً إلى جنب، من دون رأي مشترك ولا إيمان واحد. ويقترف خطيئة، في اعتقادي، من لديه ما يقوله ويلوذ بالصمت ومن يتصور على الأقل أنه يعرف بماذا يؤمن ولا يتكلم. أما البساطة فلم لا تستبدل في الوقت الذي يتحدث فيه الجميع عما يشاؤون ويتمتع بحق المواطنة حتى أكثر الآراء همجية؟ على فكرة، ما الموجب للكتابة عن ذلك؟ تعال بنفسك وتطلع إلى أدبنا هنا، وسترى.

في الآونة الأخيرة، بالمناسبة، لوحظت عندنا عدة ظواهر أدبية رائعة.

قبل ثلاثة أيام صدر العدد الأول من «المعاصر» وفيه مسرحية أوستروفسكي «قائد العساكر أو حلم على الفولغا». لا أدرى ما هذا. لم أقرأها بعد. كنت مشغولاً بالتصحيحات. البعض يقولون إنها

أفضل ما كتبه أوستروف斯基، والبعض الآخر لا يعرفون ماذا عساهم
أن يقولوا بشأنها.

أبعث إليك حواله بـ 300 روبل عبر مكتب غيتزبورغ.
آنينكوف قال إنك لن تأتي إلينا قريباً. هل هذا صحيح؟
على فكرة، يدهشني لماذا تعتقد أن قصتك القصيرة «الكلب» التي
لم أقرأها غير مهمة لدرجة أن نشرها يلحق بك ضرراً على صعيد
الأدب؟ هذا مستغرب يا إيفان سيرغييفيش. فهل يعقل أنك يمكن أن
تضسر بنفسك حتى من خلال قصة قصيرة لا أهمية لها؟ فما الفرار من
صدور قصتك القصيرة قبيل ملحمة كبيرة؟ ومن لم يكتب أقايسص؟
إلى اللقاء.

المخلص لك إلى الأبد
فيودور دوستوفسكي



91. إلى ألكسندر فرانغيل

بطرسبورغ، 31 مارس - 14 أبريل 1865

صديقي الحبيب الطيب ألكسندر يغورو فيتش. أفهم أنك بالطبع لا بد أن تدهش كثيراً بالانطلاق من مشاعرك تجاهي وتزعل من صمتي على رسالتك الرقيقتين الطيبتين. فلا تذهب ولا تزعل. كنت أريد أن أجيبك رأساً ولم أستطع. لماذا؟ اقرأ ما سيأتي في أدناه. فهل يمكنني أن أنساك وأنت صديقي في حين لم يكن لدى أصدقاء غيرك؟ وأنت شاهد سعادتي اللامتناهية والأمي الفظيعة؟ ألا تتذكر تلك الليلة في طرف غابات ضواحي سيمبولاينسك عندما ودعنا (عائلة عيسايف)؟ كيف أنساك وأنت صديقي الذي بذل فيما بعد جهداً بالغاً هنا، في بطرسبورغ، لنجدتي؟ بالعكس، طوال كل هذه السنوات كنت أفكر فيك وأنتذرك. ولكن كيف كانت حياتي في تلك الفترة؟ أنا ملزم بالتوسيع، بل وبتقديم تقرير لك يفسر صمتي في الآونة الأخيرة تجاه رسالتك. اسمع إذن: أكتب لك قصتي بكمالها خلال الفترة كلها. كلا، ليس بكمالها، فذلك غير ممكن، لأن الرسائل في مثل هذه الأحوال لا تستوعب أهم ما ينبغي الحديث عنه. وأنا لا أستطيع أن

أكتب على نحو آخر. ولذا الأفضل أن أحدثك، باختصار على قدر الإمكان، عن العام الأخير من حياتي.

لعلك تعلم أن أخي (ميغائيل) بدأ بإصدار مجلة قبل أربع سنوات. وقد تعاونت معه. وسارت الأمور بأروع صورة. وأثارت قصتي «منزل الأموات» فيها ضجة من الإعجاب، فإستعدت مكانتي الأدبية من خلالها. وترتب على أخي ديون هائلة في بداية إصدار المجلة، فأخذ يسددها، وفجأة منعت السلطات المجلة في مايو 63 بسبب مقالة وطنية ساخنة للغاية أخطأوا في اعتبارها مقالة مثيرة موجهة ضد أفعال الحكومة والرأي العام آنذاك. صحيح أن كاتب المقالة، وهو أحد موظفينا، مذنب جزئياً لأنه بالغ في الأصباغ والتلاوين، ففهموه بشكل معكوس. وسرعان ما فهمت القضية كما يجب، إلا أن المجلة كانت قد منعت. ومن تلك اللحظة اضطربت أعمال أخي إلى أقصى حد، وفقد ائتمانه وافتضحت الديون، ولم تكن هناك إمكانية لتسديدها. ثم استحصل أخي ترخيصاً بإصدار مجلة أخرى بعنوان جديد هو «العصر». جاء الترخيص في أواخر فبراير 64، ولم يتمكن أخي من إصدار العدد الأول قبل الـ 20 من مارس. ما يعني أن المجلة تأخرت وقد انتهى موعد الاشتراكات في كل مكان، ذلك لأن الجمهور تعود على الاشتراك في جميع المجلات بالعادة القديمة خلال الأشهر الثلاثة ديسمبر ويناير وفبراير فقط. وكان من اللازم إرضاء المشتركين القدامى الذين لم يستلموا تصفية حساب بعد منع «الوقت». وتم إشعارهم بأن يحولوا ستة روبلات فقط لقاء الاشتراك في مجلة «العصر» لعام 1864. وفي ظل غياب المشتركين الجدد واستمرار المشتركين القدامى باستلام المجلة بسعر ستة روبلات (بدلاً من 14) تعين على أخي أن يصدر المجلة بخسارة. وهذا ما أدى إلى

ارتباكه نهائياً والقضاء عليه. كَبِّل نفسه بالديون، وتدهرت صحته. ولم أكن أنا قريبه في تلك الفترة. كنت في موسكو جنب زوجتي المحتضرة. أجل، يا ألكسندر يغوروفيتش، يا صديقي الغالي، أنت تكتب لي مواساة بفقدي وملادي ميشا، ولا تعرف مدى ما سلطه على المصير من خنق وتعذيب. الكائن الآخر الذي أحبني وأحبيته بلا حدود، زوجتي توفيت في موسكو التي انتقلت إليها قبل عام من وفاتها بالتدرن الرئوي. وانتقلت أنا في الحال ولم أبتعد عن سريرها طوال شتاء 64، حتى وافتها المنية في 16 أبريل من العام الماضي. كانت في كامل وعيها، وتذكرت، مودعة، جميع الذين أرادت أن تبعث إليهم آخر تحية. كما تذكرت أنت أيضاً. أبلغك بتحيتها يا صديقي القديم الطيب.

تذكّرها بطيب الذكريات. أه، يا صديقي. كانت تحبني بلا حدود، وأنا أيضاً كنت أحبها بلا حدود. لكننا لم نعش سعيدين. سأحدثك بكل شيء عندما نلتقي. أما الآن فأقول إننا كنا معاً تعيسين تماماً نظراً لطبعها الوسواسي الغريب والخيالي لحد أليم. ورغم ذلك لم نكف عن حب أحدهنا الآخر، وكلما ازدادت تعاستنا ازداد تعلقنا بعضنا البعض. ومهما بدا الأمر غريباً، فإنه كان على هذه الصورة. لقد كانت أنزه امرأة، وأكثر نبلًا وأريحية من جميع النساء اللواتي عرفهن في حياتي. وعندما توفيت وتعذبت طول العام وأنا أراها تحتضر، ورغم إدراكي وشعورني الأليم بما سأدفعه معها، لم أكن أتصور بأي حال مدى الألم الذي حز في نفسي والفراغ الذي اكتنف حياتي عندما أهيل عليها التراب. وقد مر عام وهذا الشعور باق لا يتضاءل... وبعد الدفن هرعت إلى أخي في بطرسبورغ، فهو الوحيد الذي بقى عندي، ولكنه توفي هو أيضاً بعد ثلاثة أشهر. ظل مريضاً لشهر واحد

فقط، وبشكل مخفف. ولذا جاءت الأزمة التي قادت إلى الموت مفاجئة تقريباً، في غضون ثلاثة أيام.

وها أنا أبقى وحيداً وسط شعور موحش رهيب. وانشطرت حياتي دفعة واحدة إلى شطرين. في الشطر الذي انتقلت إليه كل ما عشت من أجله، وفي الشطر الثاني غير المعروف بعد كل ما هو غريب علىَّ وجديد، ولا قلب يمكن أن يعوضني عن الفقيدين. لم يبق لي ما يستحق الحياة بالمعنى الحرفي للكلمة. كان من اللازم إيجاد إرتباطات جديدة، وابتداع حياة جديدة. وكنت أمقت حتى التفكير في ذلك. شعرت لأول مرة باستحالة الاستعاضة عنهما وبأنني أحبهما وحدهما في هذه الدنيا، وأن الحب الجديد لن يحصل، ولا حاجة لي به. واستحال كل شيءٍ حواليَّ إلى برد وخواء. وعندما استلمنت قبل ثلاثة أشهر رسالتك الدافئة الطيبة المشبعة بالذكريات القديمة شعرت بحزن لا أعرف كيف أعبر لك عنه. فاستمع إلى الباقي.

9 أبريل 65

مررت تسعة أيام على بدء كتابة هذه الرسالة لك، وفي هذه الأيام التسعة تحديداً لم تكن لدى ولا دقيقة من وقت الفراغ لأكمل الرسالة. هل تصدق، يا ألكسندر يغورو فيتش، بأنني في الشهور الثلاثة التي أعقبت استلامي رسالتك، وخصوصاً الرسالة الثانية التي آلمني بشأنها أن أفكِّر في أنك ستظن بي الظنون، هل تصدق بأنني لم أتمكن أن أجد ولا دقيقة واحدة لكي أرد عليك، ولذا بقيت صامتاً حتى الآن؟ تلك هي الحقيقة سواء كنت تستطيع أن تصدقها أو لا. فلماذا كان الأمر على هذا النحو؟ سترى في أدناه.
أواصل ما كتبته سابقاً.

بعد وفاة أخي كانت هناك ثلاثة روبل لا غير. أنفقناها على الدفن. وإلى ذلك بقيت ديون تناهز 25 ألفاً، منها عشرة آلاف ديون بعيدة الأجل ما كانت تقلق العائلة، إلا أن الـ 15 ألفاً الباقي كميات تتطلب التسديد. ويمكنك أن تسأل بأية أموال استطاع أخي أن يصدر ستة أعداد من المجلة للنصف المتبقى من السنة؟ وقد توفي في يونيو 64. كان لديه ائتمان استثنائي كبير. وإلى ذلك كان بوسعه أن يستدين، والقروض كانت شائعة. لكنه توفي، فتقوض ائتمان المجلة بكامله. لم يبق ولا كويكب واحد لإصدار المجلة، وكان يجب توفير ستة أعداد كلفتها 18000 روبل في أقل تقدير، بالإضافة إلى تسديد مستحقات الدائنين وقدرها 15000، فكان مجموع المطلوب 33000 روبل لإنجاز الأعداد المتبقية من السنة وبلغ الاشتراكات الجديدة. وبقيت عائلته من دون نقود إلى حد التسول. وبقيت أنا أملهم الوحيد، فتجمعوا، أرملة أخي وأولاده، حولي متظرين مني طوق النجاة. كنت أحب أخي جبًا جمًا، فهل أستطيع أن أتركهم؟ وكان أمامي طريقان: 1) أوقف المجلة وأقدمها مع الأناث وحاجيات البيت إلى الدائنين، فهي على أية حال ملك له ثمن، وأنقل العائلة إلى شقتى. ثم أعمل وأنشط في الأدب وأكتب روايات وأغيل أرملة أخي وأيتامه. 2) أستحصل نقوداً وأواصل إصدار المجلة مهما كلف الأمر. ويؤسفني جداً أنني لم أستخدم الطريق الأول. الدائنوين ما كانوا ليستلموا طبعاً 20 بالمئة. لكن العائلة إذا تخلت عن التركة ليست ملزمة قانوناً بتسديد الديون. طوال هذه السنوات الخمس عملت عند أخي وفي المجالات الأخرى وكنت أتقاضى ما بين ثمانية وعشرة آلاف روبل سنوياً. وبالتالي كان بوسعي أن أعيش وأطعم نفسي، إذا عملت بالطبع ليل نهار طول عمري. إلا أنني فضلت الطريق الثاني، أي

مواصلة إصدار المجلة. وبالمناسبة لست أنا الوحيد الذي فضل هذا الطريق. كل أصدقائي وموظفينا السابقين كانوا من هذا الرأي.

14 أبريل

انقطعت عن الكتابة من جديد. يا ليتك تعلم، يا ألكسندر يغوروفيتش، أية أعمال فظيعة تقل عليّ وتشغل أوقاتي.
أواصل ما سبق.

بالإضافة إلى ذلك كان يجب تسديد ديون شقيقتي. فما كنت أريد أن يقع على ذكره ظل من الشكوك. وكانت هناك وسيلة تتلخص في بلوغ الإشتراكات السنوية وتسديد قسم من الديون والعمل على جعل المجلة أفضل عاماً فعاماً. وبعد ثلاث أو أربع سنوات من تسديد الديون نسلم المجلة إلى أحد ما، ونؤمن بذلك احتياجات عائلة أخي. وعندها أستريح، وأبدأ من جديد بكتابة ما أريد أن أعبر عنه من زمان. ولذا حسمت أمري. سافرت إلى موسكو، وطلبت من زوجة خالي العجوز الغنية الـ 10000 التي خصصتها لي في وصيته. وعدت إلى بطرسبرغ وأخذت أقدم الناقص من أعداد المجلة إلى المشتركين. إلا أن الأعمال كانت متدهورة جداً. فقد دعت الحاجة طلب ترخيص من الرقابة. واستطاع الأمر، فلم يصدر عدد يوليو إلا في نهاية أغسطس. واشتاط المشتركون غضباً، وهم لا يعبأون بشيء. ولم تسمح الرقابة بكتابه اسمي على المجلة لا بصفة رئيس تحرير ولا بصفة ناشر. وكان ينبغي الإقدام على إجراءات نشيطة. فأخذت أطبع في ثلاثة مطابع دفعة واحدة دون أن أبخل بالنقود ولا بصحتي وقواي. كنت وحدى المحرر الفعلي. أصحح البروفات وأتعامل مع المؤلفين وأراجع الرقابة وأنفع المقالات وأستحصل النقود وأسهر الليل حتى السادسة

صباحاً، ولا أنام سوى 5 ساعات في اليوم، فأحللت النظام في المجلة، ولكننا تأخرنا. فهل تصدق أن عدد سبتمبر صدر في 28 نوفمبر، وصدر عدد يناير 1865 في 13 فبراير، أي بتأخر 16 يوماً لكل عدد يضم 35 ملزمه. فكم كلفني ذلك من جهود؟ والأهم أنني في هذا العمل الشاق الأسود لم أتمكن من كتابة سطر واحد لينشر في المجلة. ولم ير الجمهور اسمي على صفحاتها. وحتى في بطرسبورغ، وليس في المدن الهامشية وحدها، لم يكن أحد يعرف أنني أحرر المجلة.

وفجأة حصلت أزمة المجلات. أخفقت الاشتراكات في جميع المجالات دفعة واحدة. «المعاصر» التي لديها 5000 مشترك وجدت نفسها أمام 2300 فقط. فقدت جميع المجالات الأخرى معظم مشتركيها. ونحن لم يبق لدينا سوى 1300 مشترك.

كانت لأزمنتنا العامة هذه في روسيا كلها أسباب عديدة. والمهم أنها أسباب واضحة رغم صعوبتها. سأتناول هذا الموضوع فيما بعد. فحكم بنفسك كيف كان وضمنا. والأهم كيف وضع أنا. وكلا تعرقل ديون أخي القديمة سير الأمور حولت قرابة عشرة آلاف منها على اسمي، مؤملاً بأن نسوي الأمور فيما لو حصلت المجلة على 2500 مشترك فقط، بدلاً من الأربعة آلاف السابقة. ولكن سأحدد ديوني على الأقل. كانت حساباتي صحيحة. لم يحصل عندنا أبداً، منذ بداية مجلتنا، ومنذ الثلاثينات، أن تقلص عدد المشتركين في سنة واحدة بأكثر من 25 بالمئة، في حين تقلص على غير المتوقع إلى النصف عند الجميع، وبنسبة 75 بالمئة عندنا. ولا أستطيع أن أنس卜 ذلك إلى سوء إدارة المجلة. فأنا، وليس أخي، الذي بدأ بإصدار «الوقت». كنت أوجهه وأحرر. باختصار، حصل لنا مثل ما يحصل

للمالك أو التاجر في حال شب حريق في منزله أو معمله، فأفلس بعد أن كان ثرياً.

في بداية الاشتراكات كان يجب تسديد الديون، ومعظمها ديون المرحوم أخي. وكنا نسدد من عائدات بدل الاشتراك مؤملين أن يبقى بعد التسديد ما يكفي لإصدار المجلة، إلا أن الاشتراكات توقفت، وبقيتنا بلا مال بعد إصدار عددين فقط.

في هذا الوضع وصلتني رسالتاً. سافرت إلى موسكو لاستحصل نقود، وبحثت عن شريك يساهم في المجلة بأفضل الشروط له. ولكن في روسيا أزمة مالية إضافة إلى أزمة المجلات. ولم نعد قادرين على مواصلة إصدار المجلة لعدم توفر المال، وعلينا أن نعلن إفلاسها مؤقتاً. وبالإضافة إلى ذلك أنا مكبل بديون الكميالات بمبلغ 10000 وبيون كلمة الشرف بمبلغ 5000.

ومنها ثلاثة آلاف ينبغي تسديدها مهما كلف الأمر. وإلى ذلك أحتج إلى 2000 لاستعيد حقوقني في إصدار مؤلفاتي المرهونة وأشرع في طبعها بنفسي⁽¹⁾. تجار الكتب يعرضون عليّ 5000 ألف روبل مقابل تلك الحقوق، لكن هذا العرض غير نافع لي. فالنفع سيكون أكبر فيما لو أصدرت مؤلفاتي بنفسي. ولكي أسدد ديوني أريد حالياً أن أصدر روايتي⁽²⁾ الجديدة على شكل كراسات متعددة، كما يفعلون في إنجلترا. وبالإضافة إلى ذلك أريد أن أصدر «ذكريات من منزل الأموات» بالطريقة نفسها في طبعة فاخرة مزينة بالصور.⁽³⁾ وأخيراً ستتصدر في العام القادم المجموعة الكاملة لمؤلفاتي⁽⁴⁾. آمل أن تعطيني هذه المشاريع قرابة 15 ألفاً، ولكن ما أشد مشقة هذا العمل.

آه، يا صديقي، أنا مستعد لتحمل الأشغال الشاقة مجدداً وللفتره نفسها بشرط أن أسدّ ديواني وأتمتع بالحرية من جديد. إلا أنني سأكتب مرة أخرى روایتي باستعجال تحت تهديد العصا، أي بسبب الحاجة. وستكون مؤثرة، ولكن هل هذا هو ما يلزمني؟ العمل بسبب الحاجة، من أجل النقود، خنقني والتهمني.

ومع ذلك، وللبداية، أنا محتاج الآن إلى ثلاثة آلاف على الأقل. أطرق كل الأبواب للحصول عليها، وإنما سأهلك. وأشعر أن الصدفة وحدها يمكن أن تنقذني. لم يبق في نفسي من كل احتياطي الطاقة والقدرة سوى شيء غامض مقلق، يائس قريب. لا شيء سوى القلق والمرارة والتفاهات الباردة والحالة غير الطبيعية بالنسبة لي، إضافة إلى الوحدة القاتلة، فلا أحد جنبي من السابقين والسابقات، بينما يخلي إلى طول الوقت أنني في بداية درب الحياة. شيء مضحك، أليس كذلك؟ إنه تمسك بديومة الحياة كما عند القبط.

تحدثت لك عن كل شيء، لكنني أرى أنني لم أعبر عن الأمر الرئيسي، ألا وهو حياتي الروحية والعاطفية، بل ولم ألمح إليها تلميحاً. هكذا سيكون الحال دوماً ما دمنا نتواصل من خلال الرسائل. أنا لا أجيد كتابة الرسائل، كما لا أجيد الكتابة عن نفسي باعتدال. بالمناسبة، ذلك صعب. فقد فرقت بيننا السنين، وأية سنين هي؟

وقد جاء تذكرك لي الآن في محله. أنت، كلك، بكاملك، ذكرتني بالماضي. وأنا أحبك كما كنت في الماضي، شاباً طيباً أتخيله على هذه الصورة طول عمري. على فكرة، أنا لا أعرفك تماماً كرب أسرة. يخلي إليّ، وأنا أتذكر الماضي، أنك الآن ينبغي أن تكون

سعيداً. ولكتني أرgeb كثيراً في استشاف التلاوين المجهولة بالنسبة لي والتي تركتها الحياة العائلية في نفسك.

أشكرك على صور عائلتك. تطلعت فيها طويلاً لأحضر ما لا أعرفه.

كنت في الخارج مرتين، في صيف 62 و 63. كل مرة لثلاثة أشهر. زرت ألمانيا، كلها تقريباً، وسويسرا وفرنسا وإيطاليا، كذلك كلها تقريباً. صحتي في كلتا المرتين انتعشت بسرعة مدهشة. وعزمت على السفر كل عام لثلاثة أشهر، لا سيما وأن ذلك لا يكلف كثيراً بالمقارنة إلى الغلاء الفاحش لتكليف المعيشة عندنا. كنت أريد السفر لتحسين صحتي وللاستجمام واكتناف البدن ليسهل علي العمل في التسعة أشهر المتبقية من السنة في روسيا. إلا أن وفاة أخي في العام الماضي جعلتني أبقى هنا، في حين أن الديون الحالية والأعمال أجهزت عليّ نهائياً. فما أشد رغبتي في السفر ولو لشهر واحد لأنتشق وأصفي ذهني وأنعم. وكنت سأعرض عليكم حتماً. من يدرى، ربما سيحصل ذلك. طبع «منزل الأموات» يمكن أن يتم من دوني، في حين أنني في الخارج أكتب على الدوام، لأن الوقت والاستقرار هناك أكثر مما هنا، وخصوصاً إذا مكثت في مكان واحد. وكنت سأعرض عليكم طبعاً.

سأبعث لك الصورة بالتأكيد إذا أجبتني بسرعة دون أن تزعلي مني بسبب صمتي الطويل. ولكن، يا إلهي، ما سبب الزعل؟ هل أنا مذنب؟

أنا أعيش وحيداً مع ربيبي بافل. وهو طالب في السابعة عشرة. يتذكرك جيداً ويبلغك تحياته.

كنت سأحدثك كثيراً فيما لو التقينا.

وداعاً يا صديقي الطيب، أعانقك بدفء من صميم القلب. أتمنى لك السعادة. وسأجيب على رسائلك بانتظام. فاكتب لي سريعاً. أخشى أن لا تصلك الرسالة وأنت في كوبنهاغن.

المخلص لك دوماً كما في السابق
فيودور دوستويفسكي

-
- (1) لم يتمكن دوستويفسكي من طبع مؤلفاته بنفسه إلا في عام 1871.
 - (2) المقصود رواية «السكارى» التي أدرجها دوستويفسكي فيما بعد ضمن رواية «الجريمة والعقاب» (1866).
 - (3) هذه الأمينة لم تتحقق.
 - (4) بثلاثة مجلدات وقع دوستويفسكي مع الناشر ستيلوفسكي عقداً بشأنها في 1 يوليو 1865.



92. إلى ناديجدا سوسلوفا

بطرسبرغ، 19 أبريل 1865

العزيزة المحترمة ناديجدا بروكوفيتشنا

أرفق طي رسالتي هذه إليك رسالة مني إلى أبوليناريا، والأصح نسخة من رسالتي المرسلة إليها بالبريد نفسه إلى مونبيليه. وطالما أنها، كما تقولين، ربما ستأتي قريباً جداً إليكم في زوريخ فإن رسالتي إليها ستصل إلى هناك على الأكثـر بعد مغادرتها مونبيليه. ولما كنت بحاجة ماسة إلى توصيل الرسالة لها فإني أرجوك أن تسلميها هذه النسخة عندما تلتقيان. كما أرجوك أن تقرأي هذه الرسالة بنفسك. وسترين فيها توضيحاً لجميع الأسئلة التي تطرحينها عليّ في رسالتك. مثلاً، «هل أتلذذ بالألام الآخرين ودموعهم» وما إلى ذلك. وكذلك توضيحاً بخصوص الوقاحة والقذارة.

وأضيف، من أجلك في الواقع، إنك، على ما أعتقد، لست حديثة العهد بمعرفتي، وإنني في كل لحظة عصبية كنت آتـي إليكم لأرـى نفسي، وفي الآونة الأخيرة كنت آتـي خصيصاً إليك وحدك عندما يختزن القلب أشد الآلام. وقد رأيتـي في أصدق لحظاتـي، ولذا

يمكنك أن تحكمي هل أحب أن أفتات على آلام الآخرين، وهل أنا فظ غليظ داخلياً، وهل أنا قاسي؟

أبوليناريا أناانية مريضة. فيها كم هائل من الأنانية وحب الذات. إنها تطالب الناس بكل شيء، بكل أفانين الكمال، ولا تغفر لهم أي نقص في احترام الغير وفي الخصال الحميدة، بينما هي تتخلص عن أبسط الالتزامات تجاه الآخرين. إنها تخدبني حتى الآن بأنني لست جديراً بحبها، وتشكى وتلومني طول الوقت، بينما تستقبلني في باريس عام 63 بالعبارة التالية: «أنت تأخرت في الوصول بعض الشيء»، بمعنى أنها وقعت في حب شخص آخر، فيما كانت قبل أسبوعين من ذلك التاريخ تؤكد بحرارة أنها تحبني. أنا لا ألومها على حب شخص آخر، بل على السطور الأربعية التي بعثتها إلي في الفندق مع العبارة الخشنة: «أنت تأخرت».

بوسعني أن أكتب الكثير عن روما وعن معيشتنا وإياها في تورينو ونابولي. ولكن ما الفائدة؟ ثم إنني نقلت إليك الكثير في أحاديثي معك.

أنا لا أزال أحبها حتى الآن، حباً جماً، ولكني لم أعد أريد أن أحبها. فهي لا تستحق هذا الحب.

أنا أشفق عليها، لأنني أتوقع لها أن تبقى تعيسة طول الوقت. لن تجد الصديق ولا السعادة في أيما مكان. فمن يطالب الغير بكل شيء ويتخلص من كل الواجبات لن يجد السعادة أبداً.⁽¹⁾

ولربما كانت رسالتي إليها التي تشकى منها مكتوبة بانفعال، ولكن ليس بخشونة. إلا أنها ترى الخشونة في كوني تجرأت على الاعتراض عليها وأعلنت أنني متالم. كانت دوماً تستخف بي في زهو وكبراء. وقد زعلت لأنني أردت أن أتشكى في الأخير وأنكلم بما يتعارض

معها. إنها لا تعترف بالتكافؤ في علاقاتنا. وليس لديها ذرة من الإنسانية في علاقتها معي. وهي تعرف أنني أحبها حتى الآن. فلماذا تعذبني؟ لا تحببني، ولكن لا تعذبني. وكان في هذه الرسالة كثير من المزاح. وما قيل بمزاح تعتبره جدياً ومؤسفاً، فيتحول في رأيها إلى خشونة.

ولكن يكفي الكلام عنها. أنت على الأقل لا تذنبني. وأنا أدرك كثيراً. أنت كائن نادر بين من صادفهم في حياتي ولا أريد التفريط بموذتك. أنا أقدر رأيك في وتدرك لي. ولذا أكتب إليك عن ذلك بصراحة، لأنك تعرفين أنني لا أطمع بشيء منك، ولا آمل بأن أستلم شيئاً منك، وبالتالي لا يمكنك أن تعتبري كلماتي تزلفاً أو مداهنة، بل تقبليها مباشرة بوصفها خلجان قلبى الصادقة.

أنت في زوريخ، ولفتره طويلاً، كما كتبت أختك. اسمعي، إذا أردت واستطعت أن تسمعي: أينما كنت حبرى لي بين الحين والآخر كلمتين عنك. أنا لا أطالب بتتكليفك عناء الكتابة المتواصلة. كل ما أريده أن تتذكريني أحياناً. وبهمني دوماً إلى أقصى حد أن أسمع شيئاً عنك. أريد من جديد أن أكرر لك توصيتي الدائمة ورغبتي في أن لا تتقوقي في شرنقة التفرد، بل سيري مع الطبيعة، مع العالم الخارجي والأشياء الخارجية ولو قليلاً. الحياة الخارجية الفاعلة تطور طبيعتنا البشرية إلى أقصى حد، وتقدم المادة (اللازمة لهذا التطور). بالمناسبة، لا تسخري مني كثيراً.

أوضاعي فطيعة. ولا أدرى كيف أعالجها. سترىن بعضاً منها في رسالتي إلى أبوليناريا.

عنوانى يبقى كما هو عليه. إذا كتبت لي سريعاً سارداً عليك وأهيم حتى ذلك الحين عنواناً أكثر استقراراً يمكن استخدامه طول الوقت.

وداعاً وإلى اللقاء في زمن لا أعرفه. أتمنى لك السعادة مدى الحياة. وأشد على يدك بحرارة، وأتحرق شوقاً للقائك في حين ما. لا أدرى كيف سنكون حينئذ. إلا أنني سأتذكرك كثيراً وعلى الدوام.

المخلص ف. دوستويفسكي

ملاحظة: أنت الآن في عز الفتولة والشباب، في بداية الحياة. وتلك هي السعادة. لا تضييعي الحياة واحرصي على الروح وأمني بالحقيقة. ولكن ابحثي عنها بجد واهتمام مدى العمر، وإنما فمن السهل الانحراف الفطيع. إلا أنك بقلب كبير، ولن تنحرفي. أما أنا فعلى مشارف النهاية. نهاية الحياة. إنني أشعر بها. كل شيء سواء. أنت عزيزة على معزة الجيل الفتى الجديد، إلى جانب مودتي لك كالأخت المحبوبة الأعز.

(1) بالفعل عاشت أبوليناريا، شقيقة ناديجدا سوسلوفا، حياة تعيسة من جميع النواحي.

93. إلى أندريه كرايفسكي

بطرسبرغ، 8 يونيو 1865

السيد الكريم أندريه ألكساندروفيتش!

بعد التمعن في حديثنا القديم، القصير جداً، رأيت من الضروري أن أعرض عليكم تحريرياً فحوى رجائي، من أجل الدقة وتفادي سوء الفهم.

لطليبي شكلان.

1). أنا أطلب 3000 روبل الآن، مقدماً، مقابل رواية أتعهد رسميأً بتسليمها إلى هيئة تحرير «مذكرات الوطن» في موعد أقصاه مطلع شهر أكتوبر من العام الحالي.

2). في حال وفاتي أو عدم تسليم مخطوطه الرواية إلى هيئة تحرير «مذكرات الوطن» في الموعد أرهن الحقوق الدائمة التامة لإصدار جميع مؤلفاتي وكذلك حقوق تسويقها ورهنها، أعني باختصار: التصرف بها كمالك كامل الحقوق⁽¹⁾.

ملاحظة: عنوان الرواية «السكاري»، وهي ذات ارتباط بمسألة تعاطي المسكرات المطروحة حالياً. إنها لا تقتصر على معالجة هذه

المسألة، بل تتناول أيضاً جميع تفروعاتها، مثل مشاهد العوائل وتربيه الأطفال في هذا الجو وما إلى ذلك. وسيكون حجم المخطوطة لا أقل من 20 ملزمة، بل وربما أكثر. الأجر 150 روبلًا للملزمة، علماً بأنني استلمت 250 روبلًا للملزمة على «ذكريات من منزل الأموات» في مجلتي «العالم الروسي» و«الوقت».

(3) إذا لم تعجب روايتي موظفي «مذكرات الوطن» أو إذا بدا لهم الشمن باهظاً فمن حقهم أن يعيدوا المخطوطة إلى ويحتفظوا بالرهان إلى أن أسدد الـ 3000 روبل بفائدة 10 بالمائة. موعد التسديد في هذه الحالة حتى الأول من يناير 66. يضاف إلى ذلك، بموجب العقد، حق استلام صاحب «مذكرات الوطن» بالكامل أجور جميع المقالات التي سأنشرها في أي مكان وفي أي زمان لغاية تسديد الـ 3000 روبل مع الفائدة.

(4) لا يحق لي أن أسحب مخطوطتي بنفسى أو لا أسلّمها إلى هيئة تحرير «مذكرات الوطن» (...) فيما يحق لهيئة التحرير دوماً أن تطالبني بتسلیم المخطوطة أو تطالب باستعادة المبلغ وإعادة المخطوطة إلىَّ من دون موافقتي.

الشكل الثاني لطليبي.

أنا أطلب 1500 روبل، وأتعهد رسميًّا بأن أسلم الرواية في الموعد المذكور أعلاه. ولكن أرجو إعفائي من واجب تقديم الرهان. وتبقى الشروط الأخرى كما هي واردة في أعلاه.
واسمحوا لي أن أبدى ملاحظة أخرى.

إذا كان بالإمكان تسليمي مبلغ الـ 3000 روبل الكبير أرجوكم كل الرجاء أن تلتفتوا إلى أن البت في المسألة على هذا النحو هو المرغوب أكثر من جانبي. وهو، إلى ذلك، يرضي الطرفين. فقد

عرض علىَ اثنان من الناشرين، هما ستيلوفסקי وفوغانوف، 2000 روبل نقداً وفي الحال، لمعرفتهم بحاجتي إلى المال، مقابل حق طبع مؤلفاتي لمرة واحدة فقط. وبالتالي فإن للمؤلفات تغطية كافية. ونظراً لأن العقد المقترح من جانبي يرضي، في بنوده الأخرى، جميع أعضاء هيئة تحرير «مذكريات الوطن» تقريباً أمل أنكم، في حال رغبتم في نشر روايتي في مجلتكم هذه، لن ترفضوا، إن أمكن، تسلি�مي إلى 3000 روبل. فهذا العقد من شأنه أن يحل جميع الصعوبات التي أواجهها في العام الحالي.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

خادمكم المطبع

فيودور دوستويفسكي

-
- (1) الناشر كرافسكي رفض عرض دوستويفسكي بحجة عدم توفر المال لديه.
إلا أن السبب الحقيقي هو عدم ثقته بالكاتب.

94. إلى إيفان تورغينيف

فيسبادن، 3 أغسطس 1865

العزيز الطيب إيفان سرغيفيتش. عندما قابلتك في بطرسبرغ قبل شهر تقريباً كنت أحاول أن أبيع مؤلفات بأي ثمن لأنني كنت معرضاً للسجن بسبب ديون المجلة التي سجلتها باسمي لحماتي. اشتري ستيلوفسكي حق نشر مؤلفاتي ثلاثة آلاف روبل، بعضها بكميات. ومن هذا المبلغ سددت بعض الديون ووزعت الباقي على من أنا ملزم بتوزيعه عليهم. ثم سافرت إلى الخارج لأحسن صحتي ولو قليلاً وأكتب شيئاً ما. وقد تركت لنفسي من الـ 3000 لأجل الخارج 175 روبراً فضياً، ولم أستطع أن آخذ أكثر.

في فيسبادن قبل ثلاث سنوات ربحت في ساعة واحدة 12000 فرنك. لكنني لا أفكراً الآن في تحسين ظروفي من خلال القمار. إلا أنني أرغب فعلاً بكسب 1000 فرنك لأعيش عليها هذه الأشهر الثلاثة. أنا في فيسبادن من خمسة أيام وقد خسرت كل شيء، حتى الصفر. خسرت ساعتي، وحتى الفندق له دين عليّ. يؤذيني وبخجلني أن أشغلك بشخصي. ولكن ليس عندي في هذه

اللحظات أحد غيرك أستطيع أن أستعين به. ثم إنك أذكي بكثير من الآخرين، وبالتالي يسهل علىي أخلاقياً أن أتوجه إليك. القضية أني أتوجه إليك كإنسان لإنسان طالباً منك مئة تالر⁽¹⁾. ثم إنني أنتظر من روسيا، من مجلة «مكتبة المطالعة»، نقوداً زهيدة وعدوني بها قبيل سفري، وكذلك من سيد ينبغي أن يساعدني.⁽²⁾ طبعي أنتي لن أعيد إليك المبلغ قبل ثلاثة أسابيع. ولربما أعيده قبل ذلك⁽³⁾. على أية حال أنا وحيد، والمزاج متذكر جداً، مع أنتي كنت أظن أنه سيتعكر أكثر. والمهم أنتي أشعر بالخجل لازعاجك. ولكن ما العمل للنجاة من الغرق؟

عنوانی :

Wiesbaden, Hôtel «Victoria», à M-r Théodore Dostoiewsky

ماذا لو أنك غير موجود في بادن بادن؟

المخلص ف. دوستويفسكي

(1) تورغينيف بعث إلى دوستويفسكي نصف هذا المبلغ.

(2) المقصود ألكسندر هيرتسن.

(3) تقول زوجة دوستويفسكي آنا غريغوريفنا في مذكراتها إن الكاتب نسي هذا الدين ولم يسدده إلا في عام 1876.

95. إلى أبوليناريا سوسلوفا

فيسبادن، 10 أغسطس 1865. الثلاثاء.

عزيزي بي بوليا. أولاً، أنا لا أفهم كيف وصلت. لقد أضيئت إلى أحزان الكثيبة أحزان مماثلة بخصوصك.

فماذا لو لم يكن لديك في كولونيا ما يكفي حتى لقطار الدرجة الثالثة؟ في هذه الحالة أنت الآن في كولونيا وحيدة لا تعرفين ماذا تفعلين. هذا فظيع. وإذا كنت قد وجدت ثمن التذكرة وكلفة الفندق والسائس وحاجيات الطريق فإنك، على أية حال، بقيت جائعة. كل هذه الأفكار تدق في دماغي فلا أعرف الاستقرار.

اليوم هو الثلاثاء، الساعة الثانية بعد الظهر ولا خبر من هيرتسن، بينما حان الوقت. في كل الأحوال سأنتظر حتى صباح بعد غد، وعندها أفقد آخر بارقة أمل. الشيء الوحيد الواضح بالنسبة لي، على أية حال، إذا لم يأت أي خبر من هيرتسن فهو غير موجود في جينيف، أي أنه ذهب إلى مكان ما. وأنا أخرج بهذا الاستنتاج لأنني في علاقة طيبة للغاية مع الرجل. ما يعني أنه لا يستطيع أن يجibني بأي شكل، حتى إذا لم يرغب أو لم يستطع أن يبعث لي النقود. إنه مهذب جداً،

ثم إننا في علاقات ودية. وبالتالي فإذا لم يأت منه أي خبر فذلك يعني أنه غير موجود في جنيف في الحال الحاضر⁽¹⁾.

علماً بأن أوضاعي تدهورت إلى حد يفوق التصور. حالما ارتحلت، في الصباح الباكر من اليوم التالي، أبلغوني في الفندق بأنهم منعوا عليَّ طعام الغداء والشاي والقهوة. فمضيت لأستوضح من الألماني البدين، صاحب الفندق، فبادرني بأنني لا «أستحق» الغداء وأنه سيزودني بالشاي فقط. وهكذا من يوم أمس أنا لا أتغذى وأقتات على الشاي وحده. ثم إن الشاي الذي يقدمونه رديء للغاية، ومن دون غلانية. ولم يعودوا ينظفون البدللة والجزمة ولا يلبون نداءاتي. كل الخدم يعاملونني باحتقار ألماني يفوق التصور. فليس عند الألماني جريمة أبشع من عدم توفر النقود وعدم الدفع في الموعد. كل ذلك شيء تافه، لكنه في الوقت ذاته غير مريح أبداً. ولذا إذا لم يبعث هيرتسن النقود ستنتظرنى إشكالات كبيرة، بمعنى أنهم يمكن أن يستولوا على حاجياتي ويطردوني أو يقوموا بما هو أسوأ من ذلك.

يا لل بشاعة.

إذا كنت قد وصلت إلى باريس ويمكنك أن تستحصل على شيئاً من أصدقائك ومعارفك إيعربي لي في أبعد تقدير 150 غولدينًا، وفي أقله قدر ما تريدين⁽²⁾. لو كانت 150 غولدينًا لصفيت حسابي مع هؤلاء الخنازير وانتقلت إلى فندق آخر بانتظار وصول النقود. لأن من المستحيل أن لا أستلمها. وفي كل الأحوال سأعطيك قبل سفرك من باريس. فمن بطرسبورغ، من مجلة «مكتبة المطالعة»، ربما سيرسلون المبلغ على عنوان أختك في زوريخ بعد عشرة أيام لا أكثر. هذا أولاً، وثانياً، حتى إذا كان هيرتسن غير موجود في جنيف أو غادرها لأمد طويل فإنهما سيرسلون له حيثما كان الرسائل التي تصل باسمه

إلى جنيف. وإذا سافر لأجل قصير فسيرد علىَّ حالما يعود، وبالتالي سأسلم في القريب العاجل علىَّ أية حال جواباً منه. باختصار، إذا كنت تستطعين القيام بشيء من أجلني من دون عناء فافعلـي. عنوانـي نفسه:

Wiesbaden, Hôtel «Victoria».

إلى اللقاء يا عزيزتي. لا أصدق بأنـي لن أراك قبل مغادرتك. كما أـنـي لا أـريد حتى أنـ أـفكـر في نفـسيـ. أنا أـقرأ طـول الـوقـت جـالـساـ، كـيلاـ أـثيرـ شـهـيـتيـ إـلـىـ الطـعـامـ بـالـحـرـكـةـ. أـعـانـقـكـ بـحـرـارـةـ. بالـلـهـ عـلـيـكـ، لا تـعـرـضـيـ رسـالـتـيـ عـلـىـ أحدـ. ولا تـحـدـثـيـ أحدـاـ عنهاـ. بشـاعـةـ!

المخلصـ فـ. دـ(دوستـوـيفـسـكـيـ)

حدثـينـيـ بالـتفـصـيلـ عـنـ جـولـتـكـ إـذـاـ كـانـتـ فـيـهاـ مشـاـكـلـ. تـحـيـاتـيـ إـلـىـ أـخـتـكـ. إـذـاـ بـعـثـ هـيرـتـسـنـ (الـنـقـودـ) قـبـلـ وـصـوـلـ رـسـالـتـكـ فـسـأـطـلـبـ عـنـدـمـاـ أـغـادـرـ فـيـسـبـادـنـ، عـلـىـ أـيـةـ حـالـ، أـنـ يـبـعـثـوـهـاـ لـيـ فـيـ بـارـيسـ، لـأـنـيـ سـأـسـافـرـ إـلـيـهـاـ فـورـاـ.

-
- (1) كان هيرتسن آنذاك يقوم بجولة في جبال سويسرا.
(2) يبدو أن سولوفا لم تتمكن من استحصل نقود لدوستويفسكي، فغادر فيسبادن بمعونة أ. فرانغيل وإ. يانيشيف.

96. إلى أبوليناريا سوسلوفا

فيسبادن، 12 أغسطس 1865. الخميس

أواصل قصفك بالرسائل، وكلها غير مدفوعة الرسوم البريدية.
فهل وصلتك رسالتي التي بعثتها يوم الثلاثاء؟ وهل وصلت أنت إلى
باريس؟ آمل طول الوقت أن أستلم منك خبراً اليوم.
أمورى فظيعة لأقصى حد. لم يعد التحرك إلى الأمام ممكناً.
فهناك تأتي مرحلة أخرى من الأذى والتعاسة التي لا أعرف عنها شيئاً
الآن. لم أستلم من هيرتسن حتى هذه اللحظة أي جواب أو رد. اليوم
يمر أسبوع كامل على رسالتي إليه. واليوم أيضاً هو الأخير الذي
وعدت به صاحب الفندق منذ الاثنين الفائت بخصوص استلام النقود.
ولا أعرف ماذا سيحصل. حالياً الساعة الواحدة صباحاً. يستحيل أن
لا يرغب هيرتسن بالرد عليّ. هل يعقل أنه لا يريد أن يجيب؟ كلا.
مستحيل. فلماذا لا يجيب؟ نحن في علاقات رائعة، وأنت شاهدة
عليها⁽¹⁾. اللهم إلا إذا استغابني أحد أمامه ليفرق بيننا. وحتى في هذه
الحالة يستحيل، بل ويستحيل أكثر، أن لا يرد بشيء على رسالتي.
ولذا لا أزال متيناً بأن رسالتي إليه إما ضاعت، وذلك احتمال غير

وارد، وإنما أنه لسوء حظي غادر جنيف. وهذا هو الاحتمال الأكثر. عندذاك يحصل ما يلي: فإنما أنه غادر لوقت قصير، وبالتالي يمكنني أن آمل باستلام جواب منه في الأيام القريبة القادمة، وإنما أنه سافر لوقت طويل، وبالتالي يحتمل أن يبعثوا إليه رسالتي أينما كان لأنه يطلب على الأكثر أن يبعثوا إليه الرسائل التي تصل على عنوانه. وفي هذه الحالة أيضاً يمكنني أن آمل باستلام جواب.

سابقى طول الأسبوع، حتى يوم الأحد، أنتظر وصول الجواب. وبالطبع ذلك مجرد آمل. في حين أن وضعى حالياً لا يكفيه الآمل وحده.

كل ذالك لا يقارن بمدى اكتئابي. تعذبني العطالة، وعدم وضوح التوقع والانتظار من دون آمل كبير، وضياع الوقت، وفيسبادن اللعينة التي صرت أشعر بالغثيان منها حتى لم أعد أريد أن أرى الدنيا وما فيها. والحال أنت في باريس ولن أراك. كما يعذبني هيرتسن. فلو كان قد استلم مني الرسالة ولا يريد أن يجib فما أعظم الإهانة وما أغرب التصرف. فهل أستحق أنا مثل هذه المعاملة؟ وبأي ذنب؟ لسوء أخلاقي؟ أعترف بأنني كنت سيئاً الخلق، ولكن ما هذه الأخلاقيات البرجوازية؟ أجب على الأقل (يا سيد هيرتسن)، أم أنني لا «أشحق» المساعدة، كما فعل معي صاحب الفندق لأنني لا «أشحق» طعام الغداء؟ ولكن يستحيل أن لا يجib. إنه، على الأرجح، غير موجود في جنيف.

طلبت منك أن تتجديني إذا كنت تستطيعين أن تستدينِي من أحد ما لأجلِي. وأنا لا آمل لي تقريباً في ذلك. بوليا، إذا كنت تستطيعين افعلي من أجلي. ألا توافقيني أن من الصعب أن نصادف وضعًا أكثر إشكالاً وقسوة من الوضع الذي أواجهه الآن؟

ستكون هذه رسالتي الأخيرة لحين استلامي منك خبراً ما. يخيل إلى طول الوقت أن الرسائل إلى «Fleurus Hôtel» تتأخر أو تضيع إذا لم تكوني موجودة هناك. أنا لا أدفع بريد الرسائل لأنني لا أملك ولا كوبيكاً واحداً. للبيوم الثالث أو أصل عدم تناول طعام الغداء وأوقات على شاي الصباح وشاي المساء. والغريب أنني لا أشتفي الطعام جداً. المزعج أنهم يضيقون عليّ وأحياناً يبخلون عليّ بشمعة المساء إذا ظلت بقية تافهة من شمعة الأمس. على فكرة أنا أترك الفندق يومياً في الساعة الثالثة وأعود في السادسة كيلا يكتشف أحد أنني لا أتناول طعام الغداء. وكأنني خلبيستاكوف بعينه⁽²⁾.

صحيح أن ثمة بصيص أمل بأنني بعد أسبوع أو عشرة أيام في أبعد تقدير سأستلم شيئاً من روسيا، عن طريق زوريغ. لكنني لن أكون بخير من دون معونة حتى ذلك الحين.

على فكرة أنا لا أريد أن أصدق بأنني لن أكون في باريس ولن أراك قبل المغادرة. هذا غير ممكن. على أية حال التصورات تشتعل بسبب العطالة. في حين أن عطالي كاملة وأكثر.

وداعاً يا عزيزتي، لن أكتب أكثر إذا لم يطرأ طارئ ولم تحدث مغامرات غير معتادة. إلى اللقاء.

المخلص دوس (توفيسكي)

ملاحظة: أعانك مرة أخرى بمنتهى الحرارة. هل وصلت (شيقيتك) نادي جداً بروكوفينا؟ ومتى؟ تحياتي لها.

الساعة 4

الصديقة العزيزة بوليا، في هذه اللحظة بالذات استسلمت رداً من هيرتسن. كان في الجبال. ولذا تأخرت رسالته. لم يبعث نقوداً.

يقول إن رسالتي وصلته وهو خالي الوفاض. لا يستطيع أن يرسل لي 400 فلورين، أما إذا كانت الـ 100 أو 150 غولدين كافية فذلك أمر آخر، وهو مستعد لإرسالها. ويرجوني أن لا أزععل وما إلى ذلك. والغريب لماذا لم يرسل الـ 150 غولدين؟ طالما يقول إنه يستطيع إرسال الـ 150 فكان ينبغي أن يرسلها ويؤكد أنه لا يستطيع أكثر. هكذا ينبغي أن يفعل. والحال فلما أنه نفسه في ضائقة مالية، وإنما أنه متمسك بنقوده. والحقيقة ليس في وسعه أن يشك في أنني يمكن أن لا أعيدها إليه. فرسالتي عنده. وأنا لست إنساناً ميتوساً منه. أكيد أنه في ضائقة مالية.

في اعتقادي ليس بالإمكان أن أكتب له وأطلب من جديد. فما العمل؟ يا بوليا، صديقتي، أعينيني، أنقذيني. استحصل على 150 غولدين من أحد ما، وأنا لا أحتج إلى أكثر. بعد عشرة أيام أو ربما أقل تصل نقود من فوسكوبوبينيكوف إلى زوريخ على عنوان شقيقتك. ومع أن المبلغ غير كبير، لكنه لا أقل من 150 غولدين. وسأعطيك إيابها. فأنا لا أريد إحراجك. مطلقاً. تشاوري مع أختك، وأجيبيني عاجلاً، في كل الأحوال.

المخلص ف. دوستويفسكي

الآن أنا لا أعرف إطلاقاً ماذا سيحصل لي.

-
- (1) التقى دوستويفسكي وسوسلوفا مع هيرتسن أثناء مكونهما في نابولي وليفورنو في أكتوبر 1863.
(2) خليستاكوف الشخصية الرئيسية في مسرحية غوغول «المفتش العام»، وفيها مشهد مماثل..

97. إلى ألكسندر فرانغيل

فيسبادن، 24 أغسطس 1865

صديقي المحترم الطيب ألكسندر يغورو فيتش. هل استلمنت رسالتي التي بعثتها إليك في كوبنهاغن قبل شهر؟ حسبت تماماً أنك في كوبنهاغن عندما أرسلت الرسالة، لأنني كتبتها في أعقاب توجهي إلى الخارج. وإذا كنت قد غادرت كوبنهاغن إلى روسيا قبل 10 يوليو بتقويمنا فلعلك كنت ستبحث عنِّي في بطرسبورغ. وطالما أنا لم نتقابل في بطرسبورغ فقد تصورت أنك لم تغادر بعد إلى روسيا. علماً بأنك كتبَت لي سابقاً عن نيتك هذه. وبالتالي أظن الآن أننا لم نلتقي في اللحظة التي غادرت فيها أنا إلى الخارج. ولربما بعثوا لك رسالتك من كوبنهاغن إلى روسيا. وفي هذه الحالة، ربما كتبَت لي الجواب على عنوان زوريخ الذي ذكرته لك. ولكن للأسف أنا تأخرت في فيسبادن ولم أصل إلى زوريخ حتى الآن، ولذا لا أعرف شيئاً.

ثمة القس يانيشيف الذي كان في كوبنهاغن. تعرَّفت عليه هنا، في فيسبادن، صدفة وعلمت منه أنه يعرِّفك.

وقال لي ، بالمناسبة ، إنك تنوی السفر إلى روسيا هذا الصيف ، وتعود إلى كوبنهاغن في سبتمبر . ما جعلني آمل في الكتابة إليك من جديد ، ولعل رسالتي هذه المرة تصلك في كوبنهاغن .

هذه المرة أكتب عن نفسي فقط ، وعن أمر واحد تحديداً . لا تخبر أحداً بما سأكتبه لك ، لأننيأشعر بأن ذلك يشوه سمعتي . ولما كانت العبارات في هذه الحالة بلا فائدة وصعبه الواقع فإنني أعترف لك صراحة ، مع أنني خجل من هذا الاعتراف ، بأنني ، لغبائي ، خسرت كل شيء قبل أسبوعين ، بمعنى خسرت (في القمار) كل ما معنـي .

كنت ألعب سابقاً ، منذ أن وصلت إلى فيسبادن ، ولكن الحظ كان يحالبني ، بل وريحت الكثير نسبياً ، ولكوني ، لغبائي ، جنت و خسرت كل شيء خلال ثلاثة أيام ، وأنا الآن في أسوأ حالة لا يمكن للعقل أن يتصورها ، ولا أستطيع مغادرة فيسبادن .

كتبت لأحد المخلصين لي ، ميلوكوف ، في روسيا وكلفته أن يحاول استحصال مبلغ من أحد الناشرين لأجلـي بشكل سلفة لقاء كتب في المستقبل . وسيفعل ذلك حتماً ، ولربما يساعدني بنفسـه ، إلا أن الرسائل والنقود لن تصليـني منه ، بحسب تقديراتي ، قبل أسبوعين من اليوم . هذا إذا كانت على جناح السرعة . وأنا في حالة انتظار ولا كوبـيك واحداً في الجيب . والأسوأ من ذلك أنـني مدين للفندق . وهذا أمر لا يحسـد عليه إنسان .

ولذا تجرأت ، يا صديقي الطيب ، أن أتوجه إليك . أنـقلـني ، وخلصـني من المـحنة . أرسلـ لي 100 تالـر قـرضاً لأقصـر مـدة . وبـهاـ أـسـددـ ما عـلـيـ هـنـا ، وأـسـافـرـ إـلـىـ بـارـيسـ رـأـساً ، حيثـ لـديـ شـفـلةـ وـحيـثـ أـبـحـثـ عـنـ شـخـصـ ، مـوـجـودـ هـنـاكـ عـلـىـ الـأـرـجـعـ ، يـنـجـدـنـيـ فـيـ الـحـالـ⁽¹⁾ . وـعـنـدـهـ أـعـيـدـ الـمـبـلـغـ إـلـيـكـ مـنـ دونـ تـأخـيرـ .

أكتب إليك لا على التعين، مؤملاً أنك موجود في كوبنهاagen. ولكن إذا كنت لا تزال في روسيا وسيوافونك برسالتي هناك لا أحد من أسبوعين، أي ليس بعد 19 سبتمبر بالتوقيم الأوروبي، السابع منه بتقويمنا، أرسل لي، إذا استطعت، هذه الـ 100 تالر في كل الأحوال إلى فيسبادن. وإذا استلمت الرسالة بعد هذا التاريخ فلا تبعث شيئاً. أنا أكتب بهذه الصورة لأنني آخذ بالاعتبار عفوياً أسوأ الاحتمالات. لعل ميلوكوف سيدبر الأمر من أجلي، ولكنه أملاني الوحيد في روسيا. هذا أولاً، وثانياً - ربما لا يكون متواجداً في بطرسبورغ، لأنه قال لي عندما توادعنا إنه ينوي الاستجمام هذا الصيف في نيجني نوفغورود). وفي هذه الحالة سأبقى أمداً طويلاً خالي الوفاض ويحتمل أن لا تتم سفرتي إلى باريس وهي مهمة جداً بالنسبة لي. وهناك أستطيع أيضاً أن أستحصل نقوداً. وإلى ذلك تكبدت بالديون هنا لأبعد الحدود. وهذا أمر صعب للغاية. ولذا، بالله عليك، ابعث المبلغ إذا كنت تستطيع.

وأنا، عندما أتوجه إليك أتذكر الماضي وما كان في حياتنا من لحظات كثيرة جمعت بيننا، وإنما رغم الفرق لا يمكن أن تكون غريبين بعضنا على بعض. ولذا رأيت أن أعترف لك بجرأة فيما يخص تصرفي الأهوج الأحمق. فليبق ذلك سراً بيننا. أما بخصوص النقود فأعتقد أنه إذا توفرت لديك في هذه اللحظة فإنك لن تترك الغريق من دون طوق النجاة⁽²⁾.

إذا توفرت لي الفرصة سأعرض على كوبنهاagen حتماً.
أعانك.

المخلص فيودور دوستويفسكي

عنوانی :

Allemagne, Nassau, Wiesbaden, poste restante, à m-r
Théodore Dostoiewsky

-
- (1) المقصود أبوليناريا سوسلوفا .
(2) فرانغيل أرسل المبلغ إلى دوستريفسكي ، ولكن بعد تذكير آخر من الكاتب .



98. إلى ميخائيل كاتكوف

مسودة

فيسبادن، 15 - 10 سبتمبر 1865

السيد الفاضل ميخائيل نيكيفوروفيتش!

هل هناك أمل بنشر قصة طويلة لي في مجلتكم «البشير الروسي»؟ أنا أعكف على كتابتها هنا، في فيسبادن، من شهرين، وأشرف حالياً على الانتهاء⁽¹⁾. وستكون بحجم خمس إلى ست ملازم طباعية. المتبقى من العمل قرابة أسبوعين، وربما أكثر. على أية حال أستطيع أن أقول بالتأكيد إن بالإمكان تسليمها إلى هيئة تحرير «البشير الروسي» بعد شهر لا أكثر⁽²⁾. فكرة الرواية، على قدر تصوري، لا يمكن أن تتعارض بأية حال مع توجهات مجلتكم، بل هي على العكس. إنها عبارة عن تقرير نفسي حول إحدى الجرائم.

الأحداث تجري في زماننا، بل في العام الحالي. طالب يفصل من الجامعة، وهو من الطبقة الفقيرة، قرر أن يتخلص من وضعه البائس رأساً بداعي من الرعونة وعلى سبيل العبث والمزاح وتبني بعض الأفكار الغريبة «المنقوصة» التي تحوم في الجو. قرر أن يقتل عجوزاً

معروفة من طبقة النبلاء تمارس الربا. العجوز مريضة غبية صماء، وجشعة للغاية تقاضى فائدة مئوية أعلى مما يتقاضاه المرابون اليهود. وهي إلى ذلك طاعنة في السن وتعذب شقيقتها الأصغر منها متخذة منها خادمة للمنزل. «إنها لا تصلح لشيء»، «لماذا تعيش؟»، «وهل منها نفع لأحد؟» وما إلى ذلك. هذه التساؤلات تربك الفتى وتحيد به عن الطريق. فيقرر أن يقتلها وينهب مالها ليجلب السعادة لوالدته المقيمة في الصاحبة ويخلص شقيقته التي تخدم أحد الإقطاعيين من الملاحقة العاطفية التي دأب عليها هذا الإقطاعي وتهددها بالهلاك. كان يطمح في إكمال الدورة الدراسية والسفر إلى الخارج ليكون طول عمره فيما بعد إنساناً نزيهاً ثابت العزيمة لا يتوانى عن أداء «واجبه الإنساني تجاه المجتمع البشري»، وبذلك «يكفر عن الجريمة» بالطبع، إذا كان يجوز إطلاق توصيف الجريمة على التصرف بحق عجوز غبية صماء، شريرة ومريضة، لا تعرف بنفسها لأي غرض تعيش في هذه الدنيا، ولعلها ستموت ميتة عادية بعد شهر أو يزيد.

وبالرغم من أن هذا النوع من الجرائم صعب التنفيذ ولا مناص فيه من ترك آثار الجريمة (...). يمكن الشاب بمحض الصدفة أن يقترف فعلته بسرعة ونجاح.

يقضي قرابة شهر بعد الكارثة النهائية، وليس عليه أية شبهة. وهنا تبدأ العملية السيكولوجية للجريمة. القاتل يواجه معضلات غير قابلة للحل. ويتعذب فؤاده تحت ثقل مشاعر مفاجئة لم يكن يتصورها. وتأخذ الحقيقة الإلهية مجرها عبر قانون الحياة الدنيا. فينتهي الفتى إلى التبليغ عن نفسه بنفسه. إنه مضطر لهذا التبليغ كي يعود إلى حظيرة البشر من جديد وإن كان عبر الهلاك في الأشغال الشاقة. ويعذبه الشعور بالانفصام والانقطاع عن البشرية الذي استولى

عليه حالما اقترف الجريمة. قانون الحقيقة والطبيعة الإنسانية يعلو، (...). فيقرر المجرم بنفسه تجربة الآلام ليكفر عن ذنبه. عموماً يصعب علىي أن أوضح فكري بالكامل. وأنا أريد الآن أن أضفي على الفكرة الشكل الفني الذي سترتبه. (...).

إلى ذلك في الرواية تلميح إلى الفكرة القائلة بأن العقاب الذي يفرضه الحقيقيون على الجريمة يخيف المجرم بأقل مما يظنه المشرعون.

ومن أسباب هذه الظاهرة أن المجرم نفسه يطالب بالعقاب.

رأيت ذلك حتى عند الأشخاص الأقل تطوراً، ورأيته في المصادفات الأكثر قسوة. وقد أردت أن أعبر عن ذلك من خلال إنسان متتطور من أبناء الجيل الجديد لكي تنجلி الفكرة بمنتهى الوضوح. وأفعتني عدة حالات حدثت في الآونة الأخيرة بأن حبكتي ليست خارجة عن المألوف بحال. ذلك لأن المجرم شاب متتطور، بل وذو توجهات طيبة. حدثوني في العام الماضي في موسكو حقيقةً عن طالب مقصول من الجامعة بعد حادثة طلابية عزم على تحطيم دائرة البريد وقتل الساعي. وفي صحفنا الكثير من آثار اضطراب المفاهيم المستشاري الذي يشجع على اقتراف أفعال شنيعة. ومن الأمثلة التلميذ الذي قتل بتناً بالاتفاق معها في المستودع وتم القبض عليه بعد ساعة وهو يتناول الفطور (وكان شيئاً لم يحصل) وما إلى ذلك. باختصار، أنا على يقين بأن روح العصر تبرر حبكة روايتي جزئياً.

بديهي أنني أهملت في العرض الحالي فكرة روائيي، فكرة حبكتها. أنا أتعهد بتوفير متعة المطالعة، ولا أحكم بنفسي على الأداء الفني. فقد تعين على كتابة الكثير، الكثير جداً من الأشياء الغنة بسبب الاستعجال والتنفيذ حسب الطلب وما إلى ذلك. أما هذه الرواية

فأكتبها بحماس ومن دون استعجال. وسأحاول، لأجل نفسي على الأقل، أن أنهيها على النحو الأفضل بقدر المستطاع.

قبل ست سنوات تقريباً أرسلت إلى «البشير الروسي» إحدى قصصي الطويلة واستلمت مقابلها أجراً التأليف مقدماً. لكن سوء تفاهم حصل. ولم تنشر القصة فاستعدت المخطوطة وأعادت النقود. ولربما كنت أنا مذنبًا جزئياً، أو ربما محقاً جزئياً. والأصح كنت هذا وذاك معاً. والآن أنا أميل إلى اتهام نفسي بالتعنّج والغطرسة. وقد نسيت تفاصيل هذه القضية، فهل يحق لي أن آمل بأنك، أنت أيضاً، يا ميخائيل نيكيفوروفيتش الموقر، لن ترغب في تذكرها الآن؟⁽³⁾

على مدار السنوات الأخيرة كنت أتقاضى ما يتراوح بين 250 روبلأً على الملزمة، لقاء رواية «ذكريات من منزل الأموات» التي نشرت بدايتها جريدة «العالم الروسي» السابقة، وبين 125 روبلأً التي اقترحت علىي مؤخراً من قبل أحد الناشرين. وأنا موافق تماماً على الأجر الذي تحدهه أنت حسب رأيك بعد قراءة المخطوطة.⁽⁴⁾ وسمعت أن الكثيرين من الأدباء الذين يتعاملون معك يفعلون هكذا. لكنني، على أية حال، أرحب في أجر لا يقل في حده الأدنى عن الـ 125 روبلأً التي عرضت علىي حتى الآن.

إلا أنني، وأكرر، أعول عليك في كل شيء، وأنا على يقين راسخ بأن ذلك سيكون أفعى لي.

لا مؤاخذة أن أنتقل إلى أمور تخصني تحديداً. ظروف الراهنة ليست جيدة إطلاقاً. سافرت في بداية يوليو إلى الخارج للعلاج، وكانت مريضاً جداً، وبلاء نقود تقريباً. كنت آمل أن أنهي رواية⁽⁵⁾ في القريب العاجل، لكنني انهمكت في كتابة رواية أخرى هي موضوع حديثي معك. ولست آسفاً على ذلك، إلا أنني مضطر الآن أن أطلب

منك ثلاثة روبل، في حال رغبَت في نشر روايتي طبعاً. أرجوك، يا ميخائيل نيكيفوروفيتش المحترم، أن لا تعتبر هذه الـ 300 روبل من الشروط التي يمكن أن أتقدم بها في مقابل قصتي. كلا، أبداً. إنه مجرد رجاء إليك لمساعدتي في هذه اللحظة الحرجة بالنسبة لي. وأكرر أنه، بالطبع، رجاء وارد فقط في حالة قبولك لعملي⁽⁶⁾.

على أية حال، أرجوك كل الرجاء أن لا تتركني لأمد طويل من دون أخبار من هيئة تحرير المجلة. فالوقت ثمين بالنسبة لي في الضيق الذي أنا فيه. وعلى الرغم من أنني آمل أن أعود إلى روسيا بعد شهر، إلا أنني أتصور بالإمكان إرسال المخطوطة بشكلها النهائي إليك بعد ثلاثة أسابيع.

- (1) المقصود «الجريمة والعقاب» قبل إدراج «السكارى» ضمنها.
- (2) بدأت «البشير الروسي» بنشر «الجريمة والعقاب» اعتباراً من يناير 1966.
- (3) المقصود الخلاف الذي حصل آنذاك حول رواية «قرية ستيبانتشيكوفو وسكانها».
- (4) المعروف أن دوستويفسكي استلم 150 روبراً للملزمة لقاء «الجريمة والعقاب» وكذلك «الأبله» و«الشياطين».
- (5) لعل المقصود رواية «السكارى».
- (6) كانكوف حول المبلغ إلى الكاتب.

99. إلى الكسندر فرانغيل

بطرسبورغ، 8 نوفمبر 1865

الصديق الطيب المحترم ألكسندر يغورو فيتش. هل يعقل أن أربعة
أسابيع مرت؟⁽¹⁾ حسبت الأيام وهي كذلك بالفعل. وماذا فعلت أنا؟
لا شيء. والغريب أنني أرى من رسالتك وكأنك لم تستلم قصاصة
الورق من متن الباحرة من كرونشتادت. هل هذا صحيح؟ اكتب لي.
أنا مدين لك بجنيه آخر. تلك لم تكن رسالة، وإنما بعض كلمات
كتبتها على ظهر فاتورة حساب الباحرة. كان يعوزني جنيه واحد، بينما
أنفقت على مصرف الجيب 5 شلنات لا غير، على البيرة، لأن ماء
الشرب كان مقززاً. وكانت في الفاتورة فقرات غير متوقعة ولا يمكن
تفاديها. ولذا كتبت لك على ظهر الفاتورة بضعة أسطر طلبت فيها
منك أن تسدد الجنيه في كوبنهاغن، لأنني لم أعد أملك ولا كوييكاً
واحداً. هل يعقل أنهم لم يأتوا (ليأخذوا الجنيه)؟ الرحالة كانت
هادئة، لكننا وصلنا في اليوم السادس.
حالما وصلت تعرضت لنوبة صرع، في أول ليلة. وكانت شديدة
للغاية. ثم تحسنت حالياً، وبعد خمسة أيام فاجأتني نوبة أشد.

وأخيراً نوبة أخرى قبل ثلاثة أيام، وهي ضعيفة، لكن النوبات الثلاث حطمت أعصابي.

ومع ذلك أعكف على التأليف محنني الظهر.

كاتكوف أرسل 300 روبل إلى كوبنهاجن، وجدتها في البيت، بعثها يانيشيف من هناك. إلا أن كل الأمور وقعت على كاهلي. عائلة المرحوم أخي في اضطراب تام. كانوا ينتظرونني كالملائكة. أعطيتهم كل ما لدي. وإلى ذلك استدنت قبل أيام 100 روبل. فماذا عليّ أن أفعل؟ لا أدرى. استشرت بولونسكي وحده. وكرر عليّ أن لا أستعجل بشأن المجلة المرتقبة. ونصحني بأن أُولف رواية وأكتب أشياء أخرى لأرفع اسمي، وعند ذاك يمكن البدء بإصدار المجلة. يعني بعد عام. وبخصوص اليوميات⁽²⁾ اكتفى بأن هز رأسه. لكتني لم أجرب بعد. أريد طول الوقت أن أجرب. كما سأطلب من الوزير مساعدة لعائلة أخي⁽³⁾.

في ذهني طبعة دورية وليس مجلة. وهي نافعة ومجازية. يمكن إصدارها في العام القادم. وحتى ذلك الحين ينبغي إنهاء الرواية⁽⁴⁾.

أعمل بكل طاقاتي، رغم تحذير الأطباء بسبب نوبات الصرع. حالياً لا أستطيع أن أرسل لك شيئاً. فاصبر عليّ يا صديقي الطيب. سأسلم مقابل الرواية ما لا يقل عن 2500 روبل. وعندها أعطيك. هذا أكيد. فقد استلمت المقدم. المهم أن أنهى.

المعطف والبطانية سأرسلهما. ربما غداً سأرسلهما إلى لوبيك.

ماذا عليّ أن أفعل تجاه يانيشيف؟ يا إلهي، عليّ أن أسد الدين له حتماً في 12 ديسمبر. حينئذ ربما أرسل لك أيضاً. ولكن من أين لي بالمال؟ سأذهب إلى الوزير. ليس من اللائق أن أطلب سلفة أخرى من كاتكوف. غير معقول. فليست لي علاقات حميمة معه.

أعبر عن إخلاصي التام واحترامي العميق لعقيلتك. والأهم، أتمنى لها موفور الصحة. أهنتك بميلاد الصبية، وأقبل جميع الأطفال، وخاصة الفطينة⁽⁵⁾.

إلى اللقاء يا عزيزي وصديقي القديم. أشد على يدك بحرارة.

المخلص دوستويفسكي

ملحوظة: كنت طول الوقت أريد أن أكتب لك، وطول الوقت
أنتظر شيئاً إيجابياً.

ربيبي بافل في صحة جيدة، وهو يواسيني. وأخي⁽⁶⁾ المريض
يتحمل أن يموت قريباً، ربما هذا العام. سأكتب لك تفصيلاً عن
جميع الأخبار والمخططات. فلا تنسني أنت أيضاً.

عندنا الثلوج تساقط، والطريق بالزحافات. (نهر) نيفا تجمد.
ومن المستبعد أن تمخر الباخر البحر. سأرسل المطلوب بواسطة
أخرى.

استلمت الحقيقة من فرانكفورت، والكلفة 62 روبلأً.

(1) على استضافة أسرة فرانغيل للكاتب في كوبنهاغن طوال أسبوع.
(2) في تلك الفترة كان دوستويفسكي يفكر في إصدار «يوميات الكاتب». ولم
ينفذ المشروع إلا في عام 1873.

(3) يبدو أن دوستويفسكي لم يكتب لوزير الثقافة. وكانت عائلة أخيه المتوفى
تتلقى معونة من الصندوق الأدبي فقط.

(4) «الجريمة والعقاب»

(5) ابنة فرانغيل الذكية التي رعاها دوستويفسكي طوال مكوثه عندهم..
(6) نيكولاي دوستويفسكي، شقيق الكاتب، توفي ليس هذا العام ولا بعده،
 وإنما في 1883.

جداريات «دوستوييفسكي»

في محاولة غير مسبوقة في الإصدارات العربية نشر دار سؤال بين دفتي الكتاب بانوراما مكتملة للجداريات المستوحاة من مؤلفات الكاتب، 16 جدارية نفيسة تزين بهو محطة «دوستوييفسكي» في مترو موسكو.

فيودور دوستويفسكي

الرسائل I

يضم الكتاب بمجلديه وطبعته الفاخرة التي تنشر بدعم معهد الترجمة في روسيا الاتحادية أكثر من 250 رسالة تتناول جميع مراحل حياة الكاتب، أولاً أرسلها إلى أمه وهو في الثانية عشرة من العمر وآخرها أملأها على زوجته وهو على سرير الموت. وتعتبر هذه الطبعة أول وأوسع كشف بالعربية عن حياة دوستويفسكي الشخصية.

يقول المترجم عن هذا المشروع الأدبي الفائق الأهمية: دوستويفسكي أعلن مراراً أنه لا يجيد ولا يحب كتابة الرسائل. وربما لذلك تحديداً جاءت رسائله بصيغة غير مألوفة تماماً. وأنا لا أخشع توصيفها «بالروايات المصغرة». ففي الرسالة الواحدة، سواء كانت عشر صفحات أو بسبعين سطور، كل مقومات المتممة الروائية من توطئة وحبكة وحدث وإثارة وما إلى ذلك.

ولعلي أقول أيضاً إن رسائل المجلدين تمثل أعظم رواية وثائقية في تاريخ الأدب العالمي تضم 250 فصلاً وبطلها الرئيسي فيودور دوستويفسكي نفسه، وأبطالها الثانويون أخوه ميخائيل وزوجته الأولى ماريا عيسايفا وزوجته الثانية آنَّا غريغوريفنا والعشرات من الشخصيات الاجتماعية ورموز الأدب الروسي في عصره الذهبي.

فيودور دوستويفسكي، الرسائل I

ISBN: 978-614-8020-36-0



9 786148 020360



www.darsoual.com



dar_soual@outlook.com



@darsoual2014



Dar Soual